سلسلة تاريخ العرب والإسلام

الكوفة وأهلها في صدر الإسلام

دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم

د. صالح أحمد العلي

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

الكوفة وأهلها
في صدر الإسلام

الدكتور صالح أحمد العلي

الكوفة وأهلها في صدر الإسلام

دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

شارع جان دارك - بناية الوهاد

ص. ب. : ٨٣٧٥ - بيروت - لبنان

تلفون: ٣٥٠٧٢٢ (٠١)

تلفون + فاكس: ٣٤٢٠٠٥ - ٣٥٣٠٠٠ (١ ٩٦١)

e-mail: allprint@cyberia.net.lb

الطبعة الأولى ٢٠٠٣

تصميم الغلاف: عباس مكي

الاخراج الفني: بسمة التقي

تقديم

الكوفة أحد المصرين العربيين اللذين تأسسا في العراق في عهد خلافة عمر بن الخطاب، وثانيهما البصرة. وقد أنشئت لتكون مركزاً يقيم فيه المقاتلة العرب الذين فتحوا العراق ودمروا جيوش كسرى وقضوا على الدولة الساسانية وضموا بلادها إلى الدولة الإسلامية. وشارك مقاتلة الكوفة في فتح الجزيرة الفراتية وأرمينية، وكانوا مسؤولين عن حفظ الأمن والنظام في العراق وأقاليم شمالي الهضبة الإيرانية.

كانت الكوفة منذ أول تأسيسها تضم عدداً من المقاتلة العرب ومن البيوتات التي كانت لرجالها مكانة كبيرة في عشائرهم قبل الإسلام، واتخذها الخليفة علي بن أبي طالب مقاماً له في معظم السنوات الأربع من خلافته واعتمد على أهلها بالدرجة الأولى في نزاعه مع معاوية. وأسهم أهلها في كثير من الحركات السياسية التي حدثت في زمن الخلافة الأموية، وكان إسهامهم كبيراً في معظم الحركات ضد الدولة الأموية.

وكانت الكوفة من أعظم مراكز الحركة الفكرية في الدولة الإسلامية الأولى، فازدهرت فيها دراسة الفقه والشعر ثم النحو، وكانت لها سمات مميزة في هذا المجال عن الأمصار الأخرى، كما ازدهرت فيها علوم اللغة العربية والحديث والأخبار والتاريخ. وكان لعلمائها أثر كبير في تطوير هذه العلوم وتقدّمها وفي إنماء الحركة الفكرية في بغداد بعد إنشائها. غير أن نمو الحياة المادية والفكرية في بغداد واستقرار الحياة السياسية في العراق بعد قيام الدولة العباسية كان له أثر في تناقص أهمية الكوفة وإضعاف دورها في متابعة الإسهام في نمو الحضارة العربية والإسلامية.

لا ريب في أن الإحاطة بمختلف جوانب الحياة المادية والحضارية والفكرية يتطلّب دراسة واسعة، وسنقصر بحثنا على دراسة التكوين السكاني والمعالم العمرانية وتطورها في الكوفة إبان القرن الأول الهجري مؤملين أن نوضح بعض الاسس التي قامت عليها الحياة في الكوفة.

إن كثيراً من الأحوال التي أحاطت بالكوفة عند تأسيسها تشبه ما كان للبصرة خاصة، فكلتاهما أنشئت لتكون قاعدة للمقاتلة العرب الذين قاموا بالقضاء على الفرس وتثبيت حكم العرب في العراق وأقاليم المشرق. وكان سكان كل منهما ممن قدم من مختلف أرجاء جزيرة العرب واستقرّ، وفق تنظيمات خططية وإدارية متشابهة. وقد أقيمت كل منهما في رقعة تتصل مع صحراء الجزيرة بريف العراق ويقرب مركز حضري قديم، فالكوفة شيدت بجوار الحيرة، والبصرة بالقرب من الأبلة وفرات ميسان؛ وشارك أهل المصرين في عدد من الأحداث الحربية والسياسية.

غير أن التركيب القبلي لم يكن متطابقاً بينهما، فقد اشتركتا في وجود عشائر من الحجاز وتميم وبكر وعبد القيس. إلا أن الكوفة كان فيها عدد كبير من العشائر التي قدمت من اليمن وبلاد عسير، أما البصرة فكانت فيها عشائر قدمت من عمان.

شارك أهل الكوفة والبصرة في النشاط السياسي والفكري الذي شغل العرب بعد استقرارهم في الأمصار. وامتدت هذه المشاركة إلى مواضيع الأبحاث وأساليبها وتياراتها العامة، غير أن عوامل متعدّدة أدّت إلى أن تتّخذ كل منهما مجرى خاصاً في بعض التوجّهات السياسية والفكرية. ففي ميدان التوجهات السياسية عرفت البصرة بميلها إلى العثمانية، إلا أن أهلها لم يقوموا بعمل إيجابي واضح يعبّر عن هذا الميل. أما الكوفة فكانت من حيث العموم ميّالة للعلويين واعتمدت أكثر الحركات المؤيدة لهم على أهل الكوفة بدءاً من التأييد الواسع للخليفة علي في أول نزاعه مع معاوية، ثم إلى التأييد الهش للحسين

ولزيد بن علي في ثورتيهما على الأمويين، علماً بأن أول انشقاق على خلافة علي حدث في صفوف الخوارج من أهل الكوفة[١].

كان أهل الكوفة أكثر عناية بالشعر وروايته، وقد نسب ذلك إلى محفوظات كشفت في الحيرة ترجع إلى زمن المناذرة، فذكر حماد أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب في الطنوج، يعني الكراريس، له، ثم دفنها في قصره الأبيض، فلما كان المختار بن أبي عبيد قيل له إن تحت القصر كنزاً فاحتفره فأخرج تلك الأشعار، ومن ثم فإن أهل الكوفة أعلم بالأشعار من أهل البصرة[٢]. إن هذا التبرير المبسّط قد يثير التساؤلات ولا ينفي حقيقة أن أهل الكوفة كانوا متفوقين في هذا المجال.

وتميَّز أهل الكوفة من أهل البصرة بالاهتمام بالفقه، فكان يقال «فقهُ كوفيٌّ وعبادة بصري»[٣]. وظهر في الكوفة عدد من الفقهاء وبخاصة في القرنين الثاني والثالث الهجريين كانت لهم جهود كبيرة في إنماء الفقه الذي صار مرادفاً لـ"فقه العراق" في المشرق والمغرب.

وذكر أبو نعيم فقه الكوفيين[٤] ومذهب الكوفيين[٥] ومذهب العراقيين[٦]، وذكر ابن أبي شيخ عدداً ممن ينتحل مذهب الكوفيين في أصفهان، ومنهم حيان بن بشر ويحيى بن مطرف ومحمد بن الحسن بن عثمان وعمر بن شهاب بن طارق المدني والحكم بن معبد الخزاعي[٧]. وأبرز سمات مذهب الكوفيين في الفقه الأخذ بالرأي[٨].

---

(١) انظر ابن سعد ٦/ ٣٢، ابن الفقيه الهمداني البلدان ١٥/١٦٦، الحور العين لنشوان بن سعيد ٢٩٩/ ، معجم الأدباء لياقوت الحموي ١/١٥٣، ابن شبه ١٦/١٣،العقد الفريد ١/ ١٤، الطبري ٢/ ٩٥، الانباء لابن عبد البر ٢٦٠، ابن سعد ٦/ ٣٣٢، الغارات للثقفي ١/ ٥٥، شرح نهج البلاغة ١/ ٣٦٩، العقد الفريد ٦/ ٢٣٤.

(٢) لسان العرب ٣/ ١٤٢؛ وانظر كتاب الشعر في الكوفة ليوسف خليف.

(٣) حلية الأولياء لأبي النعيم ٢/ ٣٢١.

(٤) تاريخ أصبهان ٢/ ٢٠، ٣١.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٠.

(٦) المصدر نفسه ٢/ ٢٦.

(٧) طبقات المحدثين بأصبهان ٨٩، ١٧٢، ١٧٣؛ اللباب ١/ ٤٥٦.

(٨) فجر الإسلام، لأحمد أمين.

يقتضي البحث الشامل أن ندرس الوافدين إلى الكوفة من غير العرب وارتباطاتهم بالعرب بالولاء أو بقاءهم خارجه، وإسهام الكثير في الحركة الفكرية. وقد تجمّعت لديَّ مادة غنية عن ذلك، مما حملني على نشرها في كتاب مستقل على أن تكون الأفضلية في هذا الكتاب للبحث في موضوعات السكان والعمران والتنظيمات في الكوفة.

الفصل الأول

المصادر

المصادر العربية القديمة

ألّف العرب في القرنين الثاني والثالث أبحاثاً وكتباً عن الكوفة، ووضعوا لها عناوين متعددة، ومرتبة تبعاً للعناوين، أكثرها مفقود لم يصلنا بكامله أو حتى مقتطفات منها. ونعرض في ما يلي ما توصلنا إليه منها.

الكتب الخاصة بالكوفة وتاريخها

ذكرت المصادر أسماء عدد من المؤلّفين الذين ألّفوا عن الكوفة كتباً مستقلة بعناوين مختلفة. فذكر ابن النديم (ت حوالى سنة ٣٧٠) للهيثم بن عدي أربعة كتب هي: خطط الكوفة، وولاة الكوفة، وقضاة الكوفة والبصرة، وفخر أهل الكوفة على أهل البصرة[١]. وذكر للمدائني (ت ٢٣٠) كتاب مفاخرة أهل البصرة وأهل الكوفة[٢]. ولعمر بن شبة (ت ٢٦٣) كتاب أمراء الكوفة[٣].

وذكر النجاشي كتاب الكوفة لمحمد بن علي بن الفضل بن تمام الدهقان، وقال أنه قرأه على أبي عبد الله الحسين بن عبد الله[٤]، وكتاب الكوفة

(١) الفهرست ١١٢/١٢٢، ١٤٢، ١٤٦، وانظر معلومات أوسع في مقالنا «مصادر دراسة تاريخ الكوفة» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي.
(٢) الفهرست لابن النديم، ١١٧.
(٣) المصدر نفسه، ١٢٥.
(٤) الرجال للنجاشي ٣٠٧.

لمحمد بن بكر الرازي[1] ولم يذكر محتواهما أو سيرة مؤلفيهما، إلا أنَّ الطوسي ذكر أن محمد بن علي الدهقان كثير الرواية، وله كتب منها كتاب (الفرج في الغيبة) كبير حسن أخبرنا برواياته وكتبه كلها الشريف أبو محمد المحمدي. وأخبرنا أيضاً جماعة عن العكبري عنه[2]، غير أن الطوسي لم ينص صراحة على كتاب للدهقان عن الكوفة. ونقل أبو علي العلوي عن الدهقان سبعة نصوص دون أن يشير إلى الكتاب الذي نقلها عنه.

وذكر السخاوي ثلاثة كتب عن الكوفة ألّفها ابن المجالد، وعمر بن شبه، وأبو الحسن محمد بن جعفر بن هارون بن فروة التميمي الكوفي النحوي[3].

فأما كتاب (تاريخ الكوفة) لابن مجالد، فقد ورد ذكره في قائمة الكتب التي ذكر ابن الساعي في بعض كتبه أنه قرأها[4]. غير أني لم أجد في المصادر أية إشارة إلى هذا الكتاب أو معلومات عن مؤلفه.

أما ابن شبه فهو أبو غسان عمر بن شبه النمري (ت ٢٦٣)؛ وقد ذكر له ابن النديم أكثر من عشرين كتاباً في الشعر والنحو والقرآن والنسب، وفي تاريخ بعض الأحداث وبعض المدن ومنها «كتاب الكوفة» و«كتاب أمراء المدينة»، وقد اعتمد عليه الطبري في نقل معظم ما روى عن المدائني في حوادث البصرة وخراسان[5]. غير أني لم أجد من نقل عنه في ما يتعلق بتاريخ الكوفة وأحوالها والحوادث التي شارك أهلها فيها.

أما تاريخ الكوفة لابن النجار فهو مفقود، وقد وصفه ابن القفطي بأنه كتاب صغير مرتب على الرجال[6]، ولكن وصلتنا نصوص منقولة عنه، لعل بعضها من هذا الكتاب، ومن هذه النصوص خمسة نقلها ياقوت في معجم الأدباء، ونصّان

---

(١) الرجال ٢٩٩.
(٢) الفهرست / ٢٥٩.
(٣) الاعلان بالتوبيخ / ٦٣٩.
(٤) الدرر الكامنة ٣ / ٣٩٥.
(٥) انظر رسالة محمود العبيدي عن ابن شبه.
(٦) أنباء الرواة للقفطي ٣ / ٨٤.

في معجم البلدان، ونقل عنه خمسة نصوص في لسان الميزان، ونقل عنه الخطيب ثمانية وستين نصاً من عدة رواة[1]. كما نقل عنه ابن طاووس ووصفه بأنه الكتاب الموسوم (بالمنصف)[2]. إن كثرة المنقولات التي أشرنا إليها تتعلّق بتراجم الرجال وعلماء النحو، ولم نجد نقلاً منه عن معالم الكوفة الخططية أو أهلها. وقد يكون بعض ذلك راجع إلى اختيارات الناقلين، وعلى أي حال فإن ما نقل عنه ليس بذي فائدة كبيرة لبحثنا عن معالم الكوفة وأهلها[3].

كتب الفضائل

من المصادر عن معالم الكوفة وأهلها الكتب التي عنوانها «الفضائل». وقد ذكر الطوسي كتابين عنوان كل منهما «فضل الكوفة» أحدهما لعلي بن الحسين بن فضال[4]، والثاني لأبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن سعيد المشهور بابن عقدة[5]؛ وكتاباً بعنوان «فضل قم والكوفة» لسعيد بن عبد الله الأشعري[6].

فأما كتاب ابن فضال فقد ذكره ابن شهراشوب في قائمة الكتب التي ألّفها ابن فضال[7]. وذكر النجاشي في ترجمته لابن فضال مؤلفاته ومنها «كتاب الكوفة»، ولعله كتاب «فضل الكوفة» نفسه، كما ذكره ابن فضال في عدة مواضع من كتابه. ووصف الطوسي ابن فضال بأنه فطحي المذهب ثقة كوفي كثير العلم واسع الرواية والأخبار، جيد التصانيف، غير أنه معاندٌ، وقال: «أخبرنا بجميع

---

(1) انظر «مصادر الخطيب» لأكرم ضياء العمري ٥٢٩.
(2) فرحة الغرى، ٥٧، وانظر أيضاً ٤٩، ١٠٦.
(3) انظر عن ترجمته: تاريخ بغداد للخطيب ٢/ ١٢٨؛ بغية الوعاة / ٢٦٣؛ معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٨/ ١١٤؛ تاريخ الإسلام الذهبي (وفيات سنة ٣٠٥).
(4) الفهرست، الطوسي ٩٢.
(5) المصدر نفسه ٢٨.
(6) المصدر نفسه ٧٦.
(7) الرجال ٧٦.

كتبه، أكثرها قراءة عليه، والباقي إجازة أحمد بن عبدون عن علي بن محمد بن الزبير سماعاً أو إجازة»[1].

وصلتنا من الكتب التي عنوانها «فضل الكوفة» قطعة من كتاب لأبي علي محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن الكوفي العلوي (ت ٤٤٥) ضمن مجموع فريد في المكتبة الظاهرية بدمشق، مخطوط بعنوان «فضل الكوفة»؛ وهو يتكوّن من ثلاث وعشرين صفحة (٢٨٥أ-٣٠٨أ) ونقل فيه أقوالاً في فضل الكوفة لعلي بن أبي طالب وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن الحنيفة، كما نقل عن الشعبي وابن عياش، ومما ذكره وادي كوفان (٢٨٥أ، ٢٨٧ب، ٢٩٥ب، ٣٠٢أ)، وان رأس الجالوت نصح بالدفن في ظهر (٢٨٨أ، ٢٩٠أ، ٢٩٣أ)و وذكر عن ابن عياش أن الكوفة مصّرت على مذحج وهمدان.

أما ابن عقدة فهو أبو العباس أحمد بن سعيد (٢٤٩-٣٣٣) محدّث كوفي ألف كتباً كثيرة، وذكر كتابه كلٌّ من النجاشي[2] وابن شهراشوب، ونقل عنه أبو علي العلوي سبع عشرة رواية منها واحدة بسند عن أبي جعفر التميمي، أما الباقية فبسند عن محمد بن عبد الله الجعفي.

وذكر النجاشي[3] خمسة كتب في فضل الكوفة هي:

١ ـ «فضل قم والكوفة» لسعد بن عبد الله القمي.

٢ ـ «فضل الكوفة ومن نزلها من الصحابة» لابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي.

٣ ـ «الكوفة وما فيها من الآثار والفضائل» لأحمد بن سعيد النجاشي.

---

(١) الفهرست ٩٢-٩٣.
(٢) الرجال ٧٤.
(٣) معالم العلماء للنجاشي ١٦٠، ونقل الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد مائة وخمسين نصاً ليس فيها معلومات عن خطط الكوفة. انظر مصادر الخطيب لأكرم العمري ٥٣٢.

٤ ـ «المزار وفضل الكوفة ومساجدها» لجعفر بن الحسين بن علي بن شهريار القمي.

٥ ـ «فضل الكوفة» لمحمد بن أحمد بن خاقان الهندي[(١)].

لم أجد معلومات عن محمد بن أحمد بن خاقان أو عن كتابه. أما سعيد بن ابراهيم القمي فقد ذكر النجاشي أنه توفي سنة ٢٩٩[(٢)]. وذكر ابن شهراشوب أن له كتاباً[(٣)]، ولكنه لم يذكر اسم الكتاب. أما أحمد بن العباس النجاشي (ت ٤٠٥) فهو مؤلّف كتاب "الرجال".

أما ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي، فهو مؤرّخ مشهور ولد في الكوفة، ثم انتقل إلى أصفهان وتوفي سنة ٢٨٣ وألّف عدة كتب أشهرها كتاب «الغارات» الذي نقل عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ثم طبع مؤخراً في طهران، وهو يبحث غارات جيوش معاوية على أطراف الكوفة في أواخر خلافة علي بن أبي طالب. ولم أجد من نقل عن كتابه في «فضل الكوفة».

المفاخرات بين المدن

روت المؤلّفات العربية أقوالاً لعدد من العرب عن مفاخرات الكوفة وبخاصة مع البصرة، ونقل نصوصاً منها عدد من المؤلفات، وبخاصة كتاب «البلدان» للجاحظ، «وعيون الأخبار» لابن قتيبة، و«البلدان» لابن الفقيه الهمداني. كانت بداياتها في عهد مصعب بن الزبير، ومنها عدد من المفاخرات جرت أمام عبد الملك بن مروان والحجاج بن يوسف وهشام بن عبد الملك وأبي العباس السفّاح والمأمون. وفي هذه المفاخرات معلومات عن خصائص الكوفة الجغرافية، وبعض مظاهرها العمرانية وسمات أهلها والبارزين منهم، مما له أهمية في توضيح المعالم الجغرافية التي تدرسها[(٤)].

---

(١) مذكورة على الترتيب (١) ١٣٤، (٢) ١٤، (٣) ٩٥، (٥) ٢٦٢.
(٢) الرجال ١٢٥.
(٣) معالم العلماء ٥٤.
(٤) انظر تفاصيل في بحثنا «المفاخرات بين المدن» المنشور في مجلة المجمع العلمي العراقي.

كتب الرجال

عني المؤلّفون العرب، وبخاصة أهل الحديث، بتدوين أخبار الرجال لأهميتهم في توثيق رواياتهم، وشملت كتبهم أسماء الرجال ونسبتهم القبلية، ومعلومات عن منازلهم ومكانتهم. وأقدم ما وصلنا من كتب الرجال كتاب «الطبقات» لخليفة بن خياط (ت٢٤٠)(١)، وفيه ذكر لعدد كبير من المحدّثين من أهل الكوفة في القرنين الأول والثاني.

إن أوسع الكتب القديمة في الطبقات كتاب ابن سعد، الذي طبع فيه ثمانية مجلّدات، وهي غير كاملة، وطبعت مؤخراً أربعة مجلدات، ثلاثة منها تخصّ من أسلم بعد الفتح، ورابع يكمل الجزء السادس من المطبوع الأول بالكوفة وقد رتّبت مادته بحسب التتابع الزمني، فبدأ بالصحابة ثم التابعين، ثم تابعي التابعين، وترجم في هذا الجزء لألف وثلاثين رجلاً، خص بعض البارزين منهم بعدة صفحات، أما أكثر الباقين فخصهم بما لا يزيد على نصف صفحة، بل إنه لم يزد ما خصّه لعدد منهم على سطر أو سطرين، وترجم في أجزاء أخرى لعدد من بارزي الصحابة ممّن كانت لهم صلة بالكوفة.

ذكر ابن سعد اسم العشيرة التي ينتمي إليها كثير ممن ترجم لهم، وأورد شجرات نسب بعضهم، وذكر بعض الخطط ومن كان يسكنها والمعارف التي أسهموا فيها، وبعض أحوالهم الشخصية كألبستهم وظاهر زينتهم. وذكر أسماء كثير من الرواة الذين نقل عنهم ومسانِد كثير من هؤلاء الرواة، وأغلبهم روى عن كل منهم نصّين؛ وأكثر النقل عن مائة وعشرين شخصاً أغلبهم كوفيون. وأكثر في هذا الجزء النقل عن الفضل بن دكين (ت٢١٩)، إذ أورد عنه قرابة ثلاثمائة نص عن مختلف رجال أهل الكوفة. وهذا العدد الكبير من النصوص يكوّن بمجموعه كتاباً، غير أن المصادر لم تذكر أن الفضل بن دكين ألّف كتاباً عن الكوفة.

(١) انظر عن كتب الطبقات كتاب «أبحاث في تاريخ السنّة النبوية المشرّفة» لأكرم ضياء العمري.

ذكر ابن سعد الشيوخ الذين نقل عنهم الفضل بن دكين ومن أبرزهم سفيان (ابن سعيد؟) وشريك بن عبيد الله النخعي، وأبو إسرائيل، وحنش بن الحارث، والحسن بن صالح الهمداني، وقيس بن الربيع الأسدي، وفطر بن خليفة، ومالك البجلي، ويونس الهمداني، وحفص بن عثمان النخعي، فضلاً عن روايات مفردة لعدد غير قليل من الرواة.

ونقل ابن سعد في هذا الجزء عن عثمان بن مسلم حوالى مائة نص. كما نقل عن كل من محمد بن عبد الله الأسدي وقبيصة بن عقبة السوائي وأحمد بن عبدالله بن يونس ووكيع بن الجراح الرواسي وعبيد الله بن موسى مولى بني عبس وعارم بن الفضل ورشيد بن هارون وعدد من الشيوخ الذين نقل عن كل منهم عدداً قليلاً من النصوص. ودراسة الرواة الذين نقل عنهم ابن سعد وشيوخهم تكوّن مادة أولية لبحث واسع عن الحركة الفكرية في الكوفة إبان القرنين الأول والثاني.

تبع خليفة بن خياط وابن سعد عدد كبير ممّن ألّف في كتب الرجال، وأكثر هذه المؤلّفات في رجال الحديث[1] لأهميتها في توثيق نص الحديث النبوي الذي كثر المعنيون به، وبخاصة من أهل الكوفة، وقد تنوّعت في ترتيب مادتها وغزارة معلوماتها، وهي من حيث العموم تعنى بتدقيق وضبط أسماء من تذكرهم وكناهم، وتشير إلى نسبة كثير منهم ونسب بعضهم وبعض المعلومات عن حياة بعضهم، ومن أوسع الكتب الأولى في هذا الميدان هو «التاريخ الكبير» لمحمد بن إسماعيل البخاري، يليه «أشهر مشاهير علماء الأمصار».

ونظراً لكثرة رجال الحديث الأولين من أهل الكوفة وتعدّد العشائر التي ينتسبون إليها فإن هذه الكتب تقدّم مادة أوّلية زاخرة لمعرفة الوحدات العشائرية في الكوفة، إضافة إلى المعلومات المتفرّقة عن جوانب أخرى ذات فائدة في دراسة أحوال الكوفة. ومع أن تنظيم المادة المتفرّقة في هذه الكتب يعزّز ويوسّع

(١) انظر تفاصيل أوفى في كتاب «دراسات في تاريخ السنّة النبوية» لأكرم ضياء العمري.

معرفتنا بالتركيب القبلي لأهل الكوفة إلا أنه أكثر فائدة في معرفة المسهمين في الحركة الفكرية وتوزّعهم القبلي الذي قد لا يكون مطابقاً لكشف أهمية كل عشيرة مما هو موضوع دراستنا.

قلنا إن ابن النديم لم يذكر من المؤلّفات المفردة عن أصناف رجال الكوفة غير كتاب ابن شبه عن أمراء الكوفة. غير أنه ذكر كتباً كثيرة عن رجال من مختلف مشارب الحياة، بما في ذلك الكتّاب والشرط والقبائل والأشراف والبيوتات والمفاخرات والمنافرات والمثالب وكثير من النظم الاجتماعية، وكتباً مفردة في العشائر وطبقات القراء والفقهاء والمتكلمين والنحويين، وعدد كبير من رجال الإدارة والسياسة والشعراء والمغنّين والندماء والظرّاف والفرق والموالي، والعرب[1]. وقد فقدت كافة هذه الكتب وبقيت نصوص لعلها منقولة منها، خصوصاً في كتب: «المحبّر» لمحمد بن حبيب الذي عني بكثير من جوانب الحياة الاجتماعية وبخاصة في الكوفة، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة الذي كان أكثر عناية بأهل البصرة، وكتاب «الاغاني» لأبي الفرج الأصبهاني وهو منجم ثر للمعلومات عن الشعراء والمغنّين، بالإضافة إلى المعلومات الواسعة عن كثير من الحوادث السياسية والحياة الاجتماعية بما في ذلك الكوفة. ومع أن الكتاب عام إلا أنه منظّم بما يمكّن من فرز المعلومات المتعلقة بالكوفة ومن ظهر من رجالها، مع معلومات عن الأحوال الاجتماعية والفكرية والسياسة.

كتب الأنساب

لكتب الأنساب الأهمية الأولى في معرفة العشائر ورجالها وخططها ومكانتها، فأغلبها تذكر العشائر العربية تبعاً لارتباطاتها النسبية، وتشير إلى أكثر

(١) انظر القائمة التي صنفناها عن المؤلفات التي ذكرها ابن النديم عن كل من هذه الأصناف في كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ص ٢٧٣-٣١٦. وانظر العرض الشامل الذي كتبه عزة النص في سلسلة مقالاته التي نشرها في مجلة معجم اللغة العربية، وكذلك ما أضفناه إلى كتاب روزنثال «علم التاريخ عند المسلمين». وانظر أيضاً الجزء الثاني من المجلد الأول من كتاب «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين.

من كان يقيم بالكوفة، وأحياناً إلى أبرز رجالها ومكانتهم، غير أنها قلّما تحدّد عدد رجالهم أو تشير إلى خططها.

وأوسع الكتب وأقدمها كتاب النسب الكبير لهشام بن محمد الكلبي (ت٢٠٤). وقد وصلنا منه مجلّد برواية ابن حبيب السكري، وهو من أبرز علماء النسب، وربما أدخل على كتاب ابن الكلبي تعديلات مختصرة أو إضافة لا نعلم مقدارها. وجل معلوماته عن عشائر الجزيرة العربية ورجالها وبخاصة من استوطن منهم بالكوفة؛ ولم يشر إلى من اعتمد عليهم في معلوماته.

وفي الاسكوريال، مخطوطة «الأنساب» لابن الكلبي، وفيها معلومات وافية عن أنساب أهل اليمن، وبخاصة من استوطن منهم في الكوفة. وذكر أن «أوس بن هاني، وهو أبو الكبّاس، كان عالماً بنسب كنده، ومنه أخذ محمد بن السائب نسب كندة؛ وأن اسحاق بن ابراهيم بن حجر بن معد يكرب، كان عالماً بالنسب؛ ولعله أخذ منه معلومات عن أحوال كندة التي فصّل في أحوالها وأحوال أكثر العشائر اليمانية في الكوفة، بالرغم من أنه اقتضب الكلام عن بعض قبائل اليمن التي ترد في مصادرها إشارات مهمّة عنها، وبخاصة عن الشعبي. وقد لا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا إن الكتاب معنيّ بأهل الكوفة، وهو أهم مصدر لعشائرها الأولى؛ ممّا جعلنا نعتبره أساساً يكمله ما جاء في كتب التاريخ. وقد طبع الكتاب كل من محمد العظم وناجي حسن الذي طبع كذلك «المقتضب»، وهو المختصر الذي عمله ياقوت للكتاب الأول ونقل كاسكل الكتاب إلى الألمانية مع مقدمة وافية لشجرات أنساب القبائل.

اعتمد معظم المؤلّفين المتأخرين على كتاب ابن الكلبي؛ فأكثر البعض النقل منه كالذي فعله ابن حزم في الجمهرة، وخليفة بن خياط، وفرّق بعضهم مادته تبعاً للحروف الأبجدية، كالذي عمله ابن ماكولا في «الإكمال»، والسمعاني في «الأنساب» الذي لخّصه ابن الأثير، كما نقل كثيراً منه ياقوت.

واعتمد على كتاب ابن الكلبي أكثر الباحثين في طبقات المحدّثين والعلماء ومن أخصهم ابن سعد، وخليفة بن خياط اللذان بحث كتاب كلّ منهما في

الطبقات ورجال الحديث في الأمصار، وذكرا أنساب كثير منهم معتمدين في ذلك على ابن الكلبي.

ذكر ابن الكلبي العشائر وبطونها، وأشار إلى مساجد كثير من هذه البطون، وبخاصة كندة في الكوفة، وإلى عدد من رجالها البارزين، وإلى بعض الانقسامات التي ظهرت فيها. وتفرّد في كثير من هذه المعلومات، فلم تنقل أكثرها المصادر التي بين أيدينا. كما أنه قدّم معلومات عن بني الأرقم الذين هجروا الكوفة عندما قدمها علي. وبعض هذه المعلومات مذكور في كتب أخرى؛ ولعلّها نقلت عنه، إلا أن معلوماته أوسع مما ذكره الآخرون عن بني الأرقم.

ذكر ابن الكلبي في كتابه أن هشام ربما نقل عن أوس بن هاني بعض ما أورده عن كندة وأضاف إليها معلوماته الخاصة، ولم يقدّم عن أية قبيلة مثل هذه المعلومات الواسعة التي قدّمها عن كندة.

كتب التاريخ السياسي

في أخبار الحوادث السياسية معلومات عن خطط الكوفة ومعالمها العمرانية وأهلها، مذكورة في ثنايا معلومات عن الحوادث التي جرت فيها، وأسهم فيها أهلها، وبخاصة ممّا دوّنه رواتها. ومن المعلوم أن أكثر هذه الحوادث جرت إبان القرن الأول الهجري، حيث شارك أهل الكوفة في معظم الحوادث السياسية والعسكرية وعني رواتها بتدوين أخبارها، وبعض هذه المعلومات الخططية متفرّقة وعرضية تبعاً للحوادث، وليس تبعاً للمواضيع؛ فهي غير مستوعبة أو مرتّبة تبعاً لأهميتها. وعلى الرغم من ذلك، فإنها معلومات مهمّة، لأن كثيراً منها متفرّدة، كما أن بعضها يحدّد المواقع التقريبية لتلك الأماكن التي تذكر في ثنايا المعلومات عن التحرّكات المكانية؛ ومثل هذه المعلومات تكون موثّقة عندما يكون رواتها من أهل الكوفة المطّلعين على المواضع التي يشار إليها، ولا مبرّر للتحيّز لها.

تشير أخبار الحوادث السياسية والعسكرية إلى دور الرجال والعشائر، وتذكر

أحياناً عددهم ونظمهم مما له قيمة بالغة الأهمية. غير أن تركيز هذه الأخبار على الحوادث السياسية يبرز من لهم إسهام فيها، وقد يغفل ذكر من لهم مكانة في الأحوال السكانية والفكرية، ولا يسهمون في الحوادث السياسية. ولهذا فإن هذه المعلومات تكون مكمّلة لما في المصادر الأخرى.

وأكثر المعلومات عن الكوفة تتعلّق بحوادث القرن الأول، حيث كان لأهلها إسهام واسع في معظم ما حدث في العراق. ونقل هذه المعلومات مؤلّفون عاش معظمهم في القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، واعتمدوا على رواة عاصروهم أو سبقوهم. وأبرز المؤلّفين الكوفيين أبو مخنف (ت١٥٧) وعوانة بن الحكم (ت١٤٧) وسيف بن عمر (ت ١٧٠) والهيثم بن عدي (ت ٢٠٦). وذكر ابن النديم في كتابه "الفهرست" قائمة طويلة بأسماء مؤلفات كل من هؤلاء وسواهم، وأكثرها في الحوادث السياسية والعسكرية في العراق والمشرق، لكن لم يصلنا من هذه المؤلفات سوى ما نقله عنهم من تلاهم من المؤلذفين، وأبرزهم محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٣)، وأحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩)؛ وللشعبي والهيثم بن عدي وأبي مسعود الكوفي وأبي اليقظان مكانة خاصة في المعلومات التي رووها عن أحوال الكوفة وأهلها، وأكثر من نقل رواياتهم البلاذري في «فتوح البلدان».

يتميز تاريخ الطبري بسعة المعلومات التي أوردها، وكثرة مصادرها، والحرص على التدقيق في نقل النصوص. ومع أن كتابه شامل لأكثر حوادث التاريخ الإسلامي، إلا أن المعلومات التي نقلها عن الحوادث التي شارك فيها أهل الكوفة أوسع مما عن الحوادث التي شارك فيها أهل الأمصار الأخرى[1]. ومما يعزّز أهمية معلوماته عن أهل الكوفة ومعالمها العمرانية أنه عاش في الكوفة مدّة تلقّى فيها العلم عن عدد من شيوخها. ولا بد أن إقامته يسّرت له معرفة أهلها ومواقع كثير من معالمها العمرانية؛ غير أن ما نقله عن ذلك محدود بما يرتبط

(١) من أوسع الكتب الحديثة عن مؤلفات المؤرّخين الأوّلين كتاب سزكين المترجم إلى العربية بعنوان «تاريخ التراث العربي».

بالحوادث التي يذكرها، فكان مما ذكر فيها أربع عشرة داراً وسبعة عشر مسجداً، وإحدى عشرة جبانة، وتسعة دروب، وستة عشر مَعْلماً عمرانياً أخرى.

كان كتاب الطبري معتمد أكثر المؤلّفين التالين الذين نقلوا عنه بتفصيل أو اختصار. وأوسع من نقل عنه ابن الجوزي في الأجزاء الخمسة الأولى من كتابه «المنتظم»، وابن كثير في «البداية والنهاية» وابن خلدون في كتابه «العبر»، وابن الأثير في «الكامل».

أما البلاذري، فقد أورد في كتابه «أنساب الأشراف» كثيراً من المعلومات التي أوردها الطبري عن حوادث الكوفة، وذكر مصادره وهي نفس المصادر التي اعتمد عليها الطبري، مع بعض المعلومات الإضافية أو حذف بعض ما أورده الطبري. ومن حيث العموم، فإن معلوماته عن الحوادث الكبرى في الكوفة تعزّز ما رواه الطبري؛ ولا ريب في أن معلومات أخرى تتوفر في الأجزاء التي يجري طبعها من الكتاب، وهي تساوي مقدار ما طبع، وفيها معلومات عن عدد من عشائر أهل الكوفة ورجالها، حيث أنه نظّم مادة كتابه تبعاً للعشائر، وليس على التعاقب الزمني للحوادث. ويبدو أنه عني بأهل البصرة أكثر مما عني بأهل الكوفة.

وصلتنا مؤلّفات لعدد كبير من المؤرّخين المعاصرين للطبري، ممّن عنوا بذكر الحوادث، التي جرى بعضها في الكوفة وأسهم أهلها فيه، وأبرزهم ابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤)، وأحمد بن واضح اليعقوبي (ت ٢٨٥)، وعلي بن الحسن المسعودي (ت٣٤٤). فأما ابن أعثم، فكتابه ضخم، وأكثر معلوماته سرد لا يذكر مصادره، وكثير منها يشبه ما ذكره الطبري، وفيه إضافات ليست كبيرة عما يتعلّق بأهل الكوفة ومعالمها العمرانية. أما اليعقوبي، فالمعلومات، التي يوردها في تاريخه عن أهل الكوفة ومعالمها العمرانية، مقتضبة لا تضيف شيئاً.

أما المسعودي، فأكثر في كتابه «مروج الذهب» من ذكر المناظرات بين الكوفة والبصرة. وقدّم في كتابه «التنبيه والإشراف» معلومات عن منطقة الكوفة ولم يقدّم كثيراً عن أهل الكوفة ومعالمها العمرانية.

كتب البلدانيين

تتميّز كتب البلدانيين بأنها تنظّم معلوماتها على وصف البلدان وخططها ومعالمها العمرانية وأهلها. ولم يصلنا كتاب مفرد عن الكوفة كالذي وصلنا عن المدينة ومكة وبغداد وواسط، وعدد من المدن الإسلامية في المشرق والمغرب. ولكن وصلتنا كتب فيها فصول عن تأسيس الكوفة وخططها وتنظيمها. وأقدم ما وصلنا فصل قصير قيّم في تاريخ الطبري (١/ ٢٤٨٢-٢٤٩٨)، اعتمد فيه على سيف بن عمر، وذكر فيه تأسيس الكوفة وخططها الأولى وتنظيمها، بالإضافة إلى المعلومات الغنية عن عشائر الكوفة وبعض رجالها الذين ذكرهم في كلامه عن الحوادث التي جرت في الكوفة.

ومن أقدم الكتب في البلدان كتاب «فتوح البلدان» للبلاذري الذي خص فيه الكوفة بفصل طويل عن المواقع التي حولها، وعن أخبار موقعها، وبناء مسجدها ودار إمارتها، وخطط بعض عشائرها، ومنازل بعض البارزين من رجالها، وجبّاناتها، وعدد من معالمها، وبعض ما حولها من القرى والمزارع والأديرة.

اعتمد البلاذري في كثير مما رواه على هشام بن محمد الكلبي وأبي مسعود والكوفي والمدائني والهيثم بن عدي والواقدي وأبي عبيدة. ومعلوماته قيّمة إلا أنها متفرّقة وكثير منها مقتضب. وقد نقل أكثر معلوماته كل من ابن الفقيه في كتاب «البلدان» وياقوت الحموي في «معجم البلدان». ولما رواه الشعبي وأبو مسعود الكوفي وأبو اليقظان أهمية خاصة لتفرده في المعلومات عن أحوال الكوفة وأهلها في أوائل سنيّ تأسيسها.

خصّص اليعقوبي في كتابه "البلدان" لمعالم الكوفة الخططية أقلّ من صفحتين ذكر فيهما خطط عشر عشائر وإقطاعات، وعشرين من رجالها وأكثرهم من قريش، وأسماء عشر جبّانات وصحارى منها ستّ منسوبة إلى عشائر وأربع منسوبة إلى رجال؛ وأشار إلى تغيّر الخطط فيها. ومعلوماته عن الكوفة، من حيث العموم، مقتضبة ولا تقارن بما ذكره عن خطط بغداد وسامرّاء من

تفاصيل. ولا يمكن الجزم في أن هذا الاقتضاب راجع إلى أصل ما كتبه، أم إلى اقتضاب الناسخين، علماً بأن الكتاب مطبوع بنسخة فريدة لم يكشف غيرها؛ وفيها نقص كبير يتبيّن مما كتبه عن البصرة، وما نقله عدد من المتأخّرين في الكلام عن مدن الجزيرة الفراتية بخاصة. ويلاحظ أنه لم ينقل أحد من المتأخّرين ما ذكره اليعقوبي عن الكوفة، كالذي فعله نشوان الحميري في «الروض المعطار» في نقله بعض ما ذكره اليعقوبي عن بغداد وسامرّاء.

وذكر ابن الفقيه عن الكوفة معلومات واسعة أكثرها عن البلاذري، كما ذكر مناظرتها مع البصرة عن الجاحظ (١٦٢-١٨٣). وذكر الاصطخري معلومات مقتضبة عن القبة التي بناها أبو الهيجاء على ضريح الإمام علي؛ وذكر المقدسي، وابن جبير، وابن بطوطة، معلومات مقتضبة أيضاً عن الكوفة في أزمنتهم المتأخّرة نسبياً.

كتب الفقه والقضاء

كانت الكوفة من أكثر الأمصار الإسلامية اهتماماً بدراسة الحديث والفقه وما يشمله من أبحاث في الأحوال الخاصة والعامة؛ وبرز فيها إبان القرن الأول والثاني علماء كانت لهم مكانة مرموقة، وصلتنا بعض معلوماتهم عن طريق الرواة المتأخّرين، كما وصلتنا بعض الكتب التي ألّفها عدد منهم. وأكثر ما وصلنا معلومات عن الأحكام الخاصة ممّا يتعلّق بالفرد والأسرة وبعض الأمور العامة كأحكام ملكيات الأراضي وما يجبى عليها من خراج أو عشر؛ أو أحكام المدن وتنظيمها. وأبرز هؤلاء الفقهاء الأولين محمد بن الحسن الشيباني الذي خص في كتابه «الجامع الكبير» صفحة عن مشاركة العشائر في دفع دية القتل الخطأ الذي يرتكبه أحد أفرادها، ممّا كان معمولاً في زمنه؛ وشريح الذي أباح إبقاء العمل بالسنن الأعجمية عند الغزاليين والتشهير بشاهد الزور من العرب في مساجدهم، وبأهل السوق في أسواقهم. ولمصنّف ابن أبي شيبه أهمية متميز، فهو كتاب ضخم يبلغ خمسة عشر مجلداً فيه معلومات قيّمة عن أهل الكوفة وعشائرهم وكثير من أحوالهم ونظمهم.

وفي «الكافي» للكليني، إشارات إلى جامع الكوفة والمساجد فيها، وله أهمية خاصة لدقّة معلوماته.

وفي «بحار الأنوار» للمجلسي، معلومات كثيرة في مواضع متفرّقة عن مسجد الكوفة ومزاراتها وبعض المعلومات عن تركيب سكانها الأوّلين.

وفي كتاب «الأموال» لأبي عبيد القاسم بن سلام، معلومات واسعة عن كثير من الجوانب المالية والتنظيمية في الكوفة.

الدراسات الحديثة

لقيت حياة المدن، بما في ذلك نشوؤها ونموّها وازدهارها وتنظيماتها وتدهورها، اهتماماً كبيراً من الباحثين المحدثين في الغرب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويخرج عن نطاق بحثنا عرض أسماء حتى البارزين الكثيرين منهم ومؤلفاتهم. وامتد الاهتمام بدراسة المدن وتطوّر نظمها وخططها والحياة الحضرية إلى دراسات عن المدينة الإسلامية وخصائصها والحياة فيها.

وفي ما يختص بالكوفة نشر ماسينون بحثاً عن خطط الكوفة ترجم إلى العربية، وفيه عرْض موجز عن توزيع خططها؛ ومعلوماته قيّمة رغم أنها مقتضبة وعليها بعض المآخذ.

ونشرت جانيت أبو غدة سنة ١٩٧٢ مقالاً عن خطط الكوفة في المجلة العالمية لدراسات الشرق الأوسط. ونُشر في المجلة نفسها، سنة ١٩٧١، مقال عن الحركات السياسية في الكوفة. كما نشرت بالعربية أبحاث وكتب غير قليلة عن جوانب من الحياة الفكرية فيها، ويخرج عن نطاق بحثنا سردها. ونكتفي بأن نخص بالذكر تاريخ ومساجد الكوفة لكامل سلمان الجبوري، وفيه معلومات غنية، غير أنها محدودة في نطاقها ولا يُنقص ذلك ما تستحقّه من التقدير. ونشر هشام جعيط بالفرنسية كتاباً قيّماً عن الكوفة، ترجم إلى العربية بطبعتين إحداهما في الكويت والثانية في بيروت، ضم معلومات واسعة وملاحظات قيّمة جديرة

بالتقدير. إن الكتاب الذي نقدّمه فيه بعض المواضيع التي عالجها الكتاب الأخير، غير أن نطاقها أوسع؛ وفيه معلومات إضافية، وجوانب لم يعالجها جعيط، فهي أكثر استيعاباً وأوسع نطاقاً، وتسدّ كثيراً من الثغرات، وتوضح بعض ما أبهم.

الفصل الثاني

المعالم العمرانية في أرض الكوفة

المعالم العمرانية في الأطراف الشمالية

شيّدت الكوفة في رقعة من الأرض تسمّى اللسان[1]، وهي تسمية تعبّر عن «لسان الصحراء الذي أدلف في الريف وعليه الكوفة والحيرة، وهو ما بين النهرين إلى العين» عين بني الحذاء[2]؛ ويطلق على اللسان ظهر الكوفة[3]. «والظهر من الأرض ما غلظ وارتفع» وكان الظهر يدعى «خد العذراء، وينبت الخزامى والأقحوان والشيح والقيصوم والشقائق»[4]، و«ما كان يلي الفرات فهو الملطاط، وما يلي الطين هو النجاف»[5].

والظهر صارت فيه مقبرة عامة، فيروي ابن سعد «كان الناس يدفنون موتاهم بالكوفة في جبابنهم، فلما ثقل خباب بن الأرث قال أي بني إذا أنا مت فأدفني بهذا الظهر، فإنك لو دفنتني بالظهر قيل دفن بالظهر رجل من أصحاب رسول

---

(١) اقتصرنا في هذا الفصل على المعالم في الرقعة التي شيدت فيها الكوفة، ولم نشملها وصف المعالم العمرانية في منطقة الكوفة ومنها الحيرة وأطرافهما، وقد بحثناها في دراسات نشرت في مجلة سومر وفي مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، وأعدنا نشرها مع إضافات في كتاب معالم العراق العمرانية.

(١) معجم البلدان ٤/ ٧٦١.

(٢) الطبري ١/ ١٤١٩؛ فتوح البلدان ٢٧٤.

(٣) معجم البلدان ٤/ ٧٦٠.

(٤) لسان العرب ٦/ ١٩٦.

(٥) الطبري ١/ ١٤٨٥، معجم البلدان ٤/ ٦٣٣.

الله (ص) فلما مات خباب رحمه الله دفن بالظهر، فكان أول مدفون بظهر الكوفة خباب بن الأرت[١]». وتوفي خباب يوم كان الخليفة علي في صفين.

وبظهر الكوفة تقع النجف وهي كالمسناة تمنع سيل الماء يعلو الكوفة ومقابرها.

النجف

النجف هي المعلم الأكثر تردّداً منذ السنين الأولى، وفيها قبر الخليفة علي، وذكرت النجف في الأخبار التي رواها الأخباريون عن حركات الجيوش الإسلامية في أوائل الفتوح، فروى الطبري أن خالد بن الوليد بعد سيطرته على فم بادقلي، قصد الحيرة واستلحق أصحابه وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف، فقدم خالد الخورنق وكان عسكره بين الخورنق والقصر الأبيض، وكان في النجف حصن حصين فيه قوة فارسية بإمرة خرزاد دحرها خالد وسيطر على النجف[٢] ثم أنفذ منها حملة إلى عين التمر[٣]. ثم إن المثنّى بن حارثة الشيباني سلك وسط السواد فطلع على النهرين ثم على الخورنق، وطلع عصمة على النجف ومن سلك معه طريقه[٤]. ولما تقدّم رستم أمر الجالنوس وهو أحد قواده فضرب فسطاطة بالنجف[٥]، فخرج الجالنوس ونزل بحيال دير الأعور ثم انصب إلى الملطاط فعسكر ممّا يلي الفرات بحيال أهل النجف، بجوار الخورنق إلى الغريين، ثم تبعه رستم «فنزل النجف» ثم حرّك الجيش الفارسي وفي طليعته الجالنوس الذي نزل إلى طيزناباد، وتلاه ذو الحاجب فنزل الخرارة، ثم انتهى إلى العتيق[٦]. ثم تياسر حتى إذا كان بحيال قديس خَنْدَقَ

(١) ابن سعد ٣/ ١١٨.
(٢) الطبري ١/ ٢٠٣٨.
(٣) الخراج لأبي يوسف.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الطبري ١/ ٢١٨٤.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٢٩٣.

خندقاً[١]. ولما انكسر الفرس وطاردهم المسلمون «قتلوا ما بين السيلحين إلى النجف»[٢]. وفي أحد الطواعين التي اجتاحت الكوفة خرج شريح إلى النجف فرأى أخبية وفساطيط فسأل فقيل فراراً من الطاعون، فقال شريح أنا وإياهم لعلى بساط واحد[٣]. وذكرت النجف محطة الطريق مر بها عدد من المارة[٤].

تقع النجف في ظهر الكوفة كالمسناة يمنع سيل الماء من الوصول إلى الكوفة[٥]، وفيها جلس المنصور يشرف على الخورنق وظهر الكوفة[٦].

الغريين

من أشهر معالم النجف قبيل الإسلام الغريين (طربالين)، وهما بناء بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن أبي طالب؛ نقل ياقوت رواية هشام بن محمد الكلبي عن الشرقي بن القطامي أن حاكماً مصرياً بناهما في الكوفة على مثل الغريين في مصر، وجعل عليهما حرّاساً، فكل من لم يصل لهما قتل، وهو يروي أن الذي بناهما المنذر بن ماء السماء، ويروي القصة المشهورة عن يومي البؤس والنعيم[٧]. ولعل هذين الطربالين كانا عند أحد مداخل الحيرة، شأن كثير من المدن القديمة.

دومة

كانت في النجف دومة، «وهي النجف بعينها، يقال إنها سمّيت دومة لأن عمر بن الخطاب لما أجلى أكيدر صاحب دومة الجندل قدم الحيرة فبنى بها بناءً حسناً سمّاه دومة أيضاً»[٨].

---

(١) الطبري ١/ ٢٣٥٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٦٤.
(٣) اخبار القضاة لوكيع ١/ ٢٦٧.
(٤) الطبري ٢/ ٧٤٦، ١٦٥، ٤١٢٣.
(٥) معجم البلدان ٧٦١.
(٦) أنساب الأشراف ٣/ ٢١١.
(٧) معجم البلدان ٣/ ٧٦.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٢.

مار فثيون والأسكون

وفي أسفل النجف دير مار فثيون (دير الأسكون)[١] بالحيرة وفيه قلاع وهياكل، وفيه رهبان يضيفون من يرد عليهم، عليه سور عالٍ حصين، وعليه باب حديد، وهو بالحيرة مشرق[٢].

الثوية

وعلى رأس أكثر من فرسخ تقع الثوية، وكانت في ما يروي ياقوت سجناً للنعمان، وفيها دفن المغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعري[٣] والأحنف بن قيس[٤]. ويروي البلاذري أن أبا موسى الأشعري دفن عنده زياد وقبره عند دكان عبد الحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب وهو عند منقطع بيوت الكوفة[٥]، وينقل شعراً في رثاء زياد يظهر أنه مدفون بالثوية:

صلّى الإلهُ على ميْتٍ وآجرَهُ دونَ الثويةِ لم نشهدْ له حننا[٦].

ويروي البلاذري عن الشعبي أن أناساً خرجوا إلى الثوية فبنوا مسجداً فقالوا نتعبّد ولا نخالط الناس، فأتاهم ابن مسعود فهدم المسجد[٧]؛ ولم يذكر من هم هولاء الذين خرجوا، وسبب نزولهم الناس في هذا الوقت المبكر.

وتجدر الإشارة إلى ما تذكره المصادر أن خباب بن الأرث دفن في زمن الخليفة بظهر الكوفة، ولعلّه دفن بالثوية[٨].

---

(١) معجم البلدان ٢/ ٦٩٣.
(٢) الديارات للشابشتي ٢٤٣.
(٣) معجم البلدان ٣/ ٧٩١-٧٩٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٩٤٠ انظر بغية الطلب لابن العديم ٣/ ٣٤٧.
(٥) أنساب الأشراف ٣/ ٢٤٣؛ وانظر عن دكان خالد: فتوح البلدان / ٣٨٠.
(٦) أنساب الأشراف ٣/ ٢٤٥.
(٧) المصدر نفسه ١٢٠٢ (مخطوطة استانبول).
(٨) شرح نهج البلاغة.

الجرعة والرصافة

وبين النجف والحيرة تقع الجرعة(١)، وقد نزلها خالد بن الوليد لما قدم العراق(٢)، وهي موضع سهول، وعندها خرج أهل الكوفة لمنع سعيد بن العاص من دخول الكوفة عند عودته من مقابلة عثمان بالمدينة(٣).

وفي الجرعة دير عبد المسيح الذي فاوض خالد بن الوليد على الحيرة، ثم خرب الدير بعد ذلك، فظهر عقود من حجارة(٤)، وهو يسمّى دير الجرعة(٥).

وفي ظهر الكوفة تقع الرصافة التي بنى فيها المنصور قصراً نزله وأقام فيه أياماً(٦)، ثم نزله في طريقه إلى الحج وأجرى فيه الخيل(٧).

أديرة أخرى

وبظاهر الكوفة دير الأعور(٨)، وفي ظاهر النجف دير هند الكبرى(٩) عند دير اللج الذي بناه النعمان أبو قابوس، لم يكن في ديارات الحيرة أحسن بناءً منه ولا موطناً؛ ولما ولي بشر بن مروان شق له نهراً من الفرات ظل يجري حتى خرب الدير(١٠)، وعنده دير هند الكبرى من أكبر ديارات الحيرة(١١).

ومما يلي النجف دار عون العبادي التاجر المشهور في زمن الرشيد. وبالقرب من دار عون قصر عبد المسيح بن بقيلة الذي يذكر الشابشتي أنه «كان

(١) معجم البلدان٢/ ١٦٢.
(٢) المصدر نفسه٢/ ٦٧٧.
(٣) الطبري ١/ ٣١٥.
(٤) معجم ما استعجم ٩٩٦،معجم البلدان ٤/ ٢٨٨.
(٥) معجم البلدان ٢/ ٦٥١.
(٦) معجم ما استعجم ٢٨٣، معجم البلدان ٤/ ٢٨٨.
(٧) الطبري ٣/ ٤٥٨، ٦١٢.
(٨) معجم ما استعجم ٩٦٦.
(٩) المصدر نفسه ١١٩٦.
(١٠) المصدر نفسه ١٩٥٠، معجم البلدان ٢/ ٦٩٥؛ الأغاني ٢/ ١٣٥؛ مسالك الأبصار ١٠/ ٣٢٣.
(١١) الديارات للشابشتي ٢٤٠.

لعبد المسيح بن بقيلة الغساني... ومن بعده دار عون، ثم فيه عصر[1] مما يلي النجف»[2].

وبحذاء قصر عبد المسيح بأعلى النجف، كان دير ابن مزعوق[3]، الذي كان بقربه دير الحريق[4]. وهو بين الغدير فقبة الشنيق. ويقول ابن فضل الله: دير الحريق بالحيرة بناه النعمان بن المنذر وإلى جانبه قبة تعرف بقبة الشنيق، وهما بديعتا الصنع[5]. ويقول الشابشتي إن قبة الشنيق هي من الأبنية القديمة بالحيرة على طريق الحاج وبإزائها قباب تدعى الشكورة[6]. وعلى ذلك الظهر كله، يصعد من أسفله خمسين درجة إلى سطح آخر فيصبح بغاية الحسن، وهو عجيب الصنعة بناه أبو الخصيب مرزوق بأمر مولاه الخليفة أبي جعفر، بناه على أساس قديم[7]. ويقال إن أبا الخصيب بناه لنفسه فكان المنصور يزوره فيه[8].

أما ديارات الأساقف فهي «بالنجف بظاهر للكوفة، وهو أول الحيرة، وهي قباب وقصور» بحضرتها نهر يسمى بالغدير، عن يمينه قصر أبي الخصيب، وعن شماله السدير[9]. والسدير قصر في وسط البرية التي بينها وبين الشام[10] من أطرافها الشمالية، بناه اللخميون، ثم تهدّم وبقيت منه ديارات وبيع للنصارى، وزاره الرشيد[11].

يقرن ذكر السدير بالخورنق، وهو في الظهر بالقرب من الحيرة ممّا يلي

---

(١) مسالك الأبصار ١/٢٦٦، معجم البلدان ٢/١٤٢.
(٢) الديارات للشابشتي ١٥٤-٥٠٠.
(٣) مسالك الأبصار ١/٣١٧.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٦٠.
(٥) المصدر نفسه ٦/٣١٥؛ معجم البلدان ٣/٣٠٨.
(٦) الديارات للشابشتي، ٢٤١.
(٧) المصدر نفسه ٣٢٦.
(٨) فتوح البلدان ٨٦؛ معجم البلدان ٢/٦٢٤.
(٩) الديارات للشابشتي ٢٣٦؛ معجم البلدان ٢/٦٩٢.
(١٠) فتوح البلدان ٢٧٥.
(١١) الديارات للشابشتي ٢٣٦.

مشرق الشمس، وهو في طرف البرية التي بينها وبين الشام[١]. وينسب بناؤه للنعمان بن امرئ القيس[٢]. ويقول الهيثم بن عدي لم يقدم أحد من ولاة الكوفة إلا وأحدث في قصرها المعروف بالخورنق شيئاً من الأبنية. فلما قدم الضحّاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيّضه وتفقّده[٣]. وأقطع الخورنق في أول خلافة بني العباس ابراهيم بن سلمة أحد الدعاة بخرسان، فأحدث قبة الخورنق في خلافة بني العباس، ولم تكن قبل ذلك[٤]. وكان عبد الملك بن مروان لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير فصنع أمر به إلى الخورنق فأذن إذنا عاماً[٥]. وقد ذكر الخورنق في أشعار عدد من الشعراء[٦].

وبين الخورنق والسدير وبين قصر أبي الخصيب، دير مارت مريم مشرف على النجف[٧].

المعالم العمرانية في الأطراف الشرقية

كانت الأطراف الشرقية من منطقة الكوفة مما يلي الفرات لآل كسرى[٨]، أي كانت فيها مزارع لرجال من الأسرة الساسانية، وأبرز ما فيها بغداد السلام دار الرزق والسبخة.

دار الرزق

دار الرزق هي المنشأة التي كانت تخزن فيها الحبوب والمواد التي توزع أرزاقاً على مقاتلة أهل الكوفة وعيالاتهم. وذكر المدائني عن مسلمة وغيره:

(١) فتوح البلدان ٤٧٥.
(٢) المصدر نفسه ٢٨٧.
(٣) المصدر نفسه ٤٩٧.
(٤) معجم البلدان ٢/ ٨٢.
(٥) المصدر نفسه، الموضع نفسه.
(٦) فتوح البلدان ٣٩، ٤٧٥، ٦٤٤، ٦٤٦، ٣٨٨.
(٧) معجم البلدان ٢/ ٦٩٢.
(٨) الطبري ١/ ٥٨٥؛ فتوح البلدان ٢٧٦؛ معجم البلدان ٤/ ٣٥٥، ٦٣٣.

«بني زياد دار الرزق ثم زاد فيها عبيد الله ابنه بعده؛ وكان عامل زياد على دار الرزق عبد الله بن الحارث بن نوفل، ثم روّاد بن أبي بكرة، وكان الجعد بن قيس النمري على السوق، وكان زياد يجلس في كل يوم جمعة فيسأل رسل عمّاله عن بلادهم مما قدّموا له، وعن أمر الأموال والنفقات، ثم يأتيه عمّال على دار الرزق والكلاء والسوق، فيسألهم عما ورد من الرزق وعن الأسعار والأخبار وما يحتاجون إليه من مصالحهم»[1]. إن الرواية عن المدائني وأسماء عمّال دار الرزق يدلّان على أن المقصود بها التي أنشئت في البصرة، ولا يبعد أنه أنشأ أو جدّد دار الرزق في الكوفة أيضاً، إذ إن وجود مثل هذه المنشأة ضروري لتوزيع الرزق الذي تقرّر منذ زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وتطلّب وجود مكان لحفظه. والواقع أنه لا توجد إشارة إلى بناء دار الرزق في الكوفة قبل زمن زياد، لكن ليست لدينا معلومات وافية عن عمّال دار الرزق في الكوفة أو تنظيم إدارتها. وروى البلاذري عن خلف بن سالم، عن وهب بن جرير بن محمد بن أبي عينية، عن سبرة بن خلف، قال: ما بلغ الناس قط في أيام زياد إلا وطائفة يأخذون العطاء، ولا رأينا الهلال إلا مضينا إلى دار الرزق فأخذنا الأرزاق لعيالاتنا. وحدّثنا عبد الله بن صالح عن الحسين الجعفي عن شيبان النحوي عن قتاده، قال: كان زياد إذا هلّ هلال المحرّم أخرج للمقاتلة أعطياتهم، وإذا رأى هلال شهر رمضان أخرج للذرية أرزاقهم[2]. إن رواية الكوفيين لهاتين الروايتين تدلّ على أن هذه المعلومات تنطبق على الكوفة، وأن دار الرزق فيها حبوب وعروض.

تقع دار الرزق على الضفة الغربية من نهر الفرات، وكان موضعها عند الفتح الإسلامي يسمّى شوميا، ويقابلها على الضفة الشرقية من الفرات "سوسيا"[3]. وقد عسكر فيها الفرس في معركة البويب؛ أما المسلمون فكان معسكرهم

---

(1) أنساب الأشراف ٤-١/١٨٦؛ وانظر البلدان لابن الفقيه ١٩١.
(2) أنساب الأشراف ٤-١/ ١٩٠.
(3) الطبري ١/ ٥٨٥، ٢١، ٢/٢١٩، معجم البلدان ٣/٣٣٨.

بموضع خطط السكون[1]. ويقول البلاذري إنه من أثر هذه المعركة «يقال إن جنبتي البويب أصبحت عظاماً حتى استوى وعفا عليها التراب، وإنه ما يثار هناك شيء إلا وقعوا منا على شيء، وذلك ما بين السكون وبني سليم، فكان مغيضاً للفرات زمن الأكاسرة يصب في الجوف»[2]. وهذا الكلام يدلّ على أن استيطان العرب في هذه المنطقة حدث بعد مقتل عثمان "زمان الفتنة".

اتّخذت دار الرزق، أو بعبارة أدقّ منطقتها، مقاماً لبعض الجيوش إبان العصر الأموي، فقد عسكر فيها شبيب الخارجي عندما جاء للإغارة على الكوفة سنة ٧٦هـ[3]. واتخذها البطين قائد الحجّاج معسكراً له في قتاله شبيب[4]. ثم اتخذها زيد بن علي مقرّاً لحركاته قبل أن يتقدّم إلى مسجد الكوفة. وتدلّ هذه الأخبار على أنه كانت عند دار الرزق أرض فضاء واسعة تمكّن الجيوش من التجمّع والقيام بالحركات.

يذكر ياقوت إن البويب «نهر كان بالعراق موضع الكوفة فمه عند دار الرزق، يأخذ من الفرات، كانت عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر الصديق، وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي بالكوفة، ومصبّه في الجوف العتيق، وكان مغيضاً للفرات أيام المدود ليزيدوا به الجوف تحصيناً، وقد كانوا فعلوا ذلك الجوف حتى كانت السفن البحرية ترفأ إلى الجوف»[5]. وكان الجسر بقرية دير الأعور الذي عند البويب[6].

السبخة

كانت دار الرزق تقع عند السبخة، وهي بين الكوفة والفرات[7]. والسبخة،

(١) الطبري ١/ ٢١٨٧.
(٢) فتوح البلدان ٣٠، ٢٥٤، الطبري ١/ ٢٩٣.
(٣) الطبري ٢٧/ ٩١١.
(٤) الطبري ٢/ ٩٦٦، ٩٦٨.
(٥) معجم البلدان ٢/ ٥١٢.
(٦) الطبري ٢/ ٦٥٢، أنساب الأشراف ٢/ ٢٣٢.
(٧) الطبري ٢/ ٧٣٢.

كما يدلّ عليها اسمها، منطقة ملحية لا تصلح للزراعة، ويبدو أنها كانت عندها أرض فضاء واسعة، إذ إن عدداً من التجمّعات العسكرية حدثت فيها، فقد اتّخذها المختار قاعدة لتجمّع قوّاته عندما قام بحركته ضد ابن مطيع[١]. وقد أرسل ابن مطيع شبث بن ربعي لقتال المختار[٢]، ثم أرسل حسان بن فائد إليها فاعترض له ابراهيم بن الأشتر ليردّه عن السبخة وأصحابه[٣]. ولما ثار أهل الكوفة على المختار «نزل حجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة»[٤]. وعندما تقدّم مصعب بن الزبير للقضاء على المختار، «أقبل يسير فمنعه من أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة، فأخذ بهم نحو السبخة ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنه (عن المختار) الماء»[٥].

ولما تقدّم شبيب لغزو الكوفة نزل السبخة، ثم تقدّم منها فدخل السوق حتى وصل القصر[٦]، وفعل مثل ذلك في غزوته الثانية[٧]. ولما أرسل الحجّاج سويد بن عبد الرحمن، ثم عثمان بن قطن لمقاتلة شبيب، أمرهما أن يعسكرا بالسبخة[٨]. كما أن زيد بن علي اتّخذها قاعدة لحركاته[٩].

وفي السبخة ضرب الوليد بن عقبة عنق السجّان دينار[١٠]، وفيها صلب عبيد الله بن زياد عبد الله بن عفيف الأذري[١١]. وكانت عندها أفواه عدد من مسالك الكوفة[١٢]، كما كان فيها عدد من المعالم العمرانية، منها حمّام

(١) فتوح البلدان ٢٥٢.
(٢) الطبري ٢/ ٦٦٦،٩٦٦٠١٧٠.
(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٢٥،الطبري ٢/ ٦١٩.
(٤) الطبري ٢/ ٦١٤، أنساب الأشراف ٥/ ٢٢٤.
(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٢٢٦.
(٦) الطبري ٢/ ٩١٧.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٩٥٨، ٩٦٦، ٩٩٢.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٩١١.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٧-١٧٠٨.
(١٠) أنساب الأشراف ٥/ ٣٢.
(١١) الطبري ٢/ ٧٣٤.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٠.

المهبنداد[1] والإيوان الذي عنده موقف أصحاب القت. وكان يليه في أقصى السبخة مسجد بناه شبيب الخارجي، وظل قائماً بعده[2].

وفي السبخة كان بستان زائدة[3]، وكان يلي هذه البستان دير هند. ويذكر عطاء بن محمد «كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخير، فأرى منه دير هند وباب الجسر»[4]. ولما تحرّك المختار في الكوفة خرج في جماعة حتى نزل ظهر دير هند مما يلي بستان زائدة في السبخة[5]. ولابد أن هذا الدير هو الذي ذكر البلاذري أن المسلمين نزلوه سنة ١٤هـ قبل معركة البويب[6]. ولعلّ هذا هو الدير الذي اجتمعت فيه ربيعة عندما ثارت على والي الكوفة عبد الله بن عمر سنة ١٢٧[7]، والذي كان فيه الحرثي عندما قدم الضحّاك الكوفة[8].

ويجدر أن نلاحظ أن الطبري ذكر دير هند دون تحديد، وأن ياقوت ذكر ديرين باسم هند أحدهما «دير هند الصغرى بالحيرة يقارب خطة أبي عبد الله بن دارم بالكوفة ممّا يلي الخندق في موضع نزه وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر المعروفة بالحرقة»؛ ثم ينقل عن هشام بن الكلبي: «كان كسرى قد غضب على النعمان بن المنذر فحبسه، فأعطت بنته عهداً لله إن ردّه الله إلى ملكه أن تبني ديراً تسكنه حتى تموت». والدير الثاني الذي يذكره هو دير هند الكبرى وهو أيضاً بالحيرة بنته هند أم عمرو بن هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي، وكان في صدره مكتوب.. ويروى عن عبد

(١) الطبري ٢/ ٢٥٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٥٨، ٩٦٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦١٩، ٩٥٨، ٩٥٩.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٤٩٢٤.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦١٩.
(٦) فتوح البلدان ٢٤٢.
(٧) الطبري ٢/ ١٨٨٢.
(٨) المصدر نفسه ٢٧/ ١٩٠٣.

الله بن مالك الخزاعي أنه دخل مع يحيى بن خالد والرشيد إلى الحيرة، فدخل دير هند الصغرى، فرأى أثر قبر النعمان إلى جنبه، ثم خرج إلى دير هند الكبرى وهو على طريق النجف، فرأى في جانب حائط شيئاً مكتوباً[(١)]. وذكر الشابشتي الدير الأول وقال إنه في الحيرة[(٢)]؟ وذكره البلاذري دون تحديد موقعه[(٣)]. ولعلّ الدير الذي في السبخة هو دير هند الصغرى.

ونظراً لموقع السبخة في جهة الفرات والجسر، فإنها كانت تهيمن على الطريق الرئيس الذي تأتي منه الإمدادات الغذائية إلى الكوفة، لذا حرص بعض الثوّار على السيطرة عليها، فاتّخذها المختار مقرّاً له. ولمّا تقدّم مصعب للقضاء على المختار وحركته، نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة[(٤)].

سكّة لحام جرير

تقع قرب السبخة بينها وبين المسجد سكّة لحام جرير، إذ يذكر الطبري أنه لما اتّخذ المختار مقرّه في السبخة، ما لبث أن طلع يزيد بن الحارث بن رويم في ألفين من قبل سكّة لحام جرير فوقفوا في تلك السكّة[(٥)]، وانه عندما أغار شبيب الخارجي على الكوفة وقف في السبخة وثبت للقوات التي أرسلها الحجاج، فلما رأى شبيب صبرهم نادى يا سويد أحمل في خيلك على أهل هذه السكّة، يعني سكّة لحام جرير، لعلك تزيل أهلها عنا فتأتي الحجّاج من ورائه[(٦)]، وقد نزل في لحام جرير شبيب في إحدى غاراته على الكوفة[(٧)].

---

(١) معجم البلدان ٢/٧٠٧-٩٠٠.
(٢) الديارات ٢٤٤.
(٣) فتوح البلدان ص ٢٨٢.
(٤) الطبري٢/ ٧٩٤.
(٥) الطبري ٦٢٤.
(٦) المصدر نفسه ٢٧/ ٩٦٠.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٧٧٢.

وبين السبخة وباب الفيل تقع دار السقاية. فلما أراد الحجاج الخروج لصد شبيب أخرج اللواء من باب الفيل، فأخذ في طريق دار السقاية حتى خرج إلى السبخة وبه عسكر شبيب[١].

وتقع السكة بين المسجد وأعلى السبخة[٢]، وفي هذه السكة دور أرحب وشاكر[٣].

المسناة

كانت بالقرب من السبخة خطط بني سليم والمسناة، إذ إن زيد بن علي عندما ثار بالكوفة اتّخذ مقرّه الأول في المسناة، ولما تقدّم الأمويون لقتاله حمل عليهم في أصحابه فكشفهم وتبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة، ثم شد عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سليم، ثم تبعهم في خيله ورجاله حتى أخذوا على المسناة، ثم ظهر لهم بين بارق ورواس، فقاتلهم هناك قتالاً شديداً[٤]. ولعلّ هذه المسناة هي مسناة جابر المزني الذي كان على خراج السواد عند مقتل عثمان وهي إلى جنب الكوفة[٥].

ولما قدم حميد بن قحطبة بجيش الثورة العباسية، عسكر عند نهر بني سليم[٦].

الجسر

ذكر جسر الكوفة منذ أوائل أيام الفتوح، فذكر البلاذري أن المسلمين اجتمعوا بدير هند سنة ١٤، فبعث الفرس إليهم مهران بن مهربنداذ الهمذاني في

---

(١) المصدر نفسه ٢/ ٩٦٣.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٥٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٩.
(٤) الطبري ٢/ ٣٠٨، مقاتل الطالبيين ١٤٠.
(٥) الطبري ١/ ٣٠٥٨.
(٦) أخبار بني العباس ٣٧٤.

اثني عشر ألف فأمهل المسلمون له حتى عبر الجسر وصار مما يلي دير الأعور. وذكر أن مهران صار عند عبور الجسر إلى موضع يقال له البويب،[1] وكانت معركة البويب قبل القادسية بثمانية عشر شهراً[2]. ويذكر الطبري عن اسحق بن طلحة قال: «كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد وليست له مجنبات ولا مواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر». ويذكر الشعبي: «كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر»[3].

كان الجسر قائماً في زمن الخلفاء الراشدين حيث عبر الخليفة علي إلى زرارة[4]. وتردّد ذكر الجسر في أخبار الحوادث في زمن الأمويين؛ فلما قدم زياد الكوفة بعد صلحه مع معاوية، قال المغيرة بن شعبة والي الكوفة لخالد بن عبد الله الجدلي، إذهب إلى ابن سميّة فرحّله حتى لا يصبح إلا من وراء الجسر، فأتينا زياداً فأخرجناه حتى طرحناه وراء الجسر[5]. ولما تقدّم شبيب لغزو الكوفة، صلّى الغداة بسورا ثم سار من يومه فصلى العصر على باب الجسر[6]، ثم أنه جاء حتى بات ليلته على المسجد[7]. وعندما ضرب الحجاج البعث على أهل الكوفة، ازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس، فأتى صاحب الجسر فقال أصلح الله الأمير قد سقط بعض الناس في الفرات، قال ويحك من هم قال أهل البعث ازدحموا على الجسر حتى سقط بعض الناس، فقال انطلق فاعقد لهم جسرين[8] وعند الجسر نزل ابن الحرشي[9]. وكان يقع عند الجسر وفي جهة الكوفة بستان ابن زائدة[10].

---

(١) فتوح البلدان ٢٥٢.
(٢) المصدر نفسه ٢٥٣.
(٣) الطبري ١/ ٢٤٠٩٤؛ وانظر تفسير الطبري ٢/ ٨٦.
(٤) معجم البلدان ٢/ ٩٢١،الأموال لابن سلام ٩٦.
(٥) الطبري ٢/ ٧٣.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦١٩.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٤.
(٨) المصدر نفسه ٣/ ٣٠٠.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٩٠٣.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٦١٩.

وصف الجاحظ جسر الكوفة ونهر الفرات فقال "وجسر الكوفة الذي يسمونه إنما هو شعبة من أنهار الفرات، وربما جف حتى لا يكون مستقى لهم إلا على رأس فرسخ وأكثر من ذلك حتى يحفروا الآبار من بطون نهرهم، وحتى يضر بخضرهم وأشجارهم، فينظروا بما أضروا بما أعيب. وليس نهر من الأنهار التي تصب في دجلة إلا هو أعظم وأكبر من موضع الجسر من نهر الكوفة، وإنما جسره سبع سفاين، لا تمر عليه دابة جذوع مقيدة بلا طين، وما يمشي عليه الماشي إلا بالجهد فما ظنك بالحوافر والخفاف والأظلاف"[١]. ولا ريب في ان وصف الجاحظ ينطبق على الأحوال في منتصف القرن الثالث الهجري، وليس من الضروري أن يكون هذا الوضع قائماً عند تأسيس الكوفة، لأن الفرات يتفرع فرعين رئيسين والماء غير منتظم التوزيع في كل منهما. ومن المعلوم أن سدة الهندية قد أقيمت في الأزمنة الحديثة لضبط توزيع الماء في فرعي الفرات، وتقع في الجانب الشرقي من الفرات، وعند الجسر زرارة وكانت في زمن الخليفة علي فيها بيوت يسيرة[٢]. ويذكر ياقوت أنها سميت بزرارة بن يزيد بن عمرو بن عدي بن البكاء، وكانت منزله، وكان على شرطة سعيد بن العاص إذا كان بالكوفة[٣]. وفي زمن الخليفة علي كان يباع فيها الخمر فلما علم بذلك عبر إليها الفرات على الجسر ثم أتى بالنيران. واحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خواستابر حيرونا[٤]. وقد أخذ معاوية زرارة من صاحبها، ثم أصفيت، ثم أقطعت لمحمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي[٥]. ولا شك في أن موقعها عبر الجسر جعلها منعزلة عن الكوفة، فلمّا ثار الخوارج بالكوفة سنة ٥٨ قال رئيسهم: «رأيت أن أخرج معكم في جانب الكوفة والسبخة أو زرارة والحيرة ثم نقاتلهم»[٦].

(١) البلدان ٥٠٠.
(٢) الطبري ٢٠/ ١٤، ١٨٢.
(٣) فتوح البلدان ٢٨٢، معجم البلدان ٢/ ٩٢، البلدان لابن الفقيه ١٨٢.
(٤) الأموال لأبي عبيدة ٩٦، معجم البلدان ٢/ ٩٢١.
(٥) فتوح البلدان ٢٥٢، معجم البلدان ٢/ ٩٢١.
(٦) الطبري ٢/ ١٨٢.

ولمّا تقدم شبيب من المدائن وقف في حمام أعين، فبعث إليه الحجاج قائداً في نحو ألف، فنزل زرارة[1] ولكن شبيبا تقدم إلى زرارة وهزم أصحاب القائد[2].

وتقع خلف جسر الكوفة دوران 'كان به قصر لاسماعيل القسري أخي خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة[3]، وقد أشار الطبري إلى هذا القصر[4].

وتقع عبر جسر الكوفة حمام أعين[5] وهي تبعد نحو ثلاثة فراسخ من الكوفة[6] بينها وبين النخيلة[7]، وقد اختلف الرواة في نسبتها، فمنهم من نسبها إلى أعين مولى بشر بن مروان[8] ومنهم إلى أحد موالي بكر بن وائل[9] أو إلى مولى لسعد بن أبي وقاص[10]. ويروي البلاذري عن أبي مسعود "سمعت أن الحمام (أعين) كان لرجل من العباد يقال له جابر أخو حبان الذي ذكره الأعشى، وهو صاحب مسناة جابر بالحيرة، فابتاعه من ورثته"[11]، وعندها أقطع الخليفة عثمان بن عفان أرضاً لخالد بن عرفطة[12].

عسكر في حمام أعين عدد من القوات منهم عمر بن سعد عندما ولاّه عبيد الله بن زياد على السواد؛ وابراهيم بن الأشتر عندما أرسله المختار إلى الموصل[13]؛ وكذلك عسكر عنده عتاب بن ورقاء[14]، وشبيب الخارجي قبيل

---

(١) الطبري ٢/٩٥٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/٩٦٦.
(٣) معجم البلدان ٢/ ٦١٥.
(٤) الطبري ٢/١٨١٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/٩٥٧.
(٦) الطبري ٣/ ٢١.
(٧) المصدر نفسه ٣/ ٢٠.
(٨) المصدر نفسه ٢/٣٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/٩٦٧،
(١٠) فتوح البلدان ٢٨١، البلدان لابن الفقيه ١٨٢، معجم البلدان ٢٨١.
(١١) فتوح البلدان ٢٨١.
(١٢) المصدر نفسه ٢٧٤.
(١٣) الطبري ٢/٣٠٨.
(١٤) المصدر نفسه ٢٠/٦٤٩،٧٠٢.

غزو الكوفة[1]؛ كما عسكر فيه أبو سلمة وأبو العباس السفاح في أول بيعته الخلافة[2].

قنطرة الكوفة

وردت في الأخبار قنطرة الكوفة، فروى البلاذري عن أبي مسعود أنه كان عمر بن هبيرة، أيام ولايته العراق، أحدث قنطرة الكوفة ثم جددها ابن عبد الله القسري واستوثق منها، وقد أصلحت بعد ذلك مرات. قال بعض أشياخنا كان أول ممن بناها رجل من العباد من بعض أهل الجاهلية، ثم سقطت فاتخذ في موقعها جسراً ثم أعيد بناؤها في أيام زياد بن أبي سفيان، ثم ابن هبيرة، ثم خالد بن عبدالله، ثم يزيد بن عمر بن هبيرة[3].

ذكر الأصفهاني أن قنطرة الكوفة كانت عند زبارا حيث عرض الحجاج جيشه[4]، وقد ذكرت زبارا في قتال القرامطة أيام المقتدر[5]. وذكر الأصفهاني عن رجل "كنت واقفاً مع أبي السرايا على القنطرة ومحمد بن محمد بصحراء أثير، فجاءه رجل دسه هرثمة فقال له إن السواد قد دخلت من جانب الجسر وأخذ محمد بن محمد، وإنما أراد ان ينتحي أبو السرايا عن موضعه، فلما سمع ذلك وجه فرسه نحو صحراء أثير وأقبل هرثمة حتى دخل الكوفة، ولما بلغ موضعاً يعرف بدار الحسين[6]، زمن الواضح في هذا النص، علم أن القنطرة بعيدة عن الجسر، وأنها عند صحراء أثير.."

(١) الطبري ٢/٩١٧، ٩٤٧.
(٢) المصدر نفسه ٣٢/ ٢٠، ٢١، ٣٤، ٣٧.
(٣) فتوح البلدان ٢٦٧.
(٤) الأغاني ١٤/ ٤٨.
(٥) معجم البلدان ٢/ ٩١٢.
(٦) مقاتل الطالبيين ٥٥٣.

المعالم العمرانية في الأطراف الغربية

الكناسة

الكناسة من المعالم التي تردَّد ذكرها في أخبار الكوفة وما جرى فيها من الحوادث، وهي تقع في الأطراف الغربية من جهة البادية[(١)]. وكانت سوقاً تباع فيها الإبل[(٢)]. وكانت في أوائل زمن تأسيس الكوفة مناخاً للعرب الذين يقدمون لاستيطان الكوفة، فيروي سيف عن بعض علماء أهل المدينة أن أبا سماك "كان ينادي مناديه في السوق والكناسة من كان هاهنا من بني فلان ممن ليست له خطة فمنزله أبو سماك، فاتخذ عثمان للأضياف منازل[(٣)]. وقد صلب فيها هانئ بن عروة المرادي[(٤)] وزيد بن علي[(٥)] وابن أبي العوجاء[(٦)]؛ وكان هذا يدل على أنها ساحة مفتوحة واسعة، ولذلك كثيراً ما كانت تتجمع فيها بعض القبائل في حوادث التوتر في الكوفة. فيذكر البكري «كتب خالد بن عبد الله يسأله أن يقطعه إياها فسأل ابن سعيد عنها، فقال ما بالكوفة مثلها، فلم يعطه إياها، واتخذها لنفسه»[(٧)]. ومن المنازل والتي ذكرت فيها منزل العباس بن موسى بن جعفر[(٨)].

يذكر البكري أن الكناسة معروفة بالكوفة، كان بنو أسد وتميم يطرحون فيها كناستهم[(٩)]؛ ويذكر الاصفهاني «خرج على باب السجن أبو وضاح ومعه فتيان من بني أسد، فلم يؤبه له، فمشى والفتيان بين يديه إلى سكة شبيب بناحية

(١) أحسن التقاسيم للمقدسي ١١٦.
(٢) الطبري ١/ ١٨٤٢، ٢/ ١٣١ ابن سعد ٦/ ٢٨٠.
(٣) الطبري ١/ ٢٨٤٢.
(٤) معجم ما استعجم ١١٣٦.
(٥) معجم البلدان ٤/ ٣٠٧.
(٦) الطبري ٣/ ٣٧٧.
(٧) معجم ما استعجم ١١٣٦.
(٨) الطبري ٣/ ١٠٢٢.
(٩) البكري ١١٣٦.

الكناسة، فمر بمجلس من مجالس بني تميم»[1]، وواضح من هذين النصين ان الكناسة كانت بالقرب من خطط بني تميم وبني أسد.

كانت الكناسة من المراكز الرئيسة للتجمعات القبلية إبان الاضطرابات الداخلية التي حدثت في الكوفة زمن الأمويين، فلما قرر المختار القيام بحركته في الكوفة بلغ ابن مطيع إجماع المختار بالخروج، فأخبر أياساً بذلك وكان على شرطه فخرج اياس في الشرط وبعث ابنه راشد إلى الكناسة، وأقبل يسير حول السوق في الشرط[2].

وكان أكثر من يتجمع بها بنو تميم، فلما قتل اياس "بعث ابن مطيع راشد بن اياس بن مضارب مكان أبيه على الشرط، وصيّر مكان راشد بالكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقري (من تميم) وأبا القعقاع بن سويد"[3]، ثم ولّى ابن مطيع شرطته سويد بن عبد الرحمن المنقري «فاجتمعت مقاتلة ابن مطيع إليه وقد صار إلى الكناسة فدلف إليهم ابن الأشتر»[4].

وعندما سار ابن الأشتر إلى الموصل، تواطأ أهل الكوفة على حرب المختار وخرج رؤساؤهم إلى الجبانات القريبة من خططهم، وكان ممن خرج 'شبث بن ربعي بالكناسة في مضر[5] وحسان بن فائد العبسي وربيعة بن ثروان في مضر الكناسة[6]، ولما عاد ابن الأشتر إلى الكوفة قال له المختار «إزحف إلى شبث بن ربعي فقاتل المضرية بالكناسة[7]، وقد أصيب من مضر بضعة عشر رجلاً[8]، ولمّا تقدم المصعب إلى الكوفة للقضاء على حركة المختار نزل

---

(١) الأغاني ١٥/ ١١٠.
(٢) الطبري ٢/ ٦١٤؛ أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٤.
(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٢٦.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٢٢٦.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ٢٣٢.
(٦) الطبري ٢/ ٦٥٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٥، أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٥.
(٨) الطبري ٢/ ٢٦٦.

السبخة وبعث عدداً من قواده إلى أماكن لتضييق الحصار على المختار»، وبعث محمد بن الأشعث فنزل الكناسة، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى جبانة السبيع، وبعث عبادة بن الحصين إلى جبانة كندة، فكل هولاء كان يقطع عن المختار وأصحابه الماء والمادة وهم في قصر المختار[1].

وفي تقدم المختار عندما أعلن حركته من السبخة إلى قصر الكوفة ما يلقي ضوءاً على موقع الكناسة والمعالم التي بقربها، فيذكر الطبري «ومضى المختار من السبخة حتى ظهر على الجبانة، ثم ارتفع إلى البيوت، بيوت مزينة وأحمس وبارق، فنزل عند مسجدهم، وبيوتهم شاذة منفردة عن بيوت أهل الكوفة، ثم أنه قدم ابراهيم بن الاشتر أمامه، وذهب المختار في أثر ابراهيم فمضوا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلى خالد بن عبد الله وقف، وأمر ابراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكناسة فمضى وخرج إليه من سكة ابن محرز، فمضى حتى انتهى إلى سكة شبث. . وخرج ابن مطيع حتى وقف في الكناسة. . وأقبلوا يسيرون حتى دخلوا الكناسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد وحصروا ابن مطيع ثلاثاً»[2].

وفي حوادث ثورة زيد بن علي في الكوفة معلومات عن موقع الكناسة فيذكر الطبري أن زيد بن علي كان يوم خروجه في دار معاوية بن اسحق بن زيد بن حارثة الأنصاري، «ثم تحرك منها إلى صحراء عبد القيس[3]، واتخذ يوسف بن عمر والي الأمويين على الكوفة مقره في تل قريب من الحيرة[4]، وأرسل منها نصر بن خزيمة إلى زيد فصادف قوة عند جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيمة في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عدي[5]. وأقبل زيد بن علي من جبانة

---

(١) الطبري ٢/ ٧٣٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٠١.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٣.

سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائديين وبه خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد بن علي في من معه فهزمهم، ثم إن زيد تقدم حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة بها من أهل الشام فهزمهم، ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة، ويوسف بن عمر على التل ينظر إليه هو وأصحابه.. ثم إن زيد أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجه إلى الكناسة قد انشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم، ثم قال بعضهم لبعض ألا ننطلق نحو جبانة كندة.. فخرج بهم زيد نحو المسجد فمر على دار خالد بن عرفطة وأقبل زيد فالتفوا على باب عمر بن سعد بن أبي قاص.. وانهم عبيد الله بن الياس وأصحابه حتى انتهوا إلى دار عمر بن حريث، وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل»[1].

ومما يؤيد أن الكناسة كانت في جهة الحيرة، أي في الجهة الغربية، قول الطبري إنه لما ثار عبد الله أخو أبي السرايا في الكوفة، أرسل اليهم الحسن بن سهل جيشاً بقيادة سعيد «وجاء سعيد وأصحابه حتى نزلوا الحيرة، فلما كان يوم الثلاثاء وغدوا قاتلوهم من دار عيسى بن موسى، وأجابهم العباسيون ومواليهم، فخرجوا إليهم من الكوفة، وكان العباس بن موسى بن جعفر في منزله بالكناسة»، وانصرف سعيد وأصحابه إلى الحيرة، وشد أصحاب العباس بن موسى على من بقي من أصحاب سعيد وموالي عيسى بن موسى العباسي فهزموهم حتى بلغوا بهم الخندق[2].

يتبيَّن مما أوردناه أعلاه:

١ ـ تقع بين السبخة والكناسة المعالم التالية: الجبانة، بيوت مزينة وأحمس وبارق ومسجدهم، ثم موضع مصلى خالد بن عبد الله.

٢ ـ إن الجبانة قريبة من الكناسة.

(١) الطبري ٢/ ١٧٠٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٠٢٠-١٠٢١.

٣ ـ مصلى خالد بين الكناسة والمسجد وهو متيامن عن الطريق.

٤ ـ تقع بالقرب من الكناسة:

(١) سكة ابن محرز وهي تنسب إلى العلاء بن عبد الرحمن بن محرز[١].

(٢) سكة شبث (ابن ربعي الرياحي)[٢].

٥ ـ بين الكناسة والمسجد وبالقرب من المسجد دار عمرو بن سعد بن أبي وقاص، ثم دار عمرو بن حريث[٣].

٦ ـ الكناسة من جهة الحيرة[٤].

٧ ـ الخندق وراء الكناسة، بينها وبين الحيرة[٥].

يذكر الطبري أنه «عندما وجّه المختار إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد خرج المختار يشيّعه حتى إذا بلغ دير عبد الرحمن.. إذا أصحاب المختار قد استقبلوه.. فوقفوا على القنطرة وصاحب أمر الكرسي هو حوشب البرسمي، ولمّا انتهى اليهم المختار وابن الاشتر ازدحموا ازدحاماً شديداً على القنطرة فسار مع ابراهيم إلى القناطر رأس الجالوت ووفى إلى جنب دير عبد الرحمن، فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرونه به، فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف»[٦].

أما دير عبد الرحمن فقد ذُكر في عدد من الحوادث. يذكر الطبري أن الخليفة علي لما خرج لقتال الخوارج في النهروان عبر الجسر فصلى ركعتين بالقنطرة، ثم نزل دير عبد الرحمن، ثم دير أبي موسى، ثم أخذ على قرية شاهي ثم على دباها، ثم على شاطئ الفرات[٧]. وذكر أن الحارث بن أبي

(١) فتوح البلدان ٢/ ٢٨٥.
(٢) الطبري ٢/ ٦٣٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢١٧٠، ١٠٢١.
(٥) الطبري ٢/ ١٠٢١.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٧٠١. لم أجد لقناطر رأس الجالوت ذكراً في غير هذا النص.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧٦.

ربيعة كان في النخيلة، ثم خرج فنزل دير عبد الرحمن ثم ارتحل إلى الصراة[١].

أهمية المنطقة قبل تأسيس الكوفة

ويبدو أن الأهمية التجارية للمنطقة التي أنشئت فيها القاعدة الجديدة لم تكن كبيرة قبل مجيء العرب، إذ كانت المدائن هي المركز التجاري الرئيس، فكانت السلع تأتيها من البحر عن طريق دجلة الذي تقع عليه، كما أن سلع المناطق الشمالية والغربية كانت تسلك الفرات والأنهر التي تتفرع من أماكن تقع شمال منطقة الكوفة؛ ومن المحتمل أن نهر الملك كان أكبر هذه الأنهار، فكانت التجارات تمر به إلى الفرات؛ وبذلك أصبحت منطقة الكوفة في شبه عزلة عن التجارة العالمية بين المحيط الهندي والبحر المتوسط عبر العراق، كما أن تجارات الهضبة الإيرانية وأرمينية كانت تذهب إلى المدائن مباشرة فلا تمر بمنطقة الكوفة، ولا يخفى أن حركات الفتوح قد أثرت في هذه التجارات.

والتجارة الرئيسة لمنطقة الكوفة هي مع جزيرة العرب، غير أن هذه التجارات لم تكن واسعة، وكان مركزها القديم الحيرة التي أبقاها المسلمون لأسباب عسكرية، فظلت تمارس نشاطها التجاري، مما كان له تأثير في إبطاء نمو الحركة التجارية في الكوفة؛ وكان لا بد من مرور مدة كافية حتى تزدهر الحياة الاقتصادية في الحجاز ويزداد طلبها على السلع، فينشط الطريق التجاري بين العراق والحجاز ويستطيع أهل الكوفة نقل النشاط التجاري من الحيرة إلى منطقتهم.

قال ياقوت: «كوفان اسم أرض وبه سميت الكوفة.. وقيل سميت الكوفة بجبل صغير في وسطها يقال له كوفان، وعليه اختطت همدان موقعها وكان هذا الجبل مرتفعاً عليه فسميت به»[٢]. ولم أجد في غير هذا النص ذِكراً لهذا الجبيْل، علماً بأن الكوفة يطلق عليها في المصادر السريانية «عاقولا».

---

(١) الطبري ٢/٧٥٩.

(٢) معجم البلدان ٤/٢٣٥١.

الفصل الثالث

البحث عن الموقع واختياره

البحث عن مقر جديد للمقاتلة العرب

بعد أن أتم سعد بن أبي وقاص فتح المدائن وأقصى الفرس عنها اتخذها قاعدة لحركاته فأقام فيها مع المقاتلة، ويروي البلاذري أن سعداً اتخذ قاعدته في المدائن بعد معركة جلولاء، «وانصرف بعد جلولاء إلى المدائن فصيرّ بها جمعاً، ثم مضى إلى ناحية الحيرة»[1]، ولا ريب في أن انتصار العرب في جلولاء أمّن سيطرتهم على المناطق الشرقية من دجلة وأزال الخطر الفارسي، ولابد أن عدداً كبيراً من المتنفذين والنبلاء الفرس المؤيدين للملك الساساني أخلوا المدائن والتحقوا بملكهم الذي اتخذ مقره في أطراف العراق عند الهضبة الإيرانية، ووفّر هذا الإخلاء أبنية ومنازل يستفيد منها العرب في السكن والاستقرار.

يروي ابن هشام الكلبي عن أبيه ومشايخ الكوفيين أن سعد بن أبي وقاص «صالح أهل الرومية وبهرمير، ثم افتتح المدائن وأخذ إسبانبر وكرد بنداد عنوة فأنزلها جنده، فاجتووها»[2]، ويذكر الهيثم بن عدي: «أقام المسلمون بالمدائن واختطوها وبنوا المساجد»[3] ويروي الطبري عن الشعبي «لمّا نزل سعد المدائن

(١) فتوح البلدان ٢٦٤.
(٢) المصدر نفسه ٢٧٤.
(٣) المصدر نفسه ٢٧٦.

وقسم المنازل بعث إلى العيالات فأنزلهم الدور وفيها المرافق فأقاموا بالمدائن حتى فرغوا من جلولاء وتكريت والموصل، ثم تحولوا إلى الكوفة»[1].

أدرك سعد أن المدائن لا تصلح قاعد دائمة لإقامة المقاتلة العرب، ويتفق المؤرخون على ان المآخذ الأكبر على المدائن هو مناخها، فيروي سيف أنه بعد فتح تكريت والموصل «قدمت الوفود بذلك إلى عمر، فلما رآهم عمر قال والله ما هيئتكم بالتي أتيتكم فما غيّركم؟ قالوا وخومة البلاد، فنظر في حوائجهم وعجل في سراحهم»[2]. ويقول الشعبي كتب حذيفة إلى عمر أن العرب قد أترفت بطونها وخفت أعضادها وتغيرت ألوانها، وحذيفة يومئذ مع سعد[3]. ويروي سيف بن عمر «كتب عمر إلى سعد أنبئني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومها، فكتب إليه أن العرب خددهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة»[4]. ويروي الطبري بسند عن عوانة «لمّا هزم الناس يوم جلولاء رجع سعد بالناس، فلمّا قدم عمار خرج بالناس إلى المدائن فاجتووها، قال عمار هل يصلح بها الإبل؟ قالوا لا إن بها البعوض، قال عمر إن العرب لا تصلح بأرض لا يصلح بها الإبل»[5].

تُظهر هذه النصوص أن مناخ المدائن لم يلائم العرب، فإنهم اجتووها وساءت صحتهم وتغيرت الوانهم وخدودهم ولحومهم، بسبب البعوض والذباب. ومن المعلوم أن هاتين الحشرتين تزعجان الناس ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، في داخل المدن وخارجها، والأخطر هو نقلهما للأمراض، ويبدو أن أثر البعوض أقوى لنشره الملاريا، ولعل المقصود بالوخومة هو الملاريا التي تدل هذه النصوص على سعة انتشارها عند الفتح في منطقة المدائن بسبب اضطراب أحوال الري وكثرة المياه، وكان تأثيرها على العرب واضحاً، ولعلها كانت من

(١) الطبري ١/ ٢٤٥١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٣.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٤.

أسباب تدهور تلك المناطق على أثر الفتح، علماً بأنه لا توجد إشارة إلى انتشار وباء جارف في السنوات الأولى من الفتح.

غير أن عوامل أخرى حملت العرب على البحث عن مقر خاص بالمقاتلة لا في العراق فحسب بل في الأقاليم الأخرى من الدولة، وكان من آثار تطبيقها اتخاذ الأمصار في الأقاليم، فاختيار المراكز الجديدة لم تكن دوافعه مجرد الأحوال المناخية، وإنما كانت لدوافع اجتماعية وحضارية. إن استيطان العرب في المدن المؤسسة قديماً يستلزم اختلاطهم بالسكان القدماء والتأثر بعاداتهم وأخلاقهم مما يضعف سماتهم التي تميزوا بها، والتي كان من الضروري حفاظ العرب عليها آنذاك لتمكنهم من متابعة أدائهم الواجب المطلوب في توسيع الدولة والحفاظ على الأمن فيها؛ ثم إن وجودهم في مدن أغلب سكانها من الأعاجم المغلوبين قد يعرّضهم إلى أخطار الدسائس والمكائد، والعداء والثورات.

وإقامة العرب في مراكز خالصة لهم ييسّر إنشاء نظم خاصة في إدارتهم وتنظيماتهم منسجمة مع أوضاعهم وتوجهاتهم، ويكونون بها بعيدين عن أعين المعادين لهم من البلاد، ويقلّل من تعرضهم للحسد وما يجره من احتكاك، وكل هذا يؤمن الاستقرار.

وإذا كان اختيار مراكز جديدة خاضعاً للاعتبارات الأمنية والسياسية والاجتماعية، فإن تحديد البقعة التي تنشأ عليها هذه المراكز يراعي الاعتبارات العسكرية والجغرافية. فأما المناخ فتشير المصادر إلى أن عمر قال إن العرب لا يصلح لها إلا ما يصلح للإبل[1]، أي المناخ الصحراوي الجاف، والمنطقة الخالية من البعوض.

وأما العوامل الجغرافية فتظهر في أقوال تُنسب إلى عمر وأنه اشترط في اختيار الموقع أن يكون متصلاً بالجزيرة ولا يفصله عنها ماء[2]، ويرجع هذا إلى

(١) الطبري ١/ ٢٤٨٣، ٢٤٨٤، ٢٤٨٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٣، فتوح البلدان ٢٧٤.

أن الجيوش العربية كانت «برية» تعتمد على جزيرة العرب في الإمدادات البشرية، فمن الضروري أن تكون الصلة بينهما مفتوحة.

ذكر الطبري أن سعد بن أبي وقاص أرسل رواداً يفحصون المكان الملائم، وذكر أيضاً أنه بناءً على أمر من عمر بعث «حذيفة (ابن اليمان) وسلمان الفارسي فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار في غرب الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة»[١].

وردت أخبار تشير إلى أن سعد بن أبي وقاص نزل بعد انتقاله من المدائن في عدة أماكن قبل أن يستقر في الكوفة. فيروي البلاذري أن سعداً «أتى الأنبار وأراد أن يتخذها منزلاً، فكثر على الناس الذباب، فتحول إلى موضع آخر فلم يصلح، فتحول إلى الكوفة فاختطها وأقطع الناس المنازل، وأنزل القبائل منازلهم وبنى مسجدها وذلك سنة ١٧»[٢]. ويروي أيضاً أن سعداً بعد أن ترك الإقامة في المدائن «حوّلهم إلى سوق حكمة، وبعضهم يقول إلى كويفة، دون الكوفة[٣] وهي كويفة ابن عمر، فنظروا فإذا الماء محيط بها فخرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم». ويذكر ابن اسحق أنه بعد جلولاء طلب عمر من سعد بن أبي وقاص أن يقف مكانه ويبحث عن مكان ينزله المسلمون. فنزل سعد الأنبار فاجتووها، وأصابتهم بها الحمى، فلم توافقهم، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك فكتب سعد لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب، فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين فيه مترد.

سار سعد حتى نزل كويفة عمر بن سعد، فلم توافق الناس مع الذباب والحمى فبعث سعد الحارث بن سلمة. ويقال بل بعث عثمان بن حنيف، فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم[٤]، فنزلها سعد بالناس وخط بها الخطط[٥].

---

(١) الطبري ١/ ٢٤٨٣.
(٢) فتوح البلدان ٢٤٧.
(٣) المصدر نفسه ٢٧٤.
(٤) المصدر نفسه ٣٧٦.
(٥) الطبري ١/ ٢٣٦.

إن هذه النصوص تشير إلى تنقل سعد بن أبي وقاص في عدة أماكن قبل استقراره على الكوفة، ويلاحظ أن سوق حكمة وكويفة ابن عمر تقعان شرق نهر الكوفة، فهما منفصلان عن الجزيرة بالحاجز المائي، غير أن مناخهما كان غير ملائم، وهذا يظهر مدى انتشار الملاريا في ذلك الزمن، علماً بأن هذين المكانين قرب الكوفة. وتم الانتقال من المدائن إلى الكوفة في أول سنة ١٨.

أرض الكوفة

كان الغرض من تأسيس الكوفة إنشاء مقر يقيم فيه المقاتلة المسلمون الذين قاموا بدحر الجيوش الساسانية وفتحوا المدائن، وكان عليهم أيضاً الدفاع عن البلاد التي فتحوها وتوسيع رقعتها، وهذا لا يتم إلا بالقضاء على الجيش الساساني الذي بالرغم من اندحاراته فإنه كان يستعد لجمع شمله والقيام بحركات لاسترداد الأراضي التي فقدها. لذلك كان واجب القتال قائماً، ووضع المسلمين لم يكن مؤمناً، وهذا يقتضي أن تكون القاعدة الجديدة ذات طابع عسكري، وألّا يبذل في إقامتها من المال والجهد ما قد يؤسف على فقدانه إذا تبدلت الأوضاع، ومن المعلوم أن المقاتلة المسلمين الذين أنشئت لهم القاعدة الجديدة كان أغلبهم من المدربين عسكرياً، فلم يكونوا قد تعوّدوا حياة الترف أو الاهتمام الكبير بجمع المال واقتناء الثروات.

ولا ريب في أن الفتوح ومعاركها بدّلت الأحوال الاجتماعية والسكانية، ولكنها لم تؤد إلى تدمير المراكز الحضارية القديمة، ولذلك فإن التجار والصناع بقوا في مراكزهم القديمة بانتظار استقرار الأحوال على الأقل، ولم يجدوا مبرراً للانتقال إلى القاعدة العسكرية الجديدة.

التأسيس الاول

يروي الطبري عن سيف بن عمر «ولما أنزل أهل الكوفة، واستقرت بأهل البصرة الدار، صرف القوم أنفسهم وثاب إليها ما كانوا فقدوا. ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في ما كان. استأذن فيه أهل البصرة، بالبناء في القصب فقال

عمر: العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم، وما أحب أن أخالفكم، وما القصب؟ قالوا العكرش إذا روي قصّب فصار قصباً، قال فشأنكم، فابتنى أهل المصرين بالقصب. ثم أن الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة في شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد نفراً إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم، كانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا وآمّروه فيه، فقال إفعلوا ولا يزيد أحد على ثلاثة أبيات. ولا تطالوا في البنيان، والزموا السنّة تلزمكم الدولة فرجع القوم إلى الكوفة بذلك. . قال وعهد عمر إلى الوفد وتقدم إلى الناس أن لا يرفعوا بنياناً فوق القدر، قالوا وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصب»[1].

وجاء في كتاب فضل الكوفة نقلاً عن الشعبي «كتبوا إلى عمر، فكتب إليهم ابنوا بالقصب واتقوا النار تدنوه منه، فوقع بالكوفة حريق عظيم، فبلغ عمر، فكتب إليه: ابنوا باللبن ولا تطبخوه»[2]. يظهر هذا النص أن تأسيس الكوفة مر بثلاث مراحل، أولها التجمع في المكان الذي تم اختياره والثاني البناء بالقصب والثالث البناء بالطين. أما الحرائق فغير مستبعدة، ولكن ادعاء النص على أن حريق الكوفة كان شديداً «فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبق فيها قصبة في شوال» كلام مشكوك فيه، لأن ثمانين عريشاً ليست كثيرة، إلا أن أهميتها أنها أظهرت أخطار الحريق. وعلى أي حال فإن هذا النص يظهر أن التنظيمات الأولى كانت وقتية، وأنها ألغيت بعد أن بدأت المرحلة الثالثة التي هي المرحلة الفعلية للبناء.

حدَّد عمر شروط البناء الجديد بأن لا يكون أكثر من ثلاثة «أبيات» أي غرف، وأن لا يكون بالغ الارتفاع، وأن يتّسم بالبساطة وأداء الغرض منه، أي أنه أشار عليهم بوجوب مراعاة البساطة التي تنسجم وأذواق العرب آنذاك

(١) الطبري ١/ ٢٤٨٧.

(٢) فضل الكوفة ٢٩٢.

وتحقق الاتجاه الحضاري الذي كان يحرص عليه عمر والذي ينسجم مع مبادئ الإسلام وحاجات الناس. ومع ذلك فإن البناء باللبن حدث بعد الحريق، غير أنه ظلت المساكن أخصاصاً إلى زمن الخليفة علي على الأقل، فيروي ابن سعد بسند عن زياد بن عبد الله النخعي «كنا قعوداً عند علي بن أبي طالب وان عامة الناس لأخصاص»[1].

ثم تلا ذلك البناء بالآجر في زمن مبكر لم تحدده المصادر، وقد روى العلوي بسند عن سفيان: «أول من بنى بالكوفة الآجر خباب بن الارث وعبد الله بن مسعود»[2]. ويروي سيف أنه «لما اختطت الكوفة للناس بالبناء نقل الناس أبوابهم من المدائن إلى الكوفة فعلقوها على ما بنوا وأوطنوا الكوفة». يظهر هذا النص أن الخليفة عمر بن الخطاب كان يفضل في أول الأمر الاقتصار على التجمع «العسكر أجدّ لحربكم وأذكى لكم». والواقع أن الأحوال في تلك الفترة التي لم يكتمل بعد فيها فتح كل العراق، وكانت للفرس قوات في أطراف العراق، تطلبت أن يكون المقاتلة العرب مستعدين للحركة ومواجهة قوات الفرس وإقصائها عن العراق والقضاء عليها لتأمين الحكم العربي الجديد.

إن هذا الوضع يقضي بعدم إنشاء أبنية محكمة أو ضخمة في المعسكر الجديد، ولكنه يتطلب تنظيماً خصص بموجبه لكل من العشائر وما فيها من أسر ورجال محلات خاصة، كما أن مرافقة النساء للجيش العربي كان يتطلب إقامة بناء يكون ستراً للعامة واستقراراً لها، مهما كان بسيطاً في تشييده ومواده. فالمرحلة الأولى التي ذكرها سيف بن عمر تمثل مرحلة التجمع والإعداد للاستقرار، ولابد أنها لم تدم طويلاً.

أما المرحلة التالية فيظهر فيها الاستقرار، وهي تدل على أن العشائر وأبناءها توزعت لهم خطط لتقيم فيها كل أسرة. واختيار القصب للبناء مألوف في العراق

---

(١) فضل الكوفة ٢٩ ب.
(٢) الطبري ١/ ٢٤٩٧.

وملائم لمناخه وحاجات العرب، فإن جفاف المناخ وقلة الأمطار وطول فصل الصيف يتطلب أن يكون البناء ظلالاً تقي من الشمس، كما أن توافر القصب ورخصه وسرعة البناء والنقض فيه كان ملائماً لحاجات الناس آنذاك. ويدل ادّعاء النص على أن الخليفة عمر لم يكن يعرف صرائف القصب على أنها لم تكن شائعة في الحجاز، وهذا أمر طبيعي لأن القصب يكثر حيث يتوافر الماء الجاري وهو ما يكثر في العراق، ويندر في الحجاز.

الخطط الأولى لعشائر الكوفة

يروي سيف بن عمر ما يدلّ على أن العرب عندما نزلوا الكوفة كان مقامهم في الكوفة كالمعسكر، فقال عمر: العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم، وما أحب أن أخالفكم.

ذكرنا الإشارات إلى أن الأبنية الاولى ظلت باللبن أخصاصاً، وأنه لما وقع الحريق في الكوفة وبلغ خبره عمر كتب لهم «إبنوا باللبن مرة ولا تطبخوه». وقد ذكر ابن سعد أنه في زمن الخليفة علي كان عامة الكوفة يومئذ لأخصاص[1]. والخص بيت من شجر أو قصب، وقيل الخص البيت الذي يسقف عليه بخشبة على هيئة الأزج[2]. ويروي ابن سعد عن عطاء مولى إسحاق بن طلحة «كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد وليس مجنبات ومواخير فأرى منه دير هند وباب الجسر»، ويروي عن الشعبي «كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر»[3].

يذكر سيف "لما اجمعوا على ان يضعوا بنيان الكوفة أرسل سعد إلى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطريق وانه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء،

---

(١) ابن سعد ٦/ ١٦٦.
(٢) لسان العرب ٨/ ٢٩٢.
(٣) الطبري ١/ ٢١٩٤.

وفي القطائع ستين ذراعاً إلا الذي لبني ضبة، فاجتمع أهل الرأي للتقدير حتى إذا قاموا على شيء قسم أبو الهياج عليهم[١]. ويقول إنه نهج في الودعة من الصحن خمسة مناهج، وفي قبلته أربعة مناهج وفي شرقيه ثلاثة مناهج، ومناهج دونها تحاذي هذه ثم تلاقيها، وأخرى تتبعها وهي دونها من الذرع، والمحال من وراء وفيما بينها، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن[٢].

يتبين مما سبق:

١ ـ أن الكوفة عند اختيارها كانت مجرد معسكر في العراء ليس فيه أي بناء، ولا بد أنه كان في هذه المرحلة مرناً تستطيع كل مجموعة تبديل مكانها بيسر.

٢ ـ أن العرب أدركوا أن الإقامة في معسكر في العراء ليس فيه كبير فائدة ولا يقي من الحر في الصيف ومن البرد والمطر في الشتاء، كما أنه لا يؤمن استقرار الأسر بما فيها من النساء والأطفال إلا إذا استعملوا الضلل.

٣ ـ أن البناء تطور بعد الحريق فصار بالعكرش والقصب وهما متوافران في المنطقة، ولا يزال كثير من الفلاحين يبنون أخصاصهم منه، وهو يحدد بيت السكن وبيئته وييسر السفر، ولا يكلف كثيراً.

٤ ـ أن الحريق الذي كان شديداً في الكوفة أحرق ثمانين عريشاً، ولم يبق فيها قصبة في شوال، ومع أن النص لم يذكر حجم كل عريش ولكنه قد يدلّ على أن كل عريش يؤوي أكثر من أسرة، إذ إن عدد العرائش كان قليلاً نسبياً، ولا يمكن أن يكون قد استوعب إيواء كل السكان.

٥ ـ أن الأبنية الجديدة التالية كانت «باللبن، ولم تكن بالطين» أو «الرهوص».

(١) الطبري ١/٢٤٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٤٩٠.

٦ ـ أن البيوت الجديدة كانت فيها «أبيات» لا تزيد على الثلاثة، والأرجح أن «الأبيات» يقصد بها «الغرف».

٧ ـ أن الأبنية لم تكن عالية ولعلها لم تتجاوز العشرة أقدام، ولكن لم يرد وصف لهذه الدور.

٨ ـ أن القطائع كانت ستين ذراعاً ولعل هذه مساحتها وأنها مربعة، إذ لا يعقل أن كل ضلع منها ستون ذراعاً وهو ما يساوي أربعين متراً فتكون مساحة الدار ١٦٠٠م^{٢}.

٩ ـ خالفت ضبة العشائر الأخرى في حجم قطائعها، ولكنه لم يشر إلى أن هذه المخالفة كانت في الزيادة أم في النقصان.

١٠ ـ رتبت المسالك والطرق كما يلي: المناهج ٤٠ ذراعاً (= حوالى ٢٥ متراً) المناهج الفرعية ٣٠ ذراعاً (= حوالى ١٨ متراً) المناهج التالية ٢٠ ذراعاً (= حوالى ١٢ متراً) الأزقة ٧ أذرع (= ٤ أمتار).

١١ ـ وضعت مناهج فرعية موازية (تحاذيها) وتنحني لتلاقيها.

١٢ ـ المحال (ولعله يقصد القطائع والمساكن) من ورائها وفيما بينها.

١٣ ـ يختلف عدد المناهج في كل جهة من جهات الصحن، فهي خمسة في الودعة (الشمال) وأربعة في القبلة، وثلاثة في كل من الجهتين الشرقية والغربية.

١٤ ـ إن تسمية الجهات تثير بعض الإرباك، فقد حدّدت الجهة الشرقية والغربية ثم حدّدت القبلة والودعة التي يدلّ سياقها على أنها مقابل القبلة، غير أن القبلة تقع في الجهة الجنوبية الغربية فتكون الودعة في الجهة الشمالية الشرقية، ومن هنا يجب أن يصحح مفهوم الجهة الشرقية الغربية.

١٥ ـ لم يحدد النص إذا كانت المناهج موازية لأضلاع الصحن أم متعامدة عليه، وهل كانت خطط العشائر حول الجامع متوازية في العرض أم في الطول، وأن قوله «المحال من ورائها وفيما بينها قد تعني أنها أتت متوازية»، كما أن قوله «جعل هذه الطرقات من وراء الصحن» قد يؤيد ذلك.

١٦ ـ أضيفت إلى المناهج العظمى المقررة مناهج أخرى لم يُرو عنها سوى المناهج المضافة تحاذي المناهج العظمى ثم تلاقيها، أي أن المناهج المضافة تكون كالقوس المركب عليها وتتفرع منها فروع تتبعها وهي دونها في الذرع، ولم يذكر اتجاه هذه الفروع، ولعلها كانت متعامدة عليها.

١٧ ـ يدلّ وصف المناهج بمجموعها على أنها كانت مستقيمة ومنتظمة وشطرنجية.

ذكر الطبري أن عمر بن الخطاب جعل أبا الهياج بن مالك على تنزيل أهل الكوفة، وأن أبا الهياج كان يقر التقسيم القائم على التنظيم الذي يقدره أهل الرأي «اجتمع أهل الرأي للتقدير حتى إذا قاموا على شيء قسم ابو الهياج عليهم»(١)، غير أن النص لم يشر إلى من عين أهل الرأي، هل أنهم كونوا «لجنة» عامة واحدة أم أنه تألفت عدة «لجان»؛ لكل عشيرة أو منطقة لجنة، ولم يرد ذكر الأشخاص «أهل الرأي».

أما أبو الهياج فهو عمر بن مالك الأسدي، وهو من بني والبة، "كان لهم بلاء وغناء أيام القادسية، وقتل أخوه حمل في نهاوند، وكان عمر بن مالك بن جنادة، جعله عمر بن الخطاب على خطط الكوفة، وابن أخيه غالب بن مالك بن جنادة وجّهه الحجاج لقتال شبيب وبشر بن أبي حازم الأسدي(٢)، وذكر الطبري أن سعد بن أبي وقاص حمّله كتاباً إلى عمر بن الخطاب في وضع أهل السواد(٣).

لم تقتصر مهمة أبي الهياج على وضع التخطيط وإنما تابعها، إذ ذكر الطبري عن المناخ الذي أعده للقادمين الجدد إلى الكوفة «فكان كل من يجيء سواء فيه، حتى يأتوا أبا الهياج فيقوم في أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبّوا»(٤) ولم

(١) الطبري ١/٢٤٨٨.
(٢) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم ١٩٤.
(٣) الطبري ١/٢٣٦٩.
(٤) المصدر نفسه ١/٢٤٩١.

تذكر المصادر معلومات إضافية عن نشأة أبي الهياج وخبراته وأعماله الأخرى في الكوفة، غير أنه يلاحظ أن بني أسد كانت ديارهم الأولى في الأطراف الشمالية الشرقية من الحجاز بينه وبين جبل طي، وانه لم تعرف في منطقتهم مراكز حضرية بارزة، وفي الأخبار إشارات إلى رجال قام كل منهم بتوزيع خطط عشيرته[1].

يقول سيف بعد وصفه المناخ والطرق التي وضعها أبو الهياج للكوفة فأنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقين، وهمدان على طريق، وبجلة على طريق آخر، على آخرهم تغلب.

وأنزل في شرق الصحن الأنصار ومزينة على طريق، وتميم ومحارب على طريق، وأسد وعامر على طريق.

وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق، وبين أسد والنخع طريق وبين النخع وكندة، وبين كندة والأزد طريق.

وأنزل في غرب الصحن بجلة على طريق، وجديلة وأخلاط على طريق، وجهينة وأخلاط على طريق، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك[2].

ان نص الطبري واضح في أن هذه العشائر هي التي أقطعت حول الصحن في زمن سعد، فهي لا تشمل كل عشائر الكوفة آنذاك أو بعده، والواقع أن الطبري أشار إلى أخلاط نزلت على الطرق الثلاثة غربي الصحن مع بجيلة وجديلة وجهينة، لكنه لم يسمِّ هذه الأخلاط.

إن هذه العشائر بالإضافة إلى التخطيط العام، هي القبائل التي كانت في حينه في الكوفة، فلم تشمل العشائر التي كانت في ثغور الكوفة والموصل. وفي

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٠.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٨، ويقول ابن الكلبي أن عمر بن منقذ اختط خطة بني العنبر (الانساب ٣٦٥ طبعة محمود العظم).

الكتب إشارات إلى أن هذه الخطط وغيرها من خطط الكوفة تبدلت؛ وسنتحدث عن ذلك فيما بعد، ونقتصر حالياً على بحث العشائر التي أدعي أن قطائعها الأولى كانت حول الصحن ومدى مطابقتها للمعلومات المتوافرة من المصادر الأخرى عن هذه العشائر.

سمى الطبري في نصه المذكور أعلاه أسماء ست عشرة عشيرة أسكنت في أطراف الصحن، وأشار إلى أخلاط من عشائر أخرى سكنت معهم أيضاً، ولكنه لم يسمِّ هذه العشائر، ولا بد أن عدد رجال كل هذه الأخلاط كان قليلاً فلم يسمه، علماً بأنه لم يذكر عدد أفراد العشائر التي سمّاها.

إن العشائر التي ذكرت أسماؤها ممن استوطن حول الصحن هي سليم وثقيف وهمدان وبجلة وتيم اللات وتغلب وأسد والنخع وكندة والأزد والأنصار ومزينة وتميم ومحارب وأسد وعامر وبجيلة وجديلة وجهينة وأخلاط.

ويلاحظ في هذه القائمة:

١ ـ أنزل في ودعة الصحن وقبلته كل عشيرة على طريق، أما في شرق الصحن وغربه فإنه أنزل عشيرتين على كل طريق، وسبب هذا التمييز قد يرجع إلى أن كلاً من العشيرتين اللتين وضعتا على طريق واحد كانت صغيرة وقليلة الرجال، وأنه خصص لخططها رقعة أوسع من الأرض أي أن الاختلاف قد يكون راجعاً إلى عدد الرجال أو إلى سعة الأرض، ولا نستطيع البت في ترجيح أحد هذين الأمرين على الآخر، لأن المصادر لم تذكر معلومات تيسر لنا الحكم في ذلك.

٢ ـ وضعت في كل جهة من الصحن ست عشائر إلا التي وضعت في قبلة الصحن فإن عددها أربع. ولعل سبب ذلك كثرة عددها.

٣ ـ لم يراع في توزيع خطط العشائر مواقع ديارها في الجزيرة أو انضمامها إلى الجيوش الإسلامية أو علاقاتها النسبية التي تنعكس في كتب النسب، فقد وضعت على طرق متقاربة عشائر يذكرها النسابون من مضر وأخرى من ربيعة أو

حتى من اليمن، ولا يمكن كشف رابط عام بين العشائر التي وضعت في كل جهة من الصحن.

من المعروف أن عشائر الكوفة جعلت منذ زمن خلافة عمر إلى زمن خلافة معاوية أسباعاً، كل سبع يضم عدداً قليلاً من العشائر ذكرت بعض المصادر أسماءها، والعشائر المذكورة في قائمة وقعة الجمل، ولكن قد ترجع قلتها إلى عدم اشتراك بعض عشائر الكوفة في إسناد علي؛ أما قائمتا خلافة عمر وصفين فهما أشمل إلا أن بينهما فروقاً غير قليلة، ونقصاً واضحاً لعله من خطأ النساخ؛ ففيما عدا الاختلافات الفرعية في العشائر المذكورة في القائمتين، فإن الطبري ذكر ستة أسباع وحذف سبعاً ولعل هذا الحذف راجع إلى خطأ النساخ، حيث أن السبع الثالث ضم عشائر هي في وقعة صفين من السُبعين الثالث والرابع، كما أن قائمة صفين لم تذكر عشيرة مما اعتبرها الطبري تكوّن السُبع السابع، علماً بأن بعضها مشهور بتأييده الخليفة علي.

إن قوائم الأسباع محدودة وفي تفاصيلها كثير مما يثير التساؤل، كما أن قائمة أصحاب الخطط حول الصحن انفرد بها الطبري، ولذلك فقد تكون كل هذا القوائم ناقصة وغير دقيقة، ولكن عدم وجود ما يؤيدها أو يكملها أو يصلحها يحملنا على اعتمادها أساساً للمناقشة والمقارنة، وعند مقارنة قائمة العشائر التي استوطنت حول الصحن بقائمة عشائر أسباع الكوفة نلاحظ ما يلي:

١ ـ ذكرت قبائل في قائمة أسباع عمر وصفين وهي: همدان وبجيلة وكندة والأزد وتميم وأسد.

٢ ـ عشائر حول الصحن ذكرت في قائمة أسباع عمر، وهي تغلب وجديلة.

٣ ـ عشائر حول الصحن لم تذكر في قائمة أسباع عمر، وإنما ذكرت في قائمة الأسباع في صفين، وهي الأنصار ومزينة، وقد يكون حذفها من قائمة أسباع عمر راجع إلى خطأ النساخ.

٤ ـ عشائر لم تذكر في قوائم الأسباع لعمر أو صفين ولكن ذكرت لها

خطط حول الجامع وهي سليم وثقيف وتيم اللات والنخع ومحارب وعامر وجهينة وبجيلة والأخلاط.

٥ ـ بعض العشائر لم تذكر لها خطة حول الصحن، ولكنها ذكرت في قوائم الأسباع وهي: الرباب وهوازن وخثعم وحضرموت وشبام وقضاعة وحمير ومذحج وضبة والنمر وغطفان وأياد وعك وعبد القيس وهجر والحمراء.

قد يرجع الاختلاف إلى أن هذه العشائر لم تسكن حول الصحن أو أنها استقرت في الكوفة بعد تأسيسها، وأنها كانت في الثغور أو أنه أعيد تنظيمها بتقسيم بعضها أو دمج بعضها ببعض..

الفصل الرابع

الجامع ودار الإمارة

الجامع

كان المسجد الجامع ودار الإمارة المنشئتين العامتين الرئيستين في الكوفة، ونظراً لأهميتهما فقد عني الاخباريون بذكر تطور بنائهما، فروى ابن الكلبي عن أبيه وعن مشايخ الكوفيين تطور بنائهما، أن سعد بن أبي وقاص بعد اختياره موقع الكوفة «انتهى إلى موضع مسجدها أمر رجلاً فغلا بسهم قبل مهب القبلة فأعلم على موقعه، ثم غلا بسهم آخر قبل مهب الشمال وأعلم موقعه، ثم غلا بسهم قبل مهب الجنوب وأعلم على موضعه، ثم بسهم قبل مهب الصبا فأعلم على موقعه. ثم وضع مسجدها ودار إمارتها في مقام الغالي وما حوله، وأسهم لنزار وأهل اليمن بسهمين. . فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات، وترك ما دونها فناءً للمسجد ودار الإمارة»[1] أي أن قطر الجامع وما حوله كان يبلغ مائتي ذراع حدت في وسطها الجامع ودار الامارة.

لم يحدد النص طول كل من أبعاد الساحة التي صار وسطها دار الإمارة، ويدل سياق النص أن الساحة كانت مستديرة تحيط بالبنائين. ولم يذكر أن سعداً بنى الجامع أو أقام حائطاً حول الساحة.

---

(١) فتوح البلدان ٢٧٥.

نقل الطبري عن سيف "فأول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه رام شديد النزع فرمى في عينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني من وراء موقع السهمين. فترك المسجد في مربعه غلوة من كل جوانبه، وبنى ظله في مقدمه ليست لها مجنبات... وكانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته، وكانت ظلته مائتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسرة، سماؤها كأسمية الكنائس الرومية وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببناء، وبني لسعد دارٌ بينها وبين طريق منقب مائتا ذراع وجعل فيها بيوت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم، بنى ذلك له روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة"[1]؛ وقد يتصل بهذا ما رواه البلاذري عن شيخ من أهل الحيرة، قال «وجد في قراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر أن المسجد الجامع بالكوفة بني ببعض نقض تلك القصور، وحسبت لأهل الحيرة قيمة ذلك من جزيتهم»[2].

ونقل الطبري عن سيف في مكان آخر من كتابه "بنى سعد... قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته، ثم أن بيت المال نقب عليه نقباً أخذ من المال، وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة المسجد[3].

إن رواية سيف بن عمر أن المسجد كان أول ما خط «ووضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق» ينسجم مع روايات عن مصادر أخرى، فيروي ابن أبي شيبة أن الخليفة علي بن أبي طالب قال: «لقد نقص من أسسه خمسمائة ذراع»[4]، ولم يوضح فيما إذا كانت الخمسمائة ذراع التي أنقصت من

(١) فتوح البلدان ٢٨٥.
(٢) الطبري ١/٤٩١.
(٣) المصدر نفسه ١/٤٩١.
(٤) المصنف لابن ابي شيبة ١/١٣٣.

أسسه هي في الساحة، أم في الطول. ويروي سابق البربري «رأيت علياً أسس مسجد الكوفة إلى قريب من طاق الزياتين قدر شبر شبره».

وذكر الكليني تفاصيل أوفى إذ قال «كان أمير المؤمنين (علي) يقوم على باب المسجد ثم يرمي بسهم فيقع في موضع التمارين، فيقول ذلك في المسجد، وكان يقول: لقد نقص من أساس المسجد ما نقص من تربيعه»[1]. ويروي الكليني أيضاً عن المفضل بن عمر «كنت مع أبي عبد الله (جعفر الصادق) بالكوفة أيام قدم على أبي العباس (الخليفة العباسي الأول) فلما انتهينا إلى الكناسة.. مضى حتى انتهى إلى طاق الزياتين، وهو آخر السراجين، وقال إنزل هنا.. هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأول الذي خطه آدم عليه السلام، وغيره عن خطته أول ذلك الطوفان في زمن نوح عليه السلام، ثم غيره أصحاب كسرى والنعمان (المناذرة) ثم غيره زياد بن أبي سفيان». «ثم ذكر أن أصنام قوم نوح نصبت موضع دار الداريين وهو موضع دار ابن حكيم، وذاك خراب اليوم»[2]. إن هذا الكلام يظهر قدسية موغلة في القدم لموضع المسجد القديم عند السراجين، ولم تجر حفريات تعين على توضيح هذه الأسس، غير أن النص يذكر أن زياداً هو الذي غيَّر موضعه، وهو في هذا يخالف رواية البلاذري وسيف بن عمر في عمل زياد.

يتبيَّن من نص الطبري الذي أوردناه أعلاه، وهو أوسع من نص البلاذري:

١ ـ أن المسجد أول ما خط من البناء.

٢ ـ أن موضعه الأول في موضع أصحاب الصابون والتمارين في السوق، أي في شرق وضعه الحالي.

٣ ـ أن سعد بن أبي وقاص ثبت ساحة واسعة، ضلعها غلوتا سهم يبني وراءها الناس. غير أنه لم يحدد طول ضلع الساحة، علماً بأن غلوة السهم تقدر بقرابة ستين متراً.

---

(١) الكافي ٨/ ٢٧٩، بحار الانوار ٢١/ ٨٥.
(٢) المصدر نفسه.

٤ ـ أن قوله أن «المسجد في مربعة، غلوة من كل جوانبه» يدل ظاهر معناها أن الأرض التي هي غلوة السهم لا يدخل فيها أرض الجامع، وأن طرفي المسجد كان طولهما غلوة سهم، وإن كل طرف من أطرافه نصف غلوة، وهذا ينسجم مع قوله أن الساحة العامة كان ضلعها غلوتي سهم.

٥ ـ أن الساحة كانت «مربعة وليست مستديرة» وأنها كانت «لاجتماع الناس لئلا يزدحموا».

٦ ـ أن مسجد الكوفة يشبه بقية المساجد الأولى التي تختلف جميعها عن «المسجد الحرام» الذي في مكة، غير أنه لم يذكر أوجه الاختلاف بين هذه المساجد الأولى والمسجد الحرام الذي احتفظ بشكل خاص «متميز» تعظيماً لحرمته.

٧ ـ ثبت بناء قصر سعد أبي وقاص، وهو في موضع دار الإمارة، أي لم يتغير مكانه.

٨ ـ بين دار الإمارة والمسجد الأول «طريق منقب مائتي ذراع»، ويقضي سياق النص أن المائتي ذراع هي المسافة بين المسجد ودار الإمارة، وقد تكون غلوة السهم أو بعضه، أي أنها تشمل كل أو بعض المربعة وإن دار الإمارة كانت خارج المربعة.

٩ ـ كان للمسجد صحن محدد بخندق لئلا يتجاوز الناس بالبناء، ولم يكن للصحن حائط، ولكن لا بد أنه لم يشمل كل «المربعة» ولعله كان مربعاً طول ضلعه كضلع المظلة أي مائتي ذراع.

١٠ ـ اقتصر البناء من المسجد على ظلة ليست لها مجنبات ولا مواخير، طولها مائتا ذراع، على أساطين رخام سماؤها كأسمية الكنائس الرومية، لم يحدد النص ماهية المائتي ذراع، فقد يكون المقصود بها مساحتها، وإذ ذلك يكون ضلعها قرابة خمسة عشر ذراعاً، فهي أصغر من أن تسد حاجة المصلين، لذا فالأرجح أن المائتي ذراع هي طولها، وفي هذه الحالة لم يشر إلى عرضها.

١١ ـ كانت الظلة «على أساطين رخام»، أي أنها لم تكن لها جدران، وإنما كانت كالرواق مفتوح من كل جوانبه، ومسقف من أعلاه، ويقوم السقف على أساطين من رخام والغرض منها الوقاية من الشمس والمطر وليس فيها ما يحدد القبلة.

١٢ ـ كانت الظلة سماؤها كأسمية الكنائس الرومية وكلمة «الرومية» قد تعني «البيزنطية» أو كنائس الأقاليم الغربية في بلاد الشام والتي يبدو أنه كان لسقوف كنائسها طراز خاص متميز عن غيره بما في ذلك الكنائس النسطورية، ولعل هذا الطراز الرومي لم يقتصر على كنائس الروم الأرثوذكس، وإنما شمل أيضاً الكنائس اليعقوبية. وهو على أي حال لم يكن على طراز فارسي.

١٣ ـ كان البناء «بالآجر» وقد أخذ من نقض أبنية الفرس في الحيرة، وتخصيص الآجر بالذكر يدل على أنه لم يكن عام الاستعمال في الكوفة إبان هذه الفترة المتقدمة. ولا بد أن المقصود بـ «أبنية الفرس» الابنية المشيدة في زمنهم، لأنه لم تعرف جالية فارسية كبيرة سكنت الحيرة.

١٤ ـ يصعب قبول صحة ما يدعيه النص من أن هذا البناء كان للمسجد عند أول تأسيسه، لأن هذا لا ينسجم مع السمات العامة للأحوال في هذا الزمن المبكر، علماً بأن هذا البناء الأول لم يدم طويلاً، كما سنذكر أدناه، وإنما هدم وحوّل البناء إلى مكان آخر. والراجح أن وصف الظلة كان على احوالها المذكورة بعد أن أعاد زياد بناء المسجد.

يذكر الطبري أنه بعد أن علم الخليفة عمر بن الخطاب بسرقة بيت المال كتب إلى سعد بن أبي وقاص: «انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار، واجعل الدار قبلته، فإن للمسجد أهلاً بالنهار وبالليل، وفيهم حصن لمالهم». فنقل المسجد وأزاغ بنيانه، فقال له دهقان من أهل همذان ـ يقال له روزبه بن بزرجمهر، أنا أبنيه لك وأبني لك قصراً فأصلهما ويكون بنياناً واحداً، فخط قصر الكوفة على ما خط عليه، ثم أنشأ من نقض آجر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم، ولم يسمح به، ووضع المسجد بحيال بيوت

الأموال منه إلى منتهى القصر، يمنة إلى القبلة، ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب، والرحبة قبلته، ثم مده فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر، وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات[1].

يتبيّن من هذا النص كذلك:

١ ـ إن موقع قصر الكوفة ظل بمساحته في مكانه القديم، ولكن المسجد نقل إلى جهة القصر وجعل ملاصقاً للقصر، أي أنه أشغل الفسحة التي كان فيها الطريق الممتد بين القصر وبين المسجد في موقعه القديم.

٢ ـ إن بناء المسجد «أزيغ» والزياغة تعديل الطريق وإمالته عن الطريق الأعظم[2].

٣ ـ إن موقع القصر أصبح ملاصقاً لقبلة الجامع.

٤ ـ أصبح بناء الجامع متصلاً ببناء القصر.

٥ ـ أصبح ضلع الجامع ممتداً من بيوت الأموال إلى آخر القصر ثم آخر رحبة علي، أي أن ضلع الجامع المواجه للقبلة صار ممتداً من موقع بيوت الأموال ماراً بحائط القصر وإلى آخر رحبة علي بن أبي طالب، أي أن القصر أشغل بعض حائط الجامع، وبقي في جهة اليسار من القصر فراغ من الأرض، وكان علي يقيم في أخصاص الرحبة التي يقال لها رحبة علي[3].

٦ ـ إن المسجد بعد أن تم تحويله وجعل ملاصقاً للقصر أقيم فيه بناء قد تدل الاشارة على وجود الأساطين فيه أنه كان مسقفاً، ونظراً لاستناده إلى حائط القصر، فإنه لم يعد «ظلة مكشوفة».

٧ ـ إن البناء الجديد ظل دون مجنبات، أي أنه اقتصر على الجانب الشرقي الملاصق للقصر والذي في جهة القبلة.

(١) الطبري ١/ ٢٣٩١ ـ ٢٣٩٢.
(٢) لسان العرب ٣/ ٣١٣.
(٣) أنساب الأشراف ٢ ـ ١/ ٩٢.

٨ ـ لم يذكر النص مساحة البناء، أو مدى امتداده على الضلع الجنوبي.

٩ ـ إن العمل الجديد تم بأن «نقل المسجد وأزاغ بناءه»، وبما أنه أشغل فسحة المائتي ذراع التي كانت طريقاً فلا بد أنه ترك الأرض التي كانت جزءاً من الجامع في الجهة المقابلة للقبلة، وهذه الفسحة هي التي أصبح يشغلها التمارون وأصحاب الصابون من السوق فيما بعد.

١٠ ـ لم يذكر النص مساحة الجامع بوضعه الجديد.

١١ ـ كان الجامع بغير مجنبات. والمؤكد أنه كان مكشوفاً من الجهة الشرقية المواجهة للفرات، إذ يروي سيف عن عطاء بن محمد مولى اسحاق بن طلحة أنه قال «كنت أجلس في المسجد الاعظم قبل أن يبنيه زياد، وليست له مجنبات ولا مواخير، فأرى منه دير هند وباب الجسر»[١]، ويروي الشعبي أنه قال «كان الرجل يجلس في المسجد فيرى منه باب الجسر»[٢]، وقول عطاء يدل على إنه كان مكشوفاً من جهاته الثلاث.

١٢ ـ لم يحدد النص ساحة المسجد الجديد أو عرضه.

١٣ ـ إن المسجد بعد تحويله بني على أساطين من رخام كانت لكسرى «بكنائس»، وهي عبارة غريبة وقد تكون مبتورة في النص، إذ لم يعرف أن الملوك الساسانيين عنوا ببناء الكنائس، كما أنه لم يحدد ماهية الكنائس وموقعها، ولعله فقد من النص كلمة «في الحيرة» أو ما يشبه ذلك. غير أن هذه العبارة التي تشبه ما ذكر عن البناء الأول مشكوك فيها وهي أقرب انطباقاً على البناء في زمن زياد.

ذكر البلاذري بسند إبن الكلبي وشيوخ الكوفيين أن المغيرة بن شعبة وسع المسجد[٣]. ويروى عن مسلمة بن محارب «زاد المغيرة في مسجد الكوفة وبناه»[٤]. ولم يذكر البلاذري تفاصيل عن موقع ومقدار توسيع الجامع في زمن

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٤.
(٣) فتوح البلدان ٢٧٥.
(٤) المصدر نفسه ٢٧٦.

ولاية المغيرة بن شعبة، ولكن ما عمله المغيرة لم يكن تبديلاً أساسياً واسعاً، لأن الطبري يذكر أن الجامع بشكله الذي بناه فيه سعد بن أبي وقاص لم يزل على ذلك حتى بني زمن معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم على يدي زياد[(١)]. ويروي البلاذري أن المسجد بناه زياد فأصلحه[(٢)].

ذكرت المصادر معلومات عن بناء المسجد في زمن زياد، فذكر الطبري أن زياد «قدر وما يشتهي من طوله في السماء» وقال أشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته، فقال له بنّاء كان لكسرى، لا يجيء هذا إلّا بأساطين من جبال الأهواز تنقر ثم تثقب ثم تحشى بالرصاص بسفافيد الحديد، فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء ثم تسقفه، وتجعل له مجنبات ومواخير فيكون أثبت له، فقال هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعيرها[(٣)]. يتبين من هذا النص:

١ ـ أن زياداً رغب أن يكون للجامع بناء يختلف عما كان عليه، ولكن لم تكن له فكرة محددة عما يجب عمله.

٢ ـ أن أكثر اهتمام زياد كان مركَزاً على ارتفاع سقف الجامع، وأن البنّاء الذي استشاره أوضح له كيف يتم تحقيق ذلك.

٣ ـ أن تحقيق هذا الارتفاع يتطلب استعمال مواد غير متوافرة في المنطقة وإنما هي متوافرة في جبال الأهواز، ولا بد أنها غير المرمر الذي ذكرت أساطين الظلة الأولى منه.

٤ ـ أن كلاً من هذه الأساطين تتكوّن من عدة قطع تنقر ثم تثقب ثم تحشى بالرصاص وسفافيد الحديد ليكون ارتفاعها ثلاثين ذراعاً في السماء. ويذكر البلاذري كان زياد يقول: انفقت على كل إسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة مائة[(٤)].

---

(١) الطبري ١/١٨٩٢.
(٢) فتوح البلدان ٢٧٥.
(٣) المصدر نفسه ٢٧٦.
(٤) المصدر نفسه ٢٧٦.

٥ ـ يذكر الطبري عن بناء الجامع بعد تحويله في زمن زياد «فلم يزل على ذلك حتى بني زمن معاوية بنيانه اليوم على يدي زياد»[١].

٦ ـ لم يذكر النص عدد أساطين الجامع أو عدد صفوفها والمسافات بينها. غير أن في بحار الأنوار إشارة إلى عدد من الأساطين تبلغ سبعة في صف واحد، مما قد يدل على أن أساطين الصف الأمامي كانت سبعة.

٧ ـ لم يحدد نص الطبري موقع الأساطين، والراجح أنها كانت في جهة القبلة فحسب.

٨ ـ يذكر الطبري أن الجامع عند بنائه في زمن سعد بن أبي وقاص كان بغير مجنبات[٢]. ومن المؤكد أن بعض هذه كانت في الجهة المقابلة لنهر الفرات، حيث حجب بناؤها رؤية النهر، ومن المحتمل أنه كانت في كافة أطرافه (مجنبات ومواخير) وهذا يعني أن المسجد أصبح محاطاً بالحيطان من كافة أطرافه.

٩ ـ لم يحدد النص جهة توسيع الجامع في زمن زياد، ولا مساحته الكلية، وإنما ذكر أن سعة الجامع ظلت على ما وضعها زياد حتى أواخر القرن الثاني الهجري على الأقل.

١٠ ـ ذكر البلاذري «وكان زياد اتخذ في مسجد الكوفة مقصورة ثم جددها خالد بن عبد الله القسري»[٣].

١١ ـ وذكر البلاذري أن الناس كانوا يصلون، فإذا رفعوا أيديهم وقد تربت نفضوها، فقال زياد ما أخوفني أن يظن الناس على غابر الأيام أن نفض الأيدي سنة في الصلاة، فزاد في المسجد ووسعه، وأمر بالحصى وألقي في صحن المسجد[٤]. وبوضع الحصى في الصحن أصبحت له سمة خاصة، ولا بد أن

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٢.
(٣) فتوح البلدان ٣٧٦.
(٤) معجم البلدان.

فناء المسجد خارج الأبنية كان من الصحن، غير أنه من غير الواضح إذا كان فرش الصحن امتد إلى ما حول المسجد.

١٢ ـ يروي الشعبي «أن الجامع سقط منه شيء فهدمه الحجاج وبناه، ثم سقط ذلك الحائط الذي يلي دار المختار فبناه يوسف بن عمر»[١]. وذكر البلاذري «وهي بعض ما بنى (زياد) فبناه يوسف بن عمر»[٢]. لم ترد معلومات عن بناء كل من الحجاج ويوسف بن عمر، وإن كان الراجح أنهما لم يبدّلا في مساحته، ولم يدخلا عليه تغييرات تلفت النظر.

١٣ ـ قدر الجامع ليتسع كافة المقاتلين، ويروي ياقوت أن عمر كتب إلى سعد أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم، فخط أربعين ألف انسان، فلما قدم زياد زاد فيه عشرين ألف انسان، وجاء بالآجر، وجاء بأساطينه من الأهواز[٣]. إن هذا النص يظهر أن زياداً زاد في المسجد ما يساوي نصف مساحته القديمة، أي أن المساحة الأولى كانت ثلثي ما أصبح عليه.

ونقل ياقوت عن الشعبي أن (مسجد الكوفة ستة أجربة وأقفزة)[٤]. وينقل الأزرقي عن زادان فروخ أن مسجد الكوفة تسعة أجربة[٥]. ويلاحظ أن تقدير الشعبي يساوي ثلثي تقدير زادان فروخ، مما قد يدل على أن رواية الشعبي تنطبق على الجامع القديم، ورواية زادان فروخ تنطبق على مساحته بعد توسيع زياد. والأجربة التسعة تساوي (٢٠٠ × ٣٠٠) ذراع.

أبواب الجامع

لم تذكر المصادر التي وصفت جامع الكوفة أبواباً له في العهود الإسلامية الأولى، إلّا أن في الأخبار التاريخية ذكر لعدد من الأبواب، وهي:

---

(١) معجم البلدان ٤/ ٣٢٤.
(٢) أنساب الاشراف ٤٣/ ٨٢، معجم البلدان ٤/ ٣٢٥.
(٣) معجم البلدان ٤/ ٣٢٤.
(٤) المصدر نفسه ٤/ ٣٢٤.
(٥) اخبار مكة ٢/ ٥٠٧، وانظر معجم البلدان ٤/ ٣٢٤.

١ ـ باب الوراقين وهي في قبلة الجامع وبحذائها دار عبدالله بن يزيد القسري[١].

٢ ـ باب في سدة الجامع في موضع البزازين كان عنده دكان حنان[٢].

٣ ـ باب كندة «وهو قريب من الرحبة ففي إحدى الروايات أن الخليفة علي قبل أن ينقل جثمانه إلى النجف دفن بالرحبة مما يلي باب كندة»[٣]. ومن باب كندة دخلت القرامطة جامع الكوفة[٤].

٤ ـ باب الفيل وهو من أبواب المسجد المشهورة، حتى أن ابن عساكر يقول إن باب الفيل هو باب مسجد الكوفة[٥]. وذكر الطبري أصل تسميته فقال إن أم أيوب بنت عمارة بن عقبة بن أبي معيط كانت زوجة المغيرة «فلما مات المغيرة تزوجها زياد وهي حدثة»، فكان زياد يأمر بفيل كان عنده فيوقف، فتنظر إليه أم أيوب، فسمي بباب الفيل[٦]. ويدل هذا الكلام على أن باب الفيل قديم، وأنه اتخذ اسمه من زمن ولاية زياد.

ذكر باب الفيل في أخبار عدة حوادث، فعندما قدم معاوية الكوفة دخلها فصار إلى مسجدها من باب الفيل[٧]، وعندما ثار المختار اقبل في موالي له حتى انتهى إلى باب الفيل[٨]، وعندما سار ابراهيم بن الأشتر إلى دار المختار أخذ على باب الفيل ثم على دار ابن هبار، ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث[٩]. ولما خرج الحجاج لقتال شبيب أخرج اللواء من باب الفيل فأخذ من طريق البقاية حتى خرج إلى السبخة وبها عسكر شبيب[١٠].

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ٣٦٤.
(٢) الرجال للنجاشي ١١٣.
(٣) شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٥ ابن سعد ٣ ـ ١/ ٢٥.
(٤) الطبري ٣/ ٢٢٦١.
(٥) تهذيب ابن عساكر ٤/ ٤٢٨.
(٦) الطبري ٢/ ٢٧.
(٧) مقاتل الطالبيين ٧١.
(٨) الطبري ٢/ ٦٢٦، انساب الاشراف ٥/ ٢١٥.
(٩) الطبري ٢/ ٦١٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٩٣٦.

وعند باب الفيل قرب المسجد كان منزل بدر بن عثمان مولى لآل عثمان بن عفان[١].

وكان الشعبي يقضي في الزاوية التي عند باب الفيل[٢].

أبواب المسجد في العهود الإسلامية المتأخرة

ذكر المجلسي "إعلم أن للمسجد في زماننا هذا بابين متقابلين: احدهما في جانب بيت أمير المؤمنين مما يلي القبلة، والآخر يقابله دبر القبلة، وسائر الأبواب مسدودة. فأما الذي في دبر القبلة فهو يلي الثعبان المشتهر بباب الفيل، والباب الأول من الأبواب المسدودة على يمين المسجد من جهة باب الفيل هو باب الأنماط.

أما باب كندة فهو الباب الآخر، أو قبيل الآخر، من تلك الأبواب المسدودة من ذاك الجنب قريباً من المحراب[٣].

ويذكر كذلك: كان أمير المؤمنين يصلي عند الاسطوانة السابعة من باب الفيل عند الصحن[٤]. وينقل عن المزار الكبير "إذا دخلت المسجد إلى الباب الشمالي من ميمنة المسجد وبعد خمسة أساطين: اثنتان في الظلال وثلاث منها في الصحن. فعند الثالثة مصلى ابراهيم، وهي الخامسة من المسجد»[٥].

ويروي المجلسي أن جعفر الصادق «دخل المسجد من باب الفيل، فتياسر حتى دخل من الباب فصلى عند الاسطوانة الرابعة، وهي بإزاء الخامسة، فقلت أتلك اسطوانة ابراهيم، قال نعم»، وعقب المجلسي على هذا الكلام بقوله «الباب الثاني هو باب كندة.. الباب الثالث أول الأبواب المسدودة»[٦].

(١) الطبقات لابن سعد ٦/٤٢٦.
(٢) الطبقات ٦/١٧٥.
(٣) بحار الأنوار ٢١/٩١.
(٤) المصدر نفسه ٢١/٨٧.
(٥) المصدر نفسه ٢١/٨٩.
(٦) المصدر نفسه ٢١/٨٩.

ولعلَّ من المناسب أن نذكر للصحن في الأزمنة الحديثة خمسة أبواب:

١ ـ الباب الكبير وهو من جهة الشرق.

٢ ـ باب الطوسي من جهة الشمال.

٣ ـ باب القبلة.

٤ ـ باب الفرج وهو من الجانب الغربي.

٥ ـ باب ليس من الأبواب الرئيسة[١].

قامت مديرية الآثار العراقية بدراسة ميدانية لجامع الكوفة القائم حالياً، وتظهر هذه الدراسة أن طول ضلعه القبلي بلغ ومقابله مائة وتسعة أمتار، وأما الجداران الآخران فكل ضلع منهما مائة وستة عشر متراً، ويتصل المسجد من جهته الغربية والشرقية بساحتين محاطتين بغرف وأواوين. ولكل من جدران الجامع الأربعة أبراج خارجية نصف دائرية يبلغ ارتفاعها حوالى عشرين متراً. وعمق الجدار في الأرض حوالى خمسة امتار. والجدران الحالية قائمة على الأسس القديمة، فمساحته لا تختلف عن مساحته منذ زمن زياد، رغم أنه لا تتوافر لدينا معلومات عن تطور أحوال الجامع في العهود التالية.

والمسجد الحالي محاط صحنه من جميع جهاته بعدد من العقود، وخلف كل عقد أبواب تصل إلى غرف، وخلف عقود الضلع الجنوبي رواق طويل. في الوجه القبلي من ساحة المسجد سقف عريض يستند إلى خمسة صفوف من الأعمدة، وفي جهاتها الأخرى سقف محمول على صفين من الأعمدة[٢].

دار الإمارة

يتفق الرواة على أنه بعد أن استقر الرأي على موقع الكوفة وتخطيطها،

(١) ماضي النجف وحاضرها.

(٢) نشرة مديرية الآثار القديمة عن مسجد الكوفة ١٩٤٠. وانظر: خطط الكوفة لكاظم الجنابي ١٤ ـ ١٥.

كانت دار الإمارة والمسجد البنائين الوحيدين اللذين ذكرت المصادر قيام سعد بوضعهما، وأنهما كانا متقاربين، إذ يذكر البلاذري أن سعداً بعد اختيار موقع المسجد ورمي السهام «وضع مسجدها ودار إمارتها في مقام الغالي وما حوله» وأنه ترك مادون أبعاد الأسهم فناء للمسجد ودار الإمارة[١]، أي أنه كانت حول المسجد ودار الإمارة فسحة واسعة من الأرض.

ذكر الطبري معلومات عن موقع دار الامارة من المسجد، فقال: «بنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مائتي ذراع وجعل فيها بيوت الاموال، وهي قصر الكوفة اليوم، بنى ذلك له روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة»[٢].

ويذكر أيضاً: «وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته»[٣].

يتبيَّن من هذه النصوص:

١ ـ أن دار الإمارة منذ البداية مشيدة بآجر نقل من بعض أبنية الحيرة.

٢ ـ أنه جعل فيها بيت المال، الذي لابد أنه كانت فيه خزانات لحفظ النقود والسجلات وربما بعض المواد العينية التي تجبى، غير أنه يصعب الجزم بأنه كان فيها مستودع للحبوب التي توزع أرزاقاً على المقاتلة وعيالاتهم، علماً بأنه لم يرد ذكر لمن قام ببناء دار الرزق التي كانت في السبخة بالرغم من أهميتها منذ بدء تاسيس الكوفة.

يذكر الطبري «ثم أن بيت المال نقب عليه نقباً وأُخذ من المال، وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار»، فكتب إليه عمر: «أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار، واجعل الدار قبلته، فنقل المسجد وأزاغ بنيانه، فقال له دهقان من أهل همذان يقال له

(١) فتوح البلدان ٢٧٥.
(٢) الطبري ١/٢٤٨٩.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٤٩١ ـ ٢٤٩٢.

روزبه بن بزرجمهر أنا أبنيه وأبني لك قصراً فأصلهما ويكون بنياناً واحداً، فخط قصر الكوفة على ما خط عليه، ثم انشأه من نقض أجر كان للأكاسرة في طرف الحيرة على مساحته اليوم، ولم يسمح به، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر يمنة على القبلة، ثم مد به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن ابي طالب؛ والرحبة قبلته، ثم مد به فكانت قبلة المسجد إلى الرحبة وميمنة القصر»[١].

يتضح من هذا النص:

١ ـ لم يتبدل موقع دار الامارة ومساحتها بعد إعادة البناء.

٢ ـ نقل المسجد إلى موقع جديد متصل بدار الإمارة مكوناً معها منشأة موحدة.

٣ ـ دار الإمارة تقع في قبلة المسجد أي غربيه.

٤ ـ يمتد المسجد من بيوت الأموال في دار الإمارة إلى آخر رحبة علي، أي أن حائطه يخرج عن القصر ويشمل الرحبة كلها.

٥ ـ لم يوضح النص طول دار الإمارة ولم يحدد موقع بيوت الأموال منها وإن كان يظهر أن بيوت الأموال كانت في الطرف الغربي من القصر وأنها عند الرحبة، ولا بد أن بابها على الرحبة.

٦ ـ لم تذكر المسافة بين منتهى ضلع بيوت الاموال ومنتهى ضلع دار الإمارة أي هل بقيت دار الإمارة ملاصقة للمسجد في جهته.

يذكر الطبري «وكانت الأسواق تكون في موضعه بين يديه. . وبلغ ذلك عمر وان الناس يسمونه قصر سعد، فدعا محمد مسلمة فسرحه إلى الكوفة وقال إعمد إلى القصر حتى تحرق بابه، ثم ارجع عودك على بدئك فخرج حتى قدم الكوفة فاشترى حطباً ثم أتى به القصر فأحرق الباب. . ودفع كتاب عمر إلى

(١) الطبري ١/ ٢٤٩١.

سعد: بلغني أنك بنيت قصراً اتخذته حصناً... وجعلت بينك وبين الناس باباً، فليس بقصرك... انزل منزلا مما يلي بيوت المال واغلقه، ولا تجعل على القصر باباً تمنع الناس من دخوله وتنفيهم به عن حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت»[1]. ويروي البلاذري: اتخذ سعد بن ابي وقاص باباً مبوباً وخص على قصره خصاً من قصب فبعث عمر محمد بن مسلمة الانصاري حتى أحرق الباب والخص[2].

يتضح من هذا النص.

١ ـ أن البناء كان محصّناً فهو قصر.

٢ ـ أن له باباً محكماً؛ اعترض عمر على إنشائه لأنه يعزل الوالي عن الناس.

٣ ـ لم يأمر عمر بهدم القصر أو هجره، وإنما أمر سعداً أن ينزل في جناح منه مما يلي بيوت الأموال، وأن يترك استعمال باقي مرافقه، أي أن منزله كان مشرفاً على الرحبة في الجهة الغربية منه.

ذكر البلاذري أن زياداً بنى دار الإمارة، ولكنه لم يذكر تفاصيل بناء زياد من حيث هندسته وسعته، ولكن واضح من النصوص أنه لم يوسع رقعتها. ويذكر أيضاً: "وبنى فيها عمرو بن حريث المخزومي بناءً، وكان زياد يستخلفه على الكوفة إذا شخص إلى البصرة، ثم بنى العمال فيها فضيقوا أرحابها وأفنيتها»، ولم تذكر المصادر العمال الذين بنوا فيها، غير أن النص قد يدل على الأبنية في داخلها «أفنيتها» وفي أطرافها أرحابها وأفنيتها[3].

كشفت الحفريات أن دار الإمارة بناء مربع طول كل من أضلاعه مائة وعشرة أمتار، ومعدل سمك الجدار متر وثمانون سنتمتراً، وأن كل ضلع دعّم بأربعة

(١) الطبري ١/٢٤٩٣.
(٢) فتوح البلدان ٢٧٧.
(٣) المصدر نفسه ٢٧٥.

أبراج نصف دائرية، قطر كل منها ثلاثة أمتار، وبين كل برجين ألف وثمانمائة وثلاثون متراً وتنتهي أركانها الأربعة بأبراج مستديرة، وهي مبنية بالآجر والجص.

وفي الطرف الشمالي من دار الإمارة مدخل يفضي إلى غرفة أبعادها ٢٥× ١٧,١٤ في طرفيها أبواب وفي طرفها الشرقي غرفة مستطيلة أيضاً، أما الجدار الغربي يلصقه رواق يطل على ساحة الدار، وهي مربعة، أبعادها ٣٧,١٠ × ٣٧م.

وكشفت الحفريات أيضاً سوراً خارجياً لدار الإمارة، طول كل جدار من جدرانه الأربعة مائة وأربعون متراً ومعدل سمكها أربعة امتار، يدعم كل ضلع من الخارج ستة أبراج نصف دائرية، ما عدا الضلع الشمالي الذي يدعمه برجان فقط. وبين كل برج وآخر ٦,٢٤م، وارتفاعه حوالى عشرين متراً، والسور مبني بالآجر والجص، ضلع الآجرة ٣٨ سم، وأساس السور ثلاثة أمتار من الارض الرحبة[(١)].

ذكرنا من قبل ضلع الجامع المواجه للقبلة على بعض القصر، أما باقيه على رحبة علي، وقد تردد ذكر الرحبة في أخبار بعض الحوادث، ففيها قتل الوليد بن عقبة الذين اعتدوا على ابي شريح الخزاعي.

ويروى أن الخليفة علي قبل نقل جثمانه إلى الغري دفن في الرحبة مما يلي أبواب كندة[(٢)].

ويذكر ياقوت أن "قبة الكوفة"، وهي الرحبة بها، ينسب إليها عمرو بن كثير[(٣)].

---

(١) تفاصيل ما كشفته الحفريات في كتاب «تخطيط الكوفة» لكاظم الجنابي.

(٢) شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٥، ابن سعد ٣ ـ ١/ ٢٥، انساب الاشراف ٢/ ٤٩٧، الطبري ١/ ٢٨٤١.

(٣) معجم البلدان ٤/ ٣٣.

الفصل الخامس

المعالم العمرانية حول الجامع

الدور المطيفة بالجامع

يتبيّن مما ذكرناه عن المعالم العمرانية قرب الجامع ودار الإمارة أنه منذ زمن ولاية سعد بن أبي وقاص، كانت تحيط الصحن عدة دور معظمها اقطاعات من سعد لأصحابها، أي أنها ترجع إلى أقدم أزمنة تأسيس الكوفة، وهذه الدور يمتلك كل منها شخص، ولم يذكر شخص امتلك أكثر من دار في هذه المنطقة، وتظهر هذه الاقطاعات للأشخاص اهتمام سعد بن ابي وقاص بتقدير أصحابها لمكانتهم وخدماتهم بصرف النظر عن انتماءاتهم القبلية، فوجود دار في مكان ما لا يستلزم أن تكون عندها خطط عشيرة صاحبها، مما جعل الرواة يشيرون إليها كعلامات في وصف التحركات في تلك المنطقة، والواقع أنه لم يرد ذكر لاعتداء أو تجاوز على أيٍّ منها حتى في الحوادث العنيفة التي حدثت في الكوفة. واذا كان أصحاب بعض الدور لقي الأذى بسبب مواقفهم السياسية، فإنه لم يرد ذكر لهدم السلطات إلاّ القليل من هذه الدور التي احتفظت بأسماء أصحابها الأولين، بالرغم من احتمال انتقال ملكيتها عن طريق البيع أو الإرث أو المصادرات. وعدد أصحاب هذه الدور محدود وهم لا يمثلون كل عشائر الكوفة وغير موزعين بانتظام على العشائر، ولم تتخذ الدور كلها مساكن لمالكيها، وإنما أصبحت بعضها «أسواقاً» «وخانات» لباعة بعض السلع أو لعمل بعض أصحاب الحرف.

إن ذكر موقع هذه الدور حول الجامع يعني أنها كانت قريبة منه ولا يستلزم أن تكون في وجه المناهج والطرق التي تحيط الصحن، وقد اقتطعت أراضي هذه الدور عند تأسيس الكوفة. ومع أنها مظهر لتقدير مكانة أصحابها، ولعلهم كانوا يسهمون في ضبط الأمن والحماية للجامع، فضلاً عن سعتها وربما تميز بناؤها مما يضفي على منطقة الجامع سمة التناسق والإحكام، غير أن هذه الدور لم تكوّن استدارة تامة حول الجامع، فقد ذكرت بعض المصادر أن الجانب الشرقي من الجامع كان مكشوفاً يمتد فيه النظر إلى الفرات[1]، أي أن الجهات الشرقية كانت خالية من الأبنية، ولعلَّ بعض الجهات الأخرى كانت مفتوحة أيضاً.

ذكر اليعقوبي في كلامه عن خطط الكوفة عدداً من الدور قال إنها كانت عند المسجد، "فكانت عبس إلى جانب المسجد ثم تحوَّل قوم منها إلى أقصى الكوفة، واختط سلمان بن ربيعة الباهلي والمسيّب بن نجبة الفزاري وناس من قيس حيال دار ابن مسعود، واختط عبد الله بن مسعود وطلحة بن عبد الله، وعمرو بن حريث حول المسجد، وأقطع عمر أسامة بن زيد داراً ما بين المسجد إلى دار عمرو بن الحارث بن أبي ضرار، وأقطع أبا موسى الأشعري نصف الآري وكان فضاءً عند المسجد، وأقطع حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين، وأقطع عمرو بن ميمون الأزدي الرحبة التي تعرف برحبة علي بن أبي طالب[2]. حدد اليعقوبي بهذا النص موقع إقطاع عمرو بن ميمون الأزدي في رحبة علي بن أبي طالب، وإقطاع أبي موسى الأشعري وحذيفة بن اليمان وجماعة من عبس في الآري، كما حدد دار أسامة بن زيد عند المسجد ووراءه دار عمرو بن الحارث بن أبي ضرار.

كما وردت في المصادر إشارات إلى بعض هذه الدور والمعالم، فذكر

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٤.
(٢) البلدان ٣١٠.

الجاحظ «كانت دار سلمان بن ربيعة لسعيد بن قيس الهمداني حتى رحل سلمان إلى عمر بن الخطاب، فقال يا أمير المؤمنين: أنا رجل أعرج ولا قوة لي على المشي إلى المسجد، فكتب عمر إلى سعد بن أبي وقاص أن أقطعه أقرب المواضع إلى المسجد، فكلم سعد سعيد بن قيس فقال له يا أبا عبد الرحمن هذا رجل زمن، فتحول عن دارك وأعطيك مثلها، ووفى له سعد بالذي قال»[1]. وقال الشعبي كان يقال لسلمان أبصر من الجازر بمفاصل الجزوز، فكان موضع الحبس اليوم دار عبد الرحمن بن ربيعة والتي بينها وبين دار المختار دار سلمان، وأن الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قدامها هو اليوم في دار المختار[2]. يتبين من هذا النص أن دار عبد الرحمن بن ربيعة أصبحت محبساً وبعدها دار سلمان، ثم دار المختار ثم دار الأشعث بن قيس، ولعل تعبير «ناس من قيس» في نص اليعقوبي صحيحه «الأشعث بن قيس».

يتضح من نص اليعقوبي أن دور سلمان بن ربيعة والمسيب بن نجبة وناس من قيس ودار سعيد بن قيس كانت حيال دار ابن مسعود[3]، ويبدو من إشارة للطبري أن ابراهيم بن الأشتر مرّ بدار عمرو بن حريث ثم بدار سعيد بن قيس ثم بدار أسامة أن هذه الدور متقاربة.

ذكر الطبري أن دار الحارث بن أبي ربيعة التي في التمارين التي اقطعت بعد زهير بن القين من بني عمرو بن شكر، فإذا كانت هذه نفس دار ابن ربيعة التي ذكرها اليعقوبي فهو مخالف لكلام الطبري؛ ولا يعقل أن يكون السجن انشئ بعد اقطاع الدار زهير بن القين، كما انه لا توجد إشارة إلى أن الحبس كان في التمارين الواقعة في الجهات الشرقية من الجامع.

السجن

إن أول إشارة إلى السجن في الكوفة ترجع إلى زمن الامام علي، حيث ذكر

(١) العميان والبرصان للجاحظ ٣٣٢ (طبعة بغداد).
(٢) الطبري ١/ ٣٢٤٥.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٠.

البكري «نافع اسم سجن بالكوفة كان علي بن ابي طالب بناه من قصب فنقبه اللصوص، فبنى سجناً من مدر وحجر وسماه مخيساً»[1]، ويذكر أيضاً «مخيس سجن بناه علي بالكوفة، وكان يقال له قبل ذلك سجن نافع. ولم يكن مستوثق البناء فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبنى مخيساً:

ويدل السياق أن سجن مخيس بُني موضع سجن نافع، وذكر ابن الكلبي أن دار جبير بن نعمان في ظهر المخيس[2].

وردت إشارات أخرى إلى سجن الكوفة، فيذكر الطبري أن عبد الله بن الحر «أقبل في فتيانه حتى دخل الكوفة ليلاً فكسر باب السجن وأخرج امرأته وكل امرأة ورجل كان فيه»[3]، ثم إن مصعب بن الزبير قبض على عبد الله بن الحر وحبس معه عطية بن عمرو.

يذكر الخليل أن «مخيس سجن الحجاج»[4]، مما يدل على أن هذا السجن كان قائماً في زمن الحجاج.

وذكر ابن الكلبي أن أبا جبير بن الحالك بن خليفة: «داره في ظهر المخيس بالكوفة». وذكر اليعقوبي أنه بعد عزل خالد القسري «جعل داره بالكوفة سجناً»[5]، غير أنه لم يذكر موقع السجن الجديد.

يذكر الطبري أن بلال بن أبي بردة كان «قد اتخذ داراً بالكوفة، وإنما استأذن خالداً القسري لينظر داره، فما نزلها إلّا مقيداً، ثم جعلت سجناً إلى اليوم»[6]. ومن الواضح أن المقصود بذلك أن دار خالد التي أصبحت سجناً هي غير المخيس، وسنذكر عند كلامنا عن بيعة خالد ما يدل على أن هذه الدار

(١) معجم ما استعجم ١٢٩٠، لسان العرب ٧/ ٣٧٧.
(٢) الانساب لابن الكلبي/مخطوطة الاسكوريال ٢٥٦/ ٢/ ٢٨٨ طبعة العظمة.
(٣) الطبري ٢/ ١٧٦٧.
(٤) معجم ما استعجم ١١٩٩، لسان العرب ٧/ ٣٧٧.
(٥) الطبري ٢/ ٦٥٨. وانظر عن السجن الذي كان دار بلال: تاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٨٧.
(٦) المصدر نفسه.

كانت في الأطراف الجنوبية الشرقية من المسجد قرب دار الروميين وسكة البريد.

دار المختار وما يقربها

أما دار المختار فإن الطبري ذكر أن مسلم بن عقيل عندما قدم الكوفة نزل دار المختار بن أبي عبيد، وهي تدعى دار مسلم بن المسيب[1]، ويذكر ان الشيعة كانت تختلف إليها[2]. ومسلم بن المسيب الذي سميت الدار به كان عامل يزيد بن عمر بن هبيرة على شيراز سنة ١٢٩، ويذكر الطبري أن «عيسى بن موسى أرسل إلى ورثة المختار بن أبي عبيد، وكانت دار المختار لصيقة بالمسجد ثم أنه عمرها واتخذ بها حماماً»[3]؛ وذكر ابن الكلبي أن العلماء بنت هانئ كان لها دار المختار[4] ولم تذكر المصادر متى آلت إليها.

استقطع الأشعث بن قيس فناءً كان قدامها هو اليوم فيه دار المختار، ولا بد أن هذه هي دار الأشعث التي ذكر ابن سعد أنها في كندة[5]. وبالقرب من دار الأشعث كانت دار قمام بنت الحارث بن هانئ الكندي[6]. ووجود دار ابن الأشعث وقمام، وهما من كندة، قد يؤيد أن هذين الدارين كانتا في كندة.

ذكرنا من قبل قول اليعقوبي أن عبد الله بن مسعود اختط حول المسجد، وأن سلمان بن ربيعة الباهلي والمسيب بن نجبة الفزاري وناس من قيس اختطوا حيال دار ابن مسعود[7]، ولم ترد في المصادر إشارة إلى دار المسيب أو دور العبسيين الذين اختطوا حيال دار ابن مسعود، أما دار ابن مسعود فقد ذكر الاصفهاني أن ابراهيم بن الحسن سأل عن «ابي حمزة وهو شيخ كان يعمل

---

(١) الطبري ٢/٢٣٨، ٥٢٠، ابن أعثم ٣/٣٨.
(٢) الطبري ٢/٢٣٨.
(٣) المصدر نفسه ٣/٣٦٨.
(٤) الانساب لابن الكلبي ١٩٥ (مخطوطة الاسكوريال).
(٥) الطبري ١/٢٣٤٥.
(٦) فتوح البلدان ٢٨٤، معجم البلدان ٢/٥٢٣.
(٧) البلدان ٣١٠.

القلانس على باب دار ابن مسعود بالكوفة»[1] مما يدل على بقاء هذه الدار إلى أوائل العصر العباسي.

ويقرب المسجد عند باب الفيل كانت دار بدر بن عمار التي ذكر اليعقوبي «أقطع عمر أسامة بن زيد داراً ما بين المسجد الجامع إلى دار عمرو بن الحارث بن ضرار»[2] والحارث بن أبي جويرية زوج النبي (ص)[3].

وقد ذكر النجاشي أن «عبد الله بن سليمان الصيرفي مولى كان يسكن دار أسامة»[4]. وذكر ابن سعد أن محمد بن العلاء ينزل بالمطمورة بالكوفة قرب دار أسامة بالحفر[5].

الآري

ذكرنا أن اليعقوبي قال إن عمر أقطع أبا موسى الاشعري نصف الآري وكان فضاءً عند المسجد، وأقطع حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري، وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين[6]. إن الآري الذي بني فيه دار ابي موسى ودار حذيفة بن اليمان ذكر عنه الطبري "كان لعمر أربعة آلاف فرس عُدة لكون إن كان يشتِّيها في قبلة قصر الكوفة وميسرته، ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان الآري»[7]. لم تذكر المصادر دار حذيفة بن اليمان والعبسيين معه. أما دار أبي موسى فإن ابن سعد ذكر: "أبو موسى الأشعري له بها (الكوفة) دار بحضرة المسجد الجامع»[8]، ويتضح من نص اليعقوبي أن عمر هو الذي أقطعه الدار، ولكننا نشك في ذلك، لأن أبا موسى ولي البصرة في أوائل سني تأسيس الكوفة، وظل على ولايته إلى أن عزله عثمان بن عفان، فلا يعقل أن يقطع

(١) مقتل الطالبيين ٣٤٥، وانظر إشارة أبن سعد (٦/ ٧) إلى أنها بحفرة المسجد..
(٢) البلدان ٣١٠.
(٣) الاشتقاق ٤٧٧.
(٤) الرجال للنجاشي ٦٧.
(٥) ابن سعد ٦/ ٢٨٩.
(٦) البلدان ٣١٠.
(٧) الطبري ١/ ٢٥٠٤.
(٨) الطبقات ٧/ ٦٨.

الآري في هذا الزمان المبكر، والراجح أن الآري أقطع في زمن عثمان، وأن أبا موسى حصل على إقطاعه بعد أن عُزل عن البصرة واستقر مقامه في الكوفة.

ذكرت دار أبي موسى في أخبار حصار المختار ابن مطيع، فذكر الطبري أن ابن مطيع كان محصوراً في قصر الامارة، ووضع المختار «أحمر بن شميط مما يلي دار عمارة ودار أبي موسى ثم خرج ابن مطيع نحو درب الروميين حتى أتى دار أبي موسى وخلى القصر[1]، وظل ابن مطيع في دار أبي موسى مدة[2]. إن دار عمارة من دور الكوفة القديمة، وهي قطاع من سعد بن أبي وقاص لعمارة ابن رويبة التميمي[3]، وقد نزله الوليد بن عقبة حين ولي الكوفة بعد سعيد بن العاص»[4].

يتضح من هذه النصوص أن هذه الدور تقع في الأطراف الجنوبية الشرقية من المسجد الجامع.

دار الروميين

إن النصوص التي ذكرناها عن دار أبي موسى تظهر أنه يقع في جهتها دار الروميين، الذي ذكر البلاذري أنها كانت مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيه القمامات والكساحات حتى استقطعها عتبة بن سعيد بن العاص من يزيد بن عبد الملك فأقطعه إياها، فنقل ترابها بمائة وخمسين ألف درهم[5]. وقد ذكرت دار الروميين في أخبار بعض الحوادث، فلما تقدم الحسين إلى العراق "أقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد قبل الباب الذي يلي دار الروميين"[6]، وجاء محمد بن الأشعث ودخل على ابن زياد من دار الروميين[7].

---

(١) الطبري ٢/ ٦٣١، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٨.
(٢) الطبري ٢/ ٦٣٣.
(٣) البلدان ٣١.
(٤) الطبري ١/ ٢٩١٥.
(٥) فتوح البلدان ٢٨١.
(٦) الطبري ٢/ ٢٥٦.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٧.

ولما ثار المختار نزل جانب السوق، وولي حصار القصر إبراهيم بن الأشتر ويزيد بن أنس وأحمر بن شميط، «فكان ابن الأشتر مما يلي المسجد وباب القصر، ويزيد بن أنس مما يلي بني حذيفة (جديلة) وسكة دار الروميين، وأحمر بن شميط مما يلي دار عمارة ودار أبي موسى»[1]، وقد خرج إبن مطيع نحو دار الروميين حتى أتى دار أبي موسى وخلى القصر[2]. ويدل اسمها على أن أهلها أو بعضهم من الروم أو الملكانيين، وإن كنا لا نعرف تفاصيل عنهم.

ذكر الأصفهاني «كانت أم خالد بن عبد الله القسري (عامل هشام على العراق) رومية نصرانية، فبنى لها كنيسة في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضرب لها بالناقوس»[3]، وذكر البلاذري البيعة التي بناها خالد القسري هي اليوم سكة البريد بالكوفة، وكانت أمه نصرانية[4]. ويظهر من مجموع النصوص أنها كانت في منطقة في الجهات الجنوبية الشرقية من الجامع، وكانت فيها خطط بجيلة، وكان قربها الآري الذي أعمر منذ زمن عثمان، وكانت قربه مزبلة أعيد إعمارها في زمن خالد القسري، وبنيت فيه الكنيسة، ولا بد أنها سميت باسم الروميين لجمع من الكوفة من الروم عندها قرب كنيستهم، ولعل الكنيسة بنيت عند دار الروميين؛ ويذكر ياقوت بعد كلامه عن بيعة خالد «وبنى خالد القسري حوله حوانيت بالآجر والجص، ثم صارت سكة البريد»[5]. وذكر البلاذري سوق خالد فقال «وبنى خالد حوانيت أنشأها وجعل سقوفها أزاجاً معقودة بالآجر والجص»[6]، غير أن البلاذري لم يذكر موقع هذا السوق أو مصيره، ويلاحظ أنه في زمن هشام بن عبد الملك، الذي كان فيه خالد القسري والياً على الكوفة، بنى في كل من المدينة والفسطاط وربما في البصرة سوقاً.

(١) الطبري ٢/ ٦٣٠.
(٢) الطبري ٢/ ٦٣٢، أنساب الأشراف، وانظر ابن أعثم ٥/ ٢٦٤.
(٣) الاغاني ١٩/ ٥٩.
(٤) فتوح البلدان ٢٨٦، وانظر معجم البلدان ١/ ٧٦٩.
(٥) معجم البلدان ١/ ٧٩٦.
(٦) فتوح البلدان ٢٨٥.

سكة البريد

ذكرت سكة البريد في أخبار عدد من الحوادث التي جرت في الكوفة، وكل هذه الآخبار تدل على أن سكة البريد كانت في الجهات الشرقية والجنوبية من الكوفة، وأنها تمتد إلى ما يقرب من السبخة، فذكر الطبري أنه عندما أغار شبيب الخارجي على الكوفة خرج إليه الحجاج "في أهل الشام حتى أخذ في سكة البريد، ثم خرج في أعلى السبخة"[1] وذكر أيضاً أن زيد بن علي عندما قدم الكوفة لإعلان ثورته "أنزل وأدخل بيت حران ابن كريمة (مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب وشاكر)"[2].

وسنذكر عند كلامنا عن السبخة أن أرحب وشاكر وسليم كانت خططهم عند السبخة.

دار عمرو بن حريث وما حولها

ذكر اليعقوبي عدداً من الدور التي أقطعها سعد لعدد من العرب وصارت تسمى باسمهم، فقال "وأقطع عمر بن جبير بن مطعم فبنى داراً ثم باعها من موسى بن طلحة، واستقطع سعد بن أبي وقاص لنفسه الدار التي تعرف بدار عمر بن سعد، وأقطع خالد بن عرفطة وخباب بن الارث وعمر بن الحارث بن أبي ضرار، وعمارة بن رويبة التميمي، وأقطع أبا مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري، وأقطع أبا جبيرة الأنصاري وكان على ديوان الجند، وأقطع الزبير بن العوام[3]" وقد ذكرت بعض هذه الدور في أخبار حوادث الكوفة، فذكر الطبري أن حميد بن مسلم قال "خرجت مع ابراهيم بن الأشتر.. حتى مررنا بدار عمرو بن حريث.. فلما مررنا بدار سعيد بن قيس فجزناها إلى دار أسامة، قلنا مر بنا على دار خالد بن عرفطة، ثم امض بنا إلى بجيلة، فلنمر في دورهم حتى

(١) الطبري ٢/٩٥٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/١٧٠٩، مقاتل الطالبيين ١٤١ ـ ١٤٢.
(٣) البلدان ٣١٠.

نخرج إلى دار المختار.. فقال والله لأمرنّ على دار عمرو بن حريث في جانب القصر وسط السوق.. فأخذنا على باب الفيل على دار هبّار.. ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث»[1]. ويتبيَّن من هذا النص أن دار عمرو بن حريث وسط السوق، والطريق بينها وبين دار سعيد بن قيس يمر بدار أسامة، فباب الفيل فدار هبّار ثم ينعطف يميناً إلى دار عمرو بن حريث، وأن الطريق إلى بجيلة يتفرع من دار أسامة إلى دار خالد بن عرفطة فبجيلة. ويذكر الأصفهاني أن زيد بن علي عندما ثار " خرج يقودهم نحو المسجد، فخرج إليه عبيد الله بن العباس الكندي في أهل الشام، فالتقوا على باب عمر بن سعد فانهزم عبيد الله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى دار عمرو بن حريث، وتبعهم زيد عليه السلام حتى انتهوا إلى باب الفيل"[2].

وذكر ابن سعد «نزل عمرو بن حريث الكوفة، وابتنى بها داراً إلى جنب المسجد، وهي كبيرة مشهورة فيها أصحاب الخز اليوم»[3].

عشائر غربي الصحن

ذكر الطبري أن أبا الهياج "أنزل في غربي الصحن بجالة وبجلة على طريق، وجديلة على طريق وجهينة وأخلاط على طريق"[4]؛ ولم تذكر هذه القائمة أسماء عشائر هذه الاخلاط، واقتصرت على الإشارة إلى الأخلاط الذين اختطوا على طريقين مشتركين مع عشائر أخرى ذكرت أسماؤها، إذ إن قلة عدد أفرادها لا يبرر إغفال ذكرها.

إن جهينة وجديلة عشيرتان يتردَّد ذكرهما في الكتب، رغم أنهما لم تذكرا في عشائر أسباع الكوفة، أما بجلة وبجاله فغير مشهورتان باسمهما ولا يتردد ذكرهما في الكتب. وبجلة هم "رهط من ثعلبة بن سليم بن منصور نسبوا إلى

(١) الطبري ٢/ ٦١٥.
(٢) مقاتل الطالبيين ١٣٩.
(٣) الطبقات ٦/ ١٤.
(٤) الطبري ١/ ٢٤٩٠.

بجلة بنت هناء بن مالك بن الازدي، منهم أبو نجيح عمر بن عنبسة بن بجلة وعيسى بن عبد الله السلمي ثم البجلي.. والفضل بن دكين[1]». وذكر ابن دريد أن بجلة "بطن من سليم[2]، وأنه كان في سليم فانتقل إلى غيرهم[3]». وتجدر الاشارة إلى أن عامة بني سليم في العصر الأموي كانت خططهم عند السبخة ثم انتقلوا منها، أي أن سليم اختطت منذ البداية في منطقتين.

أما بجالة فإن ابن دريد ذكر عنها معلومات متناقضة، فذكر في مكان أن بجاله أبو قبيلة عظيمة وأنهم مع تيم وصاح من سليم[4]، وذكر في مكان آخر «بنو بجال بطن من ضبة»[5]، وهذا القول الأخير يؤيده ابن حزم الذي يذكر ان بجالة هي بطن من ضبة. وساق نسبهم كما يلي: ضبة ـ سعد بكر (فيه البيت والعدد) ـ مالك ـ ذهل ـ بجالة وتيم ـ مصعب[6]، غير أن بجالة لم تذكر في الأخبار.

أما ضبة فقد تردد ذكرها وذكر رجالها في أخبار فتوح العراق والكوفة. فهي انضمت إلى الجيوش الإسلامية منذ أوائل زمن خلافة عمر الخطاب عندما أباح للمرتدين السابقين الانضمام إلى هذه الجيوش، واستجاب له عصمة بن عبد الله من بني الحارث الضبي فيمن تبعه من بني ضبة[7]، ويذكر أيضاً «ثم قدم قوم من بني ضبة فجعلهم (المثنى) فرقتين: فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهوبر، وعلى الأخرى المنذر بن حسان»[8]. وذكر الطبري أن ابن الهوبر شارك في معركة البويب وقتل المرزبان[9]. ثم شارك فيما بعد في وقعة نهاوند[10].

---

(١) إلاكمال لابن ماكولا ١/٣٨٦.
(٢) إلاشتقاق لابن دريد ٥١٦.
(٣) المصدر نفسه ١٩٣.
(٤) المصدر نفسه ١٩٣.
(٥) المصدر نفسه ٥١٦.
(٦) الجمهرة لابن دريد ١٢٠٣.
(٧) الطبري ١/٢١٨١.
(٨) المصدر نفسه ١/٢١٨٩.
(٩) المصدر نفسه ١/٢١٩٢ ـ ٢١٩٣.
(١٠) المصدر نفسه ١/٢٦١٩.

أما المنذر بن حسان فقد قتل البيرزان وأخذ سلبه[1]، ثم اختفى ذكره بعد ذلك، وذكر رجل بهذا الاسم في زمن المختار[2]، غير أن طول المدة بين القادسية وحركة المختار يرجح أن الأخير هو غير الأول.

أما عصمة بن عبد الله فهو من بني الحارث بن طريف[3] وعبد بن الحارث[4]، وكان عصمة قد أرسله عمر بن الخطاب إلى المثنى[5] واشترك في وقعة البويب[6] والمعارك التالية[7]. وأبدى بسالة في القادسية ففضل عند العطاء بخمسمائة[8] ثم شارك في فتح أصبهان، وكان من شهود صلحها[9]، وكان ممن فرقت عليه مسالح دستبي.

وممن شارك من بني ضبة في الفتوح الأولى الكلج الضبي الذي كان ممن عقد الجسر للمسلمين في العبور في معركة الجسر[10]، وجعله المثنى على بعض المسالح[11]، وأبدى في القادسية بسالة، ففضل في العطاء بخمسمائة[12]، وكان من أوائل من عبر دجلة لفتح المدائن[13].

شارك بعض رجال ضبة في معركة الجمل مع علي وأبدوا بسالة في القتال[14]، وكان منهم بجير بن دلجة الذي عقر الجمل، والمعر الذي ادعى قتل محمد بن طلحة، ويقال إنه قتل منهم في معركة الجمل سبعمائة وكانوا

(١) الطبري ١/ ٢٢٠؛ جمهرة النسب لابن حزم ٢٠٤.
(٢) الطبري ٢/ ٦٣، وانظر ايضا ٢/ ٣٥٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٩.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٠٩٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٣.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٣، ٢١٩٧.
(٧) المصدر نفسه ١١/ ٢١٨٧، ٢١٩٩، ٢٢٠٢.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٣ ـ ٢٣٤٤.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٠.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢١٧٥.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٣.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٤٣، ١/ ٢٤٤٦.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٤.
(١٤) المصدر نفسه ١/ ٣٢١٥.

يقاتلون بجانب عائشة[١]، ولعلهم كانوا من ضبة البصرة.

وفي زمن الأمويين ذكر منهم شيبان بن حريث، وكان على خيل شبث بن ربعي مع ابن مطيع ضد المختار[٢]، وبكر ابن أبي ثروان وكان مع إبن الأشعث فقتله الحجاج.

ومنهم أيضاً مصقلة بن هلهل وكان مع شبيب، ثم تركه عندما برىء من صالح بن مسرح[٣].

وكان المختار قد قتل المنذر بن حسان وهو أحد رجالهم، فحرضت ضبة مصعب على قتل كل من في القصر من جماعة المختار[٤].

ولم تذكر ضبة إلّا في قائمة عشائر أسباع وقعة صفين، وذكر ابن سعد اثني عشر رجلاً منسوبين إلى ضبة، وذكر أبو نعيم خمسة وعشرين رجلاً من ضبة كانوا مقيمين في اصفهان، ولعله كان لهم عدد ودور في الكوفة في العهود الأولى ثم نقل كثير منهم إلى أصفهان.

ذكر الطبري أن كل قطائع الكوفة الأولى كانت ستين ذراعاً إلّا الذي لبني ضبة[٥]، غير أنه لم يذكر فيما إذا كانت قطائعهم أكبر من هذا المقدار أو أقل.

أما جديلة، فإن كتب النسب ذكرت ثلاثة عشائر متباعدة النسب يسمى كل منهم بهذا الاسم، وهي:

١ ـ جديلة من طي[٦] وأخوتهم أوس بن حارثة بن لام[٧] وهم من طي.. وهم بنو خارجة بن سعد[٨] وكانوا من جيران سوق دومة[٩].

(١) الطبري ١/٣٢٠٨.
(٢) جمهرة النسب لابن حزم ٢٠٣.
(٣) الطبري ٢/٦٢١.
(٤) المصدر نفسه ٢/١١٠٠، ١١٢٥.
(٥) المصدر نفسه ٢/٩٦٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/٧٥٠.
(٧) الاشتقاق لابن دريد ٣٨٠.
(٨) المحبر لابن حبيب ١٤٥.
(٩) جمهرة النسب لابن حزم ٣٩٩.

٢ ـ جديلة بنت أسد بن ربيعة[١]، وذكرها ابن حزم في تفاصيل، وهي كما يلي:

جديــــلة

دعمي

(فيه البيت والعدد)

اقصى

هنب	عبد القيس	جشم	ناشم
(فيه البيت والعدد)	(فيهم شرف وعدد)	(دخل بنوه في عبد القيس)	(دخل بنوه في بني تغلب)[٢]

٣ ـ جديلة بنت مر: ولدت فهماً وعدوان ابني عمرو بن قيس عيلان وعليها ينسون.

لم يصرِّح الطبري[٣] أن أياً من هذه العشائر كانت خططها حول الصحن، فإذا كانت الأخيرة، فإنها قد تكون التي ذكرت في أسباع موقعة الجمل وموقعة الجمل صفين باسم «قيس».

لم يرد ذكر جديلة في أخبار الحوادث في الكوفة، كما أن عددَ من ذُكر من رجالها قليلون، ومنهم عباس بن جعدة الجدلي الذي كان على ربع أهل المدينة في القوات التي خرجت مع عمر بن سعد لقتال الحسين[٤]، ولعله عياش بن جعدة الذي كان على ميسرة ابن ورس الذي كان من رجال المختار الذي أرسله لنجدة ابن الزبير، غير أن عياش قتل في المعركة[٥].

(١) الطبري ١/٢٤٨٨.
(٢) جمهرة النسب ٣٩٩.
(٣) الطبري، ٢/٦٨٩.
(٤) الاشتقاق لابن دريد ٣٨٠.
(٥) المحبر لابن حبيب ١٤٥.

ومن جديلة عبد الله الجدلي الذي كان من مؤيدي المختار[١]، ومنهم أيضاً قيس ابو الموت الذي ذكر ممن قتل البهلول الخارجي[٢]. أما عدوان فقد ذكر وجودها في الكوفة، فعندما دخل عبد الملك بن مروان وعرض الناس مر به رجل من عدوان، وكان في سبعمائة من العطاء، فقال عبد الملك:

عذير الحي من عدوا ... ن كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضاً ... فلم يرعوا على الأرض
ومنهم كانت السادا ... ت والوافون بالقرض[٣]

السوق

أدرك سعد بن أبي وقاص أهمية السوق لأهل الكوفة، فخصص لهم منذ تأسيسها موقعاً خاصاً. يذكر اليعقوبي أنه عند تأسيس الكوفة جعلت السوق من القصر والمسجد إلى دار الوليد والقلائين إلى دور ثقيف وأشجع، وعليها بواري إلى أيام خالد بن عبد الله القسري[٤]. وأشار الطبري إلى قرب السوق من قصر سعد بن أبي وقاص، إذ قال إن سعداً أغلق باب القصر، وكانت الأسواق في موضعه بين يديه، فكانت غوغاؤهم تمنع سعداً الحديث[٥].

كانت السوق ساحة مكشوفة. يذكر الطبري "فكان (صحن المسجد) على حاله زمان عمر كله لا تطمع فيه القبائل، ليس فيه إلا المسجد والقصر والأسواق في غير بنيان ولا أعلام"[٦]، وعندما ثار المختار "نزل في أصحابه في السوق، والسوق إذ ذاك ليست فيها هذا البناء"[٧]. ولم تكن في السوق

(١) انساب الاشراف ٥/ ٢٦٧.
(٢) الطبري ٢/ ١٦٧.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) البلدان ١١٣.
(٥) الطبري ١/ ٢٤٩٢
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٦٥٥.

أماكن مثبتة للبياعات أوالبائعين، ويروي الطبري «قال عمر بن الخطاب الأسواق على سنّة المساجد من سبق إلى مقعد فهو له حتى يفرغ من بيعه»[1]؛ وينسب الكليني هذا القول إلى الخليفة علي ويضيف «وكان لا يأخذ على بيوت السوق كراء»[2].

ويروي أبو عبيد عن الأصبغ بن نباتة «خرجت مع علي (ع) إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال ما هذا فقالوا أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال ليس ذلك لهم سوق المسلمين كمصلى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له حتى يدعه». ويروي أيضاً عن عبيد بن نسطاس «كنا نغدو إلى السوق في زمن المغيرة بن شعبة في خلافة معاوية، فمن قعد في مكان فهو حق به إلى الليل، فلما جاءنا زياد قال: من قعد في مكان فهو أحق به ما دام فيه»[3].

إن وجود ساحة واسعة يبيع فيها الناس بحرية ومن دون أجور لا يمنع حدوث مشاكل بين الناس حول الأماكن التي يشغلها كل منهم، أو الخلاف على البيوعات والمعاملات والأسعار، ولا بد أن الدولة حرصت على علاج مثل هذه المشاكل بتعيين عامل على السوق، غير أن المصادر لم تذكر اسم شخص ولي في الكوفة على السوق كالذين ذُكروا في المدينة في زمن عمر بن الخطاب، أو في البصرة زمن ولاية زياد.

ثم إن سعة المساحة وحرية العرض لا بد أن يرافقه شيء من التنظيم فيجتمع أصحاب كل بياعة متقاربين في جهة من السوق، غير أن تطور الحياة المادية ومتطلباتها زاد من أنواع السلع وكمياتها المعروضة في السوق وازدادت الحاجة إلى إبقائها في مكانها من السوق دون نقلها لعرضها للبيع. . وكانت بعض المبيعات مرتبطة بصناعاتها ويتطلب عرضها إقامة ما يتعلق بصناعتها،

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٠.
(٢) الكافي للكليني ٥/ ١٥٥.
(٣) الأموال ٢٢٧.

وإصلاحها، بذلك لا بد من تطور السوق من مكان البيع، إلى مكان الصناعة والبيع، والى إقامة أبنية ثابتة تؤدي هذا الغرض.

ذكرنا أن سعد بن أبي وقاص حوّل الجامع الأول الذي بناه ليصبح ملاصقاً لقصره في دار الإمارة، والمسافة بينهما مائتا ذراع[١]، وصار مكان الجامع الأول سوق التمارين وسوق أصحاب الصابون[٢]؛ ولم يتردد في المصادر ذكر أصحاب الصابون؛ أما سوق التمارين فقد أشار إليه الطبري[٣]، وذكر الكليني "كان أمير المؤمنين (علي) يقوم على باب المسجد يرمي بسهمه فيقع في موضع التمارين، وكان يقول قد نقص من أساس المسجد مثلما نقص من تربيعه»[٤]. ويقول في مكان آخر إنه نقص من ذرعه سبعمائة ذراع[٥]. ومما يؤيد قرب موقع التمارين من المسجد قول الطبري إن عبيد الله بن زياد عندما وصل الكوفة للقضاء على تحركات مسلم بن عقيل «وصلت النظارة المسجد من قبل التمارين يشتدون ويقولون قد جاء ابن عقيل، فدخل ابن زياد القصر وأغلق بابه»[٦].

يقع التمارين في جهة السبخة، فيذكر الطبري أن حجار بن أبحر ويزيد بن رويم نزلا في ربيعة فيما بين التمارين والسبخة[٧]، وكانت في التمارين دار الحارث بن أبي ربيعة التي أقطعت فيمابعد زهير بن القين من بني يشكر من بجيلة[٨].

ذكر اليعقوبي أنه عند تأسيس الكوفة جعلت السوق بين القصر والمسجد إلى القلائين إلى دور ثقيف وأشجع، وظل إلى أيام خالد بن عبد الله القسري[٩].

(١) الطبري ١/ ٢٤٨٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٢.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٤، ٢٩٠.
(٤) الكافي للكليني ٣/ ٤٩٣.
(٥) المصدر نفسه ٨/ ٢٨١.
(٦) الطبري٢/ ٢٥٤، وانظر ٢/ ٢٥٨.
(٧) الطبري ٢/ ٦٥٢، انساب الأشراف ٥/ ٢٣٢.
(٨) الطبري ٢/ ٢٩.
(٩) البلدان ٣١١.

ولم أجد في المصادر ذكراً للقلائين؛ أما ثقيف فإن سيف يذكر في كلامه على الخطط الأولى للكوفة أن خططها كانت بين خطط بني سليم[(١)].

دور لأهل السوق

جعل عدد من أصحاب القطائع دورهم أسواقاً ذكرتها المصادر. ومن هذه دار لوليد بن عقبة. ذكر خليفة بن خياط أن «الوليد بن عقبة داره حضرة المسجد الجامع»[(٢)]؛ وأن الوليد بن عقبة قد ولي الكوفة فابتنى داراً كبيرة.. وداراً أخرى هي التي ينزلها القصارون[(٣)]؛ ويذكر الطبري «أصوات قصارى دار الوليد بن عقبة تشبه أصوات السيوف»[(٤)]. وبالقرب من الوليد كان السراجون، وفي آخر السراجين كان الرفاؤون؛ ونقل المجلسي عن جعفر الصادق قوله إن الجامع الأول موضع دار ابن حكيم[(٥)]، وهي منسوبة إلى حكيم بن سعيد بن ثور، فيها أصحاب الأنماط[(٦)].

وفي قبلة المسجد الوراقين وباب السكاف (الاسكافيين)[(٧)]؛ وكانت بحذاء باب الوراقين مما يلي قبل المسجد دار عبد الله بن يزيد القسري[(٨)].

وفي وسط السوق عند القصر دار عمرو بن حريث، وفيها أصحاب الخز[(٩)]، وحذاء المسجد الجامع رحبة الحدادين التي عندها نصب المختار رأس شمر بن ذي الجوشن[(١٠)]، ونصب المصعب رأس المختار[(١١)]. ويذكر الكليني في كلامه

(١) الطبري ١/ ٢٤٨٩.
(٢) الطبقات لخليفة بن خياط ١٢٦.
(٣) ابن سعد ٦/ ١٥.
(٤) الطبري ٢/ ٧١٢.
(٥) الكافي للكليني ٥/ ١٦٢.
(٦) الأنساب لابن الكلبي ٣٥٢ طبعة العظمة؛ فتوح البلدان ٢٨١، البلدان لابن الفقيه ١٨٢؛ مقاتل الطالبيين ١٠٠.
(٧) تاريخ بغداد للخطيب ١/ ١٣٧.
(٨) شرح نهج البلاغة ١/ ٣٦٤.
(٩) الطبري ٢/ ٦١٥، انظر طبقات خليفة ١٢٦.
(١٠) الطبري ٢/ ٣٧٦.
(١١) ابن أعثم ٥/ ٣٢٥.

على المساجد الملعونة مسجد سماك «وهو الموضع الذي فيه الحدادون قريبة منه، وذكر انه يسمى مسجد الحوامة»(١).

ذكر اليعقوبي أن خالد القسري «بنى الأسواق، وجعل لكل باعة داراً وطاقة، وجعل غلالها للجند»(٢)، ونقل البلاذري عن أبي مسعود أن خالد بن عبد الله القسري لما ولي الكوفة لهشام بن عبد الملك «بنى حوانيت أنشأها، وجعل سقوفها آزاجاً معقودة بالآجر والجص وجعل غلالها للجند»(٣)؛ ومما يجدر ذكره أن هشام أمر فشيدت له أسواقٌ في البصرة والمدينة والفسطاط.

أسواق لم تحدد مواقعها

ذكرت المصادر عدداً من الأسواق في الكوفة لم تحدد مواقعها، وما ذكرته:

١ ـ سوق المراصع، حيث ابتنى أبو مسعود الأنصاري داراً له فيها(٤)، وكان في هذه السوق أبو بشر المريسي وهو يهودي يعمل صباغاً فيها(٥).

٢ ـ سوق الحراض، وهي سوق بالكوفة يباع فيها الحراض أي الأشنان(٦).

٣ ـ سوق البرم(٧).

٤ ـ سوق يوسف منسوبة إلى يوسف بن عمرو بن محمد بن الحكم الثقفي(٨).

٥ ـ سوق كندة(٩)، ويدل اسمها أنها كانت في كندة.

---

(١) الكافي للكليني ٣/ ٤٩.
(٢) البلدان ٣١١.
(٣) فتوح البلدان ٢٨٥؛ معجم البلدان ١/ ٧٩٦.
(٤) تاريخ بغداد للخطيب ١.
(٥) المصدر نفسه ٧/ ١١.
(٦) معجم البلدان ٢/ ٢٢٩.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٦.
(٨) المصدر نفسه ٣/ ١٩٦.
(٩) البلدان لابن الفقيه ١٨٦.

٦ ـ سوق الغنم[١].

٧ ـ سوق الجزارين وفيها قتل هاني بن مسعود[٢].

٨ ـ شهار سوج كندة، وكان فيه الجند بن ذكوان مولى شريح القاضي[٣]، ودار الحكم بن عتيبة مولى كندة[٤].

٩ ـ شهار سوج خنيس وقد أقام فيه المهلب عندما حاصر المصعب المختار[٥]، وهو في الأصل مما أقطعه سعد بن أبي وقاص هاشم بن عتبة[٦].. ثم صار إلى خنيس بن سعد البجلي فسمي به[٧]. كانت عنده دار خباب بن الأرث[٨]، وهي إقطاع من سعد بن أبي وقاص[٩].

وردت إشارات إلى دكان عبد الحميد بن عبد الرحمن[١٠]، وسوق يوسف بن عمر بن الحكم الثقفي[١١]، ودار البطيخ التي كان أهلها غلاة في كره عثمان[١٢]. وقد ذكرنا من قبل الكناسة التي كانت فيها أسواق الإبل والمنتوجات الصحراوية.

(١) الطبري ٢/ ٢٦٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٧.
(٣) ابن سعد ٦/ ٢٤٢.
(٤) ابن مسعود ٦/ ٢٣١.
(٥) الطبري٢/ ٧٣٤.
(٦) البلدان لليعقوبي ١٠.
(٧) ابن سعد ٦/ ٣٤.
(٨) المصدر نفسه ٦/ ٨.
(٩) البلدان لليعقوبي ٣١٠.
(١٠) فتوح البلدان ٢٨١.
(١١) معجم البلدان ٣/ ١٩٦.
(١٢) تاريخ بغداد للخطيب ١/ ٤٧.

الفصل السادس

عدد السكان والخطط الأولى

عدد المقاتلة في ديوان العطاء

تأسست الكوفة لإقامة المقاتلة العرب من أهل العطاء المسجلين في الديوان، وقد تنامى عدد أهل الكوفة بسبب تتابع الهجرات ممن أدخل بعضهم في العطاء وبقي بعضهم من دونه ولم يسجل في الديوان. وبجانب هذا حدثت هجرات متتالية منها إلى أماكن أخرى، وكان هذا من أسباب تباين الأرقام التي ذكرتها المصادر عن عدد السكان، بالاضافة إلى احتمال أخطاء الرواة والناسخين في ضبط عددهم.

عدد المقاتلة عند تأسيس الكوفة

ذكرت المصادر أرقاماً متباينة عن عدد أول النازلين في الكوفة عند تأسيسها، وهي تتراوح بين المئة ألف والعشرة الآف. فقد روى سيف بن عمر أن الكوفة اختطت على مائة ألف مقاتل[1]، وأن المسلمين عندما كانوا في فتح المدائن أصابوا مائة ألف فلاح فحسبوا فأصاب كل منهم فلاحاً[2]، أي أن عددهم كان مائة ألف، ولما شكى أهل الكوفة ولاتهم حاول عمر بن الخطاب أن يرضيهم، وقال «أي نائب أعظم من مائة الف لا يرضون عن أمير»[3]. وروى الطبري عن

(١) الطبري ١/ ٢٦٧٩.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٢٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٧٩.

عطية بن الحارث قوله «أدركت مائة ألف عريف»[١]. ومن المعلوم أن العرافة منذ زمن زياد كانت من ألف رجل، فيكون أهل الكوفة مائة ألف في الديوان. وقيل لزيد بن علي عندما أراد الثورة في الكوفة إن بها مائة ألف مقاتل[٢].

ويروي الطبري أن سيف بن عمر زعم أن الفيء الذي أصيب في المدائن قسم على أهلها وكانوا سبعين ألفاً[٣]. وتذكر روايات أخرى أرقاماً لعدد أهل الكوفة أقل من ذلك بكثير، فيذكر اليعقوبي أن الكوفة كان ينزلها عشرة الآف مقاتل[٤]، ويروي الشعبي "كنا نعد أهل اليمن اثني عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية الآف»[٥]، أي أن مجموع عدد أهل الكوفة عند تأسيسها عشرون ألفاً؛ ولم يشر الشعبي إلى الأعاجم والحمراء ومن ليس في العطاء في الكوفة.

ويروي الطبري «كتب عمر بن الخطاب إلى سعد أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم، فخط على أربعين ألف انسان، فلما قدم زياد زاد في عشرين ألف إنسان[٦]».

ويروى عن أبي مخنف أنه في زمن خلافة عمر بن الخطاب أنه كان بالكوفة آنذاك أربعون ألف مقاتل، وأنه كان يؤخذ كل سنة ربعهم إلى الثغور التي فيها عشرة آلاف مقاتل[٧]. ويدل سياق كلامه أن هذا الرقم كان للمقاتلة في زمن عثمان.

وعندما سار الخليفة علي بن أبي طالب إلى صفين «كان في الكوفة أربعون ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء وممن أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم»[٨]. وعندما تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية قال له المسيب بن نجبة

(١) الطبري ٢/ ١٦٢٧.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٥٠.
(٣) البلدان ٣١١.
(٤) فتوح البلدان ٢٧٥، معجم البلدان ٤/ ٣٢٤.
(٥) الطبري ١/ ٢٦٧٩.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٤.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٠٨٥.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧٢، وانظر ١/ ٣١٧٤، وقعة صفين ٣٢، مروج الذهب ١/ ٢٤٥.

بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل[1]. ولا بد أنه اعتبر هذا الرقم للمسجلين في الديوان، ولم يدخل من كان قد لجأ من أهل الكوفة إلى معاوية أو كان فيها ولم يؤيد الحسن.

ويذكر القحذمي أنه في زمن زياد وجد مقاتلة الكوفة ستين ألفاً وعيالاتهم ثمانين ألفاً[2]، وفي زمن الحجاج كان من مقاتلة الكوفة أربعون ألفاً سوى الشباب، فوافى عتاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة، فكانوا خمسين ألفاً[3]. ولا ريب أنه قصد في هذه الأرقام المسجلين في الديوان. وروى البلاذري عن الشعبي قوله «كنا، يعني أهل اليمن، اثني عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية الآف، ألا ترى إنّا أكثر أهل الكوفة، وخرج سهمنا بالناحية الشرقية»[4]. ويتبيّن من هذا النص أن العرب في الكوفة كانوا عشرين ألفاً. ولم يحدد الشعبي الزمن الذي كان فيه عدد العرب عشرين ألفاً، وإن كان السياق يقضي بأن ذلك كان في أول تأسيسها في زمن سعد بن أبي وقاص، وهذا العدد حتى لو افترضنا أنه للرجال المقاتلة، فهو أقل مما ذكرته المصادر الأخرى، وحتى لو أن المقاتلة يشملون كافة الرجال العرب، فإنه لا يشمل الأولاد والنساء والعبيد.

أشار الشعبي أيضاً إلى أحوال أهل الكوفة في أوائل سني تأسيسها، فيروي الهيثم بن عدي عن مجالد عن ابن عياش أن الشعبي قال «وإنما مصرت الكوفة على مذحج وهمدان، وكان الناس دخلاً فيهم». قال الهيثم «فقلت لابن عياش فأخبرني عن شأن هذه القبائل من العرب، فقال قد ترحّل هولاء في زمن عثمان، فاختط الناس، والمنازل يومئذ بين الدارين موضع خمسة أذرع، إلّا أن القبيلة بأسرها يكونون في موضع واحد. فقلت لابن عياش فما بال دور هذه المضرية أوسع من دور أصحابنا، فقال ما راح لسوء الاخلاق، فقال كان

(١) أنساب الاشراف ٢ ـ ٢ ٤٤.
(٢) فتوح البلدان ٣٤٩، وانظر: الوزراء للجهشياري ٨٩.
(٣) الطبري ٢/٩٤٨، فضل الكوفة ٢٩١، معجم البلدان ٣/ ٢٣٢٤.
(٤) فتوح البلدان ٢٧٥.

الرجل من أهل اليمن يختط الخطة فيقدم عليه ابن عمه فيضيق على نفسه ويوسع له ولا يدعه يختط في موضع آخر. فقلت ما بال مساجدهم كثيرة ومساجد أصحابنا، والحي من أحيائنا منهم خمسة أحياء، مسجد واحد. قال كان والله مسجد الأشعث بن قيس لكندة كلها، ومسجد جرير لبجلة كلها، ومسجد بني سنبس لطي كلها، وانما كثرت مساجد الآخرين لضيق الاخلاق»[١].

يتبيّن من الشطر الأول من هذه النصوص أن الشعبي يدّعي أن أصل تمصير الكوفة قام على مذحج وهمدان، فاقتصر بذلك على اليمن، وأغفل مضر بمن فيهم تميم وأسد وأهل الحجاز، كما أغفل ربيعة بمن فيها بكر وتغلب وعبد القيس، علماً بأنه يذكر في نصوص أخرى أن مضر كونت خمس سكان الكوفة عند تأسيسها. ثم إن كلام ابن عياش عن المساجد لا تؤيده معلومات تروى عن إبن الكلبي سمّى فيها مساجد كثيرة لعشائر أهل اليمن وبخاصة كندة.

يروي البلاذري عن الشعبي "كانت حطمة زياد، فقال للعرب إن عشائركم قد وردت علينا فاختاروا أن نأخذ نصف أعطياتكم وأرزاقكم فنقويهم بهما بعمالهم (كذا) أو تكفينا كل عشيرة من فيها، فمنهم من ضم عشيرته ومنهم من طابت نفسه بنصف عطائه ورزقه وأرزاق عياله[٢].

وهذالنص يتعلّق بالكوفة، لأنه مروي عن الشعبي، وهو يظهر أن الهجرة ظلت مستمرة إلى زمن زياد، وأن أحوال السكان لم تكن قد استقرت حتى ذلك الوقت.

نقل ياقوت عن علي بن الحسن بن اسماعيل بن صبيح البزاز «قال: سمعتُ بشر بن عبد الوهاب القرشي مولى أمية وكان صاحب فضل وخير، وكان ينزل دمشق، ذكر أنه قدر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلث ميل، وذكر أن فيها خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن، أخبرني بذلك سنة أربع وستين ومائتين»[٣]. وقد

(١) فضل الكوفة ٢٩١.
(٢) أنساب الاشراف ٢٠٦/١٤.
(٣) معجم البلدان ٣/ ٣٢٤.

أورد محمد بن عبد الله العلوي هذا النص، ولكنه ذكر «أربعة عشر ألف دار لسائر العرب، وستة وثلاثين ألف دار لليمن»[1]. وهذا النص هو الذي رواه ابن عساكر الذي يذكر أيضاً «أن بشر بن مروان بن عبد الوهاب توفي في رجب سنة ٢٥٤ هـ»[2]. والراجح أن رواية المصدرين الأخيرين أصح من رواية ياقوت التي تبدو عدم دقتها من تعبير (ستة آلاف). يتبين من هذا النص أن الكوفة فيها ٥٠+١٤+٣٦ = ١٠٠ ألف دار للعرب، وهذا الرقم يذكرنا بنص للطبري جاء فيه «أدركت في الكوفة مائة عريف». ولما كانت العرافة تتكون من ألف رجل فمعنى هذا أن الكوفة يسكنها مائة ألف رجل من العرب. ويمكن التوفيق بين نص الطبري وما سبقه بالقول إنه كان لكل رجل دار، وإنه كان في الكوفة مائة ألف دار لكل رجل دار. وسواء كانت المائة ألف لرجال أهل الكوفة أو لدورهم، فإن هذا الرقم يمثل عدد الأسر، وليس الأفراد من أهل الكوفة. ومن المعلوم أن الاسرة الإسلامية التي تعيش في دار واحدة لم تكن كبيرة، لأن الولد يصبح ذا كيان مستقل بعد بلوغه، ويتخذ له عادة داراً خاصة بعد زواجه، فالأسرة تقوم على الرجل وزوجته وأولاده دون سن البلوغ في الغالب.

إن النص الذي رواه الطبري يعبِّر عن عدد السكان في أواسط العصر الأموي، أما نص بشر بن مروان بن عبد الوهاب فلم يذكر الزمن الذي كان فيه عدد أهل الكوفة كما ذكره. ومن المؤكد أنهم لم يكونوا كذلك في سنة ٢٦٤هـ، حيث كانت الكوفة في حالة من التدهور. فالراجح أن الأرقام التي ذكرها تمثل أحوال الكوفة في عهد ازدهارها في العصر الأموي، أي الفترة القريبة من التي ذكرها.

وتجدر الاشارة إلى أن المقاتلة مسجلون في الديوان،فعددهم معروف بالتقريب، ولا يدخل في ذلك عدد من العرب غير المسجلين في الديوان، وعدد أكبر من الأعاجم وأهل السوق يصعب تقدير عددهم، الذي لم يكن قليلاً شأن الأمصار العربية الأخرى.

---

(١) فضل الكوفة ٢٨٦ب.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٤٤.

الخطط الأولى وتوسعها

ذكر الطبري بعد أن عدّد العشائر التي اختطت حول المسجد «فكان هؤلاء الذين يلون الصحن، وسائر الناس بين ذلك ومن وراء ذلك، واقتسمت على السهمان، فهذه مناهجها العظمى، وبنوا مناهج دونها تحاذي هذه ثم تلاقيها، وأخر تتبعها، وهي دونها في الذرع، والمحال من ورائها وفيما بينها، وجعل هذه الطرقات من وراء الصحن ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس».

«وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتى يوافوا إليها، فلما ردفتهم الروادف البدء والثناء وكثروا عليهم ضيّق الناس المحال، فمن كانت رادفته كثيرة شخص إليهم وترك محلته، ومن كان رادفته قليلة أنزلهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم وإلّا وسّعوا على روادفهم وضيقوا على أنفسهم، فكان الصحن على حاله زمان عمر كله، ولا تطمح إليه القبائل، ليس فيه إلّا المسجد والقصر والأسواق، في غير بنيان ولا أعلام»[(١)].

إن هذا النص يخالف ما رواه البلاذري، حيث يذكر أن سعد بن أبي وقاص بعد أن حدد مسجدها ودار إمارتها وما حولهما «أسهم لنزار وأهل اليمن سهمين، على أنه من خرج بسهمه أولاً فله الجانب الأيسر وهو خيرهما، فخرج سهم أهل اليمن فصارت خططهم في الجانب الشرقي، وصارت خطط نزار في الجانب الغربي من وراء تلك العلامات وترك ما دونها فناء للمسجد ودار الإمارة»[(٢)].

وضع سيف لأهل اليمن خطة واحدة لهمدان في ودعة الجامع وخطة لكل من النخع وكندة والأزد في قبليّه، أي غربيّه. ولم يذكر لهم خطة في الجهة الشرقية التي ذكر الشعبي أن خطط أهل اليمن كانت فيها، ثم إن هذه العشائر اليمانية الأربع هي بعض وليس كل العشائر اليمانية المذكورة في أسباع الكوفة، وهي لاتتفق مع قول الشعبي إن أهل اليمن كانوا إثني عشر ألفاً وكانت نزار

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٠ ـ ٢٤٩١.

(٢) فتوح البلدان ٢٧٥، معجم البلدان ٤/ ١٢٣.

ثمانية آلاف، وقد تكون الأرقام التي ذكرها الشعبي غير دقيقة، ولكنها تعبر عن كثرة اهل اليمن، وقد يؤيد ذلك كثرة من شارك منهم في القادسية ومعارك فتوح العراق، والمعلومات المتوافرة عن خطط الكوفة بعد تأسيسها.

فرّق سيف بن عمر خطط عشائر الحجاز. فذكر أن سليم وثقيف كانتا في الودعة (الشمال)، وجهينة في الغرب، والأنصار في الشرق، كما أنه وضع خطتين لبني أسد إحداهما في القبلة والثانية في المشرق، كم وضع لبجيلة خطتين إحداهما في الودعة (الشمال) والثانية في الغرب. ولم يذكر من خطط بكر غير خطة تيم اللات وموقعها في الودعة (الشمال) علماً بأن بكر ديارها حول الكوفة، وكذلك تميم ديارهم قريبة من الكوفة. وكان عبء قتال (الأيام) قبل القادسية على بني شيبان بالدرجة الأولى، فلا يعقل ألا تكون لهم خطة في وضع مفضل، وكذلك عجل؛ وتفرَّدت تيم اللات من عشائر بكر بخطة. ولم يذكر سيف خطط كثير من العشائر المكونة للأسباع التي تم تنظيمها في الكوفةفي زمن عمر، وظلت تذكر إلى أن أعيد تنظيم الكوفة إلى أرباع. ولم تذكر قائمة سيف من العشائر اليمانية مذحج وخثعم وحضرموت وحمير ومهرة وعك، والأشعريين، التي ذكرت في الأسباع. كما أنها لم تذكر خططاً لعدد من العشائر الحجازية المذكورة في الأسباع، وهي قريش وكنانة وخزاعة وهوازن وغطفان، كما لم تذكر خططاً للرباب وغسان.

ذكر سيف بن عمر أن الخطط التي عددها هي (للذين يلون الصحن)، فهي لبعض وليس لكل المقاتلة من أهل الكوفة، وقصَّر كلامه على خطط بعض العشائر، ولم يذكر سوى الاقطاعات التي أعطيت لأفراد شيَّدوا عليها دوراً كانت لبعضها شهرة وذكرت في أخبار الكوفة وأحداثها.

أشار سيف ضمناً إلى أن ما في نصه لا يشمل كافة خطط الكوفة، فذكر خطط ومنازل (سائر الناس بين ذلك، ووراء ذلك) أي أن هذه الخطط لم تستوعب عشائرها، وإنما كان بينها ووراءها خطط (لسائر الناس) دون أن يحدِّد هويتهم أو انتماءاتهم القبلية.

منازل أهل الأيام

أشار سيف في نصه الذي أوردناه إلى خطط أهل الأيام دون أن يفصل فيها، فذكر أن نمو الكوفة لم يقتصر على المناهج الخمسة التي ذكر ما عليها من خطط، وإنما حدث توسيع وراءها، فقد «بنوا مناهج تحاذي هذه ثم تلاقيها، وأخرى تتبعها وهي دونها في الذرع، والمحال من ورائها فيما بينها». ويبدو من سياق الكلام أن هذه المناهج الجديدة لم تكن ضمن التخطيط الأول، وإنما حدثت تالية، بناها الناس، ولعلهم جعلوها منسجمة مع المناهج الخمسة عشر الأولى، غير أنها أضيق في العرض، وإن لم يحدِّد ذرعها. وقوله «إنها تحاذيها» قد يدل على أنها متوازية عليها وليست متعامدة عليها، فهي لا تكون حزاماً خارجياً للخطط الأولى، ومما قد يؤيد هذا أن المصادر لم تذكر في خطط الكوفة (باطنة) و(ظاهرة) كالذي كان في البصرة[1].

وذكر أن هذه المناهج التالية (المحال) من ورائها وفيما بينها، ويلاحظ أنه لم يستعمل لها تعبير الخطط وإنما استعمل تعبير المحال الذي يستعمل لمن سكن المناهج الأولى، إنما استعمل في هذه (الناس) مما يدل على أن المناطق الخارجية سكنتها مجموعات العشائر وليس أشتات من الأفراد، وبذلك احتفظت خطط الكوفة بسمتها القبلية.

حدَّد سيف من سكن في هذه المناطق، حيث قال «ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس»، ولا ريب في أن (أهل الأيام والقوادس) هم الذين قاتلوا الفرس في اوائل الفتوح وقبل أن تتوضح انتصارات العرب وقد خصوا بمقدار أكبر من العطاء، ويصعب أن نجد مبرراً لوضع خططهم في أماكن نائية عن مركز المدينة في الجامع ودار الإمارة.

منازل أهل الثغور

ذكر سيف أنه في تخطيط الكوفة «حمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتى

(١) انظر كتابنا: «خطط البصرة ومنطقتها».

يوافوا إليها» والثغور هي القواعد العسكرية في أطراف الدولة التي تقيم فيها المقاتلة لصد أي هجوم يقوم به الأعداء على الدولة، أو للتقدم منها، وكانت ثغور الكوفة في زمن عمر بن الخطاب حلوان وماسبذان والموصل وقرقيسيا[١]، وكانت تقيم في كل منها حاميات دفاعية «ونهاهم في ما وراء ذلك» ولم يأذن لهم في الانسياح[٢].

لم تذكر المصادر مقدار القوة التي أقر عمر وضعها في الثغور عندما ثبتها، ومن المحتمل أنها كانت كمغازي الري وأذربيجان فيما بعد، حيث كان في الثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، ستة آلاف بأذربيجان، وأربعة آلاف بالري، وكان بالكوفة آنذاك أربعون ألف مقاتل، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف في كل سنة، فيصيب الرجل كل أربع سنوات غزوة.[٣] وكتب عمر إلى أهل الثغور «أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة ويرفعوا عنهم الجزية ففعلوا». فكان مقام المقاتلة في الثغور مؤقتاً، ومع أن عددهم كبير وواجباتهم ليست خفيفة، إلّا أن إقامتهم في الثغور كانت مؤقتة يعودون بعدها إلى الكوفة، وربما ظل بعضهم يقيم في الثغور ولم يعد إلى الكوفة، وعدد مثل هؤلاء قليل. الراجح أنهم كانوا من عدة عشائر، فليس من الغريب أن يحظوا بالعناية، وأن تثبت لهم قطائع يسكنون فيها بين عشائرها دون أن تفرد لهم قطائع متميزة.

الروادف والتبدلات التالية

ذكر سيف في النص الذي أوردناه «فلما دفتهم الروادف البدء والثناء وكثروا عليهم ضيّق الناس المحال، فمن كان رادفته كثيرة شخص إليهم وترك محلته، ومن كان رادفته قليلة أنزلهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جيرانهم، وإلّا وسعوا روادفهم على أنفسهم، فكان الصحن على حاله زمان

(١) الطبري ١/٢٤٩٨.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٤٩٨.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٨٠٥.

عمر كله ولا تطمح اليه القبائل، ليس فيه إلّا المسجد والقصر والأسواق في غير بنيان ولا أعلام». ويتبين من هذا النص:

١ ـ أن الروادف دفت (أي جاءت تالية من تلقاء نفسها ومن دون الزام أو خطة منظمة، وكان مجيئها بدفعات متعاقبة، ذكر منها في زمن عمر بن الخطاب دفعتان «البدء والثناء».

٢ ـ جاؤوا من عشائر مختلفة لم تذكر المصادر أسماءها، وكانوا متباينين في أعدادهم، فهم كثيرون من بعض العشائر، وقليلون من بعضها.

٣ ـ تَطلّب مجيء الروداف تعديلاً في خطط الكوفة، فسكن أفراد بعض الروادف مع عشائرهم فزاد ازدحام سكان خططهم وتباين العطاء، إذ كان عطاء الروادف أقل من عطاء الآخرين.

٤ ـ اتخذت بعض الروادف خططاً جديدة بها، والأرجح في الأطراف، فأصبح لبعض العشائر خطتان متباعدتان وتشتت العشيرة.

لا ريب في أن هذه الروادف جاءت لتنظم المقاتلة وتستقر مع عيالاتها في الكوفة، ولعل مكانة أفرادها كانت متباينة من قبل أن يهاجروا من الجزيرة، وأن مجيئهم عمّق النزاعات القبلية؛ وربما كان منهم عدد من الصناع والكسبة جاؤوا للحصول على الرزق.

أعد عمر للروادف تنظيمات، فيروي الطبري «وقد كانوا أعدوا مناخاً لكل رادف، فكان كل من يجيء سواء فيه ـ وذلك المناخ اليوم دور بني البكاء ـ حتى يأتوا أبا الهياج فيقوم في أمرهم حتى يقطع لهم حيث أحبوا»[١].

ذكر اليعقوبي تحوُّل بعض عشائر الكوفة عن خططها الأولى وامتلاك بعضها أكثر من خطة، فقال «فكانت عبس إلى جانب المسجد ثم تحوَّل قوم منهم إلى أقصى الكوفة. واختط سلمان بن ربيعة الباهلي والمسيب بن نجبة الفزاري

(١) الطبري ١/٢٤٩١.

وناس من قيس حيال دار ابن مسعود، وأقطع حذيقة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين. وتفرقت همدان في الكوفة. وأقطع جرير بن عبد الله البجلي وسائر بجيلة قطعة واسعة كبيرة»، وانتقلت أحمس مع جرير بن عبد الله إلى الجبانة، ثم يذكر «وقد تغيرت الخطط وصارت تعرف بقوم اشتروا بعد ذلك وبنوا»[١].

لم تقدم المصادر معلومات شاملة عن التطورات التي حدثت في عدد سكان عشائر الكوفة وخططها إبان خلافة عمر وعثمان، وإنما قدمت معلومات أوسع عن زمن خلافة علي حيث غادر الكوفة عدد من معاديه، وذكرت المصادر بعضهم، ولم تشر إلى عدد من غادرها مؤقتاً أو بصورة دائمة، وسنفرد لهم فصلاً خاصاً.

ذكر الطبري حدوث تغييرات كبيرة في سكان الكوفة في زمن معاوية، فقال «فلم تزل سجاح في بني تغلب حتى نقلهم معاوية عام الجماعة في زمانه، وكان معاوية حين أجمع عليه أهل العراق بعد علي (ع) يُخرج من الكوفة المستغرب في أمر علي، ويُنزل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشأم وأهل البصرة وأهل الجزيرة، وهم الذين يقال لهم النواقل من الأمصار، فأخرج من الكوفة قعقاع بن عمرو بن مالك إلى إيلياء بفلسطين، فطلب إليه أن ينزل منازل بني أبيه بني عقفان وينقلهم إلى بني تميم، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة وأنزلهم منازل القعقاع وبني أبيه، وجاءت معهم (سجاح) وحسن أسلامها»[٢].

ويلاحظ أن تغلب ازدادت أهميتها في الكوفة في أوائل زمن الأمويين، ولعلّ هذا الازدياد راجع إلى من نقل منهم إلى الكوفة، غير أن البلاذري يروي عن ابن الكلبي أن سجاح أسلمت وهاجرت إلى البصرة وحسن إسلامها. ويروي عبد الأعلى بن حماد أنها توفيت بالبصرة[٣]. «كانت قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص حتى مصّرها معاوية وجنّدها بمن قدم من الكوفة والبصرة في ذلك

(١) البلدان لليعقوبي ٣١٠.
(٢) الطبري ١/ ١٩٢٠.
(٣) فتوح البلدان ٩٩.

الزمان، وأخذ لهم نصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب، فضمها إليهم»[1]. إن هذا يبين:

١ ـ «أن معاوية نقل سجاح ورهطها عام الجماعة». وواضح من الفقرات الأخيرة من النص أن معاوية نقل بني عقفان، وهم رهط سجاح، ومن يربوع،[2] وأنه نقلهم إلى الكوفة وأنزلهم منازل القعقاع وبني أبيه بني عقفان، أي انه لم يبدل في هذا النقل التنظيم القبلي وإنما وضع بني عقفان من مؤيدي سجاح مكان القعقاع الذي نقله إلى ايلياء بفلسطين.

٢ ـ أن النقل تم عام الجماعة، أي في سنة أربعين التي قدم فيها معاوية إلى الكوفة وبايعه الناس، وبهذا لا يشمل من تم نقلهم بعد ذلك.

٣ ـ أن النقل تم على أساس العقائد، إذ إنه أخرج من الكوفة المستغرب في أمر علي، وبالنظر للانقسامات الواسعة في المواقف السياسية لكل قبيلة أو عشيرة، فإن المنقولين هم أفراد عرفوا بتمسكهم بتأييد علي، ولابد أن توزيعهم على القبائل لم يكن منتظماً، فهم كثيرون في بعضها وقليلون في أخرى. وعلى هذا فمن المحتمل أن النقل لم يقتصر على أفراد متفرقين وإنما امتد إلى مجموعات عشائرية.

٤ ـ لما كان النقل قد تمّ في عام الجماعة، فإنه راعى الأوضاع القائمة في الكوفة عند مقتل علي، وهي أوضاع تختلف عما آلت إليه الأحوال فيما بعد، ويلاحظ أن قبول علي التحكيم سبّب في أهل الكوفة انشقاقاً زاد عمقه مقتل عدد كبير من الخوارج في النهروان، وكلهم تقريباً من أهل الكوفة، وقوّى فئة مناوئة لعلي إما لتأييدها الخوارج أو لعطفها على من قتل منهم. ويبدو أن هذا الانشقاق امتد إلى عدد كبير من أهل الكوفة، فتقاعسوا عن الاستجابة لدعوته بالنهوض لقتال معاوية، مما حداه إلى أن يخطب مقرّعاً لهم على هذا التقاعس وأثره.

---

(١) الطبري ١/٢٦٧٣ وانظر ١/١٨٦٦.

(٢) الطبري ١/١٩١١.

٥ ـ لا توجد معلومات شاملة عن مؤيدي أو معارضي علي في آخر حياته، غير أن ذكر بعض المصادر اطراءه مساجد بعض القبائل واعتبارها مباركة، وذم مساجد أخرى واعتبارها ملعونة قد يلقي ضوءاً على مواقف القبائل، فقد ذكر الكليني عن ابي جعفر خمسة مساجد مباركة هي مسجد غني، ومسجد بني ظفر وهو مسجد السهلة، ومسجد بالحمراء، ومسجد جعفي[(١)]. وذكر ابن الفقيه هذه المساجد ما عدا مسجد الحمراء، وقال «يقال إن أمير المؤمنين قالها»[(٢)]. وذكر الكليني أن مسجد غني أهله ملعونون وهو مسلوب منهم؛ وذكر عن جعفر الصادق «أن أمير المؤمنين (ع) نهى بالكوفة عن الصلاة في خمسة مساجد: مسجد بني قيس (كندة) ومسجد جرير بن عبد الله البجلي (بجيلة) ومسجد سماك بن حزمة (أسد) ومسجد شبث بن ربعي (رياح) ومسجد التيم». غير أن رواية ابي نصر ذكرت أن المساجد الملعونة هي مسجد التيم ومسجد بني عبد الله بن درام ومسجد غني ومسجد سماك ومسجد ثقيف ومسجد الأشعث[(٣)]. وتتفق الروايتان على أن المساجد الملعونة مسجد الأشعث ومسجد سماك، غير أن نصر لم يذكر مسجد جرير البجلي ومسجد شبث بن ربعي ومسجد التيم، ولكنه ذكر بدلها مسجد بني السيد ومسجد بني عبد الله بن درام، ومسجد ثقيف، ولا نعلم سبب الاختلاف، كما أنه ليس لدينا ما يحملنا على ترجيح إحدى الروايات على الأخرى.

ونقل المجلسي روايتي الكليني[(٤)]، وذكر عن أبي جعفر «جددت أربعة مساجد بالكوفة فرحاً لقتل الحسين (ع): مسجد الأشعث ومسجد جرير، ومسجد سماك ومسجد شبث بن ربعي»[(٥)].

إن بعض هذه المساجد منسوبة إلى عشائر، وبعضها منسوب إلى أفراد،

---

(١) الكافي للكليني ٣/٤٨٩ ـ ٤٩٠.
(٢) البلدان، لابن الفقيه ١٧٤؛ وانظر: بحار الأنوار للمجلسي ٣/٢١.
(٣) الكافي للكليني ٣/٤٩٠.
(٤) بحار الأنوار ٢٠/١٠٢.
(٥) الكافي للكليني ٣/٤٩٠؛ بحار الأنوار ٤٥/١٨٩.

ويمكن القول بأن المساجد المنسوبة إلى الأفراد هي لعشائر من نسبت إليه، وإن تكن العشائر التي كانت شديدة التأييد له هي غنى وأعصر والحمراء وجعفى، والمفروض أن ينقل معاوية هذه العشائر أو أكثر رجالها. غير أن المصادر لم تشر إلى ذلك وإنما ذكرت مجموعات قبلية نقلت من الكوفة في زمن خلافة معاوية، ومما ذكرته:

١ ـ الحمراء: فقد ذكر البلاذري أن زياد «سيّر بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية فهم بها يدعون الفرس، وسيّر منهم قوما إلى البصرة فدخلوا في الأساورة الذين بها»[١]. واستعمال كلمة «سيّر» تدل على أنهم أجبروا على النقل، كما أن النص يدل على أن بعضهم فقط سيّر، غير أن رواية البلاذري تظهر أن التسيير تم في زمن ولاية زياد، أي بعد عام الجماعة وإن لم يحدد النص بدقة سنة التسيير.

٢ ـ نقل زياد عدداً من مقاتلة البصرة والكوفة إلى خراسان وأوطنهم فيها، ووردت عنه روايتان، فيقول البلاذري إن زياداً نقل خمسين ألفاً من مقاتلة أهل البصرة والكوفة مع عيالاتهم إلى خراسان[٢]. ولم يحدد عدد من كان منهم من أهل الكوفة. أما المدائني فينقل هذا الخبر، ولكنه يقول إن نصفهم كان من أهل الكوفة[٣]. غير أننا نشك في رواية المدائني، لأن العرب في خراسان في زمن ولاية قتيبة (٩٦هـ) كانوا يبلغون خمسين ألفاً، منهم عشرة الآف من أهل الكوفة وكانوا وحدة قائمة بذاتها، أما الباقون فكانوا مقسمين أخماساً كتقسيم القبائل في البصرة، ولا توجد إشارة إلى أن أهل الكوفة عادوا إلى الكوفة في أي زمن بين ولاية زياد وولاية قتيبة، غير أن المصادر لم تسمّ العشائر الكوفية في خراسان ولا ذكرت الأسس التي تم بموجبها اختيار المنقولين، علماً بأنه لا يوجد دليل على وجود تعصب أو ميل علوي عند المقاتلة العرب في خراسان في هذا الزمن المتقدم.

(١) فتوح البلدان ٢٨٠.
(٢) المصدر نفسه ١٠٩.
(٣) الطبري ٢/٥٨١.

٣ ـ ذكر البلاذري أن علي بن أبي طالب ولّى الأشعث أذربيجان «فأنزل أرديبل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب، ومصّرها وبنى مسجدها، إلّا أنه وسع بعد ذلك.. لما نزلت (العرب) أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين والشام، وغلب كل قوم على ما أمكنهم، وابتاع بعضهم من العجم الأرضين، وألجئت إليهم القرى للخفارة فصار أهلها مزارعين لهم»[١].

امتلاك المزارع في العراق

ذكرت كتب الفقه والتاريخ رجالاً من العرب امتلكوا مزارع حول الكوفة، فذكر أبو عبيد عن موسى بن طلحة أن عثمان أقطع خمسة من أصحاب رسول الله (ص) الزبير وابن مسعود والأشعث وخباب بن الأرث[٢]؛ وذكر أبو يوسف أن عبد الله بن مسعود أقطع النهرين، وخباب بن الأرت صعبنا، وسعد قرية هرمز[٣]. وذكر البلاذري امتلاك هؤلاء الثلاثة، وأضاف إليهم امتلاك عمّار إستينيا، وطلحة النشاستج، والأشعث بن قيس ظيرناباد، وخالد بن عرفطة حمام أعين، وعدي بن حاتم الروحاء، ووائل بن حجر زرارة[٤].

وممن ذكر امتلاكه أراض في أطراف الكوفة والعراق عبيد الله بن عمر، وكانت له كويفة ابن عمر[٥]، ومروان بن الحكم له نهر مروان[٦]، وعمر بن سعد حمام عمر، وحكمة بن حذيفة بن بدر له سوق حكمة[٧]، وصلابة بن ملك العبدي له قرية ابي صلابة على الفرات[٨]، وكانت الغاضرية لبني أسد[٩]. ولقفا

(١) فتوح البلدان ٣٢٩.
(٢) الأموال لابن سلام ٢٧٨.
(٣) الخراج لأبي يوسف ١٢٦، وانظر عن صعبنا: معجم البلدان ٣/ ٢٤٤.
(٤) فتوح البلدان ١٧٢؛ وانظر عن امتلاك عمار، معجم البلدان ٣/ ٧١، وطلحة، الطبري ١/ ١٨٥٥.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٨٨، معجم البلدان ٤/ ٢٣١.
(٦) الطبري ١/ ٨٥٥.
(٧) معجم البلدان ٣/ ١٩٤.
(٨) فتوح البلدان ٢٨١.
(٩) المصدر نفسه ٢٧٨؛ معجم البلدان ٣/ ٣٨.

من خطرنيه للمختار[١]، وديلمايا لقدامة بن عجلان الأزدي[٢]، ولهند بنت أسماء قرية بالسواد ولهمدان أموال بالسواد[٣] أخذها عبد الله بن الحر[٤]، وكانت هيت لبنى مدلج بن عمرو السلمي[٥]، وكانت المطامير لبني الحارث بن كعب. ولعل عدداً غيرهم امتلك أراضي ولم تذكرهم المصادر. ولابد أن عدداً من أسر هؤلاء الملاكين وأتباعهم كانوا يقيمون مؤقتاً أو بصورة دائمة في هذه الممتلكات، وقد ذكر في جبل نفر من تيم الله[٦]، وكانت في الفلوجة قرية لبني جعدة[٧].

الحاميات في العراق

أدى انهيار الجيش الساساني بعد معركة نهاوند الفاصلة إلى زوال الدولة الساسانية، ويسّر للعرب الانسياح في الهضبة الايرانية ومتابعة فتح أقاليمها ومدنها، التي أظهر بعضها مقاومة محلية متفرقة استطاع العرب التغلب عليها جميعاً وضمت تلك الأقاليم إلى الدولة الإسلامية. وساعد حسن معاملة العرب لأهل البلاد المفتوحة وتسامحهم واجتنابهم التعسف والقسر على قبول أهل تلك البلاد الحكم العربي، فلم تذكر ثورات خطرة ضد العرب أو مقاومة عنيدة، خلاف ما جرى في أقاليم طبرستان والديلم الجبلية الوعرة والنائية نسبياً حيث تأخر ضمها إلى الدولة الإسلامية، إلا أن هذا الاستقرار الذي تجلّت ظواهره في أوائل الفتوح لم يحجب الحاجة إلى اتخاذ التدابير العسكرية لحماية الحدود وتثبيت الأمن والاستقرار وقمع الحركات المحتمل قيامها للعبث بالأمن وتهديد النظام. وقد ألقي على مقاتلة أهل الكوفة واجب حماية الأقاليم التي فتحوها.

(١) الطبري ٢/ ٥٧٠.
(٢) أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٤.
(٣) الأغاني ١٣/ ١٠.
(٤) الطبري ٢/ ٧٩٦.
(٥) فتوح البلدان ١٨٥.
(٦) الطبري ٢/ ١٩٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٠٩٥.

وهي أواسط العراق وشماليه بما في ذلك الموصل وأذربيجان، والأطراف الشمالية الغربية من الهضبة الايرانية، ويدخل في ذلك إقليم الجبال، وأطراف الديلم، والري وأصفهان.

اتخذ العرب بعد انتصارهم في جلولاء إجراءات لحماية حدود دولتهم الجديدة من خطر الساسانين، الذين كانوا لا يزالون مهيمنين على الهضبة الايرانية يهددون منها سيطرة الدولة الإسلامية في العراق، فأقاموا مراكز أمامية لحماية حدودهم عندما فتحوا العراق. يروي سيف بن عمر «فتوح المدائن السواد وحلوان وماسبذان وقرقيسيا، فكانت ثغور الكوفة أربعة: جلولاء عليها القعقاع بن عمرو، وماسبذان عليها ضرار بن الخطاب الفهري، وقرقيسيا عليها عمر بن مالك أو عمرو بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، والموصل عليها عبد الله بن المعتم، فكانوا بذلك والناس مقيمون بالمدائن»[(١)].

ولما اختطت الكوفة «حمى للثغور والموصل أماكن حتى يوافوا عليها»[(٢)]. والراجح أن هؤلاء كانوا من مختلف عشائر أهل الكوفة، وأن تخصيص خطط لهم معناه أن العشيرة الواحدة في الكوفة أصبحت لها أكثر من خطة.

وصف أبو محنف تنظيم العلاقة بين أهل الكوفة مع من يرسل منهم إلى الثغور في أوائل خلافة عثمان، فقال «كانت مغازي أهل الكوفة الري وأذربيجان، وكان بالثغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة، وستة آلاف باذربيجان وأربعة الاف بالري، وكان بالكوفة إذ ذاك أربعون ألف مقاتل، وكان يغزو هذين الثغرين منهم عشرة آلاف كل سنة، فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنوات غزوة»[(٣)].

كان العراق الاقليم الذي توزّعت في عدد من مراكزه حاميات من مقاتلة أهل الكوفة لتأمين النظام، وخاصة في العصر الأموي الذي كثرت فيه

---

(١) الطبري ١/ ٢٢٨٧.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٩١.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٨٠٥.

الاضطرابات التي أثارها المعارضون للحكم الأموي. وكان تثبيت الأمن وحفظ النظام في الاقليم الذي فتحه مقاتلو الكوفة من أول واجباتهم، التي لها أهمية خاصة في العراق: وهذا العمل دائمي لا يقتصر على مدة محدودة، كما أنه لا ينحصر في مكان واحد معين، إنما يمتد إلى عدة أماكن تبعاً لتطور الأحوال والظروف،وكل هذا يتطلب إرسال المقاتلة إلى المناطق الحساسة لتأمين النظام فيها.

بدأ توزيع المقاتلة من أهل الكوفة منذ أول تأسيسها حيث بقي منهم في المدائن، التي كان سعد قد اتخذ مقره بها قبل الانتقال إلى الكوفة، رجال من أشراف أهل المصر (الكوفة) وبيوتات الناس، وفيها مقاتلة لا تسعها عدة لكون أن كان بأرض جوخى(شرق دجلة) والأنبار[1]. وكان الناس بها في سنة ٧٦ «ألف فارس أخذ منهم عدي بن عميرة خمسمائة لقتال الخوارج»[2]. ومن مسالح أهل الكوفة الراذان في الأطراف الشمالية والشرقية من بغداد، وكانت مسرحاً لحركات الخوارج وبعض المتمردين على الدولة.

ويبدو أن هذه المسالح كانت ثابتة، وأنه كان يسمح لرجالها بزيارة الكوفة. فيروي ابن سعد «كان مكتب إبراهيم (النخعي) براذان، وكان على تلك الناحية حوشب بن يزيد الشيباني، فاستأذنه الجند إلى عيالهم، فأذن لهم وقال من غاب أكثر من الأجل ضربته عن كل يوم سوطين»[3].

وكانت في الأنبار زمن خلافة علي مسلحة من خمسمائة رجل عليهم أشرس بن حسان البكري[4]. ولعلّ مثل هذه المسلحة كانت دائمة، غير أن الأخبار لم تشر إليها..

---

(١) الطبري ٢/ ٩٨٠.
(٢) الاغاني ٢/ ٨٩٩.
(٣) ابن سعد ٦/ ١٩٥.
(٤) الطبري ١/ ٣٤٤٥.

وفي السنين الأولى من تقدم القوات العربية لمطاردة الجيوش الساسانية، كان لابد من وضع قوات أمامية لمراقبة القوات الساسانية ومنعها من القيام بهجوم مباغت على المسلمين، فلما فتح المسلمون المدائن أرسلوا قوات إلى كسكر بقيادة النعمان بن مقرن، وقواه في تكريت. وعندما تقدموا لمقاتلة الفرس في نهاوند «ساروا من مرج القلعة نحو نهاوند حتى إذا انتهوا إلى قلعة فيها قوم خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحنيفة فنسبت إليه وافتتحها بعد فتح نهاوند، ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي، أقاموا مع النسير على القلعة، فلما تجمعوا في نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعاً لأن بعضهم قوّى بعضاً، ثم وصفوا ما استقروا فيما بين مرج القلعة وبين نهاوند قبل ذلك بصفاتها»[١].

وبعد انتصار العرب في معركة نهاوند الحاسمة، فرّق سعد بن أبي وقاص دستبي بين نفر من أهل الكوفة بين عصمة بن عبد الله الضبي ومهلهل بن زيد الطائي وسماك بن عبيد العبسي، وسماك بين مخرمة الأسدي، وسماك بن خرشة الانصاري، وكان هؤلاء من ولي مسالح دستبي التي تقاتل الديلم[٢].

ونزل حلوان قوم من ولد جرير بن عبد الله[٣]. ولعلّ قرى أخرى لم تذكرها المصادر نزلتها العرب، فيذكر الدينوري أن الخليفة علي بن ابي طالب بعد عودته من صفين دعا المقاتلة فلم يستجب له عدد كبير، فأمر منادياً في الناس لا يتخلف أحد، وأمر معقل بن قيس أن يسير في الرساتيق فلا يدع أحداً من جنوده فيها إلّا وحشره، فلم يعد معقل بن قيس إلّا بعدما قتل علي[٤].

وكل هذا يظهر أن عدداً من المقاتلة في العطاء لم تكن إقامتهم دائمة في الكوفة إبان السلم.

(١) الطبري ١/٢٦٤٨.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٦٤٩.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٤٩٧.
(٤) الاخبار الطوال للدينوري ٢٢٦.

عدد رجال الحملات

ذكرت المصادر عدد رجال الحملات التي تُنفذ، وهي تختلف تبعاً لقوة العدو، فقد أغزى الخليفة علي بن أبي طالب الربيع بن خيثم الديلم مع أربعة آلاف، ولما تقدم أحد الخوارج للإغارة على العراق بعد النهروان سرذح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف. وأعطاهم خمسين خمسين[1]. وفي سنة ٧٣ وجّه عبد الملك بن مروان عبيد الله بن معمر لقتال أبي مديك فقدم الكوفة، فندب أهلها، فانتدب عشرة آلاف، فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم فأعطوها[2]. ولما هدد الخوارج الكوفة "انتخب الحجاج إثني عشر الفاً"[3]. ولما ثار ابن الأشعث أخذ الحجاج في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة[4].

وقد وردت إشارات إلى أن بعض الحاميات كانت تأخذ عطاءها من مركز الحاميه. يروي البلاذري أن كعب بن عبده شغب على سعيد بن العاص والي الكوفة في زمن عثمان «فكتب عثمان إلى سعيد أن يضرب كعب بن عبده عشرين سوطاً، ويحوّل ديوانه إلى الري ففعل»[5]. وكان مكتب الحجاج بن جارية الخثعمي بالري[6].

وكان فضيل بن خديج «مكتبه بكرمان، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة، فلما مر بهم ابن الأشعث انجفلوا عنه»[7].

إن التسجيل في الديوان يثبت الانتساب إلى المدينة، وفي هذا يقول

(١) الطبري ١/ ٣٤٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٥٢.
(٣) أنساب الاشراف ٣١٩ (طبعة أهلورت).
(٤) الطبري ٣/ ١٠٦.
(٥) أنساب الاشراف ٥/ ٤٢.
(٦) الطبري ٢/ ١٠٠٠.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٠٦٢.

السرخسي «إن كان رجل من أهل الكوفة ديوانه مع أهل البصرة، فهو مع أهل ديوانه، وليس مع أهل بلده»[1].

وكان يقوم بتدقيق سجلات الدواوين ومطابقتها عرّاض، فلما أتى الحجاج المهلّب بن أبي صفرة بعد مقاتلة أهل الكوفة لقتال الخوارج «ركب العرّاض حين عرفوا.. وعرفوهم، ولحق كل رجل بثغره ومركزه، وكان شريك بن عمرو اليشكري، وهو من أهل البصرة، به فتق، فعرضه على الوالي بشر بن مروان، فأمر العرّاض أن يوقعوا على اسمه زمناً، وأعطوه عطاءه، غير أن الحجاج لم يقر ذلك وضرب عنقه»[2].

وكان تخلُّف المقاتل عن العرض يسبب حذفه من الديوان، فيذكر البلاذري. أن شبيب الخارجي «كان اسمه سقط من الديوان لكثرة غيبته وتخلفه عن الاعتراض على العراض، فحلق على اسمه»[3]؛ ولما ثار ابن الاشعث جهز الحجاج جيشاً، وأعطى الناس أعطياتهم كملاً.. أخذهم بالخيول والسلاح الكامل، وأخذ في عرض الناس، ولا يرى رجلاً تذكر منه شجاعة إلّا أخذ في معركته[4].

النواقل من مقاتلة الكوفة

اقتضت التنظيمات العسكرية نقل أعداد من مقاتلة الكوفة إلى أماكن أخرى للإقامة الدائمة في تلك الأماكن التي يطلق عليها «الأمصار».

وكانت أذربيجان من أول الأقاليم التي نقل إليها مقاتلة من أهل الكوفة، وقد بدأ ذلك من زمن خلافة عثمان بن عفان، حين أسكن سعيد بن قيس الهمداني في أذربيجان ناساً من العرب من أهل العطاء والديوان وأمرهم بدعوة

(١) السرخسي: الجامع الكبير ١١٥.
(٢) أنساب الاشراف ٢٧٥ ـ ٢٧٦ (طبعة أهلورت).
(٣) المصدر نفسه ٧/ ٨٩ (مخطوطة استامبول).
(٤) الطبري ٢/ ١٠٤٢.

الناس إلى الإسلام(١). ولما ولي علي بن ابي طالب الخلافة ولّى الأشعث بن قيس أذربيجان، فلما قدمها وجد أكثر أهلها قد أسلموا وقرأوا القرآن، فأنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب، ومصّرها وبنى مسجدها، ثم أن العرب لما نزلت أذربيجان نزعت إليها عشائرها من المصرين والشام، وغلب كل قوم على ما يليهم(٢).

وذكر البلاذري أن كندة كانت ممن نزل أذربيجان زمن الأشعث(٣)، غير أن أغلب من نزلها رجال من اليمانية نقلوا إليها لأول مرة من البصرة في زمن ولاية يزيد بن حاتم الباهلي عليها في خلافة أبي جعفر(٤).

وفي زمن خلافة عثمان بن عفان قاد سعيد بن العاص حملة على الديلم ومصّر قزوين، فكانت ثغر أهل الكوفة وفيها بنيانهم(٥).

ولما قدم علي بن أبي طالب الكوفة كره فريق من أهل الكوفة مقاتلة معاوية، فوجههم إلى الديلم لمقاتلتهم، وكان معظمهم من أصحاب الربيع بن خيثم(٦)، وكانوا بين أربعة آلاف وخمسة آلاف(٧). وأرسل الخليفة علي بن أبي طالب إلى الديلم باهلة(٨)، وكانت تقيم في الري مقاتلة من العرب قوامها أربعة آلاف رجل(٩) ولها ديوان خاص(١٠)، والراجح أن معظمهم نقلوا من الكوفة.

وفي زمن خلافة معاوية نقل زياد من العرب خمسين ألف مقاتل إلى خراسان وأوطنهم فيها، وكان العرب قبل ذلك ينفذون إليها حملاتهم في الصيف من

---

(١) فتوح البلدان ٣٢٦.
(٢) المصدر نفسه ٣٢٧.
(٣) المصدر نفسه ٣٢٩.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٢.
(٥) فتوح البلدان ٢٩٥.
(٦) المصدر نفسه ٣٢١.
(٧) وقعة صفين ٣٣، فتوح البلدان ٣٢١.
(٨) وقعة صفين ٣١٥.
(٩) الطبري ٢/ ٩٩٦.
(١٠) أنساب الاشراف ٥/ ٢٤١.

البصرة، ثم يعيدونها في الخريف بعد أن يخلفوا فيها أربعة آلاف للعقبة.[1] ويذكر الطبري أن زياداً أنفذ إلى خراسان خمسين ألفاً: خمسة وعشرون ألفاً من أهل البصرة وخمسة وعشرون ألفاً من أهل الكوفة، وعلى أهل البصرة الربيع بن زياد الحارثي وعلى أهل الكوفة عبد الله بن عقيل[2]. غير أن الأخبار المتأخرة تظهر أن أهل الكوفة كانوا في خراسان وحدة مستقلة لاتزيد على سدس العرب؛ ففي آخر ولاية قتيبة بن مسلم (سنة ٩٦) كان في خراسان تسعة آلاف من أهل العالية وسبعة آلاف من بكر وعشرة آلاف من تميم وأربعة آلاف من عبد القيس وعشرة آلاف من الأزد وسبعة آلاف من أهل الكوفة بالإضافة إلى سبعة آلاف من الموالي[3].

ونقل معاوية إلى الثغر (شمال بلاد الشام) جماعة من الفرس وأهل بعلبك وحمص ومن المصرين[4]. كان نقل هؤلاء المقاتلة إلى الأمصار الجديدة دائماً، ولابد أنه أنقص في الكوفة عدد المقاتلة وعيالاتهم معهم، وكان لهذا النقل آثار حضارية وفكرية يخرج بحثها عن نطاق دراستنا الحالية.

نواقل الكوفة في الجزيرة الفراتية

فتح العرب الجزيرة الفراتية في زمن خلافة عمر بن الخطاب بجيوش أنفذوها من بلاد الشام، فأصبحت مرتبطة ببلاد الشام طيلة مدة خلافة الراشدين، وكان سكانها منذ أقدم الأزمنة من العرب؛ ويبدو أن طي كانت من أكثر قبائلها قبل الإسلام، إذ تطلق المصادر السريانية قبل الإسلام تعبير الطياية على كافة أهل البوادي فيها، وانتقل هذا التعبير إلى الساسانين والصينيين فكانوا يسمون العرب «تازي» وهو تحريف من كلمة طائي. غير أنه لا يوجد ذكر للطائيين في الجزيرة الفراتية عند ظهور الإسلام، ولا نعلم متى انحسروا عنها أو أسباب هذا الانحسار.

---

(١) الطبري ١/٢٩٠٦.
(٢) المصدر نفسه ٢/٨١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٢٩٠، فتوح البلدان ٤٢٠، وانظر تفاصيل في مقالتنا: «استيطان العرب خراسان».
(٤) فتوح البلدان / ١٧١.

تتوافر معلومات وافية عن الجزيرة الفراتية تظهر أنها كانت تقيم فيها عشائر من قيس، بما في ذلك سليم وغنى اللتان ذكرتا في المنازعات التي نشبت بعد وفاة يزيد بن معاوية، ولابد أن كثيراً من هؤلاء القيسيين جاؤوا من شبه جزيرة العرب أو من بلاد الشام، وكان تنسيق هذه الهجرات أساس ما صار يطلقه البلدانيون على ديار مضر وديار ربيعة وديار بكر في هذه المنطقة، ولعل كثيراً منهم نقلوا على أثر هذه الحروب.

قام أهل الكوفة بدور رئيس في فتوح المناطق الشمالية من شرق الجزيرة الفراتية، ففي سنة ٢١ أنفذ سراقة لفتح الباب، ثم ولي عبد الرحمن بن ربيعة قيادة الجيش في جبهة أرمينيا[١]، فلما ولي سعيد بن العاص الكوفة أقر عبد الرحمن بن ربيعة على فرج إرمينية، واستعمل حذيفة بن اليمان على الغزو بأهل الكوفة، فلما توفي عبد الرحمن ولي أخوه سلمان مكانه، فغزا الباب ويلنجر بقوات من أهل الكوفة عددهم بين ستة آلاف وعشرة آلاف، وحصلوا على معاونة محدودة ومؤقتة من أهل الشام. وبقيت الفتوح من مسؤولية أهل الكوفة وحدهم[٢]. وغزا سلمان البيلقان وبردعة وزوان والشابران وفيلان، غير أن الجيش تعرض فيها لنكسة فأصيب القائد وقتل من جيشه، فيما يقول اليعقوبي، ثمانية آلاف؛ ولعلّ في هذا الرقم مبالغة، ولكنه لم يوقف جهود المسلمين في فتوحها التي تتابعت بقيادة حذيفة بن اليمان[٣].

يقول البلاذري: ثم لما ولي معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان (رض) أمر أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ويأذن لهم في اعتمال الارضين التي لا حق فيها لأحد. فأنزل بني تميم الرابية وأنزل المديب أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم، وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر، ورتب ربيعة في ديارهم على ذلك، وألزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء، ثم جعلهم مع عماله[٤].

---

(١) الطبري ١/٢٦٦٩.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٨٠٦.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٦٦٥، ٢/١٤٥.
(٤) فتوح البلدان ١٧٧.

كانت ديار تميم وأسد في الأصل شمال نجد وعلى أطراف الطريق بين الحجاز والكوفة، ثم شارك كثير منهم في فتوح العراق ونزلوا الكوفة، وكل هذه مناطق لم تدخل في ولاية معاوية عندما كان يلي الشام. وهذا يشكك الادعاء بأن معاوية أوطن رجال هاتين العشيرتين إبان ولايته الشام في زمن خلافة عثمان. أما قيس فهي عمارة كبيرة ينضوي فيها عدد من العشائر من أبرزها سليم التي أسهمت في فتوح الشام والعراق.

لا ريب في أن الجزيرة الفراتية كانت قريبة من ديار تغلب عند ظهور الإسلام، ولعلها هي المقصودة بربيعة في هذا النص، إذ لا تورد المصادر أختها بكر في هذه الديار، ولعل المتوطنين في الجزيرة هم ممن كانت منازلهم عندها ولذلك فإن معاوية رتب ربيعة ولم ينقلها.

يقول الطبري «وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتا بكل من كان ترك هجرته من أهل البلدين، وكانت الباب وأذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة ـ نقل ذلك إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمان علي وإلى من رميت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام علي»(١).

وذكر كذلك «كان معاوية هو الذي جند قنسرين من العراقيين أيام علي، وإنما كانت قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص حتى مصَّرها معاوية وجندها بمن ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان، وأخذ لهم معاوية نصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والموصل والباب وضمها إليهم(٢)». ويذكر البلاذري «وذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين فجندها عبد الملك بن مروان، أي أقرها وصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها. وكان يزيد بن معاوية قد جعل قنسرين وانطاكية ومنبج جنداً واحداً»(٣).

وفي المصادر إشارات متفرقة غير مستوعبة إلى من هاجر من الكوفة إلى

---

(١) الطبري ١/ ٢٦٧٣.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٧٣.

(٣) فتوح البلدان ١٣١.

الجزيرة وخاصة في زمن علي، حيث انتقل عدد من العثمانيين الذين لم يؤيدوا الخليفة علي، فممن ذكرتهم المصادر بنو الأرقم وهم من كندة فأسكنهم معاوية الرها وأقطعهم بها(١). وانتقل ناس من قسر مع جرير البجلي(٢). وانتقل سبعمائة من بني أسد لحقوا سماك بن مخرمة، وثلاثة وعشرون من تميم لحقوا حنظلة الكاتب(٣) وعدي بن عمير الكندي(٤).

أما الموصل، فكانت في زمن الراشدين من ثغور الكوفة(٥)، ويروي ابن حجر ان عثمان بن عفان مصّر الموصل وأسكنها أربعة آلاف مقاتل(٦). وكان أكثر ناقلة الموصل من الأزد، والبصرة من ربيعة في زمن عبد الملك، غير أن المصادر ذكرت ممن سكنها لهم صلة بالكوفة. فذكر الأزدي أن بني ملك من همدان سكنوا تلفخاري وهم من الكوفة(٧)؛ وذكر ممن سكن الموصل شريح الخولاني والغمر بن أيوب الهمداني(٨) وعلي بن مقسم الحميري وطرخان بن يزيد الرحبي(٩). وكل هؤلاء ينتمون إلى عشائر الكوفة ولعلهم من الأولين الذين نزلوها.

مهاجرة الكوفة في الهضبة الايرانية

ذكرت المصادر استيطان العرب في عدد من المدن والأماكن التي لم يضعوا فيها حاميات من المقاتلة، والراجح أن هؤلاء العرب أو كثيراً منهم لم يكونوا من المقاتلة المسجلين في الديوان، وإنما هم أناس «مدنيون» انتقلوا إلى هذه

(١) جمهرة النسب لابن حزم ٤٠٠.
(٢) أنساب الاشراف ٢/٢٧٧ تاريخ البخاري ٢ ـ ١/ ٣٤ وقعة صفين /١٧.
(٣) وقعة صفين ١٦٣، وانظر فتوح البلدان ٢٨٤، معجم البلدان ٤/ ٥٢٩.
(٤) وقعة صفين ١٠٩.
(٥) فتوح البلدان ٢٠٥.
(٦) الاصابة ٢/ ٣٧١.
(٧) تاريخ الموصل للأزدي ٢٠٥.
(٨) الاشتقاق ٣٢٨.
(٩) تاريخ الموصل للأزدي ١٤٦-١٤٧.

المدن لأغراض تجارية أو علمية واستقروا فيها. ولم تنص المصادر على انتقال هؤلاء العرب من الكوفة، غير أن صلة المدن التي انتقلوا إليها بالكوفة والعشائر التي ينتمون اليها تدل على أنهم، أو اكثرهم، جاؤوا من الكوفة.

ذكر اليعقوبي في كتاب البلدان أن كلاً من السيروان والصيمرة وحلوان والدينور إضافة إلى الري وقزوين، «كان أهلها أخلاط من العرب والعجم»؛ ويذكر ابن حزم أن أنس بن سعد العشيرة لهم بالري عدد[1]، ولما كانت هذه المدن من الأقاليم المرتبطة بالكوفة، فالراجح أن هؤلاء العرب أو أكثرهم، انتقلوا إليها من الكوفة. وأبرز مدن الهضبة الايرانية التي استوطنها العرب هي اصبهان، وجرجان، وقم، وتتوافر عن هذه المدن الثلاث معلومات أوفى بفضل المؤلفات التي وصلتنا عنها.

فأما أصبهان، فإن كتابيْ أبي حيان وأبي نعيم عن تاريخها ذكرا أعداداً كبيرة ممن استوطن أصبهان من العرب وأشارا إلى العشائر التي ينتسبون إليها، ولا ريب في أن أغلب من ذكروهم هم من المعنيين بالعلم، وخاصة العلوم الدينية، ولكن يصح أن نعتبرهم أنموذجاً لمستوطنيها. وفي القائمة رجال منسوبون إلى عشائر لم تذكر إقامتها في الكوفة، وعشائر كانت لها خطط في البصرة والكوفة، وعشائر لم تذكر المصادر إقامتها في غير الكوفة. ويظهر أن أصول أغلبية العرب في أصبهان هي من أهل الكوفة.

ذكر اليعقوبي أن أصبهان بها قوم من العرب انتقلوا إليها من الكوفة والبصرة من ثقيف وتميم وضبة وخزاعة وحنيفة وعبد القيس[2]. وذكر أبو نعيم في كتابه «أخبار أصبهان» عدداً من أهل أصبهان وأشار إلى العشائر التي ينتسبون إليها: أهل المدينة ٢٤، الأنصار٨، عبد الاشهل٣، قريش١٥، بنو أمية ٥، تيم ١٦، زهرة ٥، وواحد من كل من مخزوم وسهم ونفيل. وذكر من: ثقيف٣٩، وخزاعة٦، وكنانة٣، وسليم٣، وأسلم٢، وهذيل٢، ومزينة١، وهلال٥،

(١) الأنساب لابن حزم ٤٠٨.
(٢) البلدان ٢٧٤.

وباهلة٥، وعقيل٧، وبجيلة٣، ونهير١، وضبة٢٥، وذكر من تميم١٢، والعنبر١٣، وحنظلة٧، وسعد بن زيد مناة٦، والبراجم٢، ومجاشع٢، وواحد من كل من رياح ونهشل والحبطات. وذكر من ذهل٤، وعجل٢، وسدوس٢، وواحد من كل من قيس بن ثعلبة، ومن عبد القيس٧، ومن حنيفة٣.

وذكر من القبائل اليمانية: ٤ من همدان، ٣ من كندة، ٣ من النخع، ٢ من حضرموت، وواحداً من كل من جعفى، وحمير، وحضرموت، ومذحج. وكل هذه العشائر من أهل الكوفة. وذكر من الأزد٦، والأشقر١٨، والعتيك٨، والأخيريين من عشائر البصرة.

جرجان

فتح العرب جرجان وضموها إلى دولتهم في أيام سليمان بن عبد الملك. وذكر السهمي في كتابه «تاريخ جرجان» خطط ومساجد عدد من العشائر العربية التي استوطنت جرجان، وكثير منها من أهل الكوفة، فذكر مساجد لكل من بجيلة ومحارب وقريش والحمراء وأسد، وسعد العشيرة وخثعم، وهمدان والأزد، وعجل وتيم بن ثعلبة وقيس بن ثعلبة والحضرميين وذهل ومراد وبجلة وقضاعة وتيم وعبد القيس، وذكر أيضاً أن سعيد بن نميران الهمداني من أصحاب حجر بن عدي انتقل جرجان وسكنها وأقام دوراً في قبة جرجان، وله ضياع[١]، وأن لهمدان مسجداً[٢].

قم

ذكر اليعقوبي عن قم أن أهلها الغالبين عليها قوم من مذحج ثم من الأشعريين[٣]. وخص الحسين بن محمد القمي في كتابه «تاريخ قم» أربعة فصول لمجيء العرب من الكوفة واستيطانهم قم في زمن الحجاج، وساق

(١) تاريخ جرجان للسهمي١٧٣.
(٢) المصدر نفسه، ١١٦.
(٣) البلدان ٢٧٤.

أخباراً عن الأشعريين وأهل اليمن وغيرهم من العرب في قم. ومن سوء الحظ أن الأصل العربي للكتاب مفقود، أما الترجمة الفارسية التي وصلتنا فهي تبلغ حوالى نصف الكتاب. ويذكر الحلّي أن ابراهيم القمي هاجر من الكوفة إلى قم وأنه أول من نشر حديث الكوفيين بقم[1].

ولما شيد أبو جعفر المنصور بغداد خصّ أهل الكوفة خطة، ولعل أعداداً أخرى أخذت تتقاطر من الكوفة إلى بغداد، وخاصة أهل الفكر والأدب[2]، ورجال الأعمال والكسبة، فكان ذلك من أقوى عوامل تضاؤلها، وبخاصة منذ القرن الثالث الهجري.

---

(١) رجال الحلي ٤/ ١٩٦٦١.

(٢) عوض خليفات. بحث في: إسهام أهل الكوفة في الحركة الفكرية في بغداد، في رسالته التي أجيزت للدكتوراه من كلية الآداب. (؟)

الفصل السابع

تنظيم السكان العرب

الأعشار والأسباع والأرباع

كان أهل الكوفة منذ أول تأسيسها من المقاتلة العرب الذين جاؤوا بأعداد متباينة مع رؤسائهم من مختلف أرجاء الجزيرة العربية، وكانت الرابطة العامة التي تجمعهم هي رابطة الإسلام والخضوع إلى دولة ذات سلطة مركزية وقيادة عليا في الجيش، وكان لابد من وضع تنظيم يؤمن نجاحه في تحقيق مهمة هذه القوات المتنوعة في تركيبها وأحوال جماعاتها وأفرادها.

الأعشار

بدأت طلائع تنظيم القوات الإسلامية منذ أن كانت تتجمع وتتقدم إلى العراق للدخول في المعركة، ويروي الشعبي أنه لما وصل سعد بن أبي وقاص إلى شراف كتب إليه عمر بن الخطاب، «إذا جاءك كتابي فعشّر الناس، وعرّف عليهم، وأمّر على أجنادهم، وعبّهم»، وتنفيذاً لذلك فإن سعد «قدّر الناس وعبّاه بشراف، وأمّر أمراء الأجناد، وعرّف العرفاء، فعرّف على كل عشيرة رجلاً كما كانت العرافات على أزمان النبي (ص)، وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء، وأمَّر على الرايات رجالاً من أهل السابقة، وعشّر الناس، وأمّر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام؛ وولى الحروب رجالاً فولى على مقدماتها ومجنباتها وساقتها، ومجرداتها وطلائعها ورجلها وركبانها، فلم يفصل إلّا على تعبية»، ثم عدّد أسماء من ولاهم "الحروب وكان أمراء التعبية يلون

الأمير، والذين يلون أمراء الأعشار. والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل[١]. ويروي سيف أن عمر استنفر المرتدين" ولم يولِّ منهم أحداً"[٢]. ويروي عن ابي عثمان النهدي "كان في الأعشار كلها بضعة وسبعون بدرياً، وثلاثمائة ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما قبل ذلك: ثلاثمائة ممن شهد الفتح وسبعمائة من أبناء الصحابة من جميع أحياء العرب"[٣].

إن هذا التنظيم أملته المتطلبات الملحة عند وضعه، وله جانبان أحدهما عسكري صرف ينظم متطلبات المعركة وهو ثابت في أساسه، ولكنه متغيّر في تفاصيله تبعاً لمتطلبات المعارك. والجانب الثاني من التنظيم مدني ثابت المعالم، وقد أشار الطبري إلى ذلك، فقال إن سعد بن أبي وقاص "قدر الناس وعباهم بشراف، وأمّر أمراء الأجناد وعرّف العرفاء، فعرّف على كل عشيرة رجلاً كما كانت العرافات أزمان النبي وكذلك إلى أن فرض العطاء»[٤]. وهذا يشير إلى أن التنظيم الذي وضعه سعد في شراف متابع في بعض جزئياته (العرافات) ما كان قائماً في زمن الرسول (ص)، الذي لم تشر المصادر إليه وإنما من الثابت أنه تنظيم يتعلق بالأوضاع والمتطلبات المدنية، وهو يذكر أنه استمر في الكوفة إلى أن فرض العطاء.

ظلَّ نظام العرافة معمولاً به إلى أن تأسست الكوفة، ولعله دخلت على تفاصيله بعض التعديلات التي اقتضتها تطورات الأحوال التي لم ترد عنها معلومات، سوى ما ذكره سيف بن عمر عما حدث بعد تأسيس الكوفة في فصل عنوانه «إعادة تعريف الناس»و قال فيه: «وعرفوهم على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً، وأربعين امرأة، وخمسين من العيال، ولهم مائة الف درهم».

---

(١) الطبري ١/ ٢٢٢٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤.

وذكر أن عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة آلاف وعشرين امرأة وكل عيل على مائة، بمائة ألف درهم، وكل عرافة من الرادفة الاولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة درهم؛ ثم على هذا الحساب كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات على أيدي العرب فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والامناء فيدفعونه إلى أهله بدورهم[1]. ويتبين من هذا النص أن تنظيم العرافة متصل بتنظيم توزيع العطاء، وأن العرفاء يوزعون مقداراً متساوياً من العطاء جملته مائة ألف درهم على أفراد من المقاتلة والنساء والعيالات يختلف عددهم تبعاً لما هو مقدر لكل منهم من العطاء.

غير أن خاتمة كلامه في تسلسل الأمراء وأصحاب الرايات والعرفاء والنقباء والأمناء لم يشر إلى الأعشار، وإنما ذكر أن العطاء كان يدفع أولاً إلى أمراء الأسباع الذي وضع متأخراً نسبياً، ولعلّه كان في هذه المرحلة المبكرة يدفع إلى أمراء الاعشار. ويلاحظ أن عدد النساء والعيال في كل عرافة مقارب لعدد الرجال، ولا بد أن هذا كان يحدث بعض الإرباك في التطبيق.

ذكر سيف ما يدل على أن تنظيم الأعشار كان معمولاً به عند تخطيط الكوفة، حيث قال إن سعد بن أبي وقاص عندما اختط الكوفة جعل المسجد وسطها ومنه تتفرع الطرق، وجعل هذه الطرقات من وراء الحصن، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس، وذكر أنه يخرج من الساحة خمسة عشر طريقاً نزلت على كل منها عشيرة، غير أن بعض الطرق نزلت على كل منها أكثر من عشيرة، وبعض العشائر نزل كل منها على أكثر من طريق. وأشار إلى عشائر من سائر الناس نزلوا على ذلك وما وراء ذلك. ولكنه لم يذكر أسماء «عشائر أهل الثغور والموصل»، ولا الذين حميت لهم أماكن حتى يوافوا إليها. إن عدد هذه العشائر عشرون ما عدا الذين لم يحدد هويتهم، كما أنه لم يميز في التوزيع بين العشائر المضرية واليمانية، التي ذكر منها همدان والنخع وكندة

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٦.

والأزد فحسب. ولعل هذا التوزيع يعكس بعض آثار نظام الأعشار، غير أنه لا يعطي صورة كاملة عنه، كما أن تتابع هجرات العشائر إلى الكوفة كان له أثر في تطور خططها مما تطلب أيضا إعادة النظر في نظام الأعشار. وذكر سيف بعد كلامه عن خطط العشائر حول المسجد ورود الروادف وما أحدثه من تحوير في تنظيم الخطط(١).

تنظيم الأسباع

ذكرنا أن تنظيم الأعشار وضعه سعد بن أبي وقاص في شراف عندما كان يستعد للتقدم والدخول في معركة مع الفرس، وأن هذا النظام كان قائماً عندما تأسست الكوفة ووزعت خططها على العشائر، ولا بد أن هذا النظام كان عند وضعه تحكمه المتطلبات العسكرية والعدد المحدود نسبياً من المقاتلة الذين كوّنوا الجيش الإسلامي في حينه.

غير أن التطورات الواسعة التي حدثت في السنوات الأولى جعلته غير ملائم لاستيعاب متطلبات هذه التطورات، وقد أشار سيف بن عمر إلى هذه التطورات فنقل عن شيوخه: «ورجحت الأعشار بعضهم رجحاناً كبيراً، فكتب سعد إلى عمر في تعديلهم، فكتب إليه أن عدلهم، فأرسل إلى قوم من نسّاب العرب وذوي رأيهم وعقلائهم، منهم سعيد بن نمران ومشعلة بن نعيم فعدلوهم على الأسباع، فجعلوهم أسباعاً، فلم يزالوا بذلك زمان عمر وعثمان وعلي وعامة إمارة معاوية، حتى ربعهم زياد»(٢).

يتبيّن من قول سيف: «ورجحت الأعشار رجحاناً كبيراً فعدلوهم إلى الأسباع»، أن الدافع الرئيس لوضع نظام الأسباع هو معالجة الاختلال الذي حدث في نظام الأعشار، الاختلال الذي حدث في إعداد أفراد الأعشار، بعيد توزيع الخطط على أهلها. والواقع أن نظام الأعشار كان عند وضعه قد

---

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٠.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٦.

استوعب المقاتلة المشاركين في المعارك المتتابعة الأولى، واستهدف تأمين حاجات المقاتلة لقيامهم بمتطلبات القتال. غير أن دور هذه المتطلبات بدأ يتضاءل لتحل محله المتطلبات الحضرية القائمة على السلم والاستقرار، إضافة إلى أن أعداداً كبيرة من المهاجرة بدأت تتقاطر إليها دون خطة مرسومة لتنظم هجرتهم، وقد أدرك أبو الهياج أهمية هذه الهجرات فأعد للقادمين 'مناخاً' يقيمون فيه عند مجيئهم، ورقعة من الأرض تستوعب استيطانهم، ولكن هذه الاجراءات لا تكفي لمنع حدوث إرباك في الادارة وفي التنظيمات الاجتماعية، ما قد يؤدي إلى اختلال في الاستقرار والأمن، وهما أرسخ دعائم الحياة الحضرية. فالنظام استهدف بالدرجة الأولى تنظيم هذه الحياة.

عدّد سيف بن عمر الأسباع وعشائرها، ثم ذكر «كان العطاء يدفع إلى أمراء الأسباع وأصحاب الرايات على أيادي العرب. فيدفعونه إلى العرفاء والنقباء والأمناء فيدفعونه إلى أهله في دورهم»(١). إن هذا يظهر علاقة التنظيم بطريقة دفع العطاء من حيث أن أمراء الأسباع كانوا يستلمون مجموع عطاء السبع.

يكشف هذا النص أن كل سبع كان له أمير يتلوه أصحاب الرايات: ثم «العرفاء والنقباء والأمناء». وفي المصادر معلومات وافية عن العرفاء ومسؤولياتهم في العصر الأموي خاصة، أما أصحاب الرايات والنقباء والأمناء فلا تتوافر عنهم في المصادر معلومات توضح مكانتهم وعملهم، ولعل أصحاب الرايات هم رؤساء العشائر، وإن كانت المصادر لا تذكر الشروط التي تتوافر فيهم من حيث عددهم وعلاقاتهم ببعضهم. أما النقباء والأمناء فإن سياق النص يوحي بمكانتهم الدنيا في تسلسل التنظيم. وعلى أي حال، فإن هذا التنظيم متصل بتوزيع العطاء، وهو يراعي التنظيم القبلي.

يدل سياق النص على أن هذا التنظيم لم يعن بما تتطلبه الحياة العسكرية من تنظيمات خاصة بها كإفراد أصنافها من الرجالة والفرسان، أو تمييز أصناف القيادات العسكرية من أمراء وأصحاب رايات أو قادة المراتب الدنيا. والواقع

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٥.

أن هذه التنظيمات العسكرية لم تذكرها المصادر إلّا عند كلامها عن بعض المعارك الكبرى، ولم تشر إلى وجودها إبان أزمنة السلم والهدوء الطويلة، أو إلى علاقتها بالتنظيم الذي نعتبره حضرياً وليس عسكرياً.

إن نص سيف الذي أوردناه أعلاه هو الوحيد الذي وصلنا عن بده إدخال نظام الأسباع، وهو يذكر أن الحاجة إليه ظهرت في زمن ولاية سعد بن أبي وقاص على الكوفة، التي انتهت سنة ١٨ هـ، ويظهر النص أن سعداً كتب إلى الخليفة عمر في الحاجة إلى تعديله، وأن عمر كتب إليه أن يعدله، فاتخذ سعد بن أبي وقاص الإجراءات لتنفيذ ذلك. غير أن المصادر لم تحدد بدقة زمن تنفيذه. وفي الطبري إشارة إلى ذلك، فهو يروي عن أبي مخنف وغيره «أن أهل الكوفة كانوا يدعون في خلافة عثمان وعلي أسباعاً، حتى كان زياد بن أبي سفيان فصيّرهم أرباعاً»[1]. وظاهر النص يشير إلى أن نظام الأسباع طُبّق لأول مرة في زمن خلافة عثمان، ويلاحظ أن المصادر لم تذكر أن التعديل كان من المواضيع التي أثارها أهل الكوفة على سعد بن أبي وقاص سلباً أو ايجاباً، مما يدل إما أنه لم يكن مطبقاً حينئذ أو أنه كان مطبقاً ومقبولاً عند الناس كأمر اعتيادي لم ينتقدوه ولم يتفاخر به سعد، وأن تطبيقه لم يثر استياءً أو معارضة؛ وهو، لأغراض إدارية وحضرية، يسهم في زيادة الاستقرار وتأمين متطلباتها.

يذكر سيف بن عمر أنه عندما أمر عمر بن الخطاب بإجراء التعديل، لم يضع له شروطاً، وأن تفاصيل التنظيم وضعتها هيئة لم يحدد عددها، ولم يذكر منها غير اسمين، أي أن تفاصيل التنظيم لم تفرضه السلطة، وإنما وضعته لجنة لأعضائها مؤهلات يقدرها الناس. ولعلّ هذا مكنهم من وضع نظام قبله الناس فلم يثر تطبيقه إستياءً أو احتجاجاً، وأن مؤهلات واضعيه في معرفة الانساب يدل على أن التنظيم يعالج قضايا التركيب القبلي، وليس الأمور العسكرية أو المالية أو الخطط ومنازل العشائر.

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٥.

انفردت الكوفة بتنظيم الأسباع الذي لم يذكر في أي مركز حضري غيرها. ولا توجد إشارة إلى سبب اختيار الرقم (سبعة) ولعله متصل بأفكار غيبية تتعلق بهذا الرقم، ومن المعلوم أن السموات سبع، والأسبوع سبعة أيام، وقد أوتي الرسول (ص) سبعاً من المثاني والقرآن، وهذا الرقم ورد ذكره في القرآن الكريم صفة أشياء منوعة أكثر مما ارتبط به أي رقم آخر.

ظل نظام الأسباع في الكوفة قائماً منذ بدء تطبيقه في أواخر خلافة عمر بن الخطاب إلى أن أحل زياد محله نظام الأرباع. ولم تحدِّد المصادر بدقة زمن تطبيقه أو إبداله، وإنما نرجح أنه طبق في أواخر سني خلافة عمر بن الخطاب، أي حوالى سنة ٢٠ أو بعدها بقليل. ومن المؤكد أنه كان ملغياً في سنة ٥١ عندما ألقي القبض على حجر بن عدي. ولدينا عن التكوين القبلي للأسباع ثلاث قوائم ترجع أولها إلى بداية تأسيسه في زمن عمر بن الخطاب وقد رواها سيف بن عمر، وترجع الثانية إلى بداية خلافة علي بن أبي طالب عندما استدعى مقاتلة أهل الكوفة للمشاركة في وقعة الجمل رواها الطبري عن أبي مخنف وغيره[(١)]. أما الثالثة فعندما تحرك علي بن ابي طالب إلى صفين، رواها نصر بن مزاحم[(٢)]. ولم ترد في المصادر رواية أخرى عن قوائم الأسباع أو الإشارة إلى تكوينها القبلي؛ وقائمتا موقعة الجمل وصفين متقاربتان في الزمن، ولم تسمح الظروف بإدخال تعديلات عليها. وبين قائمة عشائر الأسباع في زمن خلافة عمر، وقائمتي الجمل وصفين قرابة خمسة عشر عاماً، وفيهما تباين واسع قد يرجع إلى عدم دقة الرواة في نقل صورة كاملة لنظام الأسباع أو إلى حدوث تبدّلات فيه خلال السنوات التي مرت بين القائمتين. غير أنه لم ترد في المصادر إشارة إلى انتقاد وجه إلى هذا التنظيم أو احتجاج على التعديلات التي أدخلت عليه، مما يدل على أنه كان مقبولاً عند الناس، ولم يكن له أثر في مس مصالحهم الخاصة.

---

(١) الطبري ١/ ٣١؛ أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٢٣٦.

(٢) وقعة صفين ١٣١؛ شرح نهج البلاغة ١/ ٢٨٥.

الأسباع وعشائرها في زمن خلافة عمر

ذكر سيف بن عمر أسباع الكوفة وعشائرها عندما وضعت في زمن خلافة عمر بن الخطاب، فقال:

١ ـ صارت كنانة وحلفاؤها الأحابيش وغيرهم وهم بنو عمرو بن قيس عيلان سبعاً.

٢ ـ صارت قضاعة ومنهم يومئذ غسان بن شبام، وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد سبعاً.

٣ ـ صارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً.

٤ ـ صارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً.

٥ ـ صارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعاً.

٦ ـ صارت أياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء سبعاً[(١)].

ويلاحظ أن سيف عدّد ستة أسباع، ولعله خلط أو خطأ في النسخ حين جعل كندة وحضرموت والأزد مع قضاعة وبجيلة وخثعم في سبع واحد، في حين أنهما كانا سبعين في قائمتي الجمل وصفين.

سمى سيف بن عمر ستاً وعشرين عشيرة عربية شملتها أسباع قائمة عمر بن الخطاب، ووصف اثنتين بأنهما «حلفاء» (الاحابيش، وهمدان) دون ان يسميهما، فمجموع ما ذكره ثمان وعشرون، ولم يشر إلى عدد أفراد أي منهما أو تفرعاتها وأفخاذها وأسرها أو تكافؤها في العدد أو مقدار العطاء لها أو لرؤسائها.

تختلف الأسباع في عدد من تضمهم من العشائر، فمنها ثلاثة تضم كل منها ثلاث عشائر وسُبع يضم خمس عشائر وسُبعان يضم كل منهما ست عشائر، ومجموع العشائر التي ذكرها ثمان وعشرون. ومن هذه الأسباع اثنان عشائرهم يمانية واثنان عشائرهم مضرية وواحد من ربيعة وواحد يضم عشائر من مضر

(١) الطبري ١/٢٤٩٥.

وربيعة. وإذا افترضنا أن في أرقام الأسباع خطأ من النساخ، وأن كندة وحضرموت وقضاعة كانت سبعاً قائماً بذاته، أو أن حمير وهمدان وحلفائها كانت سبعاً قائماً بذاته، فيكون أهل اليمن ثلاثة أسباع، ومضر سبعين، وسبع فيه ربيعة ومضر، وسبع من ربيعة. وهذا يؤيد قول الشعبي في أن اليمن كانت عند تأسيس الكوفة أكثر من مضر، ولم يذكر من بكر غير ضبيعة، وإنما ذكر من ربيعة تغلب وإياد، وعك، وعبد القيس، وأهل هجر.

الأسباع في زمن خلافة علي بن أبي طالب

ذكرت الأسباع والعشائر المكونة لكل منها في زمن خلافة علي بن أبي طالب في قائمتين: الأولى عندما استدعى أهل الكوفة للمشاركة في وقعة الجمل(١)، والثانية عندما تقدم إلى صفين(٢). والقائمتان متطابقتان إلاَّ في عدد قليل من العشائر. والأسباع فيها:

١ ـ قيس وعبد القيس(٣).

٢ ـ تميم، الرباب، قريش، كنانة، أسد، ضبة(٤).

٣ ـ الأزد، بجيلة، خثعم، الأنصار، خزاعة(٥).

٤ ـ كندة، حضرموت، قضاعة، مهرة(٦).

٥ ـ مذحج، الأشعريون.

٦ ـ حمير، همدان(٧).

٧ ـ بكر، سائر، ربيعة، تغلب.

---

(١) الطبري ١/ ٣١٧٤، أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٢٣٥.
(٢) وقعة صفين ١١٧، شرح نهج البلاغة ١/ ٢٨٥.
(٣) الطبري يحذفها من قائمة الجمل.
(٤) الطبري يحذفها من قائمة الجمل.
(٥) الطبري يحذفها من قائمة الجمل.
(٦) محذوفة شرح نهج البلاغة.
(٧) الطبري يحذفها من قائمة الجمل.

إن عدد العشائر المذكورة في هذه الأسباع خمس وعشرون عشيرة، ولكن الأسباع تتباين في عدد ما تضمه من العشائر، فمنها ثلاثة أسباع يضم كل منهما عشيرتين (١,٥,٦) وسبع يضم ثلاثة عشائر(٧). وسبع يضم سبعة عشائر (٢).

وتتفق قائمتا الجمل وصفين مع قائمة عمر بن الخطاب في عدد من العشائر (تميم، الرباب، الأزد، بجيلة، وخثعم، كندة، حضرموت، قضاعة، مذحج، حمير، همدان، تغلب، عبد القيس، كنانة).

لم تذكر قائمتا الجمل وصفين العشائر التالية المذكورة في قائمة عمر: جديلة وهوازن وغطفان ومحارب وإياد وعك وهجر والحمراء والأحابيش وحلفائها وهمدان والأنصار وضبيعة (ولعلهم ينضوون مع سائر ربيعة).

وتذكر هاتان القائمتان العشائر التالية التي لم تذكر في قائمة عمر (قيس، قريش، ضبة، مزينة، الأنصار، خزاعة، مهرة، الأشعريون، بكر).

تدل هذه الاختلافات على أن تنظيم الأسباع حدثت فيه تعديلات إبان خلافة عثمان، وأبرز ما حذف منها سبع: إياد وعك وهجر والحمراء، وكذلك: النمر وضبيعة اللتان ربما أدخلتا مع بكر. ومما يلفت النظر أن قائمة عمر بن الخطاب تحذف قريش وضبة والأنصار وخزاعة والأشعريين، وكل منهم عشيرة مهمة مما يدل على أن حذفها كان بسبب خطأ من النساخ.

وعند مقارنة أسماء العشائر المذكورة في قوائم الأسباع مع قائمة أسماء العشائر، التي ذكر سيف بن عمر لها خططاً عند تأسيس الكوفة، نلاحظ:

١. ورد في قائمة أصحاب الخطط وفي قائمتي عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب العشائر التالية: همدان وكندة والأزد وبجيلة وتميم وأسد وقيس عيلان.

٢. وردت في قائمة أصحاب الخطط الأولى وفي قائمة أسباع عمر عشيرتا تغلب وجديلة.

٣. وردت في قائمة أصحاب الخطط الأولى، وقائمة الأسباع زمن علي: الأنصار، ومزينة.

٤. وردت في قائمتي الأسباع زمن عمر وعلي، ولم تذكر في أصحاب الخطط الأولى: كنانة وقضاعة وخثعم وحضرموت ومذحج وحمير والرباب وقيس وهوازن وشبام وضبة وغطفان.

٥. انفردت قائمة عشائر الأسباع في زمن عمر بذكر الأحابيش والرباب وهوازن وغطفان وضبيعة، والنمر وإياد، وعك وهجر والحمراء.

٦. انفردت قائمة عشائر الأسباع في زمن علي بذكر العشائر التالية: الأشعريين، ضبة، مهرة، قريش، بكر.

٧. ذكرت حول الصحن سليم وتيم اللات، ولم تذكر في قائمة أسباع عمر.

إن قائمة الخليفة عمر تختلف في توزيع كثير من العشائر على الأسباع:

١. وضعت قائمة عمر في السبع الأول كنانة وغيرها، والأحابيش وحلفائها، وجديلة (عمرو بن قيس عيلان)، أما في قائمتي الجمل وصفين فإن هذا السبع يتكوّن من قيس وعبد القيس التي نقلت من السبع السابع، أما كنانة فوضعت في قائمتي الجمل وصفين مع السبع الذي يضم عدداً من العشائر الحجازية والمضرية.

٢. وضعت قائمة الخليفة عمر أسد مع غطفان ومحارب، أما قائمتا الجمل وصفين فوضعتها مع العشائر الحجازية، وكانت هوازن في قائمة الخليفة عمر في سبع يضم تميم والرباب، ولكنها حذفت من قائمتي الجمل وصفين.

٣. انفردت قائمة الخليفة عمر بذكر إياد، وعك، وهجر، والحمراء، وكانت معها في هذه القائمة عبد القيس، فنقلت في قائمتي الجمل وصفين إلى سبع كنانة.

٤. خلت قائمة الخليفة عمر من بكر وعشائرها البارزة «عجل وشيبان»، واقتصرت على ذكر النمر وضبيعة اللتين لم تذكرا في قائمة صفين.

	خلافة عمر	وقعة الجمل	وقعة صفين	
١	الطبري ١/ ٢٤٥	الطبري ١/ ٣١٧٤	شرح نهج البلاغة ٢ ـ ١/ ٢٣٦ عن أبي مخنف وغيره	نصر بن مزاحم ١٣٢ شرح نهج البلاغة ١/ ٢٨٥
١	قيس كنانة الاحابيش وغيرهم جديلة (عمرو بن قيس) قيس	قيس	عبد القيس	
٢	تميم الرباب هوازن	أسد مزينة	أسد مزينة كنانة ضبة	أسد كنانة ضبة
٣		الأزد بجيلة خثعم كندة حضرموت قضاعة غسان سليم	الأزد بجيلة خثعم الأنصار	الأزد بجيلة خثعم الأنصار خزاعة
٤		مذحج الاشعريون	كندة حضرموت قضاعة مهرة	كندة حضرموت قضاعة مهرة

	خلافة عمر	وقعة الجمل	وقعة صفين	
٥	حمير همدان مذحج حلفاء همدان	حمير همدان مذحج	حمير همدان	حمير همدان مذحج
٦	تغلب أسد غطفان محارب النمر	تغلب بكر	تغلب بكر ربيعة (عدا عبد القيس)	الأشعريون
٧	عبد القيس اياد عك هجر الحمراء	عبد القيس قيس عيلان	مذحج الاشعريون	عبد القيس قيس

رؤوس الأسباع

استمر تطبيق تنظيم الأسباع قرابة ثلاثين سنة حدثت خلالها أحداث جسام، وتتابع على الخلافة ثلاثة خلفاء متباينة سياساتهم وولاة مختلفة أحوالهم، ولابد أنه رافق هذه التطورات تبدلات في رؤوس الأسباع، غير أن المصادر لم تذكر سوى رؤوس الأسباع الذين شاركوا في موقعتي الجمل وصفين، وبين الحادثتين زمن قصير، تتسم الأحوال فيه بنفس السمات وهي حدوث انشقاق واسع في الكوفة، فكان بعضهم مؤيداً لعلي وبعضهم مناوئاً له، وبعضهم على الحياد لم ينغمر في الحوادث، وهذا يضع احتمال كون رؤوس الأسباع الذين ذكرتهم المصادر في وقعتي الجمل وصفين من الممالئين لعلي، ومن المحتمل أن بعضهم حل محل آخرين كانوا قبلهم وغير مؤيدين لعلي. ثم إن الأمور التاثت على علي بعد قبوله التحكيم وضربه الخوارج في النهروان، وانحراف أكثر أشراف أهل

الكوفة منه، مما يقوي احتمال عزل بعض رؤوس الأسباع المشاركين في صفين، وبعد عام الجماعة واستتباب الخلافة لمعاوية. غير أن المصادر لم تشر إلى أي تغيير ولم تذكر غير رؤوس الأسباع في الجمل وصفين، وهم:

١ ـ معقل بن قيس الرياحي على سبع قريش وكنانة وتميم وضبة والرباب ومزينة.

٢ ـ سعد بن مسعود الثقفي على سبع قيس عيلان.

٣ ـ مخنف بن سليم الأزدي على سبع الأزد وبجيلة وخثعم والأنصار.

٤ ـ سعيد بن قيس الهمداني على سبع حضرموت وقضاعة ومهرة.

٥ ـ حجر بن عدي الكندي على سبع كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة.

٦ ـ زياد بن النضر الحارثي على سبع مذحج والاشعريين.

٧ ـ وعلة بن محدوج الذهلي على سبع بكر وتغلب وسائر ربيعة غير عبد القيس.

وكل هؤلاء الرؤساء كوفيون ذكرت المصادر أكثرهم في القادسية، وليس فيهم من قريش أو من أنصار المدينة، ولم يتولَّ أي منهم قيادة جيش في الفتوح أو ولاية إقليم أو أي منصب إداري في الكوفة، وظلوا مقيمين في الكوفه ولم تكن لأي منهم مواقف سياسية متطرفة، ما عدا حجر بن عدي الذي ظل على ولائه لعلي مما كلفه حياته، ولم تذكر المصادر مكانتهم في العشر سنوات التي ظل فيها تنظيم الأسباع مطبقاً إلى زمن خلافة معاوية. ولا ريب في أن رئاسة الأسباع عمل ذو سمة ادارية وخاصة إبان سني السلم الطويلة، وله تأثير في توجيه السياسة، غير أنه لم يذكر لأي من هؤلاء الرؤساء دور في أحداث الفتنة على عثمان أو في الحوادث التي جرت في زمن خلافة علي.

تنظيم الأسباع والتنظيم العسكري في المعارك

كان الهدف من تنظيم الأسباع تنظيم الحياة الحضرية في الأحوال السلمية، وتقتصر علاقته بالجيش على تحشيد المقاتلة وليس على تنظيمها في جبهة القتال

الذي وردتنا عنه تفاصيل في معركتي الجمل وصفين، وهما يظهران ضعف العلاقة بين تنظيم الأسباع والمتطلبات العسكرية. ففي وقعة الجمل ذكر الشيخ المفيد أن علي بن أبي طالب رتَّب القوات التي جاءته من الكوفة للمشاركة في وقعة الجمل، كما يلي:

عبد الله بن العباس	على المقدمة	
هند المرادي الجملي	الساقة	
عمار بن ياسر	على الخيل	
محمد بن أبي بكر	على الرجالة	
هند الجملي	على خيل مذحج	شريح بن هاني الحارث على رجالتها
سعيد بن قيس	على خيل همدان	زياد بن كعب بن مرة على رجالتها
حجر بن عدي	على خيل كندة	
رفاعة بن شداد	على خيل بجيلة ورجالتها	
عدي بن حاتم	على خيل قضاعة ورجالتها	
عبد الله بن زيد	على خيل خزاعة وامناء اليمن	عمرو بن الحمق الخزاعي على رجالتها
جندب بن زهير	على خيل الأزد	ابو زينب على رجالتها
عبدالله بن هاشم	على خيل بكر	حسان بن محدوج الذهلي على رجالتها

زيد بن صوحان العبدي	على خيل عبد القيس	الحرث بن مرة العبدي على رجالتها
قبيصة بن جابر الأسدي	على خيل أسد	المكبر بن وائل على رجالتها
عمير بن عطارد	على جبل تميم	معقل بن قيس على رجالتها
عبد الله بن الطفيل	على خيل قيس عيلان	فروة بن نفيل الأشجعي على رجالتها
هاشم بن عتبة	على خيل قريش وكنانة	هاشم بن هاشم على رجالتها[1]

تنظيم مقاتلة الكوفة في معركة صفين

ذكر نصر بن مزاحم تنظيم علي مقاتله في معركة صفين وأسماء رؤسائها:

عبد الله بن عباس على قريش

عبد الله بن الطفيل البكائي على قيس

جندب بن زهير على الأزد والقين

الأشتر بن مالك النخعي على مذحج

سعيد بن قيس على همدان

حجر بن عدي على كندة

نعيم بن هبرة على بكر

ووضع رؤساء العشائر ضمن الأسباع:

عمير بن عطارد على تميم

(١) النصرة في حرب البصرة ١٥٥ ـ ١٥٦.

شبث بن ربعي على عمرو وحنظلة (تميم)

الطفيل أبا صريمة على سعد والرباب (تميم)

يزيد بن رويم الشيباني على ذهل وبكر

عبد الله بن حجر العجلي على عجل (بكر)

عمرو بن الحمق على خزاعة

عدي بن حاتم على قضاعة وطي

صعصعة بن صوحان على عبد القيس

رفاعة بن شداد على بجيلة

القاسم بن حنظلة الجهني على اللفيف من القواصي

ومما يتصل بهذا أن علي بن أبي طالب وضع في صفين:

على الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

وعلى الميمنة سليمان بن صرد الخزاعي

وعلى رجالة الميسرة الحارث بن حرة العبدي

وعلى الخيل عمار بن ياسر

وجعل اللواء بيد هاشم بن عتبة بن أبي وقاص

ووضع في القلب مضر، وفي الميمنة والميسرة ربيعة، ولم يكن ممن ولاهم القيادة أحد من رؤوس الأسباع، مما يؤيد أن رئاسة الأسباع عمل إداري بالدرجة الاولى، أما التنظيمات العسكرية فقد عين لها رجالاً تتوافر فيهم المؤهلات العسكرية[1].

ويلاحظ في هذه القائمة أنه وضع لكل من اثنين من عشائر تميم وبكر رئيساً

(١) وقعة صفين ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

إضافة إلى رئيس على كل من تميم وبكر، وأنه أفرد رؤساء لكل من خزاعة وقضاعة، وطي وعبد القيس وبجيلة واللفيف من القواصي، وكل منها عشائر من الأسباع، ولم يكن أي منها سبعاً. ولم يذكر رؤساء لأي من قريش وكنانة وأسد وخثعم وضبة والأنصار وحضرموت والأشعريين، وحمير. ولعل ذلك راجع إلى أن معلومات نصر لم تكن كاملة، أو إلى قلة المسهمين من هذه العشائر في صفين أو إلى افتقادهم القادة.

يتبيّن مما ذكره الشيخ المفيد أن العشائر التي شاركت في معركة الجمل هي: قريش، وكنانة، وأسد،وقيس، وعيلان، وتميم، وبكر، وعبد القيس، وخزاعة، وقضاعة، وبجيلة، وكندة، وهمدان، ومذحج.

ويتبيّن مما ذكره نصر أن هذه العشائر شاركت في صفين، وأضاف إليها عمرو وحنظلة وسعد والرباب، وهم من تميم،وذهل واللهازم من بكر.

أغفلت القائمتان عشائر ذكرت في الأسباع، هي مزينة وضبة وخثعم (مذحج) والأنصار وتغلب وحمير والأشعريون وحضرموت ومهرة.

ويظهر مما نقله الشيخ المفيد أن صفوف الجيش كانت موزعة على العشائر، فكل من الخيل والرجالة من مختلف العشائر، وأن ترتيب مواقعها إبان المعارك يتوقف على مقتضيات الأحوال وما يقرره القائد، أما في وقت السلم فإنه يتبع التنظيم العام.

تنظيم الأرباع

ذكر أبو مخنف أن الكوفة ظلت أسباعاً حتى جعلهم زياد أرباعاً[(١)]، والراجح أن تنظيم الأرباع استحدث في أوائل سنة ٥١هـ، وهي السنة التي ولي فيها الربيع بن زياد الحارثي خراسان، ونقل خمسين ألفاً من مقاتلة البصرة والكوفة وعيالاتهم وأوطنهم خراسان[(٢)]، ولا بد أن هذا النقل أدى إلى تخلخل

---

(١) الطبري ١ ـ٢/ ٣١٧٤، ١٣٨٢.

(٢) الطبري ١٧٨/٢، فتوح البلدان ٤١، وانظر بحثنا: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص٥٠ فما بعد.

التركيب القبلي في الكوفة مما اقتضى إعادة تنظيمها. وفي هذه السنة ذكرت الأرباع لأول مرة في الكوفة، حين وجههم زياد للقبض على حجر بن عدي.

إن تنظيم الأرباع كان معروفاً وشائعاً في الدولة الإسلامية. فكان تقسيم الأرباع في مكة(١)، وبلاد الشام(٢)، وخراسان(٣) ثم في بغداد بعد تأسيسها(٤).

تتكون الأرباع من سبع مجموعات قبلية، منها ثلاثة أرباع تضم كل منها مجموعتين كبيرتين مسميتين هي: (١) تميم وهمدان،(٢) ربيعة وكندة، (٣) مذحج وأسد، وربع واحد سمي «أهل المدينة».

ذكر أبو مخنف عشائر ربع أهل المدينة، إذ قال «والعالية قريش وكنانة وأزد وبجيلة وخثعم، وقيس عيلان كلها، ومزينة. وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة، وبالبصرة خمس أهل العالية. وكانوا بالكوفة أسباعاً، فجعلهم زياد أرباعا(٥)» وانفرد هذا الربع بأنه لم يسمّ باسم عشيرة، وإنما سمي باسم مكان جغرافي، واختير له في الكوفة اسم «أهل المدينة»، وهو يضم عشائر ديارها الأصلية تمتد من شمال المدينة إلى الأطراف الشمالية في اليمن،فهي وحدة جغرافية واسعة تشمل عشائر مضرية، هي قريش وكنانة وقيس عيلان ومزينة، كما تشمل عشائر يمانية هي الأزد وبجيلة وخثعم. وكل من هذه العشائر حددت ما عدا قيس عيلان، التي تشمل عدة عشائر هي غطفان وفروعها: أشجع وعبس وذبيان، كما تشمل باهلة والطفاوة وجديلة وعدوان ومحارب وهوازن وسليم وثقيف وكلاب(٦).

---

(١) الطبري ١/١٠٩٧.
(٢) فتوح البلدان ١٤٨، ابن اعثم ١٩٢، تاريخ الشام لابن عساكر ١/٢٦١.
(٣) الطبري٢/٧٩، فتوح البلدان ٢٠٩، ابن الفقيه ٣٢١.
(٤) الطبري ٣/٦٢٨، المنتظم ٥/١٧١، ٩/٢٦، ٢٨، ٩٥؛ وانظر كتابنا «بغداد مدينة السلام» ١/ ١٣٧ ـ ١٤٠.
(٥) الطبري ٢/١٣٨٢.
(٦) الانساب لابن الكلبي ١ ـ ٢ فما بعد، وانظر مشجر عشائر قيس في الجزء الثالث.

كانت عشائر «أهل المدينة» موزعة في تنظيم الأسباع على ثلاثة أسباع، ويدخل معهم فيها عشائر أخرى فصلت عنها في نظام الأرباع.

والملاحظ أن أبا مخنف لم يذكر الأنصار وخزاعة، وقد ذكرنا في الأسباع وديارها في منطقة ديار أهل المدينة.

أما الأرباع الثلاثة الأخرى، فيتكوّن اثنان منها من مجموعتين مضرية ويمانية،وربع من ربيعة واليمن. وليس بينها أية علاقة نسبية أو تقارب في ديارها في الجزيرة.

وفي تنظيم الأرباع نقلت بعض العشائر من مكانها في الأسباع القديمة، وجعلت وحدة مستقلة: فكانت تميم وأسد في سبع مع عشائر حجازية، أما في الأرباع فجعلت منهما وحدة قائمة بذاتها موزعة على ربعين، وجعلت ربيعة وحدة بذاتها.

أما العشائر اليمانية فجعلت ثلاث وحدات (همدان، كندة ومذحج) وزعت على ثلاثة أرباع، ولم تذكر كل من حضرموت ومهرة والأشعريين وحمير. ولعلها وزعت على الوحدات الرئيسة، فجعلت حضرموت ومهرة مع كندة، وحمير مع همدان، والأشعريون مع مذحج.

كان تنظيم الأرباع كتنظيم الأسباع، قائماً على أسس قبلية، غير أنه وضع على أسس أكثر دقة. فقد روعيت المجموعات الكبرى دون المجموعات الفرعية الاصغر، وروعي الربط بين مجموعات القبائل الشمالية والمضرية والربعية مع القبائل الجنوبية اليمانية، ولابد أن الغرض من هذا الربط هو تقوية التمازج بين المجموعات، وإضعاف العصبيات المتفرقة. وهذا رافقه اختلاط في الحياة الاجتماعية وإنماء علاقات وزيجات بين أفراد مختلف العشائر.

ذكرت المصادر في معرض كلامها عن بعض الحوادث أسماء من رجال عشائر الأرباع ممن شاركوا في تلك الحوادث، وأشارت إلى البطون والفروع التي ينتمون إليها، كما أشارت إلى خطط ومساجد بعض فروع قبائل الأرباع والعشائر لكل من الأرباع. وتعزز هذه الاسماء الكثيرة التي تذكرها كتب الأنساب للبطون والأسر التي تتكون منها العشائر، إلّا أن كل ذلك يقدم صورة

عامة ليست كاملة أو متماسكة للمكونات العشائرية لأي من قبائل الأرباع. وقد ذكرنا في كلامنا أن عدد مجموعات الأرباع سبعة، أي أن معدل عدد أفراد كل مجموعة حوالى عشرة الآف؛ ولما كانت العرافة مكونة من ألف مقاتل، فإن عدد عرافات كل مجموعة حوالى عشرة، والمجموع العام للعرافات يبلغ حوالى ثمانين عرافة.

إن تنظم الأرباع إداري غرضه تنظيم إدارة الحياة الحضرية مع مراعاة متطلبات التحشيد العسكري عند الحاجة، وليس في المصادر ما يشير إلى وجود علاقة لهذا التنظيم بتوزيع الخطط والمساكن لهذه العشائر.

رؤوس الأرباع

ذكر الطبري أرباع الكوفة ورؤوس كل ربع في عدد من الحوادث التي شارك فيها مقاتلة الكوفة:

الحادث	أهل المدينة	تميم وهمدان	ربيعة وكندة	مذحج وأسد
الشهود على حجر بن عدي[1]	عمرو بن حريث	خالد بن عرفطة	قيس بن المغيرة	ابو بردة الأشعري
القبض على مسلم بن عقيل[2]	عباس بن جعدة الجدلي	أبو ثمامة الصائدي	عبد الله بن عمرو الكندي	مسلم بن عوسجة الأسدي
قتال الحسين[3]	عبد الله بن زهير الأزدي	الحر بن يزيد الرياحي	قيس بن الأشعث الكندي	عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي
ابن الزبير[4]	العلاء بن عبد الرحمن بن عبد شمس			

(١) الطبري ٢/ ١٣١، أنساب الأشراف ٤ ـ ١/ ٢٢٢، الأغاني ١٦/ ٧، الكامل لابن الاثير٣/ ٤٠٢.
(٢) الطبري ٢/ ١٥٥.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٢٦.
(٤) فتوح البلدان ٢٨٤.

قتال المهلب الخوارج[1]	بشر بن جرير البجلي	محمد بن عبد الرحمن بن سعيد	اسحاق بن محمد الأشعث	زهير بن قيس بن الأشعث
ثورة يزيد بن المهلب[2]	عبد الله بن سفيان الأزدي	حنظلة بن عتاب ابن ورقاء	محمد بن اسحاق بن الاشعث	النعمان بن ابراهيم بن الاشتر

حل نظام الأرباع مكان نظام الأسباع، في تقسيم مقاتلة الكوفة، فأصبح فيها أربعة رؤوس بدلاً من سبعة، وكان كل ربع مكوناً من مجموعة قبائل احتفظت كل منها بأسمائها وكيانها، وكانت مكونة من عشائر متقاربة ديارها في الجزيرة ولكنها بعيدة عن ديار المجموعة الأخرى التي يضمها الربع الذي يشمل مجموعة قبائل من نجد وشمال الجزيرة، وأخرى من اليمن، ما عدا ربع أهل المدينة الذي شمل العشائر التي ديارها الأولى في الحجاز وامتداده إلى شمال اليمن.

ذكر الطبري أن ربع أهل المدينة في الكوفة هو كخمس العالية في البصرة، ويتكوّن من قريش وكنانة وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلها ومزينة[3]، وكل هذه العشائر معروفة إقامتها في الكوفة، وأن خثعم وبجيلة لم تكونا من عشائر البصرة، كما أن الأزد كانوا في البصرة خمساً قائماً بذاته وأكثرهم من عمان، أما الأزد في الكوفة فأصل ديارهم السراة، وقيس عيلان تضم عدة عشائر مشهورة لم يعدها الطبري، ويلاحظ أنه لم يذكر غير مزينة من العشائر التي ديارها بين مكة والمدينة، وأنه ذكر قريش وهم أهل مكة،ولم يذكر الأنصار أو عشائرهم التي ديارها قرب المدينة والتي سمي الربع بها.

لم تذكر المصادر عشائر القبائل التي كان كل اثنين يكوّن ربعاً من الأرباع الثلاثة الأخرى، والراجح أن عشائر الأسباع دخلت في الأرباع دون أن يبدلها

(١) الطبري ٢/ ٨٥٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٩٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٣٨٢.

زياد، غير أنها لم تكن كاملة، لأنها تضم أكثر من ثلاث عشائر، وذلك لأن الهدف من تنظيم زياد هو تنسيق العشائر تبعاً لعدد المقاتلة وتوزيع عطاء أفرادها الذي لم يعد مقداره قائماً على أساس الاسهام السابق في المعارك، كتمييز أهل الأيام وأهل القادسية والروادف، وإنما على أسس جديدة تتلاءم مع الأوضاع الجديدة، نظراً لتناقص عدد المشاركين في الفتوح الأولى.

يذكر عطية بن الحارث أنه أدرك مائة من العرفاء في الكوفة(١)، وهذا الرقم يتفق إلى حد كبير مع مقدار عدد المسجلين في العطاء، وهم قرابة ثمانين ألفاً، ومع ما يذكر أن كل عشيرة كانت تضم حوالى ألف مقاتل، فإذا صح هذا الافتراض فإن كل ربع كان يضم حوالى خمس وعشرين عشيرة قد يمكن معرفة عددها من دراسة الخطط وأسماء عشائر الموالي الذين يرتبط كل منهم بالعشيرة ويحمل اسمها.

وفي تنظيم جيش عثمان بن قطن عندما كان يطارد شبيب الخارجي، يتجلى التنسيق بين تنظيم الأرباع والتنظيم للمعركة، وفي ذلك يقول الطبري «فلما كان ليلة الخميس خرج عثمان فعبى الناس على أرباعهم، فجعل كل ربع في جانب العسكر وقال لهم اخرجوا على هذه التعبية، وسألهم من وكل على ميمنتكم قالوا خالد بن نهيك بن قيس الكندي، وكان على ميسرتنا عقيل بن شداد السلولي، فدعاهما فقال لهما قفا مواقفكما التي كنتما بها فقد وليتكما المجنبتين فاثبتا.. ثم خرج فجعل ربع أهل المدينة وتميم وهمدان نحو نهر حولايا في الميسرة، وجعل ربع كندة وربيعة، ومذحج وأسد في الميمنة، ونزل يمشي في الرجال»(٢).

ويروي أبو مخنف عن أبي يزيد السكسكي وهو من جند أهل الشام الذين أرسلهم الحجاج مع حبيب بن عبد الرحمن لمقاتلة شبيب الخارجي: «فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجعلنا أرباعاً وكل لكل ربع منا: ليجزىء

(١) الطبري ٢/ ١٦٢٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٣٥.

كل ربع منكم جانبه.. حتى جاءنا شبيب فبيتنا فشد على ربع منا عليهم عثمان بن سعيد العذري فضاربهم طويلاً فما زلت قدم إنسان منهم، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم فما زلت قدم انسان منهم، ثم تركهم، وأقبل على الربع الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فما قدر منهم على شي، ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخثعمي فقاتلهم طويلاً فلم يظفر بشيء»[1].

معلومات عن رؤوس الأرباع

ذكرت المصادر دور بعض رؤساء الأرباع، وخاصة في اوائل زمن الامويين، ويتبين مما ذكر أن اكثرهم كانوا ممالئين للأمويين، وأكثر اسهامهم في الحوادث السياسية والعسكرية، ونذكر أدناه ما تيسر جمعه من معلومات عمن ذكرتهم المصادر، علماً بأنهم بعض رؤساء الأرباع الذين لم تذكر المصادر عن كثير غيرهم أية معلومات، بل لم تشر إلى أسمائهم[2].

فأما عمرو بن حريث فكان من أكثر أهل الكوفة مالاً، وقد ناب عن سعيد بن العاص عندما ذهب إلى المدينة، وكان يخلف زياداً على الكوفة عندما يذهب زياد إلى البصرة[3]، وقد أمره عبيد الله بن زياد على الناس عندما قدم مسلم بن عقيل الكوفة، وخلف على الكوفة بعد موت يزيد[4]؛ ثم ثار عليه أهل الكوفة وعزلوه وولوا عامر بن مسعود الجمحي[5]، واستخلفه مصعب بن الزبير على الكوفة[6].

شارك رؤوس الأرباع الذين ذكرتهم المصادر في بعض الحملات العسكرية،

(١) الطبري ٢/ ٩٧٠.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٠٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٩٠٠.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١١٥، أنساب الأشراف ٢ ـ ١/ ١٤١، ٢١٣، ٢١٥.
(٥) الطبري ٢/ ٢٦١، ٥٢١.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٥٩، ٥٠، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٧.

ولكن لم يذكر تولي أحد منهم قيادة عليا في أية حملة، مما قد يدل على أن عملهم الرئيس يتعلق بمتطلبات أحوال السلم في داخل الارباع والتنظيم التعبوي في المعارك. وتقتضي متطلبات القتال وضع تنظيمات خاصة لترتيب المقاتلة في المعركة، وهذه الترتيبات تمليها الحاجات في المعارك بما فيها وضع الأرض وقوة الخصم، وهو يختلف عن الترتيب القبلي في التوزيع، ولكنه، تالياً، تابع لمتطلبات القتال.

وأساس التنظيم الذي يتطلبه القتال هو التمييز بين الرجالة والفرسان، والتوزيع على أساس الموقع من ميمنة وميسرة وقلب، ففي معركة صفين استعمل علي على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ودفع اللواء إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس، وجعل عل رجالة الميسرة سليمان بن صرد الخزاعي، وجعل على الميسرة عبد الله بن عباس، وعلى رجالة الميسرة الحارث بن حرة العبدي، وجعل على القلب مضر الكوفة والبصرة. وجعل على الميمنة اليمن وجعل على الميسرة ربيعة[١].

وكانت القوة التي خرجت من الكوفة لمقاتلة الحسين مقسمة على أرباع وعلى كل ربع رئيس، غير أن قائد القوة عمر بن سعد رتب هذه القوة في ميدان القتال على الأسس التي اقتضتها المعركة، فجعل «على ميمنته عمر بن الحجاج الزبيدي، وعلى ميسرته شمر بن ذي الجوشن،، وعلى الخيل زحر بن قيس الأحمسي وعلى الرجالة شبث بن ربعي اليربوعي، وأعطى الراية ذويداً مولاه[٢]. ولم يكن أي من هؤلاء رئيس ربع من الأرباع.

وعندما تقدم زيد بن أنس لقتال جيش عبيد الله بن زياد، استعرض الجيش قبيل المعركة، فجعل يقف على الأرباع ويقول: ياشرطة الله اصبروا، ثم جعل عبد الله بن ضمرة العذري على ميمنته، وسعر بن أبي سعر على ميسرته، وجعل

(١) وقعة صفين ٢٣١.
(٢) الطبري ٢ ـ ٣٢٦.

ورقاء بن عازب الأسدي على الخيل، ونزل هو فوضع بين الرجالة[1]، ويقتضي السياق أن يكون مكانه في القلب.

وعندما تقدم ابراهيم بن الاشتر كانت قواته أرباعاً «حتى إذا كان في السحر الأول عبى أصحابه وكتب كتائبه، وأمر أمراءه، فبعث سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي على ميمنته، وعلي بن مالك الجشمي على ميسرته، وبعث عبد الرحمن بن عبد الله وهو أخو الأشتر لأمه على الخيل، وكانت خيله قليلة فضمها إليه، وكانت في الميمنة والقلب. وجعل على رجالته الطفيل بن لقيط، وكانت رايته مع مزاحم بن مالك، قال فلما انفجر الفجر صلى بهم.. ثم خرج بهم فصفّهم ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم، وألحق أمير الميمنة بالميمنة، وأمير الميسرة بالميسرة، وأمير الرجالة بالرجالة، وضم الخيل إليه وعليها أخوه لأمه عبد الرحمن فكانت وسطاً من الناس»[2].

تظهر هذه القوائم التي ذكرتها المصادر التي اطلعت عليها أن تنظيم الأرباع ظل قائماً منذ أن وضعه زياد حوالى سنة خمسين ولم يتبدّل، ولعله استمر طوال عهد الخلافة الأموية. ويدل بقاؤه أنه أدى الغرض الذي أنشئ من أجله ولم يحدث فيه خلل يستوجب إلغاءه أو تعديله.

ويظهر من تعدد أسماء الرؤساء كل ربع خلال مدة قصيرة كالتي مرت بين القبض على حجر بن عدي (سنة٥٠هـ) وخروج ابراهيم بن الاشتر (سنة ٦٥هـ)، على أن الرئاسة لم تكن دائمة، وإنما كانت تتبدل تبعاً لمقتضيات الأحوال وأنها لم تنحصر في أسرة معينة أو عشيرة واحدة بالذات. ولم يكن فيها رجل من الأسرة الأموية أو من قريش أو الأنصار، ولم تكن قائمة على أساس سند شعبي وإنما استناداً على السلطة.

احتفظ الكنديون برئاسة ربع «ربيعة وكندة»، ولم يرئسها أحد من غيرهم، ورأس منهم ثلاثة من بني الأشعث بن قيس.

(١) الطبري ٢/ ٦٤٥.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٩.

أما ربع «مذحج وأسد» فقد تناوب على رئاسته اثنان من أسد (مسلم بن عوسجة، وعبد الله بن حية) واثنان من جعفى (عبد الرحمن بن أبي سيرة، وزحر بن قيس) وواحد من الأشاعرة (أبو بردة بن أبي موسى)، وواحد من النخع (زحر بن قيس).

وتناوب على ربع "تميم وهمدان" اثنان من رياح (الحر بن يزيد وحنظلة بن عتاب)، وثلاثة من همدان (ابن ثمام، وحبيب بن منقذ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس).

لا ريب في أن رؤوس الأرباع كانوا من ذوي المكانة والاهتمام بالأمور السياسية، ولبعضهم اهتمام بالأمور العسكرية؛ فالدولة هي التي تعينهم وتعزلهم، ولابد أنها تختار المؤيدين لها والمؤمنين بسياستها.

الفصل الثامن

نفقات المقاتلة

كان الهدف الأكبر من تكوين الدولة الإسلامية وتوسيعها في السنوات الأولى هو إقامة دولة تعمل على تأمين سيادة أفكار وعقائد عن الكون، وتحقيق نظام اجتماعي يضمن الاستقرار والتعاون؛ فهدفها عقائدي إجتماعي أكثر منه اقتصادي أو مالي، لذلك لم يعن الرسول (ص) بوضع تنظيمات دقيقة مفصلة للجبايات وتوزيعها، ولم يحدد نصاب الزكاة والصدقات إلّا في السنة الثامنة للهجرة. ويدل ما جباه من الصدقات على أن هذا التحديد لم يجلب موارد كبيرة للدولة، كما أن الدولة لم تنظم توزيع الموارد على الأفراد المسلمين الذين كانوا يعتمدون في معاشهم على ما يكسبونه من عملهم، وليس على ما توزعه الدولة عليهم. أما الوفود، وأعضاؤها من أبرز رجال قومهم، فلم يقدم أي منهم أكثر من مرة واحدة، وكان الرسول (ص) يكتفي بإجازتهم بمبالغ لا تزيد على ٤٠٠ درهم لكل منهم، وقد يكسوهم، وكل هذا لا يكون نفقات مسرفة.

وعندما بدأ تحشيد الجيوش الإسلامية للتوسع، لم تقدم الدولة للمقاتلة مغريات مادية كبيرة، ولم يكن الانتصار قبل تحقيقه مضموناً، علماً بأن المثل الأخلاقية التي كانت مألوفة عند العرب، وشدد الإسلام على تطبيقها، كانت لا تستسيغ سلب المغلوبين من غير الجند المقاتل، وكل هذا يظهر ان الدوافع المادية لانضمام المقاتلة إلى جيوش الفتوح لم تكن قوية.

الغنائم

كان المقاتل في الجيوش الإسلامية منذ بدء قيام الدولة واستخدامها يقوم بتجهيز نفسه بما يحتاج من مأكل أو ملبس أو تجهيزات، وكان بعض المحتاجين من المقاتلة يحصلون على بعض المعونة من أفراد المسلمين الذين حث القرآن الكريم على إنفاقهم في سبيل الله وجعله واجباً عليهم، غير أن هذا الإنفاق كان فردياً لا يسير على نظام محدد، فكان من ينفق يعطي ما تجوده يده لمن يشاء دون أن تتدخل الدولة وسيطاً بينه وبين من ينفق عليه. وكان كثير مما يحصل عليه الرسول (ص) من جبايات الأراضي التي غنمها من النضير وقريظة وخيبر ينفقه على السلاح، أي تجهيز المقاتلة، غير أن مقدار ذلك لم يكن كبيراً ولم يكن منتظماً، ولذلك لم يضع الرسول (ص) قواعد لتنظيمه[1].

تقسم الغنائم بعد إخراج الخمس منها على المقاتلة بالتساوي، ويعطى الفارس ثلاثة أمثال ما يعطى للراجل من الغنائم التي يحصل عليها في ميدان القتال إبان المعركة وبعد انتهائها، فهي تنحصر بما يحصل عليه مما يكون مع العدو في ميدان القتال ومقداره يتوقف على تجهيزات العدو، وهي تكون قليلة إذا كان عدد جيش العدو صغيراً، أو انسحب بعد انكساره في المعركة، وتزداد إذا كان عدده كبيراً واستسلم أو انهزم بغير انتظام، فالمعارك التي خاضها المسلمون في زمن الرسول (ص) لم يكن عدد جيوش الأعداء المدحورين فيها كبيراً، ولم تكن تجهيزاتهم كثيرة، لذلك كانت الغنائم فيها قليلة، ومثل هذا كان في معارك القضاء على الردة والحركات الحربية التي جرت في أطراف الجزيرة قبيل تجهيز الجيوش الكبيرة والاشتباك مع قوات كبيرة الأعداد، وقد سميت هذه المعارك الأولى «الأيام» وسمي المشاركون فيها «أهل الأيام».

غير أن الاوضاع الحربية تطورت بشكل واسع من أوائل زمن خلافة عمر بن الخطاب، حيث جرت معارك كبيرة شاركت فيها قوات كثيرة مدربة في جبهات

(١) انظر تفاصيل أوفى في كتابنا «الدولة في عهد الرسول (ص)».

العراق وبلاد الشام. وقد اهتم الملك الساساني بتقدم الجيوش العربية فأرسل لإيقافها قوات كبيرة من الجيش المجهز، وكان عليه عدد من القواد المتنفذين وممن منهم كانت ألبسته وتجهيزاته غنية، فكانت قيمتها عالية، وزودوا هذه الجيوش بما تحتاجه من معدات ومواد، لذلك كانت الغنائم التي حصل عليها المسلمون بعد انتصاراتهم كبيرة.

ذكر الطبري غنائم المسلمين في عدد من المعارك التي انتصروا فيها في حركاتهم الأولى في العراق، وأشار إلى غنائمهم في الثني وذات السلاسل[١] وعين التمر[٢] ويوم الحصيد[٣]، وذكر أن أكبر الغنائم حصل عليها المسلمون كانت عند الاستيلاء على امغيشيا، حيث بلغ سهم الفارس ألف وخمسمائة درهم[٤]. وأشار الطبري إلى غنائم أبي عبيد في اليس[٥] وفي البويب[٦]؛ ويروى ان بجيلة جعل لها عمر ربع خمس الفيء[٧].

وفي معركة القادسية يذكر اليعقوبي أنه بلغ سهم الفارس عشرين ألفاً وسهم الراجل سبعة آلاف[٨]. ويروي الطبري أن سعد بن أبي وقاص قسم الغنائم بعد فتح المدائن فأصاب الفارس اثني عشر ألفاً[٩].

وفي جلولاء يروي الطبري أن المسلمين أصابوا ثلاثين ألفاً، فقسم سعد للفارس ثلاثة آلاف وللراجل ألفاً. ويروي أن الخمس في جلولاء بلغ ستة آلاف[١٠]، وهو يظهر أن الغنائم في جلولاء بلغت ثلاثين ألف ألف. وفي فتح

---

(١) الطبري ١/٢٠٢٨، ٢٠٧٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠٦٤، ٢١٢٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٦٩.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٠٦١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢١٦٨.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢١٩٧.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٦، ٢١٩٧، ٢١٩٨.
(٨) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٣.
(٩) الطبري ١/ ٢٤٥١.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٨/ ٢١.

تكريت أصاب الفارس ثلاثة آلاف والراجل ألفاً[1]، وكانت الغنائم منوعة منها السبايا والأمتعة، فأما السبايا فقد أشار الطبري إلى سبايا غنمها خالد بن الوليد في الثني والزميل[2]، وإلى سبايا قسمت بعد البويب[3] وفي كسكر[4] وفي أطراف صفين[5] وفي جلولاء[6].

كان المبدأ المتبع أن يأخذ المقاتل سلب من يقتله، وذكرت المصادر سلباً مرتفع القيمة وخاصة سلب قواد الأعداء، ويروى أن سلب رستم كانت قيمته سبعين ألفاً[7]، وأن سلب الجالنوس كانت قيمته سبعين ألفاً أيضاً[8].

وكان خمس الغنائم يرسل إلى المدينة، أما الأربعة أخماس الباقية فتوزع على المقاتلة[9].

غير أن الغنائم مع ضخامتها وكبر ما ناله المقاتلة العرب منها، فإنها كانت وقتية، وهي لم تمتد إلى المدن والأراضي التي لم يشارك أهلها في القتال، لذلك اقتصرت على ما في عسكر المقاتلة من ألبسة وأسلحة وتجهيزات.

أمنت المعارك الكبيرة التي انتصر فيها العرب إبان السنوات الأربع الأولى من خلافة عمر بن الخطاب دحر الجيوش الساسانية وتشتيتها وإزالة حكم الساسانيين، وتوسعت الدولة فصارت تضم أراضي واسعة غنية في منتوجاتها، وكان السابقون منذ أزمنة قديمة يجبون منها مبالغ كبيرة، وقد أبقى العرب أهل البلاد ومن لم يشارك في القتال، وأباحوا لهم متابعة حياتهم وأعمالهم على أن

(١) الطبري ١/ ٢٤٧٧.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢١٩٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢١٧٠.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٧.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٦٤.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٠.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٢.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٢٨، ٢٠٧٢، ٢٤٥١، ٢٤٦٦، ٢٤٧٧.

يؤدوا ضرائب على ما ينتجوه وخاصة من الزراعة، وكان هذا مصدر موارد ثابتة وكبيرة، واعتبرت فيئاً، أي موارد تجبيها الدولة وتتصرف بها وفق ما تراه من مصلحة عامة. وبالنظر لطبيعة وضع الجيوش الإسلامية ودورها الكبير في الفتوح وأهميتها في توسيع الدولة وتثبيت الاستقرار، فكان لا بد أن تنفق جل موارد الجبايات على المقاتلة.

العطاء وتنظيمه في زمن خلافة عمر بن الخطاب

أدرك الخليفة عمر بن الخطاب ضرورة تثبيت تنظيم لجباية الأموال وتوزيعها، فعهد إلى عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان بدراسة أحوال الجباية وتقديم توصيات بتنظيمها، وبحث في تنظيم صرف الجبايات على مستحقيها وثبتها في ديوان خاص، وراعى أن يوزع القسط الأكبر منها على المقاتلة وفق قواعد مثبتة، وخصص نسبة قليلة للصرف على النفقات العامة كالأبنية أو شؤون الادارة، فكان الولاة وقادة الجيش يأخذون مقداراً من العطاء تبعاً لمكانتهم في التنظيم الذي وضعه. وراعى عمر في تنظيم العطاء أن يستوعب موارد الجبايات ولم يبق منه أي احتياط للطوارئ. ويروى أن أحد المسلمين قال له «لو تركتَ في بيوت الأموال عدة لكون إن كان، فقال: كلمة ألقاها الشيطان في فيك وقاني الله شرها، وهي فتنة لمن بعدي»(١).

إن هذا التنظيم يدفع المقاتلة بأوسع أعدادهم إلى الاهتمام بحفظ الأمن والإعمار لضمان الجبايات السنوية التي تكون مورد العطاء، الذي كان توزيعه على العدد الكبير من المقاتلة يزيد من ربطهم بالدولة فيحرصون على تعزيز سلطتها التي تضمن الحصول على الموارد التي يتوقف عليها معاشهم، وتثبيت هذا الارتباط بالمصلحة العامة وليس بشخص الخليفة أو الوالي، لأن الموارد للجميع، والجيش للدولة لا للأفراد.

ذكرت المصادر عدة روايات في تحديد تاريخ بدء تنظيم العطاء، فذكر

---

(١) الطبري ١/ ٢٤١٤.

الشعبي أن المسلمين أعطوا العطاء سنة ١٥ بالمدائن[١]، ويروي الطبري أنهم «أعطوا العطايا بالمدائن في المحرم سنة ١٧»[٢]. غير أن هذا لا يحتم أن يكون العطاء قد نظمت قواعده في هذا الزمن المبكر. ويروي الشعبي أنه أتى عمر من جلولاء سبعة آلاف، ففرض العطاء[٣]، وهذا يعني أن العطاء فرض بعد جلولاء. ويروي الشعبي أن عمر بن الخطاب خطب في الجباية وقال إنه نظم العطاء والأرزاق[٤]، ولما كان عمر ذهب إلى الجابية في سنة ١٧، فيكون تنظيم العطاء بموجبه قد تم في تلك السنة، وقد يتصل بهذا ما روي عن ابن عباس أن تنظيم العطاء تم بعد فتح الشام[٥]، رغم أنه لم يحدد تاريخ ذلك.

ذكر أبو عبيد أن عمر بن الخطاب وعد بجيلة بربع السواد، وأنها «أخذته سنتين أو ثلاثاً بعد القادسية[٦]، أي أن تنظيم العطاء تم بعد حوالى ثلاث سنوات من معركة القادسية، أي حوالى ١٨ هـ. ويذكر أيضاً أنه تم بعد فتح العراق والشام[٧]، ولكن لم تحدد بدقة سنة حدوثه.

وذكر اليعقوبي أن تنظيم الدواوين تم في سنة ٢٠هـ [٨]، وأن العطاء فرض في سنة ٢٠[٩]. ويذكر الزهري أن العطاء فرض سنة ٢٠ هـ [١٠]، والرأي الأخير هو الأرجح نظراً لأنه تم فيه استقرار حكم العرب في العراق، وهو ضروري لتثبيت قواعد الصرف. ولعل المقصود أنه نفذ في تلك السنة، أي أن ما قبلها كان دراسات أولية.

(١) الطبري ١/ ٢٤١٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٦.
(٣) مصنف ابن ابي شيبة١٢/ ٣١٨، الأموال لأبي عبيد ٢٢٤.
(٤) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/ ٣١٦، سنن البيهقي ٦/ ٣٤٧، الطبري ١/ ٢٥٢٤، وانظر رواية في كتاب الأموال ٢٢٣.
(٥) الطبري ١/ ٢٤١٧.
(٦) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/ ٥٥٩.
(٧) الأموال ٢٢٤.
(٨) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٧٥.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٣٠.
(١٠) فتوح البلدان ٤٥٠.

عطاء أهل المدينة والحجاز

كان التنظيم الذي وضعه عمر بن الخطاب للعطاء شاملاً كل أقاليم الدولة، غير أن القواعد التي وضعها كانت مختلفة، ففي الحجاز قرر عطاء الأفراد تبعاً لسابقتهم في الإسلام وصنفهم إلى بدريين، ثم أهل الحديبية، ثم أهل الفتح؛ وقد أشارت بعض الكتب إلى عدد الصحابة الأولين الذين استوطنوا الكوفة، وذكر بعضها أسماء عدد منهم، فيروى عن عبد الرحمن التميمي «هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر»[1]، ويروى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال «لقد أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله (ص)»[2]، ويروي سيف بن عمر في كلامه عن معركة القادسية "كان في الأعشار كلها بضعة وسبعون بدرياً، وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة من أبناء الصحابة في جميع أحياء العرب»[3]. ويذكر اليعقوبي «كان بالقادسية من أصحاب رسول الله (ص) من أهل بدر سبعون رجلاً، ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون، ومن أصحاب رسول الله مائة[4]. وأنه نزل الكوفة من أصحاب رسول الله ثمانون رجلا»[5].

ولا بد أن عدد الصحابة الأولين من أهل المدينة الذين استوطنوا الكوفة منذ أوائل سني تأسيسها كان كبيراً نسبياً، حيث كانت لهم خطة خاصة بهم[6]. وذكر ابن سعد ممن كانت له دار فيها قرظة بن كعب والحارث بن يزيد[7]، كما ذكرهم نصر كوحدة متميزة في عشائر أسباع الكوفة في زمن خلافة علي[8].

---

(١) ابن سعد ٦/ ٤.
(٢) المصدر نفسه ٦/ ١٧.
(٣) الطبري ١/ ٢٢٢٧.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٢٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٢٧.
(٦) الطبري ١/ ٢٤٨٩.
(٧) ابن سعد ٦/ ١٠.
(٨) المصدر نفسه ٦/ ١٧.

ويذكر ابن سعد أن عمر بن الخطاب أرسل إلى الكوفة مع عمار بن ياسر عشرة من الأنصار، سمى منهم قرظة بن كعب الأنصاري وعبيد بن عازب[1]. وهذا العدد يقتصر على من جاء مع عمار بن ياسر ولا يشمل الانصار في المدينة، كما أن نص إبراهيم التيمي لا يستلزم أن يكون كافة من «هبط» الكوفة قد استوطنوا فيها بصورة دائمة، أما نص إبن أبي ليلى فهو أكثر تحديداً.

إن قواعد التفضيل التي وضعها الخليفة عمر لعطاء أهل المدينة لم يكن بالامكان تطبيقها حرفياً على أهل الكوفة، لأن الغالبية المطلقة لهؤلاء لم تشارك في تأسيس دولة الإسلام في المدينة، ولم ينضموا إلى الجيوش الإسلامية إلاّ في عهد خلافة أبي بكر أو بعده، وفيهم عدد ممن ارتد ولم يعد إلى حظيرة الإسلام إلاّ بعد أن أخضعت جيوش أبي بكر المرتدين والمنشقين من أهل الجزيرة العربية. لذلك فإن عمر في تنظيمه العطاء في الكوفه راعى في أساسه زمن مشاركتهم في الفتوح وصنّفهم إلى «أهل الأيام»، ثم من انضم بعدهم إلى المقاتلة.

أهل الأيام

كان أهل الكوفة عند تأسيسها يتكوّنون من المقاتلة العرب الذين دحروا الساسانيين وضموا العراق إلى الدولة الإسلامية، وكان عليهم واجب القيام بتوسيع رقعة الدولة، وتثبيت الأمن والاستقرار في الأقاليم التي فتحوها، وكانت طليعة هؤلاء المؤسسين هم العرب الذين كانوا يقومون بغارات على أطراف العراق بعد أن زالت دولة المناذرة، ثم انضموا إلى الإسلام فأصبحت حركاتهم جزءاً من الحركات الإسلامية، ولكنها ظلت محتفظة بطابعها الواضح الذي يظهرها بأنها «غارات» أكثر منها محاولة اشتباك واسع مع الجيش الساساني والقيام بفتح مستمر، وكان أبرز القائمين بها المثنى بن حارثة الذهلي الشيباني الذي كانت ديار عشيرته شيبان في الأطراف الجنوبية الغربية من العراق ممتدة

(١) ابن سعد ٤ ـ ٢/ ٨٣.

من منطقة الكوفة إلى كاظمة[(١)]، وهي منطقة تتصل ببطائح العراق الجنوبية وبالصحراء، فهي عموماً قليلة السكان شحيحة الخيرات.

وممن كان يقوم بالحركات ضد الفرس مذعور العجلي في ديار قومه في أطراف الكوفة، ولعل آخرين من بكر كانوا يقومون أيضاً بمثل هذه الحركات، ومنهم عتبة بن النهاس، وسعيد بن مرة، وفرات بن حيان، والمثنى بن لاحق، ومذعور بن عدي، وكلهم من بني عجل[(٢)].

ولما أخمد خالد بن الوليد حركات الردة في الجزيرة أمره أبو بكر أن يتوجه إلى العراق، فانضم إليه المثنى وقواته واستطاعوا أن يهيمنوا على الأطراف الغربية من الفرات، وكانت قوات المثنى عندما انضم إلى خالد ستة آلاف[(٣)]، وهو عدد قواته عندما انضم إلى جيش سعد بن أبي وقاص، ثم غادر خالد بن الوليد العراق مع قواته لينضم إلى الجيوش الإسلامية التي كانت تقاتل الروم في بلاد الشام، وظل المثنى في جبهة العراق بعد أن أبقى خالد معه أربعة آلاف معظمهم من بكر[(٤)]، أي أن عدد أهل الأيام كانوا في الأول أربعة آلاف، وقد شاركوا في المعارك التالية.

ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة اهتم بجبهة العراق وسمح باشتراك المرتدين في الجيوش الإسلامية[(٥)]، فازداد عدد المقاتلة، وانفذ عدداً منهم إلى جبهة العراق، وولى عليهم أبا عبيد الثقفي، فلما وصل أطراف العراق انضمت إليه قوات المثنى، فعبر الفرات واشتبك مع الفرس بمعركة الجسر[(٦)]، ولكنه اندحر، وهلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق، وهرب الفان وبقي ثلاثة آلاف مع المثنى، ربما كان كثير منهم من شيبان[(٧)].

---

(١) فتوح البلدان ٢٤٠، وانظر «بنو شيبان» لمحمود العبيدي.
(٢) الطبري ١/ ٢٠٣٢ وقد انضم هؤلاء إلى جيش خالد.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤١٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ١/ ٢١٨٤، ٢٢٢٥، ٢٤٢٨.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢١.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٠.

لم توهن نكسة موقعة الجسر عزيمة عمر بن الخطاب فتابع اهتمامه بجبهة العراق، ولما جاءت قوات من اليمن وجنوب الحجاز للانضمام إلى الجيوش الإسلامية انفذ كثيراً منهم إلى جبهة العراق، وكان من هذه العشائر بجيلة ورئيسها جرير بن عبد الله، وسبعمائة من كنانة وعليها غالب بن عبد الله، وبارق (الأزد) وعليهم عرفجة بن هرثمة، كما سرح إلى العراق هلال بن علّفة التيمي من الرباب وابن المثنى مع جشم سعد، وعبد الله بن ذي السهمين مع أناس من خثعم وربعي أبو شبت من بني حنظلة (تميم) وربعي بن عمار من بني عمرو، وقوم من بني ضبة عليهم ابن الهوبر والمنذر بن حسان، وبعض بني عبد القيس والنمر(١).

انضم المثنى إلى هذه القوات واشتبك مع الفرس في معركة على أطراف الفرات الغربية في البويب عند الكوفة وانتصر عليها، ولعل العدد الاجمالي لهذه القوات قرابة عشرة آلاف، وكان يطلق عليهم أهل الأيام، وفضل أفرادهم في العطاء، وقد تابعوا مشاركتهم في المعارك التالية، ولا بد أنهم فقدوا عدداً من الأفراد قتلوا في المعارك، ولكن بقي عددهم غير قليل لم تذكره المصادر.

يذكر سيف بن عمر أنه عندما تقدم سعد بن أبي وقاص إلى العراق انضمت اليه قوات المثنى، وكان في ثمانية آلاف من ربيعة وستة آلاف من بكر بن وائل وأربعة آلاف من سائر ربيعة ممن كان انتخب بعد وصول خالد وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر، وكان معه من أهل اليمن ألفان من بجيلة وألفان من قضاعة وطي ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك، وعلى طي عدي بن حاتم، وعلى قضاعة عمر بن وبرة، وعلى بجيلة جرير بن عبد الله(٢).

لم تذكر المصادر تميزاً لأهل الأيام في الخطط الأولى التي ذكرتها، وأشارت إلى بكر وإلى شيبان وعجل، وهما من بكر. ولعل قلة ذكرهم يرجع إلى تعصب الرواة، وأكثرهم يمانيون وتميميون، أو إلى أنهم هاجروا من زمن

(١) الطبري ١/٢١٨٧ ـ ٢١٨٩.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٢٢١ ـ ٢٢٦٣.

مبكر من الكوفة أو إلى أن كثيراً منهم بقي على نصرانيته، وقد يكون الأمر الأخير من دوافع إفاضة الفقهاء في حكم نصارى تغلب، مما ينطبق على نصارى بكر.

عطاء أهل الأيام

حدد الطبري أهل الأيام فقال «كان أهل الأيام من أهل الكوفة يوعدون معاوية في بعض الذي يبلغهم ويقولون ما شاء معاوية، نحن أصحاب ذات السلاسل، ويسمون ما بينها وبين الفراض، ما يذكرون ما كان بعدها احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل[1]، وذات السلاسل هي أول معركة خاضها خالد بن الوليد عند دخوله العراق وانتصر فيها على الفرس، أما الفراض فهي "تخوم الشام والعراق» وكانت عندها أواخر حركات خالد بن الوليد قبيل مغادرته العراق[2].

لم تذكر المصادر عطاء من شارك في معركة الجسر التي اندحر فيها العرب وقتل عدد ممن شارك فيها، وفرّ الباقون عدا المثنى وأصحابه من أهل الأيام الأولى. ويبدو أنه لم يدخل في أهل الأيام المشاركين في معركة البويب ممن أنفذهم الخليفة عمر بن الخطاب إلى جبهة العراق، وكانت في قواتهم بجيلة وعلى رأسها جرير بن عبد اللّه وبارق وكنانة وتيم الرباب وجشم سعد وأناس من خثعم ومن حنظلة وبني عمرو وعبد القيس وأنس من النمر[3].

واجه عمر اعتراضاً على تفضيل أهل الأيام، فقيل له «لو ألحقت بهم (أهل الأيام) أهل القادسية فقال لم أكن لألحق بهم من لم يدركهم»، وقيل له «لو فضلت من بعدت داره بمن قربت داره على من قاتلهم بفنائه. قال: وكيف أفضلهم عليهم على بعد دارهم وهم شجن العدو... فهلا فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا»[4]. وكررت المصادر تسميتهم "أهل

(١) الطبري ١/ ٢٠٧٦.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢٦٣، ٢٣٤٣/ ٢٦٤٠، وانظر تجارب الأمم لمسكويه ١/ ٣٧٨.

الأيام" تمييزاً لهم عن غيرهم، وكان عطاؤهم ثلاثة آلاف درهم في السنة، ولكل من نسائهم ثلاثمائة[١]. وقد ساواهم عمر بمن أسلم بعد الحديبية ومن شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردة[٢].

أهل القادسية وعطاؤهم

كوّن المشاركون في معركة القادسية عظم أهل الكوفة عند تأسيسها، وذكرت المصادر أرقاماً متباينة عن عدد المشاركين في المعركة ومن قتل فيها، وأكبر الارقام التي ذكرتها المصادر العربية هي ما ذكره ابن أعثم، حيث قال إن جيش سعد في القادسية كان أربعين ألفاً، ثم أمدهم عمر بن الخطاب بعشرين ألفاً من أهل الشام، فبلغ عددهم ستين ألفاً[٣]، وقد انفرد ابن أعثم بذكر هذا الرقم الكبير الذي تتجلى فيه المبالغة.

ذكرت مصادر أخرى أرقاماً أقل مما ذكره ابن أعثم، وإن لم تتفق على رقم واحد. فذكر ابن اسحاق أن عدد أهل القادسية كان بين ستة وسبعة آلاف[٤]؛ وذكر ابو وائل أنهم كانوا بين سبعة وثمانية آلاف[٥]؛ وذكر البلاذري أنهم كانوا بين تسعة وعشرة آلاف[٦]؛ وذكر إبراهيم أنهم كانوا بين ثمانية وتسعة آلاف، وجاءهم قدر ألفين[٧]، أي أن عددهم كان بين عشرة وأحد عشر ألفاً. ونقل سيف بن عمر عن أبي عثمان النهدي أن سعداً قدم القادسية في اثني عشر ألفاً من أهل الأيام وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين فأعانوهم، أسلم بعضهم قبل القتال، وأسلم بعضهم في القتال، فأشركوا في الغنيمة، وفرضت لهم فرائض أهل القادسية[٨].

---

(١) الطبري ١/ ٢٣٤٣، ١/ ٢٤١٣.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤١٢، وانظر اشارات إلى أهل الأيام في الطبري ١/ ٢٣٤٣، ١/ ٢٢١، ٢١٩٧.
(٣) ابن أعثم ١/ ٢٠١.
(٤) تاريخ خليفة ١٠١.
(٥) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٥٦٧.
(٦) فتوح البلدان ٢٧٠.
(٧) الطبري ١/ ٢٢٢٦.
(٨) تاريخ خليفة ١٠١.

أما سيف بن عمر فذكر أن جيش سعد كان عندما خرج من المدينة أربعة آلاف، ثم انضافت إليه أعداد في الطريق، فأصبحوا في زرود تسعة آلاف، وفي الحزن اثني عشر ألفاً، وفي شراف، انضاف إليه ألف وسبعمائة، ثم انضافت إليه القوات العربية التي كانت في جبهة العراق «فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً، وجميع من قسم عليه في القادسية نحو ثلاثين ألفاً»[1]. يرجع اختلاف الرواة في عدد أهل القادسية إلى الدفعات المتعددة التي التحقت بها.

ذكر سيف بن عمر العشائر التي كانت في جيش سعد وزمن انضمامها إلى الجيش وعدد أفراد بعضها ورؤسائهم:

أ ـ نقل عن إبراهيم «خرج أهل القادسية من المدينة وكانوا أربعة آلاف، ثلاثة آلاف فيهم من أهل اليمن وألف من سائر الناس»[2].

ب ـ ذكر عشائر الثلاثة آلاف من أهل اليمن:

١. بارق وألمع وغامد عليهم حميضة بن النعمان البارقي في سبعمائة.

٢. النخع بن عمرو في ألف وثلاثمائة.

٣. حضرموت والصدف عليهم شداد بن أمعج في ستمائة.

٤. مذحج بني منبه عليهم عمرو بن معد يكرب.

٥. جعفى ومن حلفائها (زبيد وانس عليهم أبو سبرة بن ذؤيب.

٦. صداء، جنب، ومسليه ثلاثمائة عليهم يزيد بن الحارث الصدائي.

٧. قيس عيلان عليهم بشر بن عبد الله الهلالي في ألف[3].

ولعل هؤلاء هم الذين ذكر سيف أنه انتخبهم عندما كان يلي صدقات هوازن[4].

(١) الطبري ١/ ٢٢٢٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢١٩.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٢١٩.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢١٦.

لم يذكر سيف خروج رجال من أهل المدينة من الأنصار أو قريش أو مهاجرة أهل الحجاز، ولكن ابن سعد ذكر عدداً من أهل المدينة والحجاز شاركوا في معركة القادسية؛ وسياق الحوادث يقتضي أنهم خرجوا مع سعد من المدينة. وممن ذكرهم سعد بن عبيد (أمية بن زيد)[١]، وسعد بن عبيد القاري وابنه عمير (عمرو بن عوف)[٢]، وعمرو بن عثمان (تيم بن مرة)[٣]، وعتبة بن غزوان[٤]، وعبد اللّه بن أم كلثوم (كانت معه راية)[٥]، وسلمان بن شهاب (عبس)[٦]، والمسيب بن نجبة[٧] (فزارة)، وخالد بن عرفطة (ولاه سعد القتال)، والأشعث بن الحر (كلاب)[٨]، وسلمان بن ربيعة (باهلة)[٩]، وابو القعقاع (جرم)[١٠].. إضافة إلى أبي محجن الثقفي والمغيرة بن شعبة (ثقيف).

وتجدر الاشارة إلى أن سيف بن عمر نقل عن أبي عثمان النهدي أن سعد بن أبي وقاص عندما نظم قواته أعشاراً في شراف «كان في الأعشار كلها بضعة وسبعون بدرياً، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة ممن شهد الفتح، وسبعمائة من أبناء الصحابة في جميع أحياء العرب»[١١]. أي أن عددهم كان قرابة ألف وأربعمائة، غير أن روايات العشائر المكونة للأسباع في الكوفة لم تبرزهم بما يشير إلى كثرة عددهم، مما قد يدل على تحيُّز الرواة لهم أو أن كثيراً منهم عاد بعد المعركة. فقد ذكر ابن حزم أن أبا ظبيان الأعرج كان صاحب راية غامد وكانوا

(١) ابن سعد ٣ ـ ١٢.
(٢) المصدر نفسه ٤ ـ ٢/٨٦، ٨٨.
(٣) المصدر نفسه ٤ ـ ١/٩٥.
(٤) المصدر نفسه ٧/١١٨.
(٥) المصدر نفسه ٤ ـ ١/٩٥.
(٦) المصدر نفسه ٤ ـ ٢/٧٢.
(٧) المصدر نفسه ٦/١٥٠.
(٨) المصدر نفسه ٤ ـ ٢/٧٤، فتوح البلدان ١٢٥.
(٩) فتوح البلدان ٢٥٩.
(١٠) المصدر نفسه ٢٥٨.
(١١) ابن سعد ٦/١٢٥.

ألفين وخمسمائة[(١)]. وصاحب راية زهران (الأزد) أبو ضرير حذيفة بن عبد الله، وأنهم كانوا ألفين وخمسمائة[(٢)]. أما النخع فذكر ابن أبي شيبة أنهم كانوا ألفين وخمسمائة[(٣)]. وذكر سيف «لم يكن في قبائل العرب أحد أكثر إمرأة يوم القادسية من بجيلة والنخع، وكان في النخع سبعمائة امرأة، فصاهر هؤلاء ألفاً من أحياء العرب، وهؤلاء سبعمائة، وكانت النخع تسمى أصهار المهاجرين»[(٤)].

ذكر سيف «أمد عمر سعداً بعد خروجه بألفي يماني وألفي نجدي مؤد من غطفان وسائر قيس. وانتخب من بني تميم والرباب أربعة آلاف، ثلاثة آلاف تميمي، وثلاثة آلاف ربي، وانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف»[(٥)].

وأشارت المصادر إلى بني تميم وأسد في القادسية. فمن بني تميم كان زهرة بن حوية (من بني سعد بن زيد مناة)[(٦)]، والمقنع بن الحصين[(٧)].

وذكر ابن أبي شيبة أن بني أسد شهد منهم القادسية ألفان، وكانت راياتهم في يد سماك بن مخربة[(٨)]. وذكر ابن حزم أن بني مالك بن جنادة كان لهم بلاء وغناء يوم القادسية[(٩)]. ومن المعلوم أن طلحة بن خويلد الأسدي كان من أبرز فرسان المسلمين في القادسية والمعارك التي تلتها.

ذكر سيف أن سعد بن أبي وقاص عندما وصل شراف «قدم عليه الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن»[(١٠)].

---

(١) الأنساب لابن حزم ٣٣٨، الاشتقاق لابن دريد ٤٩٣.
(٢) الأنساب لابن حزم ٣٨٤.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٥٧٠.
(٤) الطبري ١/ ٢٣٦٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢١.
(٦) فتوح البلدان ٢٥٦، الأنساب لابن حزم ٢٥١.
(٧) ابن سعد ٧ ـ ١/ ٤٣.
(٨) مصنف ابن أبي شيبه ١٢/ ٥٧٥.
(٩) الأنساب لابن حزم ١٩٤.
(١٠) الطبري ١/ ٢٢٢٢.

يتبين مما تقدم أن قوات سعد كانت أربعة آلاف ممن فصلوا من المدينة + ٤ آلاف انضموا إليه بزرود لم يذكر عشائرهم (ولعله قصد تميم) + ألف من القيسيين، + ثلاثة آلاف من بني أسد + ألف وسبعمائة مع الأشعث (كندة) + اثني عشر ألف ممن كان في العراق. ومجموعهم ثلاثة وعشرون ألف وتسعمائة، وهو أقل من بضعة وثلاثون ألفاً الذين يقال إنهم شهدوا القادسية. ولعل مردّ ذلك أن سيف أغفل ذكر من جاء مع هاشم بن عتبة في ثاني يوم للمعركة، وعدد رجاله ستة آلاف، من ربيعة ومضر وأفناء الحجاز[١].

وعلى أية حال فإن تقدير سيف لقوات العرب في القادسية بضعة وثلاثون ألفاً هي بين تقدير ابن أعثم العالي (ستين ألفاً) وتقدير المصادر الحجازية (حوالي ١٠ ـ ١٢ ألف)، وهي أقرب إلى عدد القوات الإسلامية عند تأسيس الكوفة وبعد أن انضافت إليها الرادفة الأولى.

أما القتلى فيروي الطبري أنه «أصيب من الناس ليلة الهرير (اليوم الثاني) ألفان وخمسمائة، وفي اليوم الثالث ستة آلاف»، وهذا يشير إلى العدد الكبير المشارك في القادسية[٢].

إن العدد الاجمالي الذي ذكره سيف بن عمر للمشاركين في معركة القادسية، وهو نيف وثلاثون ألفاً يقارب العدد الذي ذكرته معظم المصادر لمقاتلة أهل الكوفة عند تأسيسها. غير أن أسماء العشائر التي ذكر مشاركتها في المعركة لا تتطابق تماماً مع أسماء العشائر التي ذكر سيف نفسه خططها في المناهج عند تأسيس الكوفة، أو عشائر الأسباع التي نظمت منذ أوائل تأسيس الكوفة، وظلت قائمة طوال زمن الخلفاء الراشدين.

اتفقت القوائم الثلاث على أن المشاركين في القادسية وأصحاب الخطط والأسباع هي تميم وأسد وبجيلة، ويمكن أن نضيف إليهم الأزد الذين ذكروا في قائمتي أصحاب الخطط والأسباع، أما قائمة المشاركين في القادسية فقد ذكرت

(١) الطبري ١/ ٢٢٠٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٣٧.

فروع الأزد الثلاثة (بارق وألمع وغامد). ويصح القول إن القوائم الثلاث اتفقت على كندة، علماً بأن قائمة المشاركين في القادسية لم تذكرهم بالنص، وإنما ذكرت الاشعث بن قيس زعيمهم. وفيما عدا ذلك فإن قائمة المشاركين في القادسية تتفق مع قائمة أصحاب الأسباع في ذكر كل من حضرموت والرباب.

وذكرت قائمة المشاركين في القادسية بكر، ولا بد أنها تشمل تيم اللات التي ذكرت في قائمة الخطط، وضبيعة التي ذكرت في قائمة الأسباع، ولعل ربيعة التي ذكرت في قائمة المشاركين في القادسية تشمل تغلب المذكورة في قائمتي الخطط والأسباع. وانفردت قائمة المشاركين في معركة القادسية بذكر الصدف، ومذحج وعشائرها: منبه وجنب وصداء ومسلية، وتتفق قائمتا الخطط والأسباع على ذكر همدان، وجديلة، وتنفرد قائمتا الخطط بذكر سليم ومزينة وبجالة وبجيلة والأنصار.

وتنفرد قائمتا الأسباع بذكر خثعم وحمير وإياد وعك وعبد القيس وهجر والحمراء.

ويلاحظ أن قائمة المشاركين في القادسية خلت من ذكر أكثر العشائر الحجازية، واتفقت مع عدد المشاركين منهم في القادسية، مما لا يؤيد المعلومات من المصادر الأخرى، أما العشائر التي انفردت بها قائمة الأسباع فلا تذكر المصادر الأخرى مشاركتهم في القادسية، ما يدل على أن مجيئهم إلى الكوفة تم بعد القادسية.

وفي كل الأحوال فإن قائمتي الخطط والأسباع تذكر أسماء العشائر ولا تشير إلى عدد أفراد أي منها.

عطاء أهل القادسية

فرض عمر لأهل القادسية في الفين[١]، ولكل من نسائهم مائتين[٢]، وفضل

(١) ابن سعد ٣ ـ ١/ ٣١٤؛ الطبري ١/ ٢٢٦١، ٢٣٠٧/٢٣٢٦، ٢٤١٢، ٢٦٣٠.
(٢) الطبري ١/ ٢٦٣٥.

أهل البلاء منهم بخمسمائة، فكان عطاؤهم ألفين وخمسمائة[١]؛ وذكر الطبري أن عدد المفضلين خمسة وعشرون[٢].

ذكرت المصادر عدداً ممن شهد القادسية وكان في ألفين من العطاء، فروى الشعبي قصة امرأة من النخع شهد بنوها الأربعة القادسية، فكان كل منهم يأخذ الفين من العطاء[٣]؛ وروى ابن ابي شيبة عن أبي وائل قوله «أدركت الفين من بني أسد قد شهدوا في ألفين ألفين، وكانت راياتهم في يد سماك صاحب المسجد»[٤]. ولعل هذ ينطبق على قول عدي بن حاتم الذي رواه ابن حنبل «أتيت عمر بن الخطاب في اناس من قومي، فجعل يفرض للرجل من طي في الفين ويعرض عني. . ثم قال إنما فرضت لقوم أجمعت لهم الفاقة، وهم سادة عشائرهم لما بلوا به من القدمة»[٥].

شمل عطاء الألفين عدداً ممن لم يشاركوا في القادسية، فقد «ألحق عمر من شهد نهاوند فأبلى من الروادف بلاءً فاضلاً في ألفين ألفين، ألحقهم بأهل القادسية»[٦].

وذكر الطبري أن عمر فرض «للدخيل فرائض أهل القادسية»[٧]، وذكر يحيى بن آدم أنه «أسلم الدخيل على عهد عمر، ففرض له عمر في ألفين»[٨]. ولعل المقصود بالدخيل أعاجم ذكرت المصادر أن عمر فرض لهم في ألفين، فيذكر اليعقوبي أن عمر «فرض لأشراف الاعاجم، وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك، ولخالد وجميل ابني بصبهري دهقان الفلاليج، وللهرمزان، وبسطام دهقان بابل، وجفينة العبادي في ألفين ألفين»[٩].

---

(١) الطبري ١/ ٢٣٤٣، ٢٤١٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٣.
(٣) المصدر نفسه ٢٣٢٧.
(٤) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/ ٢٠٤، ٥٧٥، وانظر عن عطاء ابي وائل حلية الأولياء ٤/ ١٠٢.
(٥) ابن حنبل ١/ ٤٥، لسان العرب ٩/ ٦٨.
(٦) الطبري ١/ ٢٦٣٣.
(٧) المصدر نفسه ١ ـ ٢٢٦٩.
(٨) الخراج ليحيى بن ادم ٤٢.
(٩) تاريخ اليعقوبي ٢ ـ ٣١، وانظر فتوح البلدان ٤٥٧.

وجدير بالذكر أن الأساورة عندما انضموا إلى العرب "ألحقهم (عمر) على قدر أهل البلاء في أفضل العطاء، وأكثر شيء أخذه العرب، لمائة منهم في الفين الفين، ولستة منهم في ألفين وخمسمائة"[1]. ويذكر البلاذري أن الأساورة طلبوا الانضمام إلى العرب على أن يكونوا في شرف العطاء، فقبل المسلمون ذلك «وفرض لهم في شرف العطاء»[2].

ذكرنا أن أهل القادسية كانوا في ألفين من العطاء، وأن أهل البلاء فضلوا بخمسمائة. وذكر الطبري أن عددهم كان خمسة وعشرين سمى منهم زهرة وعصمة والضبي والكلج[3].

وذكرت المصادر عدداً ممن كانوا في ألفين وخمسمائة من العطاء في زمن عمر دون الاشارة إلى أنهم كانوا من أهل البلاء. فذكر ابن الكلبي ممن كان في ألفين وخمسمائة من العطاء من بني الحرث بن عدي (كندة) شرحبيل بن معدي كرب والحرث بن هاني وحجر بن عدي وأخيه[4]، وذكر من بني حجر بن وهب جبلة بن أبي كريب، ومن بني امرئ القيس الصلت بن حجر[5]. وذكر من جعفى أياس بن شرحبيل، وقيس بن الملثم[6] وأبا سبرة[7]؛ ولم يذكر ابن الكلبي مشاركتهم في القادسية علماً بأنه ذكر عدداً ممن شهد القادسية دون أن يشير إلى عطائهم. وذكرت مصادر أن «حجر بن عدي: شهد القادسية، وكان في الفين وخمسمائة من العطاء»[8]، وأن الصلت بن النعمان بن عمرو بن عرفجة «كان في ألفين من العطاء في عهد عمر»[9]. وكان عطاء لبيد الشاعر

(١) الطبري ١/٢٥٦٣.
(٢) فتوح البلدان ٣٧٢.
(٣) الطبري ١/٢٣٤٣.
(٤) الأنساب ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧.
(٥) المصدر نفسه ٩٩.
(٦) المصدر نفسه ٢٠٨.
(٧) المصدر نفسه ٢٥٩.
(٨) ابن سعد ٦/١٥١، تهذيب ابن عساكر ٤/١٥، ابن الكلبي ٩٠.
(٩) الإصابة ٢ ـ ١٨٦ (٥٣٦).

زمن عمر ألفين وخمسمائة، وعطاء الأغلب ألفين[١]. وفرض عمر لعمرو بن معد يكرب في ألفين ثم زاده خمسمائة[٢]، وكان أبو ظبيان الأعرج في ألفين وخمسمائة[٣]. وذكر البلاذري أن عمر بن الخطاب فرض لعتاب بن علاثة، من بني عوف بن سعد، مع الأشراف في ألفين وخمسمائة[٤].

وممن كان عطاؤه في ألفين الصلت بن النعمان بن عرفجة، وعامر بن عبد القيس[٥]، وابن قيس الرقيات[٦]؛ وقد اشترط حسان بن مالك في الشام على مروان بن الحكم أن يفرض لألفين من قومه في ألفين[٧]. وجعل عبد الملك الشعبي وعشرين من قومه في ألفين[٨]؛ ولعل هذا كان على العطاء وفي زمن الأمويين.

وتجدر الإشارة إلى أن المقريزي ذكر أن أهل العطاء في الفسطاط كانوا أربعين ألفاً، منهم اربعة آلاف في مائتين[٩] ـ أي مائتي دينار، وهي تعادل ألفين وخمسمائة درهم.

أصناف أخرى

روى ابن سعد أن عمر بن الخطاب «فرض لأهل اليمن وقيس الشام والعراق لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف، إلى تسعمائة، إلى خمس مائة، ولم ينقص أحداً عن ثلاثمائة»[١٠]. ولم يحدد أسس التفاصيل. ويروى عن سالم بن

---

(١) الأغاني ١٤/ ٢٧٠.
(٢) الأغاني ١٤/ ٢٧، وذكر البخاري (جماعة من أصحاب النبي منهم من كان على ٢٥٠٠ ومنهم من كان على الفين ومنهم من كان على ٢٤٠٠ ومنهم من كان على ٢٣٠٠، منهم ابو ضمرة الأسدي (تاريخ البخاري ٤ ـ ٢/ ٤٣٢).
(٣) الاشتقاق ٨٩.
(٤) أنساب الاشراف ٥/ ٣٢، الانساب لابن الكلبي ٨٣ ب.
(٥) ابن سعد ٧ ـ ١/ ٧٣.
(٦) الأغاني ٤/ ١٥٩.
(٧) مروج الذهب ٣/ ٢٠٧.
(٨) الأغاني ٩/ ١٧.
(٩) خطط المقريزي ١/ ٤٣.
(١٠) ابن سعد ٣ ـ ١/ ٢١٤، فتوح البلدان ٣٤٥.

عبد الله أن عمر بن الخطاب «لم يدع احداً من الناس إلا فرض له حتى بقيت منهم بقية لا عشائر لهم ولا موالي، ففرض لهم ما بين المائتين وخمسين إلى ثلاثمائة»[1]. ولعل كلامه ينطبق على الروادف ومن بعدهم الذين ذكرهم سيف بن عمر. ويروي أبو يوسف بعد كلامه عما فرض عمر لأهل المدينة «وفرض للناس ثلاثمائة ثلاثمائة، وأربعمائة أربعمائة للعرب والموالي»[2].

وفي شعر رواه الطبري يذكر أن عمر فرض «ثلاث مئين فرض عك وحميرا»[3].

أهل هجر والعباد

ذكر سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب جعل أهل هجر والعباد مائتين في العطاء، ولم يعتبرهم من الروادف، وإنما ذكرهم بعد آخر الروادف لعله قصد بذلك انهم آخر من ادخل في العطاء. ومن الواضح أن المقصود بالعباد أهل الحيرة، والمقصود بهجر المدينة المشهورة بالبحرين، وكان سكانها من عبد القيس وطوائف من تميم وهي سوق بني محارب من عبد القيس[4]، وأبرز من فيها بنو دارم الذين كان منهم المنذر بن ساوى[5]. ويلاحظ أن بني دارم كانت خططهم في الكوفة مجاورة للحيرة، وكانوا يسمون في البصرة الهجريين[6]، ولعل هذه التسمية أطلقت عليهم في الكوفة أيضاً. ويذكر البلاذري أن «بني دارم خططهم بالكوفة، ولم يختط منهم بالبصرة واحد»[7].

إن إفراد الهجريين والعباد ووضعهم في أسفل سلم العطاء ليس له مبرر مقبول، ويثير الشك في صحته. إلّا إذا افترضنا تأخر إدخالهم في العطاء.

---

(١) ابن سعد ٣ ـ ١/٢١٩.
(٢) الخراج لابن يوسف ٤٤.
(٣) الطبري ١/٢٥٦٣.
(٤) انظر كتابنا «الدولة في عهد الرسول (ص)» ٥٦٠.
(٥) الانساب لابن حزم ٤٣٢.
(٦) الاشتقاق لابن دريد ٢٣٤.
(٧) انساب الاشراف ٩١١ (مخطوطة دار الكتب).

وذكر اليعقوبي أن عمر فرض لأهل اليمن في أربعمائة أو ثلاثمائة، ولربيعة في مائتين[1]، ولعله قصد بذلك من أسماهم سيف أهل هجر.

وخص عمر من يقرأ القرآن بعطاء خاص[2]، وذكرت المصادر أنه جعلهم في ألفين[3]؛ ولعلهم بقوا متميزين وإن كان مقدار عطائهم صار فيما بعد أقل من ألف.

الروادف

ذكر سيف بن عمر في النص الذي نقلناه أعلاه أربعة روادف متتابعة، يتباين عطاؤها تبايناً كبيراً (١٠٠٠، ٥٠٠، ٣٠٠، ٢٥٠)، ولم يحدد زمن قدوم كل رادفة، ولا بد أن كل رادفة جاءت دفعة بزمن واحد، أو أزمنة متقاربة.

ذكر سيف بن عمر أنه عندما نظم عمر بن الخطاب العطاء ألحق رجال الرادفة الأولى على ألف وخمسمائة[4]. وهذا يدل على أن الرادفة الأولى نظمت بعد القادسية، وقبل تأسيس الكوفة. وفي الطبري إشارات إلى مشاركة الرادفة الأولى في معركة نهاوند (سنة ٢١)، فيذكر سيف بن عمر أنه عندما أمر عمر بن الخطاب بالتحشد والإعداد لمعركة نهاوند «وكان أسرع أهل الكوفة إلى ذلك ليبلوا في الدين وليدركوا حظاً»[5]، ولعلّه كان يقصدهم حين قال «وقد توافى إليهم بنهاوند كل من غاب عن القادسية والأيام من أهل الثغور وأمدائها وأعلام من أعلامهم ليسوا بدون من شهد الأيام والقوادس»[6].

ويذكر سيف أنه بعد انتصار المسلمين في نهاوند «ألحق (عمر) من أبلى من الروادف بلاءً فاضلاً في ألفين ألفين، وألحقهم بأهل القادسية»[7]. ولم يذكر

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٣.
(٢) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/٣١٥.
(٣) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/٣٥٣؛ تاريخ الخطيب ٧/٢٥٨.
(٤) الطبري ١/٢١٩٦.
(٥) المصدر نفسه ١/٢٦١٦.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٦١٨.
(٧) المصدر نفسه ١/٢٦٣٣.

عدد من أبلى بلاءً فاضلاً، وإن لم يكن الراجح أنه لم يكن كبيراً، كما أنه لم يذكر عدد هذه الروادف التي شاركت في نهاوند، أو مقدار عطائهم.

لم يحدِّد سيف بن عمر أو غيره من المصادر زمن دفوف كل من الروادف الأربعة، ولعلَّ من هذه الروادف من قدم عندما حدثت حطمة زياد، حيث تقاطرت إلى الكوفة أعداد من العرب، فقال زياد للعرب: «إن عشائركم قد وردت فاختاروا أن يأخذوا نصف أعطياتكم وأرزاقكم فنقويهم بهما مع مالهما عندنا، أو تكفينا كل عشيرة من فيها، فمنهم من ضم عشيرته، ومنهم من طابت نفسه نصف عطائه ورزقه وارزاق عياله»[1]. ويقول سيف بعد كلامه عن فرائض أهل القادسية «وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً، ثم فرض للروادف المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الثليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة، سوى كل طبقة في العطاء قويهم وضعيفهم، عربهم وعجمهم، وفرض للروادف الربيع على مائتين وخمسين، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين»[2].

عطاء العيالات

كان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ مائتي درهم. وكان يبدأ الفرض لهم عند الفطام ثم جعلها عند الولادة.

تتفق الروايات على تسمية من في العطاء «المقاتلة»، أما الصنف الثاني فقد سُموا «الابناء»، وهم مميزون عن «الموالي والعبيد»، وكانوا يسمون في زمن زياد «العيالات» ولعلهم هم الذي سمتهم المصادر في زمن الحجاج «الشباب»؛ وكانت نسبتهم عالية، ففي زمن خلافة علي كانوا أقل من نصف المقاتلة، وهم متميزون على الموالي والعبيد (٤٠ ـ ١٧ ـ ٨)، وفي زمن زياد كان عددهم أكثر من عدد المقاتلة (٧٠ ـ ٨٠)، وفي زمن الحجاج كان

(١) الطبري ١/ ٢٤١٣.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤١٣.

عددهم ربع المقاتلة (٤٠ ـ ١٠)؛ أما في البصرة فكان عددهم في زمن ولاية عبيد الله بن زياد قرابة مرة ونصف من عدد المقاتلة (٩٠ ـ ١٤٠).

تجمع الروايات على أن عمر بن الخطاب أعطى العيالات، وأصبح قراره قاعدة اتبعها من تلاه من الخلفاء والولاة مع تعديلات فرعية أدخلوها في السن الذي يُنتهى ويبدأ فيه بالعطاء.

فعن زمن الخليفة عمر بن الخطاب، فإن الطبري ذكر أن عمر جعل الصبيان سواء على مائة مائة[١]. وذكر ابن سعد أن عمر فرض للمنفوس مائة، فإذا ترعرع بلغ به مائتين، فإذا بلغ زاده[٢].

ويروي ابن أبي شيبة أن عمر كان يفرض للصبي إذا استهل، غير أنه يروى عن عمر بن محمد بن زياد عن جده «لما ولد ألحقه عمر في مائة من العطاء»[٣]. وفرض للنساء من أهل القادسية في مائتين[٤]. ويروى أن أم العلاء قالت إن «أباها انطلق بها إلى علي ففرض لها في العطاء وهي صغيرة، وقال علي ما الصبي الذي أكل الطعام وعض على الكسرة بأحق بهذا العطاء من المولود الذي يمص الثدي»[٥]. ويروي ابن سعد أن عطية بن عوف السعدي لما ولد أتى به أبوه علياً فأخبره ففرض له في مائة[٦].

أثار إعطاء المولود مشاكل، ويروى أن رجلاً سأل الحسن بن علي عن المولود، فقال إذا استهل وجب عطاؤه ورزقه[٧].

أما السن الذي ينقل فيه العيّل إلى أهل العطاء، فإن ابن سعد يذكر أن عمر

(١) الطبري ١/٢٤١٥، ابن سعد ٣ ـ ١/٢١٥.
(٢) ابن سعد ٣ ـ ١/٢١٥.
(٣) المصنف لابن ابي شيبة ١٢/٣١٤، سنن البيهقي ٦/٣٤٧، الأموال لابن سلام ٣٨.
(٤) ابن سعد ٣/٢٣٥.
(٥) المصنف لابن أبي شيبة ١٢٣١٥، سنن البيهقي ٦/٣٤٧.
(٦) ابن سعد ٦/٢١٢.
(٧) المصنف لابن أبي شيبة ١٢/٣١٣، سنن البيهقي ٦/٣٤٧، الأموال ٢٣٧.

كان يفرض لابن خمسة عشر[1]، غير أن الطبري يذكر عن رجل أنه كان ابن سبع عشرة سنة وليس في عطاء[2].

يذكر الطبري أن عمر بن الخطاب جعل النساء من بعد الحديبية «إلى الأيام ثلاثمائة ثلاثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك»[3] ولم يذكر المقدار الذي سويت الناس عليه. غير أن في الكتب إشارات إلى أن عطاء النساء في الكوفة كان مائتين، وأن سعيد بن العاص أراد أن يحطه إلى مائة[4].

أدخل عمر اللقطاء في العطاء، فيروى أن عمر أتى بلقيط فألحقه في مائة[5]. ويروى أن عمر كان يرزق الإماء والحامل[6].

إن سياق النصوص يقتضي أن هذا المقدار كان يدفع سنوياً لكافة المولودين من الذكور والاناث بصرف النظر عن عددهم أو صنف عطاء والدهم، ويبدو أن هذا استمر منذ تدوين الدواوين في سنة ٢٠ هـ[7] إلى أوائل أيام خلافة عثمان بن عفان. يروي سيف بن عمر «كان الوليد أدخل على الناس خيرا حتى جعل يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجع عليه الاحرار والعبيد»[8]. ويروى أيضاً «أنه كان مما زاد الناس على يده أن رد على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر، يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم»[9]. ولعل هذا من أسباب رضى العامة عنه، إذ يروي سيف بن عمر

---

(١) ابن سعد ٥/ ٢٥٨.
(٢) الطبري ١/ ٣٢٦٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤١٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٩٢٩، الأغاني ١١/ ٢٩.
(٥) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/ ٣٣٢، مصنف عبد الرزاق ٧/ ٤٠٥.
(٦) ابن سعد ٦/ ١٠٤، مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٣١٣، سنن البيهقي ٦/ ٣٤٨.
(٧) ابن سعد ٣ ـ ١/ ٢١٣، فتوح البلدان ٤٤٥.
(٨) الطبري ١/ ٢٨٥٠.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٨٤٥.

«كان الناس في الوليد فرقتين العامة معه والخاصة عليه، فما زال عليهم من ذلك خشوع حتى كان صفين»[١].

وتجدر الاشارة إلى أنه في زمن زياد «كان لكل عيل جريبان ومائة درهم، ومعونة الفطر خمسين، ومعونة الأضحى خمسين»[٢].

أما عدد من يستلم من الديوان من الناشئة في الكوفة، فقد وردت عنه معلومات تتعلق ببعض الأزمنة. ففي أول خلافة علي بن أبي طالب كان في الكوفة أربعون ألفاً من المقاتلة، وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك، وثمانية آلاف مواليهم وعبيدهم[٣]. وفي زمن ولاية زياد كان عدد مقاتلة الكوفة ستين ألفاً وعيالاتهم ثمانين ألفاً[٤]. وفي زمن الحجاج كان عدد المقاتلة أربعين ألفاً، والشباب عشرة آلاف[٥].

ومن المفيد أن نذكر أن عبيد الله بن زياد قبيل مغادرته البصرة بعد موت يزيد افتخر على أهل البصرة، فقال «ولقد وليتكم وما أحصى ديوان مقاتلتكم إلاّ سبعين ألف مقاتل، ولقد أحصى اليوم ديوان مقاتلتكم ثمانين الفاً، وما أحصى ديوان عمالكم (عيالكم؟) إلاّ تسعين ألفاً، ولقد أحصى اليوم مائة وأربعين ألفاً»[٦].

وذكر الطبري النظام الجديد للعرافة بعد فرض العطاء، حيث يقول في فقرة عنوانها «إعادة تعريف الناس» يقول: «وعرفوهم على مائة ألف درهم فكانت كل عرافة من القادسية خاصة ثلاثة وأربعين رجلاً وثلاثاً وأربعين امراة وخمسين من العيال لهم مائة ألف درهم، وكل عرافة من أهل الأيام عشرين رجلاً على ثلاثة

(١) الطبري ١/ ٢٨٤٩.
(٢) أنساب الاشراف ٤ ـ ١ ـ ٢٠٦.
(٣) الطبري ١/ ٣٣٧٢.
(٤) فتوح البلدان ٣٤٩.
(٥) الطبري ٢/ ٩٤٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٣٣.

آلاف، وعشرين امرأة، وكل عيل على مائة، على مائة ألف درهم وكل عرافة من الرادفة الأولى ستين رجلاً وستين امرأة وأربعين من العيال ممن كان رجالهم ألحقوا على ألف وخمسمائة على مائة ألف درهم، ثم على هذا من الحساب»[1].

يظهر من هذا النص أن التنظيم الجديد استهدف تسهيل توزيع العطاء، فكانت العرافات متساوية في مقدار ما تأخذه من العطاء، وهو مائة ألف لكل منهم، وهذا يستلزم اختلاف عدد أفراد كل عرافة تبعاً للخدمات السابقة التي ساهموا فيها من أجل دولة الإسلام، أي أنه كان يضع بذور الطبقية وتوليد الارستقراطية.

لم يذكر الطبري مقدار العيال في عرافة أهل الأيام، كما أن مجموع مقدار ما يأخذه أفراد العرافات وعيالاتهم يزيد على مائة ألف، فمن المعروف أن أهل القادسية كان عطاء كل منهم ألفي درهم، أي أن مجموع عطاء رجالهم هو ٢٠٠٠ × ٤٣ = ٨٦٠٠٠، أي أنه أقل من مائة ألف، فإذا أضفنا إليه ما يصيب العيال وهو ٥٠٠٠، وما يصيب النساء وهو ٤٠٠٠ ازداد الفرق عما ذكره الطبري.

أما مجموع عطاء رجال الرادفة الأولى وهو ٦٠ × ١٥٠٠ = ٩٠,٠٠٠، فإذا أضفنا إليه عطاء النساء والاطفال وهو (٦٠+٤٠) × ١٠٠ = ١٠,٠٠٠ فإنه يكون مائة ألف، وهو منسجم مع ما ذكره.

ويروي ابن سعد عن خالد بن عرفطة أنه في زمن عمر «ما يبلغ لنا ذكر إلا ألحق على خمسمائة أو ستمائة»[2].

كوّن أهل الديوان في الأرجح كافة أهل الكوفة في أول تأسيسها، واستوعب العطاء كل جبايات الأقاليم التابعة للكوفة، وكان مقدار هذه الجبايات مستقراً

(١) الطبري ١/٢٤٩٦.
(٢) ابن سعد ٣-١/٢١٥.

نسبياً لأنه يعتمد بالدرجة الأولى على ما يجبى من المزروعات، وكان العدد الأكبر يأخذ عطاء أهل القادسية وهو ألفا درهم أي من أكبر المقادير، وأن انتقالهم عن الكوفة إلى الأمصار الأخرى أو وفاتهم ييسر للدولة ما يمكنها من إضافة أعداد إلى أهل العطاء من العيالات أو المهاجرة الجدد الذين يأخذون عطاءً أقل من عطاء أهل القادسية. غير أن مثل هذه الإضافة لابد أن تكون محدودة بثبات مقدار الجباية، علماً بأن سياسة الدولة في عدم وضع القيود على الهجرة إلى الكوفة والأمصار الأخرى، والمغريات التي توفرها الكوفة شأن الأمصار الأخرى، ومجالات الفوائد المادية والاجتماعية من وفرة النقود في الأمصار بفضل ما يصلها من الجبايات، والنشاط الاقتصادي لتوفير حاجات المقاتلة الذين كان عليهم أن يحصلوا بأنفسهم على ما يحتاجون من الألبسة والتجهيزات وبعض المواد المعاشية، وكذلك متطلبات العمران والبناء، كل هذا كان من شأنه أن يشجع الهجرة إلى الكوفة للانضمام إلى المقاتلة، أو للحصول على موارد تؤمن معيشة أفضل. وبذلك تتابعت الهجرة إلى الكوفة التي تزايد سكانها من دون أن يؤثر في ذلك انتقال عدد منهم إلى أماكن أخرى.

يبدو أن مجيء الروادف وغيرهم إلى الكوفة لم يحدث فيها أزمة في السنوات الأولى من خلافة عثمان حين كان عليها الوليد بن عقبة، فيذكر سيف بن عمر: كان الوليد أدخل على الناس خيراً كثيراً حتى جعل يقسم للولائد والعبيد، ولقد تفجع الأحرار والمماليك، كان يسمع الولائد وعليهن الحداد يقلن.

يا ويلتا قد عزل الوليد وجاءنا مجوعاً سعيد

ينقص في الصاع ولا يزيد فجوّع الإماء والعبيد[1].

ولا ريب في أن التذمر من سعيد بن العاص لم يحدث حال قدومه الكوفة، وإنما بعد استقراره في الإمارة وانقاصه الصاع، إلا أنّنا لا نعلم ما اتخذه الوليد مما مكنه أن يدخل على الناس خيراً كثيراً.

---

(١) الطبري ١/ ٢٨٥٠.

أشار سيف بن عمر إلى أن تزايد عدد الروادف في الكوفة كان من دوافع التوتر ثم الاضطراب الذي حدث في زمن ولاية سعيد بن العاص، لأنه كتب إلى عثمان بالذي انتهى إليه أن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وغلب على أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقدامة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لحقت حتى ما ينظر إلى ذي شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتتها. فكتب إليه عثمان: أما بعد، ففضل أهل السابقة والقدامة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزل بسببهم تبعاً لهم إلاّ أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به، وقام به هولاء. واحفظ لكل منزلته، واعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يُصاب العدل.. فأرسل سعيد لسائر وجوه الناس من أهل الأيام والقادسية فقال أنتم وجوه من وراء الوجه ينبي بالخير فكأنما كانت الكوفة يبساً شملته النار(١).

تطور العطاء في زمن عثمان وعلي

إن الاحتفاظ بحرفية تنظيمات عمر بن الخطاب كان يتطلب بقاء الاوضاع العامة، وهو أمر لم يتحقق بسبب التطورات التي تعرضت لها الكوفة بعد تأسيسها، وقد عملت الدولة على تأمين الحصول على مقدار ثابت من المال من الجباية بما يكفي لسد نفقات العطاء، ويبدو أنها أفلحت في تحقيق ذلك باستعمال الحزم، وربما العسف، بسبب بعض التطورات في أحوال أراضي السواد التي كانت المصدر الرئيس للموارد، والواقع أن اختفاء كثير من الملاكين القدماء أضعف الرقابة على فلاحي بعض الأراضي، كما أن إهمال المسؤولين عن الري أدى إلى خلل في أحوال الري وإلى ازدياد البطائح، وكان تزايد اقتناء العرب للأراضي الزراعية قد أثّر في مقدار الجباية، يضاف إلى ذلك أن الحرية التي أتاحها العرب أدت إلى ترك عدد من الفلاحين العمل في الزراعة مما يؤدي إلى تناقص جباة الخراج ما لم تتبع تدابير حازمة على من

(١) الطبري ١/ ٢٨٥٢.

بقي من الفلاحين، ثم إن ازدياد مقدار الجباية يرتبط بتوسع الأقاليم التي يقوم مقاتلة الكوفة بضمها إلى الدولة الإسلامية، ومن المعلوم أن مقاتلة الكوفة حققوا انجازات واسعة في الفتوح في زمن خلافة عمر، غير أنهم لم يتابعوا هذه الانجازات في زمن الخليفة عثمان، ولم يقوموا بفتوحات كالتي قام بها مقاتلة البصرة في المشرق ومقاتلة الشام في الجزيرة وارمينية ومقاتلة مصر في شمال افريقية.

ثم إن سكان الكوفة حدثت عليهم تطورات غير قليلة، فالقواعد التي وضعها عمر تقوم على تمييز المقاتلة في مقدار عطائهم تبعاً لإنجازاتهم السابقة في الفتوح، غير أن هذا التمييز يتعرض للاختلال على مر الأيام، بسبب وفاة بعض من كان عطاؤهم كبيراً، وظهور من يبدي شجاعة أو خدمات متميزة في الحروب ممن تقضي المصلحة والعدالة جعلهم في الأصناف العليا من العطاء، ثم إن الهجرة إلى الكوفة استمرت وخاصة هجرة العرب من شبه جزيرة العرب؛ وكان عدم إدخالهم في العطاء مبعث قلق اجتماعي واداري، أما ادخالهم فيه فيتطلب موارد إضافية ووضع قواعد إضافية لدفع العطاء وتعديل القواعد التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب. وسنقتصر فيما يلي على التطورات التي حدثت على مقدار العطاء وأصنافه في الكوفة من دون التفصيل المستوعب للعوامل المؤثرة في هذه التطورات.

فأما الخليفة عثمان، فإن الطبري يذكر أنه «أول خليفة زاد الناس في أعطياتهم مائة فجرت»(١). ويقول المقريزي إن عثمان هو أول من زاد رزق أهل الامصار، وهو أول من رفدهم وصنع فيهم الصنائع فاستن الخلفاء في الزيادة(٢). ويقول اليعقوبي إن عثمان سوى الناس بالأعطية(٣). . غير أن الإشارات في المصادر لا تؤيد هذا القول، فيذكر أبو اسحاق السبيعي أن عثمان فرض له في ألف وخمسمائة ولعياله مائة مائة(٤).

---

(١) الطبري ١/ ٢٨٠٤.
(٢) خطط المقريزي ١/ ٩٣.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٠١.
(٤) ابن سعد ٦/ ٢١٩.

يذكر ابن شبه «كان عثمان قد جعل لموالي قريش طعمة خمسة دنانير (وهي تعادل ستين درهماً) لكل رجل وكل حول.. ولم يجعلها عثمان لأحد من الموالي إلا موالي قريش»(١). ولا بد أن هذا الذي قرره في المدينة امتد إلى من كان من موالي قريش في الكوفة، وإن كان عددهم غير كبير.

ويروي الشعبي «كان مقدار مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده (الوليد بن عقبة) أن رد كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم»(٢). ولا بد أن هذه الزيادة تمت في أوائل خلافة عثمان التي كان فيها الوليد بن عقبة والياً على الكوفة، ويلاحظ أنه قدرها شهرياً وليس سنوياً، أي أنها كانت كالرزق، ولعل هذا هو الذي أشار إليه ابن أبي شيبة بقوله «وكان عثمان وعلي يرزقان أرقاء الناس»(٣).

يروي الطبري أن سعيد بن العاص والي الكوفة زار عثمان ومعه الاشتر في سنة ٣٤، ثم عاد الاشتر إلى الكوفة فأخبر أهلها أن سعيداً كان يبغي أن يقرر الخليفة «على نقصان نسائكم إلى مائة درهم ورد أهل البلاء منكم إلى ألفين»، ويقول «ما بال أشراف الناس وهذه العلاوة بين هذين العدلين»(٤)، وكان هذا القرار مبعث استياء على عثمان، رغم انه لاتوجد إشارة إلى تنفيذه ذلك.

ويروي ابن أبي شيبة أن الخليفة علي بن أبي طالب زاد الناس مائتين، وأنه فرض لرجل في أربعمائة ثم رفعها إلى ستمائة(٥)، ولا ريب في أن هذا لا يعني عدم وجود اصناف أخرى من العطاء.

ويروي اليعقوبي أن علياً بعد انتهاء معركة الجمل «أعطى الناس بالسوية، لم

(١) تاريخ المدينة لابن شبه ٩٨٩.
(٢) الطبري ١/ ٢٨٤٥.
(٣) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/ ٣١٣، سنن البيهقي ٦/ ٣٤٨.
(٤) الطبري ١/ ٢٩٢٩.
(٥) مصنف ابن ابي شيبه ١٢/ ٣٠٣.

يفضل أحداً على أحد، وأعطى الموالي كما أعطى الصليبة وقيل له في ذلك فقال: قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لولد اسماعيل على ولد اسحاق فضل هذا، وأخذ عوداً من الأرض فوضعه دون إصبعه»[1].

ويروي أبو حكيم صاحب الحناء عن أبيه «أن علياً أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان فقال اغدوا إلى عطاء رابع إني لست لكم بخازن، قال وقسم الحبال فأخذها قوم وردها قوم»[2]. والراجح أن المقصود بهذا القول أن دفع العطاء تم على ثلاث دفعات في السنة، إذ إن الأوضاع العامة لم توفر للخليفة علي ما يمكنه أن يدفع ثلاثة عطاءات في السنة، حيث تذكر المصادر أنه كان يدفع العطاء عيناً بالمواد لا بالنقود، فيروي ابن ابي شيبة أن علياً كان يأخذ من كل قوم خراجهم من عمل أيديهم، وقال للعرفاء اقسموا هذا[3]، ويذكر أنه قسم القرنفل والاترج والانوار من كمون وحرث والورس والزعفران[4]، ويروي ابن سعد عن زادان «أن علي بن أبي طالب رزق الناس دناني فأصاب مولاه منه دنينة كانوا يأكلون بها ويشربون منها»[5].

تطور تنظيم العطاء في زمن الأمويين

ولما صفت الخلافة لمعاوية وولي زياد الكوفة والبصرة ثبت تنظيمات واسعة، منها أن الكوفة جعلت أرباعاً بعد أن كانت أسباعاً، وثبت التنظيم الاداري للعشائر وجعل لكل عشيرة عريف، والراجح أن كل عشيرة أصبحت تضم ألف مقاتل. ودققت السجلات على هذه الأساس، واهتم زياد بضبط أحوال الريف والجباية، فاستقرت موارد الجبايات مما يسر تنظيم دفع العطاء والرزق، ولعله في زمنه تم بناء دار الرزق في الكوفة، كما حدث في البصرة، وثبت مقدار الرزق.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٠.
(٢) الاموال لأبي عبيدة ٥٧١.
(٣) مصنف ابن ابي شيبة ١٢/ ٣٢٠ ـ ٣٢١.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ابن سعد ٦/ ١٢٤.

يروي الشعبي أن معاوية أمر لأهل الكوفة بزيادة عشرة دنانير في عطائهم[1]، وقد تم هذا في اوائل خلافته عندما كان النعمان بن بشير والياً على الكوفة. والراجح أن هذه الزيادة وهي تساوي مائة درهم، كانت مكرمة مؤقتة، ولم تبدل أصناف مقادير العطاء، فيروى في ذلك أن لبيد الشاعر كان عطاؤه ألفين وخمسمائة فأراد معاوية انقاصها إلى ألفين[2]، ويروى أنه جعل عطاء رجل ألفاً بعد أن كان سبعمائة[3]، وأنه أنقص عطاء رجل كان في سبعمائة فجعله في ثلاثمائة[4]. ويروى أن معاوية أول من أخذ الزكاة من الأعطية[5]، أي أنه أنقص الأعطية ١/ ٤٠، وهي تبلغ لذوي الشرف ستين درهماً.

وعندما ولي يزيد الخلافة زاد عطاء أهل الكوفة مائة درهم[6]، ولا بد أنها زيادة مؤقتة.

أما في زمن سيطرة المختار على الكوفة، فإن الطبري يذكر أنه «أعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر، وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل، كل رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم، وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر فاقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتى دخل القصر مائتين مائتين»[7]؛ ويبلغ مجموع عدد من أعطاهم قرابة العشرة آلاف، وهذا يشير إلى صنفين من العطاء، غير أن ذكرهما جاء عرضاً وفي حالة استثنائية، والراجح أن المختار تابع الأسس المقررة سابقاً، إذ إن مقدار ما دفعه يبلغ ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف، وهي ليست سوى ثلث ما وجده في بيت المال.

---

(١) الأغاني ١٤/ ١١٥، أنساب الاشراف ٤/ ٦٩٥ (المخطوط).
(٢) الأغاني ١٤/ ٩٤.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ١٠١.
(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ٤٤.
(٥) الأم الشافعي ٢/ ١٤.
(٦) أنساب الاشراف ٤/ ٦٤٦، ٦٦٥.
(٧) الطبري ٢/ ٦٣٢.

وعندما هيمن مصعب بن الزبير على الكوفة زاد الناس مائة مائة في العطاء[1]، ويروي البلاذري أن مصعب «كان يعطي أهل العراق في كل سنة عطائين، في الشتاء عطاء وفي الصيف عطاء فأحبه الناس حباً شديداً»[2]، ولا بد أن المقصود بذلك دفع العطاء بدفعتين، لأن موارد الدولة لا تيسر له مضاعفة العطاء للمقيمين في الكوفة، غير أن الطبري يذكر أن الجند الذين أرسلهم مع عمر بن عبيد الله لقتال الخوارج في فارس «أجرى عليهم أرزاقهم في كل شهر، وأوفاهم أعطياتهم في كل سنة، وأمر لهم من المعاون في كل سنة بمثل الأعطيات»[3].

العطاء في زمن الحجاج

لما استعاد الأمويون سيطرتهم على العراق عملوا على استرضاء أهل الكوفة بعدة وسائل منها الاهتمام بعطائهم، ويروي الطبري أن عبد الملك بن مروان عندما دخل الكوفة بعد قضائه على مصعب بن الزبير عرض مقاتلة الكوفة وعمل على تنظيم عطائهم، وكان مما عمله أن رفع عطاءه من ثلاثمائة إلى سبعمائة[4]؛ وذكر الحجاج في أول خطبة له في الكوفة عند ولايته عليها «ألا وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وإشخاصكم إلى محاربة عدوكم مع المهلب، وقد أمرت لكم بذلك واجلتكم ثلاث مرات، ثم نزل وأمر الناس بأعطياتهم»[5].

غير أن الاحداث التي مرت بالعراق والكوفة حينذاك كان لها تأثير في أحوال العطاء ومن يأخذه، فقد حدثت في الكوفة بعد وفاة يزيد انقسامات رافقتها صراعات دامية بما في ذلك اشتداد حركة الخوارج وأعمال المختار

(١) الطبري ٢/ ٨٧٤، أنساب الاشراف ٢٨٠ (طبعة اهلورت).
(٢) أنساب الاشراف ٥/ ٢٨٠.
(٣) الطبري ٢/ ٨١٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧١٦.
(٥) مروج الذهب ٣/ ٢٩٧.

المتناقضة، ثم ما رافق سيطرة المصعب على الكوفة من أحداث دامية. ولا بد أن عدداً غير قليل من أهل العطاء قد قتلوا فيها، كما أن كثيراً من المنشقين حرموا العطاء. ومع أن عبد الملك حاول رأب الصدع وجمع الشمل، إلاّ أنه ظلت بعض الأحداث تؤثر في الخراج.

ومن أبرز التطورات آنذاك توسع حركة الخوارج وامتدادها إلى رقعة واسعة في جزيرة العرب وإقليم فارس والعراق، ولا بد أن بعض هذا التوسع راجع إلى كثرة عدد من انضم إليهم، ومن هؤلاء عدد ممن في العطاء من أهل الكوفة، وأنهم بعملهم هذا حرموا من العطاء، ثم إن الخوارج حرموا الكوفة من جبايات المناطق التي هيمنوا عليها، فقلّت مواردها وتأثر بذلك بيت المال وقدرته على توفير العطاء لأهلها. ولكن حركة الخوارج تعتمد على استعمال القوة، فإن حسرها والقضاء عليها كان يقتضي استعمال القوة أيضاً. وأدرك الحجاج ذلك فشدَّد على أهل العطاء وألزمهم المشاركة في الحملات التي وجهها ضد الخوارج والحد من حركتهم، وواجه الحجاج حركة عارمة أخرى هي ثورة ابن الاشعث التي استمرت في العراق، وانضم إليها عدد غير قليل من أهل الكوفة ممن كانوا في العطاء، ولم يتم القضاء عليها إلاّ بعد الاستعانة بجيش من مقاتلة أهل الشام. ثم إن الحجاج تابع التوسع في أواسط آسيا وفي إقليم السند، وتطلّب توسعه ازدياد الحاجة إلى المقاتلة والى التشديد على أهل العطاء بوجوب المشاركة في القتال.

كل هذه الأمور جعلت للعطاء آثاراً غير قليلة على الناس وأحوالهم في زمن الحجاج، ولم تذكر المصادر التغييرات التي حدثت في عهده على عطاء أهل الكوفة بسبب هذه التطورات، وإنما ذكرت بعض من فرض له الحجاج من أهل الكوفة. فعندما تقدم الخوارج بقيادة صالح بن مسرح إلى الدسكرة في سنة ٧٦ وبلغ ذلك الحجاج «سرح إليهم الحارث بن عميرة بن ذي المشعار الهمداني في ثلاثة آلاف رجل من أهل الكوفة. ألف من المقاتلة الأولى والفين من الفرض

الذي فرض لهم الحجاج»[1]. وهذا يظهر أن أهل الفرض كونوا ثلثي القوة التي أرسلها الحجاج، وأنهم بعض الذين فرض لهم الحجاج، وإن كانت المصادر لم تشر إلى المجموع الكلي لمن فرض لهم الحجاج في هذا الزمن المبكر من ولايته العراق.

وعندما قاتل بنو عنزة سلامة بن سيّار حليف شبيب الخارجي وقتلوا من معه «وأتوا برؤوسهم عبد الملك بن مروان انزلهم بانقيا، وفرض لهم ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلاّ قليلة»[2]. ويروي أبو عبيدة «كان الحجاج يفرض في ثلاثمائة، ففرض للحرنفش أحد بني ثعلبة بن سلامان»[3].

إلى ذلك، فقد وضعت للعطاء إضافات متعددة، يذكر الأصبهاني «أجرى الوليد بن عبد الملك الخيل وعنده حارث بن بدر الغداني وهو حينئذ في ألف وستمائة من العطاء.. (ثم) جعل عطاءه ألفين وثماني مائة.. (ثم) أمر الوليد له بالمائتين فانصرف وعطاؤه ألفان»[4].

وبعد أن انتصر المهلَّب على الخوارج «أمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم، وفضل بالرفاد وجماعته بعد ذلك»[5].

ولما هدَّد شبيب الخارجي بغزو الكوفة، دعا الحجاج أصحاب الدواوين فقال اضربوا على الناس البعث، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس، من كل ربع ألف وأعجلوا في ذلك فجمعت العرفاء وجلس أصحاب الدواوين وضربوا البعث، فأخرجوا أربعة آلاف بالعسكر، فعسكروا، ثم نودي فيهم بالرحيل ثم ارتحلوا؛ ونادى منادي الحجاج أن برئت الذمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلفاً.

---

(١) الطبري ٢/ ٨٩٠.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٩٣.
(٣) أنساب الاشراف ٢٧٣ (طبعة اهلورت).
(٤) الأغاني ٢١/ ١٨.
(٥) الكامل للمبرد ٦٩٩.

وضرب الحجاج على جيش أهل الكوفة بعثاً إلى مكران وأخرج معهم أعشى همدان[(١)]. وضرب أيضاً بعثاً على المحتلمين ومن ينبت من الصبيان[(٢)]، وسمى هذا الجيش جيش بابي[(٣)].

وعندما ثار ابن الأشعث وتقدم إلى العراق انضم إليه عدد كبير من أهل الكوفة، فعاقب الحجاج المنضمين، ويذكر الهيثم بن عدي أن رجلاً جاء إلى الحجاج فقال «إني فيمن خرج مع ابن الأشعث فضرب على اسمي في الديوان فمنعت العطاء وهدمت داري، فقال الحجاج يا غلام أعد اسمه في الديوان وابنِ داره واعطِه عطاءه»[(٤)].

ولما تزايد خطر ابن الاشعث بعث عبد الملك ابنه عبد الله وأخاه محمد «فأمرهما أن يفرضا على أهل العراق ما نزع الحجاج عنهم وأن تجرى عليهم أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام»[(٥)].

وعندما قضى الحجاج على حركة ابن الاشعث حرم أهل الكوفة العطاء، ثم أحس بما ينتجه الإصرار على ذلك من نتائج سيئة، فكتب إلى عبد الملك كتابا يقول فيه إن الله إنما نصرنا بطاعته والوفاء ببيعة خليفته، وانما هلك أهل العراق بمعصيتهم وخلافهم ونكثهم، وإن لهم في هذا الفيء حقاً ونصيباً، وإني أخاف إن جئنا عليهم أن ينتصروا علينا، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم بحقوقهم.

العطاء في أواخر زمن الأمويين

اهتم عمر بن عبد العزيز بأمر العطاء، فيذكر ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز زاد الناس في عطاياهم عشرة عشرة العرب والموالي سواء[(٦)]؛ ونقل ابن

(١) الأغاني ٦/ ٣٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٤١٨.
(٣) المصدر نفسه ٢٠/ ٦٢.
(٤) عيون التواريخ ٣٩ أ.
(٥) الطبري ٢/ ١٠٧٣.
(٦) أنساب الاشراف ٧/ ٤/ المخطوط.

الجوزي "كان رسول عمر بن عبد العزيز يقدم البصرة فإذا سمع به تلقاه الناس فليس يقدم إلاّ بزيادة في عطاء أو قسم أو خير يأمر به أو شر ينهى عنه"[١]، والراجح أن هذا الوضع كان يمتد إلى الكوفة.

أما يزيد بن عبد الملك فإن البلاذري يذكر أنه عندما ثار يزيد بن المهلب «بعث يزيد إلى أهل الكوفة من أهل الشام يسكنونهم ويثنون عليهم بطاعتهم، ويعدونهم الزيادة في أعطيتهم»[٢].

وفي سنة ١١٢ هـ. تعرض الجيش الإسلامي في خراسان إلى نكسة في ما يسمى «يوم الشعب»، فكتب الجنيد بن عبد الرحمن المري والي خراسان إلى هشام يستمده فأمده بعمرو بن مسلم مع عشرة آلاف من أهل البصرة وبعبد الرحمن بن نعيم في عشرة آلاف من أهل الكوفة، وحمل إليه ثلاثين ألف قناة وثلاثين ألف درع، وأطلق يده في الفريضة ففرض لخمسة عشر ألف رجل[٣]، والراجح أن رجال هذا المدد ظلوا مقيمين في خراسان.

وعندما بويع إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، قدمت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة، فبايع الناس لهما وزادهم في العطاء مائة مائة، وكتب ببيعتهما إلى الآفاق[٤].

متطلبات العطاء

يعطى العطاء للمقاتلة على أن يشاركوا في القتال عندما يطلب منهم ذلك، وليس لأحد في الفيء والغنيمة شيء إلاّ أن يجاهدوا[٥]، وعلى من يأخذ العطاء أن يجهز نفسه بالتجهيزات المطلوبة. ويذكر الطبري «أن الحجاج عندما جهز الجيش الذي أرسله مع عبد الرحمن بن الأشعث أعطاهم كاملاً وأخذهم

(١) سيرة عمر بن العزيز لابن الجوزي/ ٤٢.
(٢) انساب الاشراف ٨/ ٢١١ مخطوط.
(٣) فتوح البلدان ٤٢٩.
(٤) الطبري ٢/ ١٨٨١.
(٥) الخراج ليحيى بن آدم/ ٥.

بالخيول الروائع والسلاح الكامل»[١]؛ وفي المصادر إشارتان إلى تجهيز الرجالة، فيروي البلاذري أن «كثيِّر من شهاب كان إذا غزا أخذ كل امرئ ممن معه بترس ودرع وبيضة ومسك وخمسة ابر وخيوط كتان، وبمخصف ومقراض ومخلاة وتليسة»[٢].

وذكر أبو عبيدة أن الحجاج كان يفرض في ثلاثمائة ويشترط على المقاتلة تجهيز أنفسهم بالخيل، ويروي ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كان «لا يقبل من رجل له مائة دينار إلاّ فرس عربي ودرع ورمح ونبال»[٣]؛ وينقل السرخسي عن رجل اعترض على دابة ثم نفقت فأرادوا أن يحلفوه أنها الدابة التي اعترض عليها[٤].

إن الاهتمام بالخيل راجع إلى أهميتها في القتال والنقل، ففي القتال كان للفرسان دور حاسم في انتصار العرب في كثير من المعارك، وقد أدرك عمر بن الخطاب أهمية الخيل، فيروي أبو يوسف أنه كان لعمر أربعة آلاف فرس موسومة في سبيل اللّه، إن كان في عطاء الرجال خفة أو محتاج أعطاه الفرس[٥]، ويبدو أن هذا اقتصر على زمن عمر، ولا توجد إشارة إلى امتلاك الدولة فيما بعد خيلاً تجهز بها المقاتلة.

كان الاشتراك في البعوث شرطاً لدفع عطاء يشمل حتى الأسرة الأموية، فيذكر البلاذري «لم يكن أحد من بني مروان يأخذ العطاء إلاّ وعليه الغزوة، فمنهم من يغزو بنفسه ومنهم من يخرج بديلاً، وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان وفي بعض ما يجوز لهم من المقام فيوضع عنهم الغزو»[٦]. ولا بد أن

---

(١) الطبري ٢/ ١٠٤٢.

(٢) فتوح البلدان ٣٢٢، والمسكة جلدة تكون على راس الولد (لسان العرب ١٢/ ٣٧٩) أو تكون كالسوار في اليد (لسان العرب ١٢/ ٣٧٥ ـ ٦)، أما التليسة فهي وعاء من خوص (لسان العرب ٧/ ٣٣١).

(٣) ابن سعد ٥/ ٢٨٥.

(٤) قطعة من المبسوط ملحقة بكتاب الحيل للشيباني ٩٥.

(٥) الخراج ٢٧.

(٦) أنساب الاشراف ٨/ ٢٤٢ (مخطوط)، الطبري ٢/ ١٧٣١ مع حذف الجملة الأخيرة.

استخدام البدلاء ازداد في زمن الأمويين، وخاصة في قتال الثوار الذي لم يكن يدر غنائم كما أنه موجه ضد عرب ومسلمين، وقد ذكر استخدام البدلاء في قتال الخوارج[1] وفي المدينة[2].

موعد العطاء

يدفع العطاء سنوياً، ويروي الطبري أن عمر بن الخطاب أمر بدفعه في المحرم وفيئهم عند طلوع الشعرى عند الغلات[3]، وكان أول المحرم في سنة ٢٠ الذي وضعت فيه تنظيمات العطاء يصادف ٢١ كانون الأول[4].

يروي البلاذري عن قتادة «كان زياد إذا أهلّ هلال المحرم أخرج للمقاتلة أعطياتهم». ويروى عن سيرة بن نحف «ما بلغ الناس عاشوراء قط في أيام زياد إلاّ وطائفة يأخذون العطاء». ويروى عن الحسن أن زياداً «إذا جاء شعبان أخرج أعطية المقاتلة. وإذا كان ذو الحجة أخرج أعطية الذرية»[5]. يظهر من قول قتادة أن العطاء كان في زمن زياد يخرج في المحرم، ومن المعلوم أن زياداً ولي البصرة سنة ٤٥ وأضيفت إليه الكوفة سنة ٥٠، وظل عليهما إلى أن مات سنة ٥٣. وكان المحرم سنة ٤٥ يصادف ٢٤ آذار، وفي سنة ٥٠ يصادف ٢٩ كانون الثاني.

غير أن كلام سيرة يظهر أن طائفة "فقط كانت تأخذ العطاء في المحرم، وقد يوضح هذا كلام الحسن أن زياداً كان يخرج أعطية المقاتلة في شعبان وأعطية الذرية في ذي الحجة، أي قبيل المحرم.

وعندما ولي الوليد بن يزيد الخلافة وعد الناس بدفع العطاء في المحرم،

(١) الكامل للمبرد ٢٦٥، أنساب الاشراف ٢٧٦ (طبعة اهلورت).
(٢) أنساب الاشراف ٤-٢/ ٥٤.
(٣) الطبري ١/ ٢٤٨٦.
(٤) التقويمان الهجري والميلادي لجرانفيل ٢٧.
(٥) أنساب الاشراف ٤-١/ ١٩٠.

ولما ثار أهل حمص على يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ وعدهم أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم[١]. وكان المحرم في سنة ١٢٥ التي ولي فيها الوليد يصادف الرابع من تشرين الأول، وفي سنة ١٢٦ يصادف الخامس والعشرين من تشرين الأول. ومن الواضح أن الحالتين متعلقتان بالشام التي كان دفع العطاء فيها أكثر استقراراً عمّا هو في العراق[٢]، فضلاً عن أن هذين القرارين متصلان بحوادث استثنائية تقتضي من الخليفة استرضاء المقاتلة. غير أن تحديدهما المحرم لدفع العطاء يدل على أن هذا الشهر هو الصورة المثلى لتاريخ دفع العطاء. وعلى أية حال فإن العطاء سنوي، وهو يتبع التقويم القمري.

كان العطاء في العراق بالدراهم مما يجبى من الخراج، وكانت الجباية تجري على التقويم الشمسي وتبدأ في النوروز (٢١آذار) وتجبى على ثلاثة أنجم (أقساط)، ولا بد أن المحاصيل الشتوية وهي الحنطة والشعير وهما المحصولان الرئيسان في العراق، كانت تتم جبايتها بعد الحصاد، أي في حزيران، أما المحاصيل الشتوية فإن جباية النخيل والقطن تكون في الخريف، وفي هذا يحدث تباين بين موعد جباية الاموال وموعد دفع العطاء، فهما في الغالب لا يتطابقان.

أما العطاء فيقدر دفعه سنويا تبعاً للتقويم القمري، وهو يستوعب معظم موارد الجباية. وهذا الاختلاف في مواعيد جباية الموارد وصرف العطاء كثيراً ما يكون واسعاً، وخاصة في أزمنة الاضطرابات التي ينكسر فيها الخراج وتقل الجباية عن المقدار المقدر لها، أو عندما يتسع الفرق بين موعد وصول الأموال إلى بيت المال وموعد دفع العطاء. ويتم علاج ذلك إما بتأخير دفع العطاء أو بتقسيطه. فأما تأخير دفع العطاء، ففي المصادر إشارات إليه، فيروي الجاحظ أن مما أوصى به الخليفة عمر بن الخطاب من بعده «لاتحرموهم عطاياهم عند

(١) الطبري ٢/١٨٢٦.
(٢) يذكر الطبري (١٠٧٣/٢) أنه عندما توسعت ثورة ابن الاشعث وعد الحجاج أهل الكوفة أن تجرى أعطياتهم كما تجرى على أهل الشام.

محلها فتفقرهم»[1]، ومما قاله زياد عند ولايته «ولا حابساً عطاءً ولا رزقاً عن أيامه..»[2]، كما حرص عليه مصعب بن الزبير في الجيش الذي أرسله إلى فارس حين «أجرى لهم أرزاقهم في كل شهر، وأوفاهم أعطياتهم في كل سنة، وأمر لهم من المعاون في كل سنة مثل الأعطيات»[3]. ولا بد أن هذه الوعود بدفع العطاء بموعده ناجمة عن التأخيرات التي كانت تحدث في موعد دفعه، وقد أشار بعض الفقهاء إلى ذلك. فقال مالك بن أنس إن «العطاء كان معروفاً فتحوّل»[4]، وقال الشافعي «العطاء لم يكن قط فيما علمت أن يكون أبداً إلاّ يتقدم ويتأخر، ولو اجتهد الامام لدخله التقدم والتأخر»[5]، وقال السرخسي «العطاء لما يخرج من السنة مرة أو مرتين»[6].

إن التأخير الاعتباطي لموعد العطاء دفع الفقهاء إلى البحث عن جواز البيع إلى العطاء[7]، إذ لا يجوز ما لم يكن موعده ثابتاً محدداً، ولابد أن تأخير موعد دفع العطاء كان يثير تذمرّ المقاتلة، ولعله كان أحد أسباب بعض الثورات على الأمويين.

وفي المصادر إشارات إلى بعض الولاة الذين كانوا يدفعون العطاء بأكثر من قسط، وقد ذكرنا رواية الحسن أن زياداً كان يعطي المقاتلة في شعبان، والذرية في ذي الحجة. ويذكر البلاذري أن المصعب أعطى عطائين في الشتاء وفي الصيف[8]، ولا بد أن المقصود بذلك دفعه بقسطين حيث أن الجباية كانت أقل من أن تمكنه من دفع عطائين في سنة واحدة. وينقل الذهبي أن يزيد بن معاوية

(١) البيان والتبيين ٢/ ٤٨.
(٢) الطبري ٢/ ٦٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٧٥٥.
(٤) المدونة ٤٣/ ١٥٤.
(٥) الأم للشافعي ٧/ ٩٧.
(٦) المبسوط للسرخسي ١٤/ ٤٧.
(٧) المدونة ٣/ ١٨٣، الجامع الكبير للشيباني ٣١٧، الأم للشافعي ٣/ ٦٠.
(٨) أنساب الاشراف ٥/ ٢٨٠، ٢٧١.

خطب الناس وقال إن أبي كان يخرج لكم العطاء أثلاثاً وأنا أجمعه لكم[1]، ويذكر ابن الفقيه أن أهل الكوفة وجهت الدعوة لهم في العطاء قبل أهل البصرة «أي أنهم كانوا يستلمون العطاء قبل أهل البصرة»[2].

أهمية العطاء

بموجب تنظيم الخليفة عمر بن الخطاب يأخذ كل فرد من المقاتلة ونسائهم وعيالاتهم مقداراً من النقود والعينيات من المواد الغذائية، فأما العينيات فكانت في العراق توزع من الحنطة بما يكفي اعاشتهم، وقد قدرت بجريبين من الحنطة شهرياً، وأما النقود فتسد حاجات المقاتل بمافي ذلك اقتناؤه السلاح والتجهيزات، وقد قدر حده الأدنى مائتا درهم، غير أنه عند حساب دخل الأسرة يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار ما كان يعطى للنساء والأطفال.

ولما كان المؤسسون الأولون للكوفة فيهم عدد كبير من أهل الأيام وأهل الفتوح الأولى، فإن عطاءهم كان بين ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ درهم وهو يؤمن معيشة طيبة، علماً بأنه أبيح لهم الاكتساب مما قد يعملونه إبان الفترات التي لا يشاركون فيها بالحملات.

لا ريب في أن توسع الدولة أتاح للتجار ورجال الأعمال مجالاً لتوسع نشاطهم وزيادة أرباحهم، وبذلك ارتفع دخل التجار والعامة، وازداد الاعتماد في المعيشة على العطاء، وتطورت الأمور فأصبح الكثيرون يهتمون بالثروة والحياة المادية، وقد ظهرت بوادر هذه التطورات منذ زمن عمر بن الخطاب. يروي ابن سعد أن خالد بن عرفطة العذري قدم على عمر فسأله عما وراءه فذكر ما كان يدفع لهم من عطاء، وقال «فإذا خرج هذا لأهل بيت منهم من يأكل الطعام ومنهم من لا يأكل الطعام، فما ظنك به فإنه لينفقه فيما ينبغي وفيما لا ينبغي، فقال عمر فالله المستعان. . قد علمت أن فيه فضلاً ولا ينبغي أن أحبسه عنهم فلو أنه إذا خرج عطاء واحد من هؤلاء فلا ريب ابتاع منه غنماً فجعلها

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ١٢٠.
(٢) كتاب البلدان لابن الفقيه ١٦٠.

بسوادهم، ثم إذا خرج العطاء الثانية ابتاع الرأس فجعله منها، فأنى ويحك ياخالد بن عرفطة أخاف عليكم أن يليكم بعدي ولاة لا يعد العطاء في زمانهم مالاً، فإن بقي أحد منهم أو أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه فيتكئون عليه»[1].

أدرك عمر أهمية العطاء في حياة الناس. يُروى أنه مما أوصى من بعده «والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألاّ يحبسوا ولا يجمروا وأن يوفر فيء اللّه عليهم وعلى عيالاتهم. . والأعراب الذين هم أصل العرب ومادة الإسلام»[2].

وعندما هاج الناس على عثمان اقترح عليه عبد اللّه بن عامر «أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون هم أحدهم إلاّ نفسه»[3]، وقد عمل عثمان بهذه النصيحة فأمر عماله بالتضييق على من قبلهم وأمرهم بتجمير الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه[4]، غير أن هذه السياسة لم تنفذ لأن الفتنة استعرت وأدت في الأخير إلى مقتله.

عني الخليفة علي بن أبي طالب بأمر العطاء، فيروى أنه كتب إلى الاسود بن قطنة «اكثر لنا من لطف الجند مكان ما عليهم من أرزاق الجند، فإن للولدان علينا حقا وفي الذرية من يخاف دعاؤه وهو لهم صالح»[5]، وكتب إلى عبد اللّه بن العباس وكان واليه على البصرة «أما بعد، فانظر ما اجتمع عندك من غلات المسلمين وفيئهم فاقسمه على من قبلك حتى تغنيهم وابعث إلينا بما فضل نقسمه فيمن قبلنا»[6].

أدرك معاوية عندما كان يخاصم علياً أهمية المال في إغراء أهل الكوفة،

---

(١) ابن سعد ٧ ـ ١/ ٢١٥.
(٢) الطبري ١/ ٢٧٧٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٩٣٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٩٣٤.
(٥) وقعة صفين ١١٨.
(٦) المصدر نفسه ١١٩.

فيروي نصر بن مزاحم «ولما اشترطت عك والأشعريون على معاوية ما اشترطوا من الفريضة والعطاء فأعطاهم، لم يبق من أهل العراق أحد في قلبه مرض إلاّ طمع في معاوية وشخص بصره إليه حتى فشا ذلك في الناس»[1]، ويروى أن معاوية قال «والله لاستميلن بالأموال ثقات علي ولأقسمن فيهم المال حتى تغلب».

ويروي نصر بن مزاحم أن عك والأشعريين، اشترطوا على معاوية فريضة ألفي رجل من اليمن على ألفين، وأنه قال «لأستعين بالأموال نفقات علي، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياهم آخرتهم»[2]. ويروي الطبري أن معاوية عندما دخل الكوفة بعد أن صفت له الخلافة «قال لأهل الكوفة: سمينا لكم أطماعكم، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ومعاونكم»[3].

ويروى أنه خطب بالنخيلة وقال "لا يصلح الناس إلاّ ثلاث: هذا العطاء والرزق أن يقسم في أيامه، وان يقيم القريب ستة أشهر، والبعيد سنة»[4]. وفي الطبري إشارة تدل على أن معاوية عندما صفت له الخلافة عطّل العطاء، فقال حجر بن عدي للمغيرة بن شعبة واليه على الكوفة «مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا فإنك قد حبستها»[5]، ولا بد أن هذا الحبس كان عن بعض أهل الكوفة، وليس عن كلهم[6].

وعندما قدم مسلم بن عقيل وحاصر الناس واليها عبيد الله بن زياد هددهم كثير بن شهاب «فقال أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عينكم لأن يحرم ذريتكم

(١) وقعة صفين ٢٩٤.
(٢) المصدر نفسه ٤٣٣.
(٣) الطبري ١/٢٥٢٤، ٢٥٩٥.
(٤) أنساب الاشراف ٢-٢/٤٦.
(٥) وقعة صفين ٤٩٦.
(٦) الطبري ٢/٥٣.

العطاء ويفرق مقاتلكتم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلاّ أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلم الأشراف بنحو من كلام هذا، فلما سمع الناس مقالتهم أخذوا يتفرقون وأخذوا ينصرفون»[١].

ويذكر الطبري أنه عندما اعتزم الحسين القدوم إلى الكوفة نصحة البعض ألاّ يفعل، وقالوا له «إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد هذا الدرهم والدينار»[٢].

وعندما ولي ابن مطيع الكوفة لعبد اللّه بن الزبير خطب في أهلها، وقال «أما بعد فإن أمير المؤمنين عبد اللّه بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلاّ برضى منكم»[٣].

---

(١) الطبري ٢/ ٢٥٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٣، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٠؛ الكامل لابن الاثير ٤/ ١٧٤.

الفصل التاسع

الموارد المالية العامة

موارد الأراضي المفتوحة

كان للمقاتلة الفضل في الانتصارات العسكرية التي مكنت الدولة من دحر جيوش أعدائها وإزالة حكم الساسانيين، وضم البلاد التي كانوا يسيطرون عليها إلى الدولة العربية التي توسعت واصبحت تضم بلاداً كثيفة السكان، غنية الموارد. وقد ارتأى بعض المقاتلة اعتبار الاراضي المفتوحة غنيمة توزع على المقاتلة الذين شاركوا في المعارك التي أدت إلى دحر الحكام السابقين، غير أن الخليفة عمر أدرك الأخطار التي تنجم من الأخذ بآرائهم، لأنها تؤدي إلى تملكهم الأراضي الغنية مما يزيد في ثرواتهم، ويؤدي إلى أن يكوّنوا «طبقة غنية» حصلت على ثرواتها بسبب أعمالها السابقة، ويحرم من كانت الدولة بحاجة إليهم لمتابعة توسعها، ويحرمها من موارد يمكن استخدامها لإضافة مقاتلة جدد للجيوش الإسلامية، وتعزيز الأمن والاستقرار فيها.

الفيء والخراج

لم يعترض الخليفة عمر بن الخطاب على مبدأ تقسيم الغنائم على الذين شاركوا في المعارك التي حصلت منها الغنائم، وإنما حصرها بما يغنم في ميدان المعركة من أموال عينية من تجهيزات مقاتلة الأعداء بما فيها ألبستهم وأسلحتهم وخيولهم، واعتبر الأراضي «فيئاً» وهو تعبير ورد في القرآن الكريم في الآية التي عالجت أراضي بني النضير، التي ثار حولها الجدل في زمن

الرسول (ص)، فقال تعالى ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر/ ٧] ومع أن حكم هذه الآية يبيح تقسيم هذه الأراضي على الأفراد إلاّ أنه لا يحصر التقسيم بالمقاتلة، وإنما يمدها إلى من لم يشارك في المعركة، ولا يقر أن تكون «دولة بين الأغنياء».

ترك عمر الأراضي المفتوحة بأيدي عمالها السابقين، يزرعونها ويدفعون عنها خراجاً قرر مقداره بعد دراسة دقيقة، وتجبيه الدولة لتوزعه على المقاتلة الذين قاموا بفتح تلك البلاد ومن يقوم بحفظ الأمن والنظام فيها، ولا يستثنى من ذلك النساء والأطفال، ويرسل خمسه إلى المدينة مقر الخليفة.

كانت الكوفة منذ تأسيسها القاعدة للإقامة الدائمة للمقاتلة وعيالاتهم، وكانت حملات الفتوح والقوات التي ترسل للثغور ولتثبيت الأمن إنما تخرج من الكوفة مؤقتاً، وظل الديوان في الكوفة ينظم توزيع العطاء لكافة المقاتلة بمن فيهم القوات التي تخرج مؤقتاً.

فتوح الكوفة

السواد والعراق

ذكرنا أن المبدأ الأساس في تنظيم صفوف الجبايات هو صرف موارد الأقاليم المفتوحة على من فتحها ويقوم بحفظ الأمن فيها من المقاتلة المقيمين في قاعدتهم الرئيسة، وكان مقاتلة الكوفة قد قاموا في زمن خلافة عمر بن الخطاب بفتح البلاد التي تمتد شمالاً إلى الموصل وقرقيسيا وأرمينية، وشرقاً إلى حلوان ونهاوند، وجنوباً إلى كسكر، وأمدوا القوات التي فتحت الجزيرة الفراتية، كما أمدهم مقاتلة البصرة في معركة القادسية ونهاوند، وشاركوا مقاتلة البصرة في فتح أصبهان وعدد من المناطق الواقعة غرب الهضبة الايرانية، وبذلك حدث بعض الاختلاط في أعمال مقاتلة الكوفة ومقاتلة البصرة على عدد من البلاد في غرب الهضبة الايرانية، وكان له تأثير في تنظيم توزيع جبايات الأقاليم المفتوحة.

حدد الطبري البلاد التي كانت من فتوح الكوفة، فروى عن الشعبي «كانت الكوفة وسوادها، وحلوان والموصل وماسبذان وقرقيسيا»، وذكر أن كافة الرواة يجمعون على أنه «ولي سعيد بن مالك على الكوفة بعدما اختطت ثلاث سنين ونصفاً سوى ما كان بالمدائن قبلها، وعمالته ما بين الكوفة وحلوان والموصل وماسبذان وقرقيسيا»[1].

كانت المنطقة الواقعة شرق الكوفة أغنى البلاد في مواردها التي كانت تذهب إلى الكوفة، وقد أطلقت عليها المصادر تعابير متعددة، منها «سواد الكوفة» و«سواد العراق» و«العراقين».

وتعبير «السواد» لغوي يعني المنطقة المزروعة[2]، ثم خصته بعض المصادر بالمنطقة المزروعة التي تذهب جبايتها إلى المصر الذي تسمى به. وذكرت بعض المصادر «سواد العراق» و«سواد البصرة»[3] و«سواد الكوفة»[4] الذي كانت كل أراضيه مزروعة عدا بعض المناطق المتفرقة التي لم تزرع بسبب أحوالها الجغرافية، أو لما عليها من منشآت سكنية أو طرق وسكك.

واستعملت بعض المصادر تعبير «العراقين» تمييزاً لما كان يرتبط في إدارته ومال جبايته إلى البصرة أو إلى الكوفة. ولا ريب في أن المناطق الواقعة في جنوبه وبخاصة كور دجلة كانت من فتوح أهل البصرة، وإليها تذهب جباية هذه الكور. ويلاحظ أن ابا الوزير عمر بن المطرف أفرد جباية كسكر عن السواد، ولعل هذا الإفراد راجع إلى أن جباية كسكر تذهب إلى واسط بعد تأسيسها وإقامة مقاتلة فيها.

حدَّد الاصمص «سواد البصرة دست ميسان والأهواز وفارس، وسواد الكوفة

---

(١) الطبري ١/٢٤٩٨.

(٢) لسان العرب ٤/١٠٩.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ١/١٢، الطبري ١/٧٤٧، ١٤٤٨؛ البدء والتاريخ للمطهر القدسي ٤/٧٥، معجم البلدان ٣/١٧٥؛ المسالك للاصطخري ٧٦.

(٤) الخراج لابي يوسف ٤٩، تاريخ بغداد للخطيب ١/١٢، أنساب الاشراف ٤٣/١٠٤؛ الطبري ١/٧٠٤، ١٦١٧، ١١٢٩، ١/٢٤٩، ٣٢١٢.

كسكر إلى الزاب وحلوان والقادسية»[١] وقد أدخلت هذه الرواية في سواد البصرة الأهواز وفارس، واقتصرت من العراق على دست ميسان في غرب الهضبة الايرانية وكانت جبايتها تؤول إلى الكوفة؛ ولعل هذا التعريف يعبر عن الأحوال النافذة بعد زمن الأمويين.

إن هذا التمييز قائم على أسس إدارية لها علاقة بموارد الجبايات، إذ كان لكل من البصرة والكوفة إدارة خاصة، وموارد من مناطق محددة تذهب إلى مقاتلة المصر. علماً بأن إدارة العراق كله كانت في أغلب الأوقات يتولاها وال واحد يجمع في ولايته البصرة والكوفة، فيقال في كل منهما إنه «ولي العراقين».

أما الادارة المالية فكانت تميز بين من يليها من الكوفة والبصرة. فالكوفة كان يلي ديوانها عند تأسيسها أبو جبير ابن الضحاك الانصاري وظل في عمله إلى أن توفي في زمن ولاية عبيد الله بن زياد[٢]. أما ديوان البصرة فكان عليه زياد بن أبي سفيان من زمن ولاية أبي موسى الأشعري إلى أوائل خلافة علي[٣].

وذكرت المصادر الولاة الذين جمعت لهم الكوفة والبصرة والياً واحداً للخراج، ولم تذكر في عهودهم تحديد سلطات هذا الوالي أو أسماء من قصرت ولايته على واحد من هذين المصرين.

كما ذكرت ولاة الخراج في صدر العصر العباسي، وفي بعضها تمييز بين البصرة والكوفة؛ ففي زمن المنصور والمهدي كان على خراج الكوفة عمرو بن صليع[٤] ثم ثابت بن موسى الذي استخلف محمد بن جميل[٥]. أما البصرة

(١) البدء والتاريخ للمطهر المقدسي ٤/ ٧٥.
(٢) الوزراء للجهشياري ٦.
(٣) المصدر نفسه ١٧.
(٤) تاريخ خليفة ٤٦٦.
(٥) الوزراء للجهشياري ١٢٤.

وكور دجلة وفارس والأهواز فقد وليها عمارة بن حمزة الذي ظل في عمله إلى زمن خلافة المهدي[1]؛ ثم جمع خراج الكوفة والبصرة لوال واحد، فكان على خراج العراقين في زمن موسى الهادي محمد بن جميل[2]، وفي زمن هارون الرشيد ثابت بن موسى[3]، وذكروا بعدها أسماء ولاة الخراج دون أن يخصوا به الكوفة أو البصرة.

إن أكثر ما يتردّد في هذا الميدان تعبيرا «السواد» و«العراق»، وقد استعمل تعبير السواد كل من أبي عبيده[4] والبلاذري[5] وابن خرداذبه وابن رسته[6] والمقدسي[7]؛ أما تعبير «العراق» فقد استعمله اليعقوبي[8] والماوردي[9] وياقوت. وقد ورد كل من هذين التعبيرين في مصادر كثيرة يخرج حصرها عن نطاق بحثنا إذ إن كثيراً منها لم يدقق استعماله؛ ويظهر من حصيلته أن التعبيرين مترادفان.

إن أكثر ما يتردّد ذكره في المصادر تعبير «العراق»، فقد ذكرته كتب البلدان، وكان صفة الكثير من المؤسسات: مثل «فقه العراق» و«مال العراق» و«درهم العراق» و«دهاقين العراق».

حددت عدة مصادر امتداد ومساحة السواد والعراق، وذكر ياقوت أن "حدّه من حديثة الموصل طولاً إلى عبادان، ومن العذيب بالقادسية إلى خلوان عرضاً»[10]، وذكروا أن عرضه ثمانون فرسخاً، وطوله مائة وخمسة وعشرون

(١) الوزراء للجهشياري ٢٤٩، الطبري ٣/٣٥٩.
(٢) الوزراء للجهشياري ١٤٧، الطبري ٣/٥٤٨.
(٣) الوزراء للجهشياري ١٧٣.
(٤) الأحوال ١٠٢.
(٥) فتوح البلدان ٢٦٩.
(٦) الأعلاق النفسية ١٠٥.
(٧) البدء والتاريخ ٤/٧٥.
(٨) تاريخ اليعقوبي ١/١٧٦.
(٩) الأحكام السلطانية. وانظر ما كتبه عن الاداره موروني في كتابه القيّم «العراق بعد الفتح الإسلامي».
(١٠) معجم البلدان ٣/٢٧٢.

فرسخاً، ومساحته الكلية ستة وثلاثون ألف ألف جريب[١]. وأورد المسعودي تفاصيل في مساحة الأراضي المزروعة فيه، فقدر مساحته مائتين وخمسة وعشرين ألف ألف جريب، ثلثها غير مزروع ونصفها مغمور[٢]؛ وقد أشار ابو يوسف إلى تزايد الغامر في زمن خلافة هارون الرشيد وصعوبة إحيائه ليصل إلى ما كان عليه في زمن عمر بن الخطاب[٣]. ولا ريب في أن تناقص المعمور يقلل من وارداته، إلاّ إذا استعمل العسف[٤]، وهذا مرجع تباين أرقام الجبايات في أزمنة مختلفة.

مقدار الجباية

يروي الصولي عن عبد الحميد بن جعفر أن خراج سواد الكوفة كان على عهد عمر بن الخطاب سبعين ألف ألف[٥]. ويذكر أبو يوسف أن خراج سواد الكوفة قبل أن يتوفى عمر بلغ مائة ألف ألف[٦]، ويذكر الماوردي أن جباية السواد بلغت في زمنه مائة وثمانية عشر[٧]، ويذكر القحذمي[٨] وميمون بن مهران[٩] أن العراق كان يجبي مائة ألف ألف، ويذكر البلاذري خراج العراق بلغ زمن عمر مائة ألف ألف[١٠]. ويروي الصولي عن محمد بن كعب القرظي أن أهل الأرض بالعراق أخبروه «بلغ الخراج عن عهد عمر وعثمان مائة ألف

(١) الخراج لأبي يوسف ٣٧، ٣٨، ٤٨، الخراج ليحيى بن آدم ٧٦؛ الأموال لابي عبيدة ٥، فتوح البلدان ١٦٩، أدب الكاتب للصولي ٢١٨؛ المسالك والممالك لابن خرداذبه ١٤، الاستخراج من أحكام الخراج ٦٣.
(٢) التنبيه والاشراف ٣٦.
(٣) الخراج لأبي يوسف ٣٨.
(٤) انظر تفاصيل أوفى في كتابنا «الخراج في العراق».
(٥) أدب الكاتب للصولي ٢٢٠، وانظر فتوح البلدان ٢٦٩.
(٦) الخراج لأبي يوسف ٢٦.
(٧) الأحكام السلطانية ١٢٨.
(٨) أدب الكاتب للصولي ٢٢١؛ فتوح البلدان ٢٦٩.
(٨) الخراج لأبي يوسف ١١٤.
(١٠) فتوح البلدان ٢٦٩.

الف»[1] ويذكر ابن خرداذبه أن جبايته بلغت في زمن عمر بن الخطاب مائة وثماني وعشرين رنط[2]. أما في زمن الأمويين فإن الواقدي نقل أن خراج العراق صار في زمن معاوية خمسين ألف ألف، وهدايا النوروز والمهرجان خمسين ألف ألف[3]، أي أن جباية العراق كانت مائة ألف ألف. ولا ريب في أن الرقم الذي ذكره عن الهدايا مبالغ فيه، إلا إذا افترضنا أن المقصود هو أنه حوّل نصف الجباية إلى الشام، ويقول اليعقوبي انه في أيام معاوية «كان خراج السواد مائة وعشرين ألف ألف»[4].

ذكر ابن الفقيه أن الجباية في أيام ولاية زياد بلغت مائة وخمسةوعشرين ألف ألف درهم، ثم زادت في زمن ولاية ابنه عبيد الله عشرين ألف ألف[5]، اي أنها بلغت مائة وخمسة وأربعين ألف ألف درهم؛ ويذكر الماوردي أن الجباية بلغت في زمن ولاية عبيد الله بن زياد مائة وخمسة وثلاثين ألف ألف درهم[6].

أما في زمن سيطرة عبد الله بن الزبير، فإن الواقدي ذكر أن الخراج بلغ ستين ألف ألف، وهدايا النوروز والمهرجان وصواف نحو عشرين ألف ألف[7]، أي أن مجموع الخراج بلغ ثمانين ألف الف.

أما في زمن ولاية الحجاج فإن ابن خرداذبه يقول إن جباية السواد بلغت ثمانية عشر ألف ألف[8]. وهذا الرقم القليل قد يكون عن السنوات القليلة التي عم فيها اضطراب، أو إلى تعمد النساخ ذكره للإساءة إلى سمعة الحجاج. وفي زمن عمر بن عبد العزيز يروي البلاذري أن الجباية بلغت أربعين ألف ألف[9]،

---

(١) أدب الكاتب ٢١٩.
(٢) المسالك ٢١٤ وانظر: ابن رسته ١٠٥، البدء والتاريخ ٧٢/٤؛ معجم البلدان ١٧٨/٣.
(٣) أدب الكاتب ٢١٩.
(٤) التاريخ ١٠٧/٢.
(٥) كتاب البلدان ١٥ (مخطوطة مشهد)
(٦) الأحكام السلطانية ١٦٧.
(٧) أدب الكاتب ٢١٩.
(٨) المسالك ١٤.
(٩) فتوح البلدان ٢٦٩.

وذكر الصولي أن الجباية بلغت في زمنه أربعين ألف ألف، ثم انخفضت عند وفاته إلى خمسة وعشرين ألف الف[1]. ويروي الصولي في مكان آخر أن الجباية بلغت بعد هدية النوروز ستين ألف ألف[2]، وذكر الماوردي أنها بلغت مائة وعشرين ألف الف[3]، أما ابن خرداذبه فيقول إنها بلغت مائة وأربعة وعشرين ألف ألف[4]. وفي هذه الأرقام تباين كبير، والراجح أن الروايتين الاخيرتين هما الأصح.

ويذكر الماوردي أن ابن هبيرة "كان يجبيه مائة ألف ألف سوى طعام الجند وأرزاق المقاتلة، وكان يوسف بن عمر يحمل منه في كل سنة من ستين ألف ألف إلى سبعين ألف ألف"[5].

إن الأرقام التي أوردناها أعلاه هي كل ما استطعت جمعه، ويلاحظ أنها:

١ ـ اقتصرت على بعض الخلفاء والولاة وليس كلهم.

٢ ـ لم تحدد السنة التي تمت فيها الجباية التي ذكروها.

٣ ـ لم تذكر هل أن الرقم الذي ذكرته هو العبرة والمعدل لعدة سنوات، وكم عدد السنوات التي جبي فيها هذا المقدار.

٤ ـ لم تحدِّد بوضوح أبواب الجباية ومصادرها، وهل اقتصرت على الخراج أم شملت كذلك ما يجبى من أراضي العشر والجزية والتجارات والمكوس والهدايا وغيرها.

٥ ـ لم تحدِّد بدقة المناطق التي جبيت منها هذه المبالغ.

---

(١) ادب الكاتب ٢٢٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الأحكام السلطانية ١٦٧.
(٤) المسالك ١٤.
(٥) الأحكام السلطانية ١٦٧.

نصت بعض المصادر على التمييز بين جباية الكوفة وجباية البصرة، فنقل الواقدي عن عبد الحميد بن جعفر أن مبلغ خراج سواد الكوفة على عهد عمر كان سبعين ألف ألف درهم[1]. وذكر المدائني عن مسلمة بن محارب أن زياد بن أبي سفيان كان يجبي من كور البصرة ستين ألف ألف فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين ألف ألف، وكان يجبي من الكوفة أربعين ألف ألف، ومع أن هذا النص لم يذكر أبواب النفقات، إلاّ أن مجموع جبايتي البصرة والكوفة يبلغ مائة وعشرة آلاف ألف درهم، وهو قريب مما ذكر عن جباية العراق في زمنه.

وذكر ابن الفقيه "كانت جباية البصرة خمسة وسبعين ألف ألف درهم وأرض الكوفة خمسة وعشرين ألف ألف درهم"[2]. غير أنه لم يحدد زمن جباية هذا المقدار، علماً بأن مجموع الجبايتين يبلغ مائة ألف ألف.

وذكر الجاحظ أن أحد رجال البصرة «ذكر أن خراج العراق مائة ألف ألف واثني عشر ألف ألف، وخراج البصرة من ذلك ستون ألف ألف، وخراج الكوفة خمسون ألف ألف»[3]، غير أن الجاحظ لم يحدد تاريخ جباية هذا المقدار.

وذكر الماوردي «كان يوسف بن عمر الثقفي يحمل من الخراج بالعراق ما بين ستين ألف ألف وسبعين ألف ألف، ويحتسب بعطاء من قبله من أهل الشام بستة عشر ألف ألف، وفي نفقة البريد أربعة آلاف ألف، وفي الطراز ألف ألف، ويبقى في بيت المال للأحداث والبوائق عشرة آلاف»[4].

وذكر أبو الوزير عمر بن المطرف في التقدير الذي أعده في أوائل خلافة هارون الرشيد لمقدار جبايات الأقاليم قائمة مفصلة بمقدار جبايات الأقاليم،

(١) أدب الكاتب للصولي ٢١٩.
(٢) «البلدان» ٨٥ ب (مخطوطة مشهد).
(٣) «البلدان» ٥٠٥.
(٤) الأحكام السلطانية ١٦٧، "البلدان" لابن الفقيه ٨٥ أ (مخطوطة مشهد).

وقد أفرد من قائمته أثمان غلات السواد، وأبواب المال فيه، وكسكر، وكور دجلة، فكانت تقديراته عن العراق:

أثمان غلات السواد	٠٠٠/ ٧٨٠/ ٨٠ درهم
أبواب المال بالسواد	٠٠٠/ ٨٠٠/ ١٤ درهم
كسكر	٠٠٠/ ٦٠٠/ ١١ درهم
كور دجلة	٠٠٠/ ٨٠٠٠/ ٢٠ درهم(١)

ويلاحظ في هذه القائمة أن كلاً من كسكر وكور دجلة أفردتا عن السواد، ولعل هذا الإفراد يرجع إلى زمن الحجاج الذي شيد واسط وفيها مقاتلة أكثرهم من أهل الشام، فكانت جباية كور دجلة تذهب إلى مقاتلة البصرة، وجباية كسكر تصرف في عطاء مقاتلة واسط؛ وهذا الإفراد ينسجم مع متطلبات تنظيم النفقات في زمن الراشدين والأمويين.

والراجح أن المقصود بأبواب المال الجبايات على الجزية والتجارات وهي غير كبيرة. أما مقدار ثمن غلات السواد فهو قريب مما ذكرته بعض المصادر عن جباية سواد الكوفة. ومجموع جباية أراضي العراق بما فيها كسكر وكور دجلة ١٨٠/ ١٣٣ ألف درهم وهو أعلى من أي مقدار ذكر عن جباية الأزمنة السابقة. ولم يفرد أبو الوزير باباً لجباية أرض البصرة(٢)، وظلت القوائم عن الجباية بعد زمن الرشيد تذكر جباية كسكر، وكور دجلة، وصدقات البصرة مفردة.

التعديل

ذكرنا أن من أسسِ تنظيمِ المالية في صدر الإسلام أن تُصرف موارد أي

(١) الوزراء والكتاب للجهشياري ٢٨١ ـ ٢٨٣، وهذه القائمة تقارن بالأرقام التي وردت في ملحق تاريخ خليفة، وقد نشرتها في مجلة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق.

(٢) في رواية خليفة ٨٦٠/ ٨٧ ألف درهم.
وانظر عن البصرة تفاصيل أوفى في كتابنا «خطط البصرة ومنطقتها».

إقليم على المقاتلة الذين فتحوا ذلك الاقليم؛ والواقع أن فتوح أهل الكوفة لم تقتصر على العراق وإنما امتدت إلى عدد من المناطق الخارجة عنه والأقاليم المتاخمة له، بما في ذلك ما كان في شرقيه من أطراف الهضبة الايرانية، كما شاركوا في فتوح الجزيرة الفراتية وأرمينية.

وثبت سعيد بن العاص حكم المسلمين في الأطراف الشمالية الغربية من الهضبة الايرانية «فغزا الديلم ومصر قزوين»، «فكانت ثغر أهل الكوفة وفيها بنيانهم»[1]. وأرسل الخليفة علي الربيع بن خيثم على قزوين مع حوالى أربعة آلاف مقاتل[2]. وأمن الأشعث بن قيس سيادة العرب على أذربيجان.

ولما ولي الأشعث بن قيس أذربيجان في زمن خلافة عثمان «أنزل أردبيل جماعة من أهل العطاء والديوان من العرب ومصّرها وبنى مسجدها»[3].

ولما صفت الخلافة لمعاوية أحدث تعديلات في موارد الكوفة. وكانت نهاوند من فتوح الكوفة، وقد سميت بعد الفتح مائة دينار، أما الدينور وماسبذان فكانتا من فتوح أهل البصرة، فكانت جباية كل منهما تذهب إلى المصر الذي تقيم فيه المقاتلة التي فتحتها، وفي ذلك يقول البلاذري «فلما كثر المسلمون بالكوفة احتاجوا إلى أن يزادوا من النواحي التي كان خراجها مقسوماً فيهم، فصيرت لهم الدينور، وعوض أهل البصرة نهاوند لأنها من أصبهان، فصار فضل ما بين خراج الدينور ونهاوند لأهل الكوفة، فسميت نهاوند ماه البصرة، والدينور ماه الكوفة»[4].

ويقول أبو نعيم «فلم يزل أمر أصبهان في جملة أهل البصرة إلى سنة ٤١، وصارت الجماعة على معاوية بن أبي سفيان بعد قتل علي بن أبي طالب (رض)

---

(١) فتوح البلدان ٣٢١.
(٢) المصدر نفسه ٣٢١، وقعة صفين ٣٢.
(٣) فتوح البلدان ٣٢٨.
(٤) المصدر نفسه ٣٠٥، الخراج وصنعة الكتاب لقدامة بن جعفر ٢٧٢ ـ ٢٧٣، البلدان لابن الفقيه ٢٥٩، وانظر: البلدان لليعقوبي ٢٧١.

فعمد معاوية فأخذ أصبهان من أهل البصرة ودفعها إلى أهل الكوفة، وأخذ البحرين وعمان من أهل الحجاز فأعطاها أهل البصرة»[١]. وقول أبي نعيم يؤيده معظم من ترجم لهم في كتابه وهم منسوبون إلى عشائر الكوفة، مما يدل على اتصال أصبهان الوثيق بالكوفة.

وفصل معاوية أذربيجان والموصل والباب، «وكان أهل الكوفة قد فتحوها؛ وفصل قنسرين عن حمص وجندها بمن ترك الكوفة والبصرة ممن تخلى عن علي ولحق به، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق: أذربيجان والموصل والباب فضمها فيما ضم»[٢]، ويقول أيضاً «مصّر قنسرين معاوية بن ابي سفيان بمن لحق به من أهل العراقين»[٣].

(١) أخبار أصبهان ١ ـ ٢٩، وقد أشار الطبري إلى اشتراك أهل البصرة في فتح أصبهان ١/ ٢٦٧٣.
(٢) الطبري ١/ ٢٦٧٣، وانظر بحثنا امتداد العرب في صدر الإسلام ٤٥.
(٣) الطبري ١/ ٢٨٦٦.

جباية البلاد التي تذهب مواردها إلى الكوفة
«تقديرات صدر العصر العباسي بآلاف الدراهم»

المكان	اليعقوبي التاريخ	الجهشياري	ابن خرداذبة وابن خلدون	قدامة	اليعقوبي البلدان
اصبهان	---	١١/ـ	٧/ـ	١٠/٥٠٠	١٠/ـ
الري	٣٠/ـ	١٢/ـ	١٢/ـ	٢٠/٢٠٠	١٠/ـ
الموصل	---	٢٤/ـ	٤/ـ	١٠/ـ	٢٤/ـ
همدان	---	١١/٨٠٠	---	١/٧٠٠	٦/ـ
اذربيجان	٣٠/ـ	---	٢/ـ	٤/٥٠٠	٤/ـ
الجبل	٤٠/ـ	٤/٥٠٠	---	---	---
حلوان	---	٤/٨٠٠	٤/٨٠٠	---	---
ماه الكوفة الدينور	---	---	---	٥/ـ	٥/٧٠٠
ماه البصرة نهاوند	---	٤/٨٠٠	١٠/٧٠	٤/٨٠٠	٢/ـ
ماسبذان والدينور	---	---	٦/٧٠	١/١٠٠	٣/٤٠٠
قزوين	---	١/٦٢٢	١/٢٠٠	١/٦٢٨	١/٥٠٠
الايغارين	---	١٠٠	---	٣/١٠٠	---
قم وقاشان	---	٣٠٠	---	٣/ـ	٤/٥٠٠
مهراجانقذق	---	---	---	---	٢/٥٠٠
المجموع	١٠٠/ـ التقدير	٨٤/٣٠٠ بالالاف	١٤/٢٠٠	٦٧/٣٢٨	٤٦/٢٠٠

إن معظم هذه القوائم هي الجبايات من القرن الثالث الهجري، في بعضها فراغات غير قليلة، وأكمل ما فيها يظهر أن جباياتها كانت حوالى مائة ألف ألف وسبعة وستين ألف ألف، ومعدلها خمسة وثمانون ألف ألف، ولابد أن كثيراً منها، وربما كلها على مقاتلة أهل الكوفة الذين يقيمون في تلك المراكز ولا تذهب إلى الكوفة.

ويذكر اليعقوبي في تاريخه أنه في زمن خلافة معاوية "كان خراج ماه الكوفة وهو الدينور وخراج ماه البصرة وما يضاف إلى ذلك من ارض الجبل أربعين ألف ألف درهم، وخراج الري وما يضاف إليه ثلاثين ألف ألف درهم، وخراج أذربيجان ثلاثين ألف ألف درهم»[1]. وهذه القائمة اقتصرت على جباية ثلاثة أقاليم واسعة يشمل كلٍ منها بلاداً ذكرتها قوائم العصر العباسي، وأخرى أغفلتها؛ ويلاحظ أن واحداً منها أربعون ألفاً واثنتان كل منها ثلاثون.

ومن حيث العموم كانت موارد الكوفة كبيرة تسد حاجة المقاتلة وتؤمن رفاههم، وقد خطب زياد فقال «أنتم أوسع الناس بلاداً وأكثرها جنوداً وأبعدها مقاداً وأغنى الناس عن الناس»[2].

يروي المدائني أن قيس بن الهيثم قال لأهل البصرة «إن الموارد في العراق أوسع مما في بلاد الشام. ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم، فو الله لئن تطمعوا بعيشكم ليضيقن عليكم منازلكم، ارصفوهم عن داركم، فوالله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح بأن أرسله في حاجة، ولقد رأيتنا في الصوائف وإن زاد أحدنا على عدة أجمال، وإن أحدهم ليغزو على فرسه وزاده خلفه»[3].

وفي الأحوال الاعتيادية يبقى في بيت المال مقدار، بعضه مما يتم وصوله قبل موعد العطاء فيخزن لحين موعد التوزيع، وبعضه مما يزيد على كلفة

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٠٧.
(٢) البيان والتبيين ٢/١٠٦، الطبري ٢/٤٣٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/٨٠٦، أنساب الاشراف ٥/٣٤٤.

العطاء. ومن الطبيعي أن الواردات تقل عندما بنكسر الخراج بسبب الاضطرابات في الادارة أو في نشاط الخوارج(١). كان الولاة يتصرفون بالأموال الفائضة من طريق الاستقراض أو الصرف، فيروي البلاذري أن الولاة في الكوفة كانوا يقترضون من بيت المال ثم يردوا ما اقترضوا، ولما امتنع عبد اللّه بن مسعود من إقراض سعيد بن العاص وأمره الخليفة عثمان بإقراض الوالي، استاء عبد اللّه بن مسعود وترك عمله.

وأخذ المختار مما في بيت المال مالاً، اعتقد به بستاناً وبنى داراً.

ولعلَّ مما يبقى في بيت المال كانت تدفع منه النفقات الاضافية للحملات، فقد أنفق الحجاج على الجيش الذي أرسله إلى سجستان «ألفي ألف درهم طريفية سوى أعطياتهم، وكان يدعى جيش الطواويس»(٢).

ويروي ابن عبد الحكم أن زيد بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب والي الكوفة كتب إلى عمر بن عبد العزيز أنه قد اجتمعت عنده اموال بعد أعطية الجند، فكتب إليه عمر «اعط منهم من كان عليه دين من غير فساد، وتزوج فلم يقدر على نقد، ثم كتب اليه زيد انه قد بقى عندنا بعد ذلك فكتب إليه عمر أن قيد أهل الذمة فإني لأزيدهم لسنة ولا لسنتين»(٣).

إن قيام الولاة بجباية الأموال وتنظيم توزيع العطاء وتنفيذه لم يقلل من إدراك المقاتلة العرب أهميته في حياتهم وفي اعتباره حقاً قانونياً لهم. فيروي الطبري أن معاوية وعد الحسن عند تنازله عن الخلافة بخراج دارابجر؛ فحال أهل البصرة بينه وبين خراج دارابجر وقالوا فيئنا(٤).

وعندما ثار ابن الحر «خرج إلى المدائن فلم يدع مالاً قدم من الجبل للسلطان إلا أخذه، فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه، ثم قال إن لكم شركاء

(١) انظر: الطبري ٢/٩٨٧.
(٢) أنساب الاشراف ٣٢١ (طبعة اهلورت).
(٣) سيرة عمر بن عبد العزيز ٦٧.
(٤) أنساب الاشراف ٢ ـ ٢/٤٧ الطبري ٢/٩.

بالكوفة في هذا المال قد استوجبوه ولكن تعجلوا عطاء قابل سلفاً، ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال، ثم جعل يتقصى الكور على مثل ذلك. فلم يزل على ذلك من الامر حتى ظهر المختار»[1].

ولما ولي ابن مطيع الكوفة لابن الزبير قبل سيطرة المختار، خطب فقال «إن أمير المؤمنين بعثني على مصركم وثغوركم وأمرني على فيئكم ولا احمل شيئاً مما يفضل عنكم إلاّ أن ترضوا بحمل ذلك»[2].

وقد حدث في البصرة ما يشبه ذلك، فيروي الأصبهاني "حمل زياد والي معاوية مالاً من البصرة ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مسمع.. واستغاثوا به وقالوا يحمل المال ونبقى بلا عطاء، فركب مالك بن مسمع واجتمع الناس اليه فلحق فرده وضرب فسطاطاً بالمربد. وانفق المال في الناس حتى وفاهم عطاءهم ثم قال إن شئتم إلاّ أن تحملوا. وتكرر هذا الفعل عند قيام حمزة بن عبد الله بن الزبير بحمل مال منها إليه»[3].

(١) الطبري ٢/ ٧٦٥.
(٢) المصدر نفسه ٢/٦٠٣، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٠.
(٣) الاغاني ٢٠/١٧.

الفصل العاشر

تطور أسس تنظيم عشائر الكوفة

الأسس العشائرية

قدم أهل الكوفة مع عيالاتهم من مختلف أرجاء جزيرة العرب للمشاركة في الفتوح. وكانوا يحملون السمات العامة لأهل الجزيرة، وبخاصة اللغة العربية التي يتكلمونها والنظام القبلي الذي يربط تجمعاتهم، إضافة إلى ارتباطهم بدولة الإسلام وإقرارهم بسيادة السلطة العليا التي تنظمها وتوجهها.

وكان انضمامهم إلى الجيوش الإسلامية طوعياً، دون الزام أو خطة مسبقة في تنظيم توزيعهم على قبائل الجزيرة وتوزعات كتلها، فهاجر عدد من المجموعات القبلية بكاملها، وعدد آخر ببعض رجالها، ويقول الطبري "كل فخذ هاجرت بأسرها تدعى البررة، وكل قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة، فكان المسلمون خيرة وبررة"[١]. ولم تذكر المصادر من البررة غير ماورد في النص الآنف الذكر أن عصمة بن عبد الله بن الحارث بن طريف كان من البررة.

وذكر ابن الكلبي قلة عدد من العشائر، ومنها دعمي بن أفصى وكانوا أربعة[٢]، وكان عدد قليل من كل من ضاعنة[٣]، وحميس بن أدد[٤]، وابن عامر[٥]، وأولاد

(١) الطبري ١/ ٢٠٦٤.
(٢) الأنساب ١٩٥ أ.
(٣) المصدر نفسه ٦٠ أ.
(٤) المصدر نفسه ١١٦ أ.
(٥) المصدر نفسه ٦١ أ.

ذبيان[١]، وهند بن سعد بن ذبيان[٢]، كما ذكر أن العنزيين الذين لهم درب باسمهم، ثم «لم يبق منهم أحد»[٣]، والمقاصف بن عبس لهم مسجد بالكوفة ولم يبق منهم أحد[٤].

عشائر الكوفة

وردت في المصادر إشارات إلى عشائر كانت في الكوفة دون غيرها، فذكر ابن الاثير في كتابه «اللباب في الأنساب» منها أحمس، وتبع، والرايش، والسبيع، وسلول، وصهبان، وضبة، والضباب، وعنز، وكاهل، ومرهبة، ومسلية، والنخع. وممن ذكرهم ابن الكلبي بنو مسروق بن قعوان بن عمرو المقصور، وعباد السكون «وهم بطن هاجروا مع بني شيبان إلى الكوفة»، وذكر ابن حزم ممن كلهم بالكوفة ليس بالبادية منهم أحد[٥]، (١) «عنزهم مع بني رئيس رواس ومسجدهم واحد» (٢) وغصب بن سليم (٣) وبنو عفيف (٤) ولوذ بن عبد القيس عدي بن الحارث (٥) وعباد بن معاوية بن عقيل (٦) وبنو عوذ من سعد[٦]. وغبر بن حجر بن الحرش بن معاوية عدادهم في بني رواس، ومسجدهم واحد، وليس لهم بادية.

ونص ابن الكلبي على عشائر كانت[٧] بالكوفة وبالبادية، ذكر منهم بني عوف من سلسيل[٨]، ورواس[٩].

(١) الأنساب ٦٧ أ.
(٢) المصدر نفسه ١٦٧ أ.
(٣) المصدر نفسه ٩٥ أ.
(٤) المصدر نفسه ٨٠ أ.
(٥) ذكرهم ابن الكلبي في الأنساب بالتتابع (١) ١٠٣ أ، (٢) ١٢٦ أ، (٣) ٣٣١، (٤) ٣٨٣، (٥) ٤٣٢، (٦) ٣٨٢، (٧) ٣٢٨، (٨) ٣٥٠.
(٦) جمهرة النسب ٢٧١، ٢/٧١.
(٧) مذكورون بالتتابع (١) ٢/١٠٠، (٢) ١٩١ ب، (٣) إلى ٣٢٦، (٤) ١٣٥، (٥) ١٩١ ب، (٦).
(٨) الأنساب ٢/٢٢٧.
(٩) المصدر نفسه ٢٠/٢٧.

وذكر ابن أبي شيبة من عشائر الكوفة جهينة وأسلم وغفار وتميم وعبد اللّه بن غطفان، ومضر وثقيف وعبد القيس وأسلم[١]. ولا ريب في أن هؤلاء بعض وليس كل عشائر الكوفة.

الحكم القانوني للتماسك القبلي

ولا بد أن أكثر المجموعات العشائرية الأخرى التي استوطنت الكوفة، كان منها من استوطن الأمصار الأخرى، أو ظلت أعداد منهم مقيمة في الجزيرة ولم تهاجر، ولم تجر دراسة مستوعبة للمجموعات السكانية التي ظلت مقيمة في الجزيرة ولم تهاجر إلى الكوفة والأمصار الأخرى، ولا بد أن عددهم تناقص وضعفت صلتهم بمن انتقل إلى الأمصار.

ذكر أبو عبيدة أن الهجرة تفرق في الولاية والمواريث والمناكحة والفيء[٢]. ويروى[٣] أن عمر بن الخطاب قال: لايتعاقل أهل القرى عن أهل الأمصار، «وكان التعرّب بعد الهجرة مستهجناً»[٤]. وقال الشيباني 'هجرة الاعرابي أن أضمهم إلى ديوانهم'[٥].

عدد أفراد العشيرة

وردت عن عدد رجال بعض العشائر الكبيرة في الكوفة أرقام أكبرها ما رواه نصر بن مزاحم عن همدان وعنزة، حيث قال «كان مع علي من همدان أربعة آلاف مجفف، ومن عنزة بصفين أربعة آلاف مجفف»[٦]. وإذا افترضنا أن هذه أعداد المجففة، فلا بد أنه كان بجانبها أعداد للرجالة أيضا. وذكر الطبري «أن عبد الملك بن مروان عندما قدم الكوفة، بعد انتصاره على مصعب بن الزبير،

(١) مصنف ابن ابي شيبة ٢/١٩٦ ـ ٢٢٤.
(٢) الأموال لابي عبيدة ٢١٥.
(٣) لسان العرب ١٣/٤٨٩.
(٤) تفسير الطبري ٨/ ٢٣٥ (طبعة محمد محمود شاكر).
(٥) شرح السير الكبير ٦٨ ـ ٦٩.
(٦) وقعة صفين ٥٤٧.

عرض أهل الكوفة وجاءت مذحج وهمدان، فقال ما أرى لأحد مع هؤلاء بالمدينة شيئاً»[1]، أي أن همدان كانت من أكثر العشائر عدداً في الكوفة، ولكنها لم تصل العدد الذي ذكره نصر بن مزاحم في مكان آخر من كتابه أن شباب همدان كانت في صفين ثمانمائة[2].

وأوردت المصادر أسماء عشائر كان عدد المشاركين من رجالها في القادسية الفين، ومن هذه العشائر بجيلة[3]، وكان معهم ألف امرأة[4]، وأسد النخع[5]؛ وفي موقعة صفين كانت أحمس سبعمائة[6]، وكان عدد الأنصار المشاركين في النهروان سبعمائة[7]، وفي مقتل الحسين كان في الكوفة من الأزد سبعمائة[8].

وتجدر الاشارة إلى أن الحريث بن راشد عندما انشق كان مع ثلاثمائة من رجال ناجية[9].

حرصت الدولة عند تاسيس الكوفة على وضع تنظيمات تؤمن الاستقرار وديمومته، وكان أبرزها في تنظيم العطاء الذي وضع قواعده الخليفة عمر بن الخطاب، وتوزيع الخطط الذي عهد به إلى أفراد اختارهم سعد بن أبي وقاص من أهل الخبرة من الكوفيين، فقسموا خطط العشائر وراعوا احتمال تزايد السكان فخصصوا لها مناطق يقيمون بها عند قدومهم الكوفة، وقبل أهل الكوفة هذه التقسيمات ولم يبدوا عليها اعتراضات.

(١) الطبري ٢/ ٨١٤، أنساب الاشراف ٥/ ٣٥٣.
(٢) وقعة صفين ٢٨٤.
(٣) الطبري ١/ ٢٢٢١.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٦٣.
(٥) مصنف بن أبي شيبة ١٢.
(٦) الطبري ١/ ٣٠٣٦.
(٧) وقعة صفين ٦٧ ـ ٦٨.
(٨) الطبري ٢/ ٣٧٤، أنساب الاشراف ٥/ ٢٠٠، ٢١٠.
(٩) الطبري ١/ ٣٤١٨.

تطور تنظيم الأسس القبلية

مرت الأحوال السكانية في الكوفة بتطورات واسعة بسبب الهجرات الكثيرة من الأفراد والجماعات، وبخاصة في السنوات الثلاثين الأولى من تأسيسها، مما ذكرنا في الفصول السابقة، علماً بأن المعلومات الواسعة التي أوردناها لم تستوعب كل التطورات، لكنها أظهرت الحاجة الماسة لإعادة النظر فيها.

أدرك زياد، والي العراقيين والمشرق لمعاوية، الحاجة إلى ادخال تعديلات تؤمن متطلبات الأحوال الجديدة وديمومتها، ومما يسر له ذلك استقرار الأحوال ومتطلباتها وبخاصة إقامة قواعد جديدة في المشرق يقيم فيها بصورة دائمة المقاتلة العرب الذين يقيمون في الجهات البعيدة، دون الحاجة إلى انفاذ حملات سنوية من الكوفة أو تجميرها عند الحاجة، ثم إن الهجرات إلى الكوفة تناقصت بعد هجرة كثير من أهل الجزيرة بسبب الحطمة التي حدثت في زمنه، ودفعت كثيراً ممن كان قد بقي في الجزيرة للهجرة إلى الكوفة.

راعى زياد الأسس القديمة في إبقاء الخطط وتوزيع العطاء، ولكنه أخذ بنظر الاعتبار ما حدث من تطورات، وما يحتمل حدوثه في المستقبل، فوضع تعديلات ونظاماً جديداً ظل معمولاً بهما طول عهد الخلافة الأموية وربما بعدها.

أبقى زياد تقسيم مقاتلة الكوفة إلى مجموعات كبرى، وكانت قبله سبع مجموعات (أسباع) فجعلها ثماني مجموعات، كل مجموعتين تكون وحدة متميزة (أرباع)، وهو تعديل فرعي يتعلق برئاستها، إذ أصبح الرؤساء أربعة بدل سبعة، ولم يسم العشائر التي كانت تضويها كل من المجموعات الثمانية.

وثبت زياد نظاماً للعرافات، والعرافة نظام قديم كان معمولاً به في الجزيرة ثم في الأمصار إبان عهودها الأولى، علماً بأن المصادر لم تذكر معلومات واضحة عنها إبان تلك العهود المبكرة.

وجعل زياد لكل مجموعة عشائرية عريفاً يحفظ سجلات بأفراد عرافته

وتجهيزاتهم ومقدار عطاء كل فرد منهم، ويقوم بحفظ الأمن في العرافة وتبليغ أوامر الولاة الذين-يقومون بتعيين العرفاء من ذوي الكفاءة في عشائرهم من دون النظر إلى مكانتهم الاجتماعية[1].

الحكم التشريعي

ذكر محمد بن الحسن الشيباني في كتابه «الجامع الكبير» أحكام آثار الاستيطان في المصر، فقال "لايعقل أهل مصر عن مصر، ويعقل عن أهل السواد أهل مصر.

ومن كان بالبصرة وديوانه الكوفة، عقل عنه أهل الكوفة. ولو أن أخوين لأحدهما ديوان بالبصرة، وديوان الآخر بالكوفة لم يعقل أحدهما عن الآخر.

أهل راي (؟) بعضهم من العرب وبعضهم لا ولاء له، فإنه يعقل بعضهم عن بعض، ومن لا ديوان له فإنهم يتعاقلون على النسب وإن تفرقت المنازل.

ومن جنى من أهل مصر وليس في عطاء، وأهل البادية أقرب إليه، قضى عنه أهل ديوان المصر، الا أن صاحب العطاء لا يعقل عنه أهل البادية إن كان نازلاً فيهم.

رجل من أهل الكوفة عطاؤه بها.. قتل رجلاً خطأ، ثم حول ديوانه إلى البصرة قبل القضاء، فالدية على عاقلته من أهل البصرة ولو كانت الدية قد قضى بها على عاقلته بالكوفة ولم تنقل عنها، ويؤخذ من القاتل ما أصاب من الدية في حصته وإن كان بالبصرة.

رجل من أهل البادية قتل قتيلاً خطأ ثم قدم مصراً فسكنها أو ألحق بالديوان، فالدية على عاقلته من أهل المصر والديوان.

(١) انظر عن العرفاء وواجباتهم تفاصيل أوفى في: الفصل الخامس من كتابنا "التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة".

قوم من أهل البادية قضى عليهم بالدية فلم يؤدوها، أو أدوا السنة أو السنتين، ثم جعلوا في العطاء. صارت الدية في أعطياتهم»[1].

تحدد عدد العرافة بألف مقاتل، وهذا العدد مستنبط من الأحكام التي ذكرها الفقهاء من أهل الكوفة، خاصة عند كلامهم عن توزيع الدية عن القتل الخطأ، حيث ذكروا أن هذه الدية هي اثنا عشر ألف درهم تجبى من كل أفراد العرافة بالتساوي، يدفع فيها كل فرد اثني عشر درهما مقسطة على ثلاث سنوات، أي أن عدد أفراد كل عرافة ألف مقاتل من أهل المصر، ولا يلزم بها من لم يكن ديوانه في الكوفة، أي لا يدخل فيها من يهاجر منها أو من يكون مقيماً خارجها. وفي هذا يقول الشيباني: «رجل قتل خطأ فمضى للقتل سنتان، ثم ارتفعوا إلى القاضي، حكموا على عاقلة القاتل بالدية ثلاث سنين، ويقضي عليهم بالدية حتى يصيب الرجل أربعة دراهم أكثر ما يصيب، فإذا قل عددهم ضم أقرب القبائل إليهم بالنسب من أهل الدية. وأهل البادية وأهل اليمن (؟) الذين لا ديوان لهم فالدية على عواقلهم الأقرب فالأقرب»[2].

العرافات

راعى زياد الأسس القبلية وربما الخططية، في تقسيم العرافات، فكانت كل عرافة تضم أفراداً من عشيرة واحدة، ولما كانت العشائر بالكوفة متباينة في عدد أفرادها، فإنه كان لا بد من إدخال تعديلات تنسجم مع مبدئها الأساس، فقسمت كل من العشائر الكبيرة إلى عدة عرافات، وضمت العشائر الصغيرة إلى أخرى لتحقيق الألف المقررة لعدد الأفراد، والغالب أن أفراد العشائر الصغيرة يرتبطون بالعشيرة القريبة من نسبهم، ولكن ذلك لم يطبق دائماً، فقد تربط عشيرة بأخرى بعيدة عنها في النسب تذوب فيها على مر الزمن أو تحتفظ بتماسكها، فيقال عنها إنها في عداد العشيرة الأخرى، أي مرتبطة معها بالعرافة.

---

(١) الجامع الكبير ٢٠٧ ـ ٢٠٩.
(٢) المصدر نفسه ٢٠٧.

وذكر ابن الكلبي أسماء عدد من العشائر كان عدادها في أخرى، مما يعين على تحديد بعض، وليس كل، العرافات. وممن ذكرهم خميس بن أدد دخل في عبد الله بن درام (١١٦أ)، وخليفة بن عبد الله بن نمير والحارث وثعلبة بن بهشة دخلوا من بني عامر بن رفاعة من بهشة (١٤٩أ،١٥٩أ)، وجندب واخوته دخلوا من بني عمرو بن تميم (٨٦أ) ومالك بن جيفر والقليب دخلا من سعد بن زيد مناة (١٧٢أ،٨٦أ) وعبد شمس بن سعد بن زيد مناة دخل في كاهل بن أسد (٨٣أ)، وضبّه دخل من الأمصار (٤٣أ) وبجير دخل في زريق بن محارب من هوازن (٤٩أ، ١٦٢أ) وعامر سلامان وسعد بن ذبيان دخلا من يشكر، وعبس ومرة بن عوف (٦٧أ)، ومالك والحرث والعصبة بن امرئ القيس دخلوا من سليم (٨٤أ) التي دخل فيها سعيد بن عكرمة (١٢٠أ)، وحمزة وربيعة وعبدة دخلوا في عكل (٧٢أ) وبجير دخل من هوازن (٦٢أ) ومازن بن ريث الغطفان دخلوا من شمخ بن فزارة (٦٧أ).

ولعل هذه القائمة غير مستوفية، وهي تظهر كثرة من دخل في تميم وكثرة تشتت بني ذبيان.

يمكن تحديد العرافات من الأسماء التي ينسب إليها الأفراد الصليبة والموالي، إذ كان من المألوف أن يذكر اسم الشخص والعشيرة التي ينتمي إليها، وكذلك الموالي مع إضافة كلمة «مولى» إلى العشيرة التي يرتبط بها المولى، لأنه يشاركها في العاقلة، أي دفع الدية عن القتل الخطأ، أسوة بباقي أفراد العشيرة.

جمعت أسماء عدد كبير ممن ذكرتهم كتب التاريخ والرجال وذكرت أسماء العشائر المسمون بها، وأن إيراد ما جمعته غير كامل الاستيعاب، وقد يطيل حجم الكتاب، ولذلك فإني في بحث عشائر الكوفة نظمتها تبعاً لمجموعاتها الكبرى، وما تضمه كل مجموعة من عشائر ومن رجال منسوبين إليها ممن شاركوا في الأحداث، وأشرت إلى ما ذكر من خططها ومساجدها وجباناتها.

ومما أعرضه يقدم صورة عامة تقريبية وغير كاملة لعشائر أهل الكوفة تاركاً إكمال ذلك إلى بحث مستقل مستوعب.

ولا بد أن الرابطة القبلية كانت في أوائل تأسيس الكوفة قوية المفعول لقرب عهد أهلها بحياة الصحراء وارتباط الأفراد بميراثهم القبلي، ومما عززها تقارب سكنى الأفراد في خططها وربما في تحشيد المقاتلة ومشاركتها في المعارك.

التطورات العامة

أحدث الاستيطان في الكوفة وغيرها من الأمصار أحوالاً من شأنها إضعاف التكتل العشائري الضيق، فقد أصبح كافة الأفراد والعشائر تعلوهم السلطة العليا للخليفة ومن يمثله في الأمصار من الولاة ومن يعينهم من القادة أو ولاية الشؤون الاخرى. وقد تضاءلت علة وجود العصبية وهي حماية أفراد القبيلة من الأخطار الخارجية المهددة، إذ انتقلت هذه الحماية إلى السلطة العليا الواسعة للدولة الجديدة التي أحلت السلم محل حالة الحرب التي كانت شرعية بين العشائر.

أدت كثرة السكان واستقرارهم إلى إنماء روابط بين الأفراد من العشيرة الواحدة والعشائر الأخرى، وإلى أحوال متنوعة ومستجدة تفتقدها عشائر البدو المحدودة حمايتها والرتيبة في سماتها، ولا بد أنه ظهرت روابط جديدة منوعة في سماتها وفي عمق جذورها وقوة مظاهرها وسعة عدد من يتبع كلاً منها؛ وقد أشارت المصادر إلى عدد منها وأبرز رجال كل منها، وأكثر ما ذكرت لكل منها سبباً واحداً أو أسباب قليلة، وأشارت إلى خصومات عنيفة لبعضها، وقلما ذكرت القوى الكامنة وراء ظهورها وتركز زعامتها بأفراد قليلين.

ويلاحظ أن الحركة الفكرية، مع أهميتها وتنوعها وتوسعها وامتدادها، أنها كانت جامعة لأفراد من عشائر مختلفة تنحصر في «النخبة» من أهل العلم بمختلف مستوياتهم، ودون الاشارة إلى الاختلاف في أصولهم العرقية والاجتماعية. ولهم سمات عامة تميزهم في تصرفاتهم وكلامهم رغم أنهم في

أصولهم من جمهور العامة وفيهم كثير من الموالي وغير العرب، إلاَّ أنهم تمثلوا التيارات العربية الإسلامية، وهم مصدر أكثر معلوماتنا، ولكنهم قلما يعبّرون عن أحوال العامة وتطلعاتها، مما لم تصلنا عنها إلاَّ معلومات نزرة متفرقة وغير متماسكة، دون الحركات التي قاموا بها والتي مرجعها ما وصلنا عنها من أخبار إلى حوادث جزئية ظاهرية، لا يعقل أن تكون هي السبب الأصيل للأحداث الكبرى.

الفصل الحادي عشر

قبائل اليمن وعشائرها ورجالهم

كندة

تتميّز كندة بأنه كان منها آل المرار الذين كوّنوا دولة مركزها في غمر كندة في شرق مكة من أواسط الحجاز، وهيمنوا على معظم عشائر نجد بمن فيهم أسد وتميم وغطفان، وامتد سلطانهم إلى أطراف العراق والبحرين، وكان منهم امرؤ القيس وهو أبرز شاعر جاهلي، غير أن دولتهم لم تدم إذ تمردت عليها العشائر التابعة لها فأزالت حكمها، فانسحب الكنديون من بقايا دولة المرار إلى الأطراف الجنوبية الشرقية من اليمن وشمال حضرموت، وأقاموا نظاماً سياسياً يختلف عن مشيخة القبائل وأذواء اليمن، فكان منهم أربعة ملوك، يهيمن كل منهم على منطقةٍ لها حمى لا يباح لغيرهم التدخل فيها.

ولما علا الإسلام وامتد بعد فتح مكة اتصلوا بالرسول (ص) وأعلنوا ارتباطهم بالإسلام، وأرسل الرسول (ص) إليهم زياد بن لبيد البياضي ينظم علاقتهم بدولة الإسلام، ثم حدثت بينهم وبين زياد مشاكل إدارية فثاروا وضيقوا على المسلمين، ولكن أبا بكر أفلح في القضاء على تمردهم وأعادهم إلى حظيرة الإسلام، وزوّج أخته أحد رؤسائهم الأشعث بن قيس[1].

(١) انظر كتابنا «دولة الرسول (ص) في المدينة»؛ وانظر عن دولة كندة كتاب أولندر وقد ترجمه يحيى الجبوري، وكتابنا «تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية»؛ وانظر عن أهل اليمن في الكوفة: مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ١٨١، ١٨٧، ١٩٦.

ولما عزم عمر بن الخطاب على فتح العراق، ووجه إليها سعد بن أبي وقاص، كانت كندة ممن انضم إلى هذا الجيش، وكان عدد مقاتلتهم فيه سبعمائة[1]، وكان لهم دور متميز في معركة القادسية وخاصة في يومها الثاني المسمى (يوم الهرير)[2].

يذكر سيف بن عمر في وصف خطط القبائل حول مسجد الكوفة: «أنزل في قبلة الصحن بنو أسد، على طريق، بين بني أسد والنخع طريق، وبين النخع وكندة طريق، وبين كندة والأزد طريق»[3]. ولما كانت أسد في الأطراف الغربية من الكوفة، فيكون تسلسل الخطط الجنوبية من الغرب إلى الشرق: أسد، ثم النخع، ثم كندة، ثم الأزد. ويلاحظ أن الباب الوحيد المنسوب للعشائر من أبواب المسجد القليلة هو باب كندة الذي تحدثنا عنه في كلامنا عن الجامع[4].

ولما أبعد حجر بن عدي انحاز أصحابه إلى أبواب كندة لحماية حجر وأصحابة حتى خرجوا تلقاء أبواب كندة، ولما تخلى الناس عن مسلم بن عقيل «خرج متوجهاً نحو ابواب كندة، فلما بلغ الأبواب خرج إلى دور بني جبلة من كندة»[5]. وظاهر من هذه النصوص أنه كانت لخطط كندة عدة أبواب حول خططهم، وهي غير باب كندة للجامع.

كانت لكندة جبانة ذكرت في أخبار بعض الحوادث، فلما عزم زياد على حشد قوة للقبض على حجر بن عدي كان مما أمر به أن تمضي مذحج وهمدان إلى جبانة كندة[6]. ولما أعلن المختار ثورته بعث زحر بن قيس إلى جبانة كندة[7]. وكانت هذه الجبانة قرب مسجد السكون «فلما قدم المختار الكوفة

(١) الطبري ١/ ٢٣٣٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٣٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١٤٩٠.
(٤) انظر ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٥) أنساب الاشراف.
(٦) الطبري ٢/ ١١٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦١٤.

لإعلان ثورته مر ببحر النجف ومسجد السكون وجبانة كندة.. فأقبل حتى مر بمسجد بني ذهل وبني حجر.. حتى مر ببني بداء»[1]. ولما هاجم شبيب الكوفة انتهى إلى مسجد السكون فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة[2].

وفي أول تنظيم الأسباع في الكوفة كانت كندة وحدة في سبع، يضم كذلك حضرموت والأزد، مع غسان بن شبام وبجيلة وخثعم[3]، وكانت كندة معها دعوة حضرموت، وفي عدادها رجالهم منهم عبد الرحمن بن ملجم الذي اغتال الخليفة علي بن ابي طالب[4].

رؤساؤها الأولون

وأبرز رجل من كندة في المرحلة المتقدمةهو شرحبيل بن السمط، وكان من بني معاوية، وقد ثبت مع زياد بن لبيد عندما التاثت حضرموت وثار الكنديون[5]. وفي معركة القادسية جعله سعد بن أبي وقاص على الميسرة، وكان قد غلب الأشعث على الشرف إلى أن اختطت الكوفة[6]. ولما تقدم سعد لفتح المدائن كان على أحد مجنبتيه[7]، واحتفظ بمكانته كأحد أبرز القواد المسلمين في هذا التقدم[8]. ولما عبر المسلمون دجلة لفتح المدائن كان شرحبيل أحد القادة الذين حموا العبور[9]، ولما انتقل سعد إلى الكوفة استعمل شرحبيل على المدائن[10]، ثم ترك الكوفة والتحق بأبيه في حمص حيث أصبح من المقربين لمعاوية ومن قادته في صفين[11].

---

(١) الطبري ٢/ ٥٣٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦١٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٤٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٢٤٧.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥، ٢٢٢٥.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢٥.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٢٦٥.
(٨) المصدر نفسه ٢٢٢٨/ ٢٣١٨.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٣١٨.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٣٦١.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧٢، ٣٢٧٧، ٣٢٩٦.

ومن رجال كندة البارزين في الكوفة في أوائل تأسيسها الأشعث بن قيس، وكان من ذوي المكانة في قومه عندما انضموا إلى دولة الإسلام، وشارك في الثورة على زياد بن لبيد البياضي ثم استسلم للقوات الإسلامية التي قمعت الثورة، وأرسل إلى المدينة فزوجه أبو بكر أخته، ثم انضم إلى جيش سعد بن أبي وقاص في شراف وهو في طريقه إلى القادسية، وشارك في معركة نهاوند[1] وولاه عثمان اذربيجان[2]، كما شارك في موقعة صفين مع علي وسيطر على الماء بعد أن أراد أصحاب معاوية الهيمنة عليه[3]. وضعه الخليفة علي على الميمنة[4] ثم دعا إلى الكف عن القتال[5]، وأيد ترشيح أبي موسى للحكومة[6]، وكان من شهود الموادعة[7]، كان مع علي في قتال الخوارج[8]، ولم يذكر له دور بعد ذلك.

كان للأشعث في الكوفة مسجد[9] ومزرعة في ظيزناباد قرب القادسية[10]، وقد وصفه عتبة بن أبي سليمان بأنه رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن، وله خدمة في خلافة عثمان، وهو يقاتل عن أهل العراق تكرماً، ويقاتل أهل الشام حمية، ويميل إلى ما فيه صلاح الطرفين.

ويبدو أن ابنه محمد بن الأشعث ورث مكانة أبيه، إذ كان مقرباً من معاوية[11]، وطلب منه زياد أن يأتيه بحجر بن عدي[12].. ولم يؤيد مسلم بن

---

(١) الطبري ١/ ٢٦٤٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٢٥٤، وقعة صفين ٣٤٤، ٤٠٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٢٦٥، وقعة صفين ١٨٠٨٦، ١٩٣.
(٤) وقعة صفين ٢٠٥.
(٥) الطبري ١/ ٣٣٣٥، وقعة صفين ٤٨١.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧٥، وقعة صفين ٢٢٨، ٥٠٠.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧٥، وقعة صفين ٥٠٦.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٣٨٥.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٦١٩.
(١٠) وقعة صفين ٤٠٨.
(١١) الطبري ١/ ٣٢٥٤، وقعة صفين ٣٤٤، ٤٠٨.
(١٢) الطبري ٢/ ١٢٤.

عقيل في حركته[1]، وساند عبيد الله بن زياد[2] ثم ولأه ابن الزبير الموصل[3]، وكان من الأشراف الذين انضموا إلى المصعب في القضاء على حركة المختار[4]، وقاد الخيل في قتاله[5].

ذكرت المصادر في ثنايا أخبار الحوادث في الكوفة أسماء عدد من رجال كندة وأكثرهم من مؤيدي العلويين، وممن ورد ذكرهم: عبيد الله بن عمرو بن عزيز وقد عقد له مسلم بن عقيل على ربع كندة وربيعة[6]، والحسين بن يزيد بن زياد بن أبي الشعثاء وكان مع الحسين[7]، وحكيم بن منقذ وكان من مؤيدي سليمان بن صرد أول من دعى بالثارات للحسين[8]؛ وفي حركة المختار كان من أنصاره معاذ بن هاني بن عدي[9]؛ وفي يوم المذار كان على خيل المختار كثير بن اسماعيل الكندي[10]، ولما تقدم المصعب للقضاء على المختار جعل المختار على ميمنته سليم بن يزيد الكندي[11].

وكان أول من بايع زيد بن علي، حميد بن الأجاح[12]، وممن أيّد عبد الرحمن بن الأشعث عمرو بن أبي قرة الكندي الحجري[13].

كندة في وقعة صفين

كان لكندة في موقعة صفين دور تتوافر عنه وعن بعض رجالاتها البارزين

(1) الطبري ٢/ ٣٥٠.
(2) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٦.
(3) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٥.
(4) المصدر نفسه ٢/ ٦٥١.
(5) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٣.
(6) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٥.
(7) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٥.
(8) المصدر نفسه ٢/ ٥٣٨.
(9) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٠، ٦٧١ أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٥.
(10) المصدر نفسه ٢/ ٧٢١، أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٣.
(11) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٢، ٧٢٦، أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٨.
(12) المصدر نفسه ٢/ ١٦٧٩، ١٦٨٠.
(13) المصدر نفسه ٢/ ١١١١.

معلومات بفضل اهتمام الرواة بأخبار تلك الموقعة. ففي أول خلافة علي حدث انشقاق في عشائر كندة، حيث استاء بنو الأرقم من شتم عثمان بن عفان وغادروا الكوفة وانضموا إلى معاوية، فأقامهم في الرقة ثم كانت لهم مكانة في الجزيرة، غير أن أكثر كندة ظلت على ولائها للخليفة علي وقاتلت في صفين، وكان معاوية جعل إزاءها السكاسك والسكون[١] وأبدوا بسالة في اليوم الثاني المسمى ليلة الهرير[٢]. وذكر نصر بن مزاحم ممن قاتل منها مع علي، عبد الرحمن بن محرز الطمحي[٣] وقيس بن عمير بن يزيد العمرطة[٤]، وممن قتل من كندة في الموقعة عامر بن حنظلة[٥] والحكم بن حنظلة[٦] وشرحبيل بن امرئ القيس[٧].

ومن رجال كندة البارزين في موقعة صفين حجر بن عدي، وهو ممن شارك في فتوح العراق وكان على رأس القوة التي أرسلت إلى حلوان[٨]، ولما سار علي إلى صفين كان حجر بن عدي على كندة[٩]، ومن شهود صحيفة الموادعة[١٠]، وقد قاتل في صفين بحماس[١١]. ولما طلب علي بن أبي طالب نصرة أهل الكوفة لقتال الخوارج في معركة النهروان كان حجر ممن دعا لنصرة علي[١٢]، وكان فيها على سبع مذحج والاشعريين[١٣].

---

(١) وقعة صفين ٢٢٧.
(٢) المصدر نفسه ٢٥٠، ٢٨٠.
(٣) المصدر نفسه ٢٧٦.
(٤) المصدر نفسه ٢٨٥.
(٥) المصدر نفسه ٢٥٦.
(٦) المصدر نفسه ٢٥٧.
(٧) المصدر نفسه ٢٥٦.
(٨) الطبري ١/ ٢٤٦٢.
(٩) وقعة صفين ١١٧، ٢٤٣، ٢٠٥.
(١٠) الطبري ١/ ٣٣٣٧، وقعة صفين ٢٠١.
(١١) الطبري ١/ ٣٤٧٢، وقعة صفين ١٩٥.
(١٢) الطبري ١/ ٣١٥٢.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٣١٧٤.

إسهام رجال كندة في الادارة

شغل القضاء في الكوفة رجال أكثرهم من كندة، أولهم في القادسية جبر بن قشعم[١]، ثم في الكوفة عند تأسيسها أبو قرة سلمى بن معاوية بن وهب[٢]، ثم ولي القضاء شريح وهو من بني الرائش، وظل في القضاء قرابة ستين سنة، ما عدا فترات محدودة في زمن علي وعند سيطرة المختار[٣]، وولي الحسين بن الحسن القضاء سنتين[٤].

وممن ولي الادارة الأشعث بن قيس ولاه عثمان على أذربيجان[٥]، وحجر بن يزيد ولاه معاوية[٦]، وعدي بن عميرة من بني الأرقم ولاه سليمان بن عبد الملك الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، وولي عبد الله بن سلمى بن أبي الخير السواد لعلي، وولي ابو سلمة بن جبلة السواد لزياد، وولي عبيد الله بن العباس فارس لخالد القسري، وولي لأبي العباس ولأبي جعفر أرمينية، وكل هؤلاء من بني وهب بن امرئ القيس بن ربيعة[٧].

وولي منهم قيس بن يزيد بن عمرو، ومنهم أيضاً الحسن بن أبي العمرطة وكان على شرط الحجاج ثم ولي ما وراء النهر للجراح، وعبد الرحمن بن الحرث كان على شرط علي، والربيع بن قيس الذي استعمله الحجاج على فارس[٨].

بطون كندة وعشائرها

خص ابن الكلبي في كتابه «الأنساب» كندة وعشائرها بفصل طويل، ذكر فيه

(١) اخبار القضاة لوكيع ٢/ ١٨٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٨٥، ١٨٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٨٩ فما بعد.
(٤) الطبري ٢/ ١٤٦١، ١٤٧١.
(٥) الأنساب لابن الكلبي (مخطوطة الاسكوريال ٩٣).
(٦) المصدر نفسه ٩٥.
(٧) المصدر نفسه ٩٩.
(٨) المصدر نفسه ١٠٨ ـ ١٠٩.

أنسابها وبطونها وأشار إلى من كان في الكوفة ومن كان لهم مسجد فيها، كما ذكر البارزين من رجال كل بطن ومواقفهم السياسية وخاصة في خلافة علي. وبحثه المستوعب عن كندة لا يدانيه ما كتبه عن عشائر الكوفة الأخرى، ولعل كثيراً من معلوماته عن كندة استمدها من رجالها الذين أشار إلى بعضهم.

وذكر من بطون كندة في الكوفة بني الحرث بن معاوية، ولكل بطن منهم مسجد وممن ذكرهم بنو زيد (البدا) بن الحرث، وذهل بن معاوية بن الحرث، وبنو امرئ القيس، والطمح ومالك (بنو هند) ابنا الحرث بن معاوية بن الحرث، وبنو ابي كريب، وسلمة، وامرؤ القيس، ومالك من آل ربيعة بن معاوية، وبنو عمران، وحجر، وابو الخير، والأرقم وخير من بني وهب بن ربيعة. كما ذكر من البطون التي لكل منها مسجد بني جبلة، والحرث، ومرة بن حجر من بني عدي بن ربيعة. ولم يذكر من بني حجر آكل المرار إلا أفراداً وجماعات قليلة في الكوفة. وأشار إلى مواقف بعض رجال بطون كندة، وأن بني الأرقم كانوا عثمانية، أما الباقون فقليل منهم كان متعصباً ضد عليّ، وأكثرهم كان معه وشارك في صفين، ولم ينضموا إلى القراء والخوارج، ثم سايروا الدولة الأموية. وأبرز رجال كندة الأولين، السمط وحجر بن عدي والأشعث بن قيس وهم من بني جبلة.

ذكرت كتب التاريخ في ثنايا كلامها عن الحوادث التي جرت في الكوفة رجالاً منتسبين إلى عدد من بطون كندة، وممن ذكرتهم عبد الرحمن بن محرز الكندي الطمحي، وهو ممن شارك في موقعة صفين[(١)]، وابو الشعثاء الكندي النهدي وكان رسول عبيد اللّه بن زياد إلى القوة التي قاتلت الحسين[(٢)]، وعمرو بن أبي الحجر[(٣)].

وذكر من بني البداء قيس بن قهدان البدي[(٤)]، وكان من الثائرين على عثمان

(١) الطبري ١/ ٣٣٠٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١١١ _ ١١٤، و٢/ ٢٥٨.
(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٣٠.

وشارك في القتال في موقعة صفين[١]، ومالك بن سير البدي الذي شارك في قتل الحسين[٢]، وحجر الهندي وكان ممن تبرع بماله للتوابين وقتل في عين الوردة[٣]، وعبيد بن عمرة العبدي وكان ممن قاتل مع حجر بن عدي وكان من أشجع الناس واشدهم حباً لعلي، وكان أول من بايع المختار[٤].

وفي الطبري إشارة إلى مواقع خطط بعض هذه البطون، فذكر أن المختار لما قدم الكوفة مر ببحر النجف ثم مسجد السكون وجبانة كندة، وكان لا يمر بمجلس إلاّ سلموا عليه، فأقبل حتى مر بمسجد بني ذهل وبني حجر حتى مر ببني البداء فوجد عبيدة بن عمرة البدي[٥]. ولما تخلى الناس عن مسلم بن عقيل خرج متوجهاً نحو أبواب كندة، فلما بلغ الأبواب خرج إلى دور بني جبلة[٦].

حضرموت

انضمت حضرموت إلى جيش سعد بن أبي وقاص عندما وصل شراف في طريقه إلى العراق؛ وكانت حضرموت والصدف ستمائة عليهم شداد بن ضمعج[٧]؛ ولا بد أنها شاركت في معركة القادسية ومعارك فتوح العراق التالية، غير أن المصادر لم تذكر دوراً متميزاً لها ولا لرجالها في تلك الحوادث.

لم يذكر سيف بن عمر لحضرموت خطة في كلامه عن خطط عشائر الكوفة عند تأسيسها، والإشارة الوحيدة التي وجدتها لخططهم هي ما ذكره النجاشي أن سماعة بن مهران نزل الكوفة وله بالكوفة مسجد بحضرموت هو مسجد زرعة بن محمد الحضرمي[٨]. وواضح من هذا أن خطط حضرموت كانت مع كندة؛

(١) الطبري ١/٣٣٠٧.
(٢) انساب الاشراف ٥/٣٠٦.
(٣) المصدر نفسه ٥/٢١١.
(٤) المصدر نفسه ٥/٢١٨.
(٥) الطبري ٢/٢٥٨، أنساب الاشراف ٥/٢١٧.
(٦) الطبري ٢/٢٥٨.
(٧) المصدر نفسه ١/٢١٣٦.
(٨) الرجال للنجاشي ١٧٨.

ويبدو أن موقعها كان معزولاً عن مسرح الأحداث التي جرت في منطقة خطط كندة. وذكر الطبري أن حضرموت دعوتهم في كندة[1]، وذُكرت حضرموت مقرونة بكندة في بعض الأخبار[2].

ذكر سيف بن عمر أن الكوفة لما نظمت عند تأسيسها أسباعاً، صارت قضاعة ومنهم يومئذ غسان بن شبام وبجلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد سبعاً[3]، وكان على السبع المكوّن من هذه العشائر في صفّين حجر بن عدي[4].

ذكر نصر ممن شارك صفين في حضرموت، مالك بن يسار الحضرمي[5]، وهاني بن النمر[6]. وذكر الطبري من شهود وثيقة التحكيم عقبة بن زياد الحضرمي[7].

وعندما عزم زياد على إلقاء القبض على حجر بن عدي سايرت حضرموت كندة في عدم الاندفاع بتأييد حجر، وكان شريك بن شداد الحضرمي ممن بعثهم إلى معاوية للشهادة على حجر[8].

وشارك سليمان بن عوف الحضرمي في قتال الحسين، وقتل سليمان مولى الحسين[9]؛ وكان معبد بن سلمة الحضرمي ممن بعث المختار للإحاطة بدار خولي بن يزيد الأصبحي[10].

وممن ذكرتهم المصادر من رجال حضرموت أبو هريرة، وكان شجاعاً قاتل

(١) الطبري ٢/ ١٢٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٢٢، ٢٥٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٥.
(٤) وقعة صفين ١١٧.
(٥) المصدر نفسه ٢٧٠.
(٦) المصدر نفسه ٣٩٣.
(٧) الطبري ١/ ٣٣٣٧.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٣٦.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤.
(١٠) أنساب الاشراف ٥/ ٤٣٧.

الخوارج مع عتاب[١]، وناجية بن مرثد كان على العشور في المردمة ثم قتله شبيب الخارجي[٢].

حمير

ذكر حمير في أوائل تاسيس الكوفة، ومع أن سيف بن عمر لم يذكر لها خطة حول المسجد إلاّ أنه ذكر «وصارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤهم سبعاً»[٣]. وفي صفين كان سعد بن قيس بن مرة على همدان ومن معهم من حمير[٤]؛ وروى الطبري في كلامه عن العطاء شعراً جاء فيه أنه جعل ثلاثين فرض علك وحمير[٥] ويفترض هذا المقدار القليل أن حمير انضمت إلى الجيوش الإسلامية في العراق بعد القادسية والرادفة الأولى، غير أنه توجد إشارات إلى مشاركة نافع بن يزيد الحميري في حصار تستر[٦]، والأقرع بن عبد اللّه الحميري نهاوند[٧]، مما يجعلنا نشك في المقدار القليل الذي فرض لهم في العطاء.

ذكر ابن الكلبي من بطون حمير الافروع (وعدادهم في همدان) واحاضة وبرسم بن الغوث ويريم، وردمان وحضرموت وشعبان[٨]، وذكر البلاذري أن برسم من حمير في همدان[٩]، وذكر من رجالهم حسين بن عبد اللّه البرسمي[١٠] واسماعيل بن نعيم الهمداني ثم البرسمي[١١].

(١) الطبري ٢/٧٦٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/٩٢٠.
(٣) وقعة صفين ١٣٢.
(٤) الطبري ١/٢٧٦٤.
(٥) المصدر نفسه ١/٢٥٥٥.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٦١٩.
(٧) المقتضب ٣٦٦ ـ ٣٧١.
(٨) أنساب الاشراف ٥/٢٤٢.
(٩) الطبري ٢/٦٠٤.
(١٠) أنساب الاشراف ٥/٢٤٢، الطبري ٢/٦٠٤.
(١١) الطبري ٢/٩٠٧.

الفصل الثاني عشر

همدان

عشائر همدان وبطونها عن النسابين

أقدم المعلومات المتيسرة عن همدان في زمن الإسلام هي الكتب التي أرسلها الرسول (ص) إلى بعض رؤساء أهل اليمن، وهي ستة كتب اثنان منها متشابهان مرسلان من الرسول (ص) إلى الحارث بن عبد كلال، وإلى نعيم بن عبد كلال وإلى النعمان قيل ذي مران ومن أسلم من همدان، وكتاباً إلى مالك بن النمط من مخلاف خارف وهو خبب والي قيس بن نمط الأرحبي، وكتاباً إلى عك ذي خيوان وكلها مقتضبة[1].

وأرسل كتاباً إلى قيس بن مالك وقومه همدان اخمورهان يعني قبائل قدم، وإلى ذي مران وإلى ذي لعوة وأذواء همدان، وغربها يعني قبائل أرحب ونهم وشاكر ووادعة ويام ومرهبة ووالان وخارف وعذر وحجور وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا[2]. ويتبين من هذا النص أن همدان مكونة من ثلاث مجموعات هي الأخمور، والغرب، والخلائط والموالي، إلاَّ أنه لم يوضح فيما إذا كانت مكونة من العشائر التي وردت في الكتاب أم انها تشمل عشائر أخرى لم يذكرها النص.

ذكر الطبري أن الأخمور هم خارف والصائدون وآل ذي بارق، وأن أعراب همدان عذر ويام ونهم وشاكر وأرحب.

---

(١) انظر: الوثائق السياسية ١٠٩ ـ ١١٥.

(٢) الوثائق السياسية ١١٤، ابن سعد ٢/٧٣.

لم تقسم كتب الأنساب المؤلفة في العهود الإسلامية همدان إلى عرب وأخمور، وإنما قسمتها إلى قسمين رئيسين هما حاشد وبكيل[1]؛ وذكر كل من ابن حزم[2] والاشرف الغساني[3] بطون هذين القسمين مع بعض الاختلاف، فاتفقا على أن من بطون حاشد حجور وشبام ويام.

وذكر ابن الكلبي أن همدان قسمان رئيسان هما حاشد وبكيل، وذكر شجرات واسعة لكل منها، ومجملها أن من بطون حاشد حجور ويام وبارق وخيوان وقابض وشبام وناعط وذومران؛ ومن بطون بكيل يناع وثور والفائش وأرحب ومرهبة وشاكر[4].

وذكر ابن حزم من بطون حاشد برسم وحجور وفائش وفهم وشبام ويام وقابض والسبيع وخارف، وأن بطون بكيل: شاكر وأرحب ومرهبة (بطنان كبيران)[5]. وذكر الأشرف الغساني بطون حاشد حجور وقدم وادران والاهنوم ويام وشبام وجشم ومذكر وصداء، ومن بطون بكيل سبيع والدعام ومرهبة وأرحب وفهم وشاكر[6].

وذكر ابن الحائك الهمداني في الجزء العاشر من الاكليل الذي خصصه لهمدان وبطونها، التي أشار إلى سكنها الكوفة، فذكر (١) خيوان (٢) مالك بن عذر (٣) أصبى بن رافع (٤) يام (٥) وادعة (٦) شبام (٧) صائدة (٨) الحجور (٩) فهم (١٠) الفائش (١١) ذو لعوة (١٢) وثور (١٣).[7] وذكر «لا يقوم أمير

---

(١) الطبري ٣/ ٢٤٨٧، ولم يذكر ابن الكلبي همدان في نسختي لندن والاسكوريال، وهما الوحيدتان الباقيتان من كتابه في الأنساب.
(٢) الأنساب لابن حزم ٤٧٥ ـ ٤٧٦، ٣٩٢ ـ ٣٩٥.
(٣) طرفة الأصحاب في معرفة الانساب ٧.
(٤) المقتضب ٣٧٤ ـ ٣٨٠.
(٥) جمهرة النسب ٣٩٦.
(٦) طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ٣٠٥٧.
(٧) مذكورون بالتتابع في الجزء العاشر (١) ٥٧، (٢) ٦١، (٣) ٦٦، (٤) ٦٩، (٥) ٧٧، (٦) ٩٦، (٧) ٩٧، (٨) ٩٧، (٩) ٦٣، (١٠) ١٠٥ خ، (١١) ١١٤، (١٢) ١٣٠، (١٣) ١٩٥.

باليمن على أمره إلاَّ أن يكون معه ديوان من همدان، وقال الأسود لعبد الملك: همدان أبناء الملوك وفرسان الملاحم»[١].

همدان في الكوفة

انضمت همدان إلى الجيوش الإسلامية منذ أوائل الفتوح، وكان أكثر مهاجريها إلى الكوفة[٢]. وكانت في صدر الإسلام من أكبر قبائل الكوفة؛ ففي أوائل خلافة علي كانت ثلاث قبائل لم تكن لأهل العراق قبائل أكبر عدداً منها يومئذٍ، وهي ربيعة وهمدان ومذحج[٣]. وكانت همدان حي الكوفة وبعدها أسد؛ ولما جاءت عشائر الكوفة عبد الملك في النخيلة بعد انتصاره على المصعب «جاءت مذحج وهمدان فقال ماأرى لأحد مع هؤلاء شيئاً»[٤].

التحقت همدان بالجيوش الإسلامية منذ أن كان سعد بن أبي وقاص في شراف في طريقه إلى العراق[٥]. ولما تأسست الكوفة كانت همدان ممن له خطط حول الصحن، ونزلت في "ودعة الصحن سليم وثقيف مما يلي الصحن على طريق، وهمدان وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات على آخرهم وتغلب[٦].

ولما نظمت مقاتلة الكوفة عند تأسيسها أسباعاً صارت مذحج وحمير وهمدان وحلفاؤها سبعاً[٧]. ولم تشر المصادر إلى دور لهمدان في القادسية ومعارك الفتوح الأولى. وأول ذكر متميز لها من زمن خلافة علي بن أبي طالب، حيث شاركت في صفين وكانت أكبر من شارك، يتلوها بنو اسد وهم

(١) الاكليل ٢/ ٥٩.
(٢) الطبري ١/ ٣٣١٢، وقعة صفين ٢٩.
(٣) وقعة صفين ٣١١.
(٤) الطبري ٢/ ٨١٤، أنساب الاشراف ٥/ ٣٥٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٣٦٣.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٩.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٥.

حي الكوفة بعد همدان[١]. وكانت همدان وربيعة ومذحج ثلاث قبائل لم تكن لأهل العراق قبائل أكبر منها عدداً يومئذ[٢].

وكان شباب همدان يومئذ ثمانمائة مقاتل[٣]، وأدرك معاوية قوتهم فعبأ لهم الأزد وبجلة[٤]، ثم وضع مقابلهم كندة والأشعريين[٥]، ثم حشد أكبر قوة قادها بنفسه.. ويذكر نصر أنه كان مع علي أربعة آلاف مجفف مع سعيد بن قيس[٦].

وفي صفين قتل من شباب همدان مائة وثمانون رجلاً، وأحد عشر رئيساً تتابعوا على حمل الراية، منهم سبعة من أولاد شريح، وثلاثة من أولاد بشير[٧]. ولم ترد معلومات عن الانتماءات العشائرية لهؤلاء.

كان رئيس همدان في موقعة صفين سعيد بن قيس[٨]، وقد برز زمن خلافة عثمان حيث ولي الري[٩]، ثم قربه علي بن أبي طالب، فكان ممن أرسلهم لمفاوضة معاوية[١٠]، وممن شهد على وثيقة الموادعة في صفين[١١]؛ كما أرسله علي لصد غارة جيش معاوية على الأنبار وطاردهم حتى هيت، وكان في همدان بئر الجعد[١٢].

بطون همدان وخططها في الكوفة

في المصادر إشارات إلى عدد من بطون همدان في الكوفة وبعض المنسوبين

(١) وقعة صفين ٣١١.
(٢) المصدر نفسه ٢٩٠، الطبري ١/ ٣٣١٢.
(٣) وقعة صفين ٢٥٢.
(٤) المصدر نفسه ٢٢٧.
(٥) المصدر نفسه ٢٥٢.
(٦) المصدر نفسه ٤٥٣.
(٧) المصدر نفسه ٤٥٣، الطبري ١/ ٣٢٧٢.
(٨) الطبري ١/ ٢٩٢٧.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧٠.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٣٣٧.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٣٣٤٦.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ٣١٥.

من كل بطن إلى خطط بعض العشائر القريبة منها، وتدل هذه المعلومات أن خططها كانت في الجهات الشمالية الشرقية من الجامع، ومن النصوص عن ذلك ما روي من أسماء البطون لتي كانت في طرق الخليفة علي بن أبي طالب عندما دخل الكوفة عائداً من صفين. فيذكر جندب أن الخليفة علي عندما عاد من صفين جاز النخيل ورأى بيوت الكوفة «مضى حتى جزنا دور بني عوف، فإذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية، فقال أمير المؤنين ما هذه القبور، فقال قدامة بن عجلان الأزدي يا أمير المؤمنين أن خباب بن الارت توفي بعد مخرجك فأوصى أن يدفن في الظهر، وكان الناس إنما يدفنون في بيوتهم وأفنيتهم، فدفن الناس إلى جنبه».

ثم أقبل حتى دخل سكة الثوريين.. يعني ثور همدان، «ثم مر بالفائشيين»،

ثم مر بالشباميين.. من هذا الحي ثمانون ومائة قتيل فليس من دار إلا وفيها بكاء.

ثم مضى حتى مر بالناعطيين[1].

ويتداخل في هذه الخطط عشائر من بكيل (ثور، شاكر)، وحاشد (فائش).

عشائر بكيل

يتبيّن من النص المذكور أعلاه أن بني ثور كانت خططهم في أقصى الشمال، بعد بني عوف. ويقول ابن الحائك أن «الثوريين أكثرهم بالكوفة»[2]. وروى الطبري شعراً لرجل من بني ثور في قتلى القادسية[3]، مما قد يدل على أنهم شاركوا في المعركة وظفروا بعطاء أهلها. غير أنه لم يذكر دوراً لبني ثور أو أي رجل منهم في الأحداث التي جرت قبل خلافة علي، الذي تذكر الأخبار أن أحد رجالهم البارزين وهو الربيع بن خيثم كره المشاركة في قتال معاوية،

(١) وقعة صفين ٥٢٨ ـ ٥٣٢. الطبري ١/ ٣٣٤٥ ـ ٣٣٤٨.
(٢) الاكليل ١٠/ ١٣٢.
(٣) الطبري ١/ ٢٣١١.

وطلب من علي أن يغزو الديلم» فأغزاه علي «وعقد له على أربعة آلاف من المسلمين»[1].

يشير الخبر الذي نقلناه عن دخول علي الكوفة أن الثوريين شاركوا في صفين مع علي وقتل عدد من رجالهم في الموقعة. غير أنه لا تتوافر معلومات عن أحوالهم قبل ثورة المختار، حيث تذكر الأخبار من رجالهم حبيب بن منقذ، وكان قد ضمن المختار في أول حركته عند ابن مطيع[2]، فلما سيطر المختار على الكوفة ولاه البهقباذ الأسفل[3]، ثم أرسله على ربع تميم وهمدان في القوة التي أنفذها مع ابن الاشتر[4].

وفي أخبار حركة المختار رجلان بارزان من بني ثور، أحدهما سعيد بن منقذ، والثاني سليمان بن حمير. فأما سعيد بن منقذ فهو أخو حبيب، وكان ممن استفسروا من ابن الحنفية عن علاقته بالمختار[5]. ثم كان من أول من أعلن ثورة المختار[6]، وصد هجوم شمر بن ذي الجوشن في مقاومته المختار[7]؛ وكان على شرطة المختار[8]، ثم على ميسرة جيشه في معركة مسكن، وقاتل بضراوة فقتل من قومه نحو من سبعين رجلاً[9].

ومن رجال بني ثور من أهل الحفاظ من أصحاب المختار عياش بن خازم الثوري، وقد قتل معه[10].

(١) أنساب الاشراف (مخطوطة استامبول ٨٠٧٢).
(٢) انساب الاشراف ٥/ ٢٩٩.
(٣) الطبري ٢/ ٦٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧٠١، أنساب الاشراف ٥/ ٢١٩.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٥.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦١٦، أنساب الاشراف ٥/ ٢١٩.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٥، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٨.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٨، أنساب الاشراف ٥/ ٢٦٠.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٦٨٩، ٦٩١، ٧٤٨.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٧١٦.

أما سليمان بن حمير فكان شجاعاً متعصباً للمختار، حاول إقناع الشعبي بأن المختار يعلم الغيب[١].

وقد عني كثير من بني ثور بالفقه، ويروي ابن شبرمة: ما رأيت بالكوفة حياً أكثر فقهاً وتعبّداً من بني ثور. ويذكر «أن من بني ثور ثلاثين رجلاً ما منهم رجل دون الربيع بن خيثم»[٢]. ويروي أبو بكر الزبيدي عن أبيه «ما رأيت حياً أكثر جلوساً في المساجد من الثوريين والعرنيين»[٣]. ومن علمائهم سفيان بن سعيد الثوري الفقيه المشهور. ويذكر الطبري أنه عندما ثار المختار وتقدم من مقره في مزينة وبارق ورواس، بعث إليه عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في الفي رجل، فخرج عليهم من سكة الثوريين[٤].. مما يدل على قرب خطط هذه العشائر من الثوريين.

فائش

يظهر خط سير الخليفة علي عند عودته من صفين أن خطط الفائشيين كانت جنوب خطط الثوريين. ولم يذكر لفائش دور بارز، ولم يذكر من رجالها إلاّ أحمر بن حديج الذي كان مع المختار وقاتل معه بحماس[٥]، وكذلك زيد بن راشد الفائش الذي كان في جيش معقل بن قيس الرياحي يطارد الخوارج[٦].

شبام

كانت خطط شبام جنوب فائش، وأول ما ذكرت في الكوفة في زمن خلافة علي، إذ سرح عبد الرحمن بن شريح الشبامي إلى مالك بن كعب بن أبرد،

(١) ابن سعد ٦/ ١٣٣.
(٢) المصدر نفسه ٦/ ٥.
(٣) المصدر نفسه ٦/ ١٣٣
(٤) الطبري ٢/ ٦٦٨.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٦١، ٧٢٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٤٦ فما بعد.

وكان قد عينه على مصر[١]، ثم شاركت شبام في وقعة صفين[٢]، وكان من رجالهم فيها كريب بن شريح الشبامي، وكان يحمل الراية فقتل عليها هو وثلاثة من أخوته[٣]، ثم تكثر أخبارهم في حوادث حركة المختار حيث أيدوه من بدء حركته، واجتمعوا في جبانة مراد للحاق به، وأتوا السبيع من ورائهم[٤] فيسروا له الانتصار. وكانوا مع شاكر، من أكثر مؤيديه، وكانوا سدنة كرسيه[٥]، وفي هذا يقول أعشى همدان.

وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت   شبـام حـولـه ونـهـد وخـارف[٦]

وظلّوا ملتفين حوله عندما حاصره المصعب في القصر[٧].

وأبرز رجالهم عبد الرحمن بن شريح «كان عظيم الشرف»، تساءل عن مصداقية المختار عندما بدأ حركته[٨]. وقاتل عبد اللّه بن الحر عندما هاجم الكوفة[٩]، وكان على بيت مال المختار[١٠]، وظل يقاتل معه عندما حاصره المصعب في قصر الكوفة[١١].

وممن ذكر من رجالهم حرب بن شرحبيل الشبامي، كان مع علي عند عودته من صفين[١٢]، وحنظلة بن أسعد الذي قاتل مع الحسين[١٣]، وعبد اللّه بن أريم

(١) الطبري ١/ ٢٤١١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٤٨، وقعة صفين ٢٧٤، ٤٢٧.
(٣) أنساب الاشراف ٥/ ٢٤٢.
(٤) وقعة صفين ٥٣٠، الطبري ١/ ٣٣٤٨.
(٥) أنساب الاشراف ٥/ ٢٤٢.
(٦) الطبري ٢/ ٧٣٥.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٠٥، أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٩.
(٨) أنساب الاشراف ٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢
(٩) المصدر نفسه ٥/ ٢٩٤.
(١٠) المصدر نفسه ٥/ ٢٥٩.
(١١) الطبري ٢/ ٧٢٦، أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٩.
(١٢) الطبري ١/ ٣٣٤٨، وقعة صفين ٥٣٠.
(١٣) الطبري ٢/ ٣٥٢.

الذي قاتل ابن الحر[1]، وأبو القلوص الذي كانت شبام قد راسته عندما تقدمت لتأييد المختار عند بدء ثورته[2]. وكل هذا يظهر تأييد شبام للمختار.

ناعط

كانت خطط ناعط أقرب الخطط التي مر بها الخليفة علي إلى القصر، وأول ذكر لها في زمن خلافة علي[3] فقد شاركت في موقعة صفين[4]، وذكر من رجالها الذين شاركوا في المعركة منقذ وحمير ابنا قيس[5].

وكان جلّ الناعطيين عثمانية[6]، إلا أن فريقاً منهم ساند المختار في ثورته، ومن هؤلاء مسافر بن سعد الذي أرسل المختار معه رأس عمر بن سعد وابنه إلى محمد بن الحنفية[7]؛ وكان من القواد الذين عيَّنهم المختار لصد مصعب بن الزبير، ثم قتله المصعب بعد سيطرته على الكوفة[8].

ومن رجال ناعط شرحبيل بن ذي بقلان الذي قتل وهو يحارب مع المختار[9]، وأعشى همدان.

شاكر

ذكرت شاكر مقرونة بشبام في أخبار وأشعار عن موقعة صفين وحركة المختار، ففي وقعة صفين يروى أن علياً قال:

دعوت فلباني من القوم عصبة   فوارس من همدان غير لئام

(١) أنساب الاشراف ٥/ ٢٩٤.
(٢) الطبري ٢/ ٦٥٨.
(٣) وقعة صفين ٢٢٨، الطبري ١/ ٣٣٦٧.
(٤) وقعة صفين ٥٢، الاكليل للهمداني ١٠/ ٩٩.
(٥) وقعة صفين ٢٥٥.
(٦) الطبري ٢ م ٦٧٤، أنساب الاشراف ٥/ ٢١٩.
(٧) الطبري ٢/ ٦٨٨، أنساب الاشراف ٥/ ٢٤٣.
(٨) الطبري ٢/ ٧٤١، ٧٢٧، أنساب الاشراف ٥/ ٢٦٣.
(٩) الطبري ٢/ ٦٦٦.

فوارس من همدان ليسوا بعزل غداة من شاكر وشبام[1]

ويروى أن معاوية لما أمر بمهاجمة همدان قال:

لا عيش إلاّ فلق الهام من أرحب وشاكر وشبام[2]

وعندما جيء «بكرسي المختار» خرجت شبام وشاكر ورؤوس أصحاب المختار وقد عصبوه بالخرق، «ومن رجالهم البارزين عابس بن أبي شبيب الذي استجاب لدعوة مسلم بن عقيل وحمل مئة كتاب إلى الحسين، ثم قتل مع الحسين»[3].

ومن أبرز رجالهم المؤيدين للمختار عبد اللّه بن كامل، وكان يعتقد أن المختار «معصوم وهو أعلم بما يصنع»[4]، وشهد على صحة كتاب ابن الحنفية في تأييد المختار[5] ثم صار على شرطته[6]، وقاتل معه يوم جبانة السبيع[7]، ثم شارك في قتال المصعب في معركة المذار وكان على الميمنة وقتل في المعركة[8].

وادعة

ومن عشائر همدان وادعة، وفي خططهم مسجد أبي داود وهو مسجد القصاص[9]. وقد استخرج المختار من وادعة خمسمائة أسير[10]، ومن رجالهم

(١) وقعة صفين ٣٧٤.
(٢) المصدر نفسه ٣٢٧.
(٣) الطبري ٢٦٤، أنساب الاشراف ٥/ ٢٩٤.
(٤) الطبري ٢/ ٦٢٨.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦١٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٥.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٧٢١.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٤.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٦.

المنذر بن أبي حميضة كان فارس همدان وشاعرهم[1]. ومن رجالهم هاني بن أبي حية، والحارث بن ابي شداد، وابنه الازمع[2].

أرحب

كانت دور أرحب وشاكر في سكة البريد[3]، وبرز منهم في الفتوح الأولى مالك بن كعب بن عبد اللّه الهمداني الأرحبي، وهو الوحيد من رجال همدان الذي ذكر اسمه في الفتوح الاولى، وهو أول من عبر النهر عند تقدم المسلمين لفتح المدائن[4]. وكان من وجوه الكوفة الذين يسمرون عند سعيد بن العاص[5]، ثم انقلب على سعيد، وكان ممن كتب إلى ابن الاشتر يستدعيه، فلما عاد الاشتر أرسله مع خمسمائة فارس ليمنع سعيد بن العاص من العودة إلى الكوفة[6].. وكان مقرّباً من علي[7]، كذلك كان على مسلحة من ألف رجل في عين التمر وصد فيها غارة قام بها النعمان بن بشير مع ألفين[8]، وكان ممن شهد وثيقة الموادعة بين علي ومعاوية[9].

ومن رجال ارحب ممن له ذكر في حوادث الكوفة الأولى يزيد بن قيس الأرحبي، وكان ممن شارك في فتح همدان[10]، وممن جالس سعيد بن العاص[11]، ولكنه استاء من تسيير بعض الناقمين على عثمان من الكوفة[12]، وكان

(١) الطبري ٢/ ٦٦٠، أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٥.
(٢) وقعة صفين ٢٤٥، أنساب الاشراف ٥/ ٢٧٤.
(٣) الطبري ٢/ ٧٠٩.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٣٧.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٩١٦.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٤١٠، ٣٤٤٤.
(٧) أنساب الاشراف ٥/ ٤٥.
(٨) الطبري ١/ ٣٤٤٤.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣٣٣٧.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥١.
(١١) أنساب الاشراف ٥/ ٤٠.
(١٢) أنساب الاشراف ٥/ ٤١، الطبري ١/ ٢٩٢٨، ٢٩٣٥/ ٢٩٥٠.

قد ولاّه على المدائن وجوخى[1] ثم شارك في وقعة صفين[2]. ومن رجالهم الأولين هانئ بن خطاب الأرحبي، وأول ذكر له كان ممن أغرى بعثمان[3]، ثم أرسله ابن الاشتر إلى حلوان في ألف فارس ليحفظ الطريق في الجبل من عبث الأكراد[4]. وشارك في صفين ونسب إليه قتل عبيد الله بن عمر[5]، ثم كان في جيش علي عندما قاتل الخوارج. نسب إليه قتل عبد الله بن وهب الراسبي[6]. وممن ذكر من رجالهم قيس بن عمرو بن يزيد، وكان ممن قاتل في صفين مع علي[7]، ومالك بن النظر الأرحبي وكان ممن حمل كتبا إلى الحسين يدعوه إلى المجيء إلى الكوفة[8].

مرهبة

يقول ابن حزم أن مرهبة وأرحب بطنان عظيمان[9]، وذكر السمعاني أن مرهبة بطن من همدان نزلوا الكوفة[10]. ويروي الطبري أن عظام قتلى الفرس في معركة البويب كانت «مابين السكون ومرهبة وبني سليم»[11]، أي أن خططهم في أقصى الأطراف الشرقية من الكوفة.

لم تذكر المصادر من بني مرهبة غير ذر بن عمر بن ذر[12]، وذكر محمد بن حبيب أن يزيد بن الفيض كاتب زمن عثمان لرجل من مرهبة مع أربعين ألفاً وثلاثين ناقة ورعائها[13].

(١) وقعة صفين ١١.
(٢) وقعة صفين ١٠١، ١٢١، ١٤٦/١٩٨، ٢٤٧، الطبري ١/٣١٩٣، ٣٢٧٤، ٣٢٩٧، ٣٤١٠.
(٣) انساب الاشراف ٥/ ٤٤ ـ ٤٥.
(٤) المصدر نفسه ٥/٤٥.
(٥) وقعة صفين ٢٩٨.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) المصدر نفسه.
(٩) الأنساب ٢٩٦.
(١٠) الأنساب ٤/٢٦٦، اللباب لابن الاثير ٢/٢٨٣.
(١١) الطبري ١/٢١٩٩.
(١٢) البيان والتبيين ٣/١٤٤، عيون الأخبار ١/٣٣٣.
(١٣) المحبر ٣٤١. والمكاتبة هي المبلغ الذي يدفعه العبد لقاء تحريره.

حاشد وبطونها

ذكرنا أن الطبري جعل همدان صنفين رئيسين هما الأخمور والأعراب، وقال إن الاخمور خارف والصائديون وآل ذي بارق والسبيع وآل ذي حران وآل ذي صوان وآل ذي لعوة وآل ذي مران. وذكر أن أعراب همدان عذر ويام وفهم وشاكر وأرحب. وتابعت كتب النسب تصنيف همدان إلى قسمين رئيسين، ولكنها لم تسمهما (الاخمور والاعراب)، وإنما سمتهما (حاشد وبكيل)، وعددت من بطون حاشد، خارف وصائدة والسبيع وحجور وفائش وناعط (ومنهم ذو مران) وحوت وخيوان وقابض ويام ووادعة. وأغفلت هذه الكتب ذكر بارق وآل ذي جدار وآل ذي رضوان وآل ذي لعوة، ولم أجد في أسماء بطون همدان ورجالها في الكوفة من نسب إلى الأربعة الأخيرين، مما يدل على أنهم لم يتواجدوا في الكوفة. وقد ذكرنا، في كلامنا على العشائر الذي مر بها الخليفة علي بن أبي طالب عند عودته من صفين، أنه بعد أن سار من النخيلة واجتاز ظهر الكوفة مر بالثوريين فالشباميين فالناعطيين وهم من حاشد. ونكمل فيما يلي الكلام على بقية بطون حاشد في الكوفة.

السبيع

السبيع من بطون همدان التي تميزت بشهرة واسعة بسبب بقاء محلتها أمداً طويلاً وظهور رؤساء منها ذوي مكانة في الكوفة. ففي سنة مائتين وخمسين وصل مزاحم الكوفة وضرب ناحيتها بالنار وأحرق سبعة أسواق حتى خرجت النار إلى السبيع[1]. وهذا يظهر أن السبيع كانت قريبة من الأسواق. وفي القرن السادس يذكر السمعاني «بالكوفة محلة معروفة يقال لها السبيع لنزول هذه القبيلة بها. ومسجد أبي اسحاق في المحلة كنت أقيم فيه إذا دخلت الكوفة، والمشهور من العلماء المنسوبين إلى هذه المحلة أبو اسحاق السبيعي ومسجده باق إلى الساعة. وشيخنا أبو البركات عمر بن إبراهيم بن حمزة الحسين كان

(١) الطبري ٣/١٦١٨.

إمام هذا المسجد، وكنت أقيم فيه إذا دخلت الكوفة لأقرأ على الشريف». ويقول أيضاً، «بالكوفة محلة من السبيع يقال لها قلعة الضباب، ومسجد أبي اسحاق السبيعي في المحلة، وجماعته من شيوخنا يسكنون هذه المحلة منهم شيخنا الشريف الإمام أبو البركات الضبابي شيخ الزيدية وإمامهم»[1]. ولابد أن تكون جبانة السبيع في الأطراف الشمالية الغربية من الجامع، لأن ابن جبير، وهو قريب من زمن السمعاني، لما زار الكوفة كانت الجهات الشرقية من الجامع خالية من البناء[2].

رؤساء السبيع

أما رؤساؤها فقد اشتهر منهم في الأزمنة الأولى سعيد وعبد الرحمن إبنا قيس، ويروى أن أبا موسى الأشعري قال «الكل قوم ملوك وهؤلاء ملوك». فأما سعيد بن قيس فكان على الري في أواخر خلافة عثمان[3]، ولما ولي علي ابن أبي طالب قرّب سعيداً وصيَّر إليه راية همدان فاستاء أبو معبد بن جمرة (من أصبى من رافع) وكان ممن أرسلهم لمفاوضة معاوية[4]، وشارك في صفين، فكان من القواد الذين يخرجهم عليّ لقتال أهل الشام[5]، وكان ممن شهد وثيقة الموادعة في صفين[6]. وأرسله علي لصد غارة شنها جيش معاوية على الأنبار، فصدهم وطاردهم حتى وصل هيت[7]. وكان له نفوذ في عشيرته[8].

أما عبد الرحمن فكان ممن وثب على المختار لما خرج ابن الاشتر في

(١) الأنساب للسمعاني ـ مادة «السبيع» و «الضباب».
(٢) رحلة ابن جبير ١٩٧، طبعة حسين نصار.
(٣) الاكليل ١٠/٦٦.
(٤) الطبري ١/١٠٤٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٣٣٧.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٣٤٦.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٥.

جيشه من الكوفة، فخرج في همدان في جبانة السبيع[1]، ويدل هذا على أنه كان رئيسها آنذاك، ولعله خلف أخاه سعيد في الرئاسة.

ومن رجال السبيع محمد بن عبد الرحمن، وكان ممن انضم إلى المصعب عندما تقدم للقضاء على حركة المختار، ولما أراد المصعب إطلاق سراح الأسرى وثب «وقال قتل أبي وخمسمائة من همدان وأشراف العشيرة وأهل المصر ثم تخلي سبيلهم ودماؤنا ترقرق في أجوافهم[2]، فاستجاب له المصعب وأمر بقتلهم»؛ وظل محمد مع المصعب، ولكنه لم يكن متحمساً له، فكان ممن اتصل بهم عبد الملك ووعدهم بولاية أصبهان إذا تخلى عن المصعب[3]. وفي معركة دير الجاثليق تلكأ في الهجوم على جيش عبد الملك[4]، ثم كان على ربع تميم وهمدان في الجيش الذي أرسله بشر بن مروان لقتال الخوارج.

مشاركة السبيع في حوادث الكوفة

شاركت السبيع في موقعة صفين. ولم تذكر المصادر لها دوراً متميزاً سوى أن أحدى الروايات تذكر أن عبيد الله بن عمر وكان يحارب مع أهل الشام، قتل مالك بن عمرو السبيعي[5] وكان يزيد بن هانئ السبيعي من المقربين لعلي، وممن قاتل أهل الشام عندما سيطروا في صفين على الماء قبيل المعركة[6].

وكانت في السبيع جماعة تميل إلى الحسين حيث أرسلت شيعته رسائل مع فريق منهم هانئ بن هانئ السبيعي[7].

ومن انضم إلى الحسين عبد الله بن شهر السبيعي «وكان شريفاً شجاعاً

(١) الطبري ٢/ ٦٥٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٤٩، أنساب الاشراف ٥/ ٢٦٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٤، أنساب الاشراف ٥/ ٣٤٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٣٣٠، وقعة صفين ٥٦١.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٢٦٧.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٤، ٢٣٩.

انضم إلى الحسين وقاتل معه»[١]. ولما أظهر المختار حركته كان عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من مؤيدي ابن مطيع وقواده[٢].

جبانة السبيع

كانت جبانة السبيع إحدى الجبانات التي أرسلت لتقيم فيها قوات كل من ابن مطيع[٣] ومصعب بن الزبير[٤]. ولما دخل الحسن بن قحطبة الكوفة وقف في جبانة السبيع وبايع أهل خراسان[٥].

ذكر الطبري عند كلامه عن حركة المختار عدداً من المعالم العمرانية القريبة من جبانة السبيع. ومما ذكره أن المختار عندما توجه إليها "وقف عند دار عمر بن سعد بن أبي وقاص، وسرح بين أيديه أحمد بن شميط البجلي ثم الاحمسي، وسرح عبد الله بن كامل. وقال لابن شميط الزم هذه السكة حتى تخرج إلى أهل جبانة السبيع بين دور قومك، وقال لعبد الله بن كامل الزم هذه السكة حتى تخرج على جبانة السبيع من دار الأخنس بن شريق، ودعاهما فأسر إليهما أن شباماً قد بعثت تخبرني أنهم قد أتوا القوم من ورائهم، فمضيا فسلكا الطريقين اللذين أمرهما بهما. وبلغ أهل اليمن مسير هذين الرجلين اليهم، فاقتسموا بينهم السكتين، فأما السكة التي في دبر مسجد أحمس فإنه وقف فيها عبد الرحمن بن سعيد، وأما السكة التي تلي الفرات فإنه وقف فيها عبد الرحمن بن مخنف، ثم ذكر أن هذه القوات هربت، فلما علم المختار بهروبها "قال فما فعل أحمر بن شميط، قالوا تركنا عند مسجد القصاص، يعنون مسجد أبي داود في وادعة، وكان يعتاده رجال أهل ذلك الزمان يقصون فيه. . . . ثم أقبل بهم حتى انتهى إلى دار عبد الله الجدلي وبعث عبد الله بن قُراد الحنفي

(١) الطبري ٢/ ٦١٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٣٣.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٠.
(٤) انساب الاشراف ٥/ ٢٢٤.
(٥) المصدر نفسه ٣/ ١٣٨.

وكان على اربعمائة رجل من أصحابه فقال سر في أصحابك إلى ابن كامل.. ثم امضِ في المائة حتى تأتي أهل جبانة السبيع مما يلي حمام قطن بن عبد الله، فمضى فوجد ابن كامل واقفاً عند حمام عمرو بن حريث معه أناس من أصحابه.. ثم مضى حتى نزل إلى جبانة السبيع وانتهى إلى مسجد عبد القيس.. وكل من كان معه من حاشد قومه وهم مائة»[1]. ويذكر أن شبام اجتمعت.. فلما خرجوا من جبانة السبيع استقبلهم على فم السكة الأعسر الصائدي.. فضربوه ودخلوا الجبانة[2]، ويتبين من هذا:

١ ـ أن بين دار عمر بن سعد بن أبي وقاص وجبانة السبيع تقع خطط أحمس ودار الأخنس بن شريق.

٢ ـ أن الطريق من دار عمر بن سعد تقع في دبر خطط أحمس، وأن مسجد القصاص يقع في جهة خطط أحمس.

٣ ـ والطريق المار بدار الأخنس تلي الفرات، وقد سلكها ابن كامل ومر منها بالمعالم التالية: حمام قطن بن عبد الله، وحمام عمرو بن حريث وهما يقعان في جهات دار الاخنس.

٤ ـ أن مسجد عبد القيس كان في تلك الجهة أيضاً.

خيوان

لم يذكر لخيوان دور في حوادث الكوفة، ولكن ذكر عدد من رجالها مما يدل على قدمها ومكانتها. وأبرز من ذكر من رجالها في الحوادث الأولى في الكوفة عبد خير، الذي روى له الطبري رواية في صلح خالد للحيرة[3]، وفي عزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية للكوفة[4]، ثم طلبه من أبي موسى تأييد

(١) الطبري ٢/ ٦٥٥.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٩.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٥٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٨١٢.

علي عندما تقدم إلى البصرة لمقاتلة أصحاب الجمل[1]. . وقد يدل هذا على قدم تواجد خيوان في الكوفة. وعدّد ابن الحائك الهمداني من علماء خيوان[2]: عبد اللّه بن مرة وطاووس وأسباط. وممن ذكر من رجالهم في حوادث الكوفة أيوب بن مشرح الخيواني، وكان في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين[3]. ومن رجالهم يونس بن هاعان وهو ممن أرسله المصعب لقتال عبيد اللّه بن الحر[4]. ومن أبرز رجالهم محمد بن مالك الهمداني الذي شارك في الفتوح في خراسان في زمن ولاية أسد بن عبد اللّه القسري[5]. وكان على ربع تميم وهمدان في زمن ولاية يوسف بن عمر سنة ١٢٢[6].

خارف

ومن بطون حاشد في الكوفة خارف ذَكَرهم الطبري مع أخمور همدان[7] واشار اعشى همدان إلى التفافهم حول المختار، في شعره:

وأقسم ماكرسيكم بسكينة	وإن كان قد لُفّت عليه اللفائف
وأن ليس كالتابوت فينا وإن سعت	شبام حواليه ونهد وخارف[8].

صائدة

ذكر من رجال صائدة قيس بن عبد اللّه وأبو ثمامة، فأما قيس بن عبد اللّه فكان في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين[9]، وأما أبو ثمامة عمرو بن

(١) الطبري ٣/ ٣١٥٢.
(٢) الاكليل ١٠/ ٥٧.
(٣) الطبري ٢/ ٣٥٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧٣٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٥٧٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٢.
(٧) المصدر نفسه ٣/ ٢٤٧٨.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٤، وأنساب الاشراف ٥/ ٢٤٢.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٥.

عبد اللّه فكان من أنصار مسلم بن عقيل، يأخذ الأموال التي تقدم إليهم[١]. وعقد له مسلم على ربع تميم وهمدان[٢]، ثم قاتل مع الحسين، وقُتل ابن عم له في موقعة كربلاء[٣].

نهم

لم تذكر الأخبار اسهاماتها أو رجالها غير عبد الرحمن بن عوسجة وكان من القراء، وقتل في معركة دير الجماجم[٤].

يناع

ذكر الطبري من رجال يناع سعيد بن وهب ونمير بن وعلة، فأما سعيد بن وهب فذكر الطبري أنه من بني يحمد بن موهب بن.. يناع بن دومان وهم البناعيون من همدان، وكان من أصحاب علي[٥]. وقال ابن سعد إن سعيد بن وهب البناعي كان عريف قومه[٦].

أما نمير بن وعلة فهو من رواة أبي مخنف، نقل عنه خمس عشرة رواية، منها عن الشعبي[٧] وخمس أخرى عن رواة آخرين[٨].

مران

ومن بطون حاشد ذو مران. منهم في الكوفة يزيد بن عمير وسعيد بن المجالد، فأما يزيد بن عمير فكان من العثمانية. إذ لما نادى أصحاب ابن

(١) الطبري ٢/٢٤٦.
(٢) المصدر نفسه ٢/٢٥٥.
(٣) المصدر نفسه ٢/٣١٠، ٣٤٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/١٠٦٥.
(٥) المصدر نفسه ٣/٢٤٧٨.
(٦) ابن سعد ٦/١١٨.
(٧) الطبري ١/٢٨٨٦، ٣١٤٠، ٣٣٢٥، ٣٣٣٠، ١٠٤٣.
(٨) المصدر نفسه ٢/٢٣٨، ٢٥٠، ٣٤٥، ٣٥٤٥، ٣٥٤، ٦٠٩.

شميط قائد المختار يالثارات الحسين، وسمعها يزيد بن عمير فقال يالثارات عثمان، فقال لهم رفاعة بن شداد مالنا ولعثمان، لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان[1].

وأما سعيد بن مجالد فإن الحجاج أرسله بجيش ليقاتل الخوارج الذين كان يقودهم ابن الحر[2]، ولما تضعضع جيشه نادى بهم أنا ابن ذي مران الي الي، ولكنه قتل في المعركة[3].

قابض

ومن حاشد قابض وذُكر منهم في الكوفة مسلم بن كثير القابضي الذي كان مع الأشتر في حصار عثمان، وأطاع الاشتر في المشاركة بقتل عثمان[4].

ومن رجال قابض بشر بن سوط الذي شد على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتله[5]، ثم قتله المختار[6].

النخع

كانت ديار النخع القديمة بيشة في بلاد عسير الحالية، أما في الإسلام فنزلوا الكوفة[7]. وقد اتصلوا بالرسول (ص) في السنة الحادية عشر، فأرسلوا له وفداً من رجاله خالد بن كعب بن شرحبيل، فعقد له لواء على النخع[8]، ثم شهد القادسية وكان بيده اللواء فقتل، فأخذ اللواء أخوه دريد ثم قتل أيضا[9].

(١) الطبري ٢/ ٦٥٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٠٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩١٢.
(٤) أنساب الاشراف ٥/ ٨١.
(٥) المصدر نفسه ٥/ ٢٤١، الطبري ٢/ ٣٥٨.
(٦) المصدر نفسه ٥/ ٢٤٠، الطبري ٢/ ٧٥٨.
(٧) الأنساب للسمعاني، مادة النخع ١٢، ابن الاثير اللباب ٢/ ١١٥.
(٨) الطبري ١/ ٣٣١.
(٩) الأنساب، لابن الكلبي، نسخة الاسكوريال ٢٠١.

ويروي ابن الكلبي أن كميل بن زياد النخعي قدم على عمر بن الخطاب، فعقد له على من قدم الكوفة من النخع[1]، ولعل هذا كان بعد مقتل خالد وأخيه دريد. ويذكر السمعاني أن النخع نزلت الكوفة ومنها انتشر أكثرهم[2]. وذكر سيف بن عمر أنه عندما اختطت الكوفة نزل في قبلة الصحن أسد والنخع وكندة[3]، وورد ذكر خطط النخع في بعض أخبار أحداث الكوفة.

ذكر ابن الكلبي شجرات نسب النخع، وبيَّن فيها أنهم مجموعتان رئيستان: بنو مالك بن النخع ومن بطونهم في الكوفة صهبان ووهبيل وعامر وحذيفة وحارثة ولكل من هذه البطون خطة ومسجد في الكوفة. ومن هذه المجموعة عامر وكعب ونهار وذكر انها بطون متميزة لم يذكر لها مساجد. أما المجموعة الثانية فهي بنو بكر بن عوف ولهم خطة بالكوفة، وكان عدد من رجالهم فقهاء[4]. ومن رجالها بكر بن هوذة الطفيل بن لقيط من وهبيل النخعي، وسنان بن انس النخعي ثم الأصبحي، وكميل بن زياد والحارث بن همام. وذكر ابن الكلبي من رجال وهبيل في صفين المقداد بن سنان. وذكر الهمداني أن بني كريب بن أبرهة من كان منهم بالكوفة بالنخع ومنهم طائفة بشهرزور.. وذكرت كتب التاريخ بطون بعض رجال النخع[5]، ومن بارزيهم في حوادث الكوفة في أواخر خلافة عثمان كميل بن زياد النخعي، الذي كان هو وعمرو بن زرارة أول من دعيا إلى خلع عثمان[6]؛ وكان كميل ممن احتج على سعيد بن العاص في أمر الملطاط،[7] وممن سيرهم سعيد بن العاص إلى معاوية[8]، وأخرج من قصر الامارة ثابت بن قيس بن الحطيم الذي ولي الكوفة في غياب واليها سعيد بن العاص[9].

(١) الأنساب للكلبي ٢٠٣.
(٢) الانساب للسمعاني في مادة النخع.
(٣) الطبري ١/ ٢٤٩٠.
(٤) الأنساب (مخطوطة الاسكوريال).
(٥) الاكليل ٢/ ٥٠.
(٦) انظر الانساب ٥/ ٣٠، الطبري، ١/ ٣١١٠، ٢٥/٧، ١٨٦، ومعه صفين ١٦٣، ٥٠٢.
(٧) أنساب الاشراف ٥/ ٣٠.
(٨) الطبري ١/١٩٠٨.
(٩) الطبري ١/٢٩١٧، ٢٩٢١، أنساب الاشراف ٥/ ٤٣.

ومن النخعيين الذين سيرهم سعيد بن العاص إلى معاوية ثابت بن قيس بن منقع[١]، ثم انضم إلى عبد الله بن الزبير في ثورته على يزيد بن معاوية، فلما توفي يزيد أقنع ثابت الحصين بن نمير بإيقاف القتال وفك الحصار عن ابن الزبير[٢].

شاركت النخع في موقعة صفين في صف الخليفة علي، وممن شهد صفين من النخع المقداد بن سنان بن وهبيل[٣]. وفي صفين قاتلت النخع قتالاً شديداً، فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوذة، وحيان بن هوذة، وشعيب بن نعيم من بني بكر النخعي[٤] وربيعة بن مالك بن وهبيل[٥]. وكانت راية الأشتر مع حيان بن هوذة، فلما دعا الاشتر الحارث بن همام النخعي ثم الصهباني فأعطاه رايته[٦].

شارك رجال من النخع في موقعة كربلاء، فكان الذي قتل الحسين سنان بن أنس النخعي[٧]. وقتل خولّي بن زيد الأصبحي عثمان بن علي بن أبي طالب، وهو الذي حمل رأس الحسين ثم قتله المختار[٨].

وفي حركة المختار كان عبد الرحمن بن عبد الله من الشهود على كتاب ابن الحنفية للمختار.

ولم يرد ذكر لدور النخع في الحوادث التالية، كما لم يذكر لهم السهمي مسجداً في جرجان، مما قد يدل على عدم إسهامهم في فتحه، وكان للنخع مسجد[٩] في الكوفة ومسجد إبراهيم النخعي[١٠].

---

(١) الطبري ١/٩١٧، أنساب الاشراف ٥/٤١.
(٢) الطبري ٢/٤٣٠.
(٣) الأنساب لابن الكلبي ٢٢.
(٤) الطبري ١/٣٣١٠.
(٥) وقعة صفين ٢٨٦.
(٦) الطبري ١/٣٣٢٨، وقعة صفين ٤٧٥.
(٧) الطبري ٢/٣٨٦، ٣٦٧.
(٨) أنساب الاشراف ٥/٢٣٨.
(٩) ابن سعد ٦/٢٤٦.
(١٠) تهذيب الكمال ٥/١٥٩.

وظهر في النخع عدد من الفقهاء، منهم سماك بن عبد الله القاضي وحفص بن غياث القاضي. وذكر السبتي من التابعين المعنيين بالعلم من النخع علقمة بن قيس ويزيد بن قيس والأسود بن قيس وعلي بن معدك وعمير بن سعيد وهمام بن الحارث بن تحسين[١]. ومن أتباع التابعين إبراهيم بن زيد وأبو معشر زياد بن كليب[٢]. وكان من النخع عدد من القراء من أبرزهم علقمة بن قيس[٣] وحذيفة[٤]، وهما من أصحاب عبد الله بن مسعود.

جعفى

جعفى إحدى مجموعات القبائل المذحجية الثلاث التي انضمت إلى جيش سعد بن أبي وقاص، وهو في طريقه إلى جبهة العراق، وكان أبو سبرة بن ذؤيب على جعفى[٥].

ولم تذكر الأخبار عدد جعفي من الألف وثلاثمائة مذحجي الذين سرح عمر نصفهم إلى جبهة العراق، ولعل عددهم كان قرابة المائتين. ولم تذكر المصادر معلومات عن أبي سبرة وإنما ذكرت عبد الرحمن بن أبي سبرة، وكان ممن شهد على حجر[٦]. وكان على ربع مذحج وأسد في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين[٧]، وقد عرف بالشجاعة[٨]. ومن رجالهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، وقد أرسله الحجاج لقتال شبيب فانهزم[٩]. شارك في فتح جرجان[١٠]، كما شارك في قتال الترك[١١]. ولم يذكر السهمي لجعفى مسجداً في جرجان.

(١) أشهر مشاهير الانصار ١٠٠.
(٢) المصدر نفسه ١٦٢.
(٣) وقعة صفين ٣/ ١٧٢.
(٤) المصدر نفسه ٢١١.
(٥) الطبري ١/ ٢٢١٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٦.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٢.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٩٣٧.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ١٣١٨.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ١٣٢١، ١٣٢٥.

ذكر ابن الكلبي أن اياس بن شرحبيل الجعفي كان في ألفين وخمسمائة من العطاء، وعقد له عمر على مذحج وهمدان[1]، ولم أجد في المصادر ذكراً لأياس ولا للحنبص بن الحصن الذي يذكر ابن الكلبي أنه ممن شهد القادسية[2]. ذكر الطبري أنه في يوم اغماس وهو اليوم الثاني من معركة القادسية، كان بإزاء جعفى كتيبة من كتائب العجم عليهم السلاح التام[3].

لم يذكر سيف بن عمر لجعفى خطة من خطط العشائر حول مسجد الكوفة، غير أن البلاذري أشار إلى خطط لها حيث ذكر أن ابن الحر استنقذ امرأته من السجن حتى أدخلها بيوت جعفى، فتوارت عند كريب بن سلمة الجعفي[4]. ووصف عبد الملك بن مروان جعفى عندما مرت به وهو يستعرض عشائر أهل الكوفة، وقال «أما والله لنعم الحي أنتم، إن كنتم لفرساناً في الجاهلية والإسلام»[5].

وذكر ابن الكلبي أن بطون جعفى تنتمي إلى مجموعتين، إحداهما مران بن جعفى، وبطونها وايل أو ايال وذهل وبدا؛ والثانية إلى صريم وبطونها وهب ومنبه والمجمع وكعبة وحرى، ولم يذكر لأي منها مسجد وإنما ذكر عدد من رجال بعض بطونها وقد قصرت الكتب على نسبة من ذكرتهم من الرجال إلى جعفى من دون أن تشير إلى البطن الذي ينتمي إليه أي منهم.

لم تذكر المصادر دوراً لجعفى أو رجالها في التوتر الذي حدث في الكوفة على الخليفة عثمان بن عفان، وأنما ذكرت رجالاً من جعفى شاركوا في موقعة صفين في صف الخليفة علي؛ فذكر ابن الكلبي أن زحر بن قيس الجعفي شهد صفين وكان يحمل الراية فقتل مع أربعة من أهله[6]. وكان زحر من معتمدي رجال علي[7].

(١) الانساب (نسخة الاسكوربال) ٢١٠.
(٢) الأنساب ٣١١.
(٣) الطبري ١/ ٢٣٣٤.
(٤) أنساب الاشراف ٥/ ٢٩٤.
(٥) الطبري ٣/ ٨١٤ أنساب الاشراف ٥/ ٣٥٣.
(٦) وقعة صفين ٢١٢.
(٧) المصدر نفسه ١٥ ـ ١٧.

وذكر ابن الكلبي ممن اعتزل علياً، المجمل بن سماعة، وكان من أصحاب عبد الله بن الحر، وشمر بن الحرج، والقشعم بن عمرو بن يزيد[١].

وفي أوائل العصر الأموي شهد على حجر من بني جعفى عبد الرحمن بن أبي سبرة وكريب بن سعد[٢]. وعندما قدم الحسين العراق كان جعفر بن عبد الرحمن بن أبي سبرة على ربع مذحج وأسد[٣]. وكان ممن هاجم الحسين مع الشرط قشعم بن عمرو بن يزيد الجعفي[٤]، غير أنه كان مع الحسين كعبان بن يزيد المغفل والحجاج بن مسروق الذي قتل في وقعة كربلاء[٥].

ومن أبرز رجال جعفى زحر بن قيس الذي كان ممن شهد على حجر[٦]، وسرح معه عبيد الله بن زياد رأس الحسين إلى يزيد[٧]، وبعثه ابن مطيع مع قوة إلى جبانة كندة لقمع المختار[٨]. ثم انضم إلى المصعب[٩] وكان ممن وعدهم عبد الملك بن مروان بولاية أصفهان اذا قضى على المصعب[١٠]، ثم وجهه الحجاج في جريدة خيل لقتال شبيب وجرح في المعركة[١١]. وكان في جيش يزيد بن المهلب عند فتح جرجان[١٢].

وكان لزحر ابن اسمه الفرات قتل في المعركة التي نشبت مع المختار، أما ابنه الثاني جبلة فكان على كتيبة القراء في دير الجماجم[١٣]. وشارك ابنه الثالث في ثورة يزيد بن المهلب على الأمويين[١٤].

---

(١) وقعة صفين ٢١٥.
(٢) الطبري ٢/ ١٣٤.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٦٥.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٧، أنساب الاشراف ٥/ ٣٩١.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٤.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٦١٤.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٧٣٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٢.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٩٢١.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣٧٢.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ١١٧٦، ١٠٧٧، ١٠٨٦.
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٩.

خثعم

خثعم إحدى عشائر مجموعات مذحج، وقد جعلها ابن الكلبي أحد فروع أنمار، والفرعان الآخران قسر والغوث؛ ولعله أراد بذلك أن يعبر عن صلتها بهاتين المجموعتين الاخيرتين.

لم يذكر لخثعم أو أي من رجالها دور في القادسية وفتوح العراق، ولم يذكر لها سيف بن عمر خطة في العشائر التي ذكر توزع خططها عند تأسيس الكوفة، وأول ذكر لرجالها في الحوادث المتصلة بالكوفة هو بشر بن ربيعة الخثعمي، الذي كان ممن انتدب للنعمان بن المقرن للمشاركة في فتوح الاهواز(١)، مما قد يدل على أن خثعم التحقت بالجيوش الإسلامية بعد فتح المدائن، فكانت من الروادف الأولى. وبشر بن ربيعة الخثعمي هو الذي سميت به جبانة بشر(٢)، وهي قرب خطط شاكر(٣). وكانت لخثعم خطة إلى جنبها درب العنزيين(٤). وفي تنظيم الأسباع كانت خثعم سبعاً مع الأزد وبجيلة والأنصار وخزاعة(٥).

لم يذكر لخثعم أو أي من رجالها دور بارز في حوادث الكوفة قبل خلافة علي، وأول ذكر لها كان في معركة الجمل، حيث يذكر الطبري أن ربيعة بن أبي شداد كان شهد وقعة الجمل وصفين، ومعه راية خثعم، وصار بعد ذلك مع خوارج البصرة(٦). ولعله هو شداد بن ربيعة الذي يذكر نصر بن مزاحم أنه شهد صفين ثم صار بعد ذلك مع الحرورية(٧). ويذكر أيضاً أن ابن أبي كعب كان رأس خثعم في صفين، وأنه حمل الراية فقتل، وقتل حول الراية ثمانون رجلاً(٨).

ويبدو أن خثعم كانت ممالئة لعلي، إذ كان ابن عفيف الخثعمي ممن

(١) الطبري ١/ ٢٥٥٥.
(٢) أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٤.
(٣) الطبري ٢/ ٦١٩.
(٤) النسب الكبير ٢/ ١٩٣. (طبعة العظم)
(٥) الطبري ١/ ٢٤٩٥، ٣١٧٤، وقعة صفين ١١٧.
(٦) الطبري ١/ ٣٣٦٧.
(٧) وقعة صفين ١٤٩.
(٨) المصدر نفسه ٢٥٧.

أرسلهم زياد إلى معاوية مع حجر بن عدي، فأراد معاوية قتله ولكن شمر بن ذي الجوشن أنقذه من القتل[١]. غير أن جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين كان فيه عبد اللّه بن عمرو الخثعمي[٢]. ولما ثار المختار حشد ابن مطيع قوة للقضاء على حركته، وممن حشدهم كعب بن أبي كعب الخثعمي الذي أرسله إلى جبانة بشر[٣].

ومن رجال خثعم المؤيدين للمختار عبد اللّه بن قراد الذي لحق بالمختار في جماعة من خثعم نحو مائتين[٤]، ثم أرسله المختار مع أربعمائة لاسناد ابن كامل[٥]. وجعله على شرطه، وظل مؤيداً للمختار وقاتل مصعباً عندما تقدم للقضاء على المختار[٦]، ثم قتل في المعركة. ولما ثار ابن الاشعث على الحجاج جعل على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي[٧].

ومن عدادهم في خثعم قيس ولوذ وعود، ولهم في الكوفة مسجد[٨].

مراد

شاركت مراد في فتوح العراق منذ زمن مبكر، فلما أنفذ أبو عبيدة بعد معركة اليرموك إلى العراق قوة قوامها خمسة آلاف من ربيعة ومضر، وألف من أفناء اليمن عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فجعل على ميمنته قيس بن هبيرة المرادي[٩]، وشارك في معركة القادسية[١٠]، وفي معركة نهاوند[١١]. وهذا يشير إلى أن مراد لم يشهدوا الأيام وإنما شاركوا في معركة القادسية.

(١) الطبري ٢/ ١٩٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٠، أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٧٥٢، أنساب الاشراف ٥/ ٥٥٨.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٠٧٦، ١٠٩.
(٨) الانساب ٢٤٧ (الاسكوريال).
(٨) الطبري ١/ ٣٣١٨، ٣٣٥٣
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٣٢١، ٢٣٢٢، ٢٣٢٨، ٣٣.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٥٩٧.

لم يذكر سيف لمراد خطة ضمن العشائر التي ذكر خططها حول المسجد، غير أن المصادر أشارت إلى جبانة مراد في الحوادث[١].

لم يرد ذكر لمشاركة مراد أو أي من رجالها في الحوادث التي جرت قبل موقعة صفين، التي كان ممن شارك فيها من رجال مراد الأسود بن قيس؛ وعبد الله بن كعب[٢]، وكان يحمل الراية وقتل في المعركة[٣]؛ والمخارق بن ضرار وقد قتل في المعركة[٤]. وكان من رؤساء مراد في صفين صالح بن شقيق وهو ممن لم يقبل التحكيم[٥]. وكان من مراد عبد الرحمن بن ملجم الذي اغتال الخليفة علي.

يبدو أن كثيراً من مراد المقيمين في الكوفة كانوا ممالئين للعلويين، فلما ضايق عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل لجأ إلى هاني بن عروة المرادي، واتخذ مركزه في مراد[٦]. ولكن عبيد الله قضى على حركة مسلم بن عقيل. ويقول المسعودي «ثم أمر بهانئ بن عروة فأخرج إلى السوق فضربت عنقه صبراً وهو يصيح يا آل مراد، وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل. وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كانت في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منها غير الخذلان»[٧] ولعل في الأرقام التي ذكرها المسعودي مبالغة، وأن الاثني عشر ألفاً هم كل مذحج.

انضم إلى الحسين ابن أبي بحرية المرادي[٨]، غير أنه كان مع ابن زياد في خازر عبد الرحمن بن الحسين المرادي[٩]. ولما أعلن المختار ثورته كان ممن

(١) الطبري ٢/ ٣١٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٢٦.
(٣) وقعة صفين ٢٦١.
(٤) المصدر نفسه ٥٥٦.
(٥) المصدر نفسه ٥١٢.
(٦) الطبري ٢/ ٢٥٥.
(٧) أنساب الاشراف ٥/ ١٤٠.
(٨) الطبري ٢/ ٢٨٦.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٩.

قاومه راشد بن اياس، وكان معه أربعة آلاف.. فتوجه إليه إبراهيم بن الاشتر وتغلّب عليه وقتله[1].

وكانت جبانة مراد من المراكز التي تجمعت فيها القوات، وخاصة من مذحج في زمن ابن مطيع[2]. وكان مع ابن الحر، دلهم المرادي، الذي انفذه ابن الحر لاستعادة مال الفلوجة من دهقان نرسي[3]. وكان مصعب بن الزبير أرسل سيف بن هانئ المرادي إلى ابن الحر ليقنعه بأن يأخذ خراج بادوريا على أن يبايع[4]. وصار سيف بن هانئ مع الحجاج فأرسله الحجاج ليأتيه بأخبار شبيب الخارجي.

صداء وجنب ومسلية

ذكر الطبري أنه عندما أنفذ عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص قدمت عليه مذحج بثلاث مجموعات هي صداء وجنب ومسلية، وعليهم يزيد بن الحارث الصدائي في ثلاثمائة، فأنفذ نصف مذحج إلى العراق[5].

لم تُذكر جنب في حوادث الكوفة، وإنما ذكر رجل منهم يقال له زيد بن رقاد بعث إليه المختار عبد الله الشاكري[6].

أما مسلية فهم من بني الحارث بن كعب، وذُكر من رجالهم يزيد بن مطرق المسلي، وكان من انصار حجر بن عدي[7]. ومن رجالهم أيضاً بجير بن عبد الله وكان من اصحاب المختار، ثم أسره المصعب وأمر بقتله[8]. ومن أبرز رجالهم الذين ساندوا العباسيين في ثورتهم عامر بن اسماعيل.

---

(١) الطبري ٢/ ٦٥٢، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٥.
(٢) الطبري ٢/ ٦٥٢، ٦١٤، ٦٢٢.
(٣) الطبري ٢/ ٧٧٤، أنساب الاشراف ٥/ ٢٩٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧٧٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٢١٩، وديار مسلية في اليمن قرب ديار الرهاويين، صفة جزيرة العرب للهمداني ١٧٥ ـ ١٧٧، ١٨٠، ١٨٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٧.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ١٢٠.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٧٢٨ ـ ٧٤١.

كانت لبني مسلية خطة ومسجد في الكوفة ظلاً إلى زمن متأخر[(١)]، ونزلها السمعاني وقرأ فيها[(٢)].

جمل

كوّنت جمل وحدة متميّزة من مراد، فكان صفوان بن عسال من بني الربض من بني زاهر من مراد وعداده في جمل[(٣)]. وكان أبو دكين مولى الجمليين من مراد[(٤)]. ونسب نافع بن هلال إلى مراد[(٥)] وإلى جمل[(٦)]، وكذلك هند بن عمرو الذي كان ينسب أحيانا إلى مراد[(٧)] وأحيانا إلى جمل[(٨)]. وهذه التسميات تظهر ارتباط جمل بمراد.

لم يذكر لجمل دور متميز في الحوادث، وإنما ذكر دور اثنين من رجالها هما: هند بن عمرو ونافع بن هلال، فأما هند بن عمرو فكان أحد اثنين ولاهما عمر بن الخطاب بعد عزله الوليد بن عقبة[(٩)]، ثم كان على أحد مجنبتي نعيم بن المقرن عندما تقدم من الري إلى قومس[(١٠)]. وكان من شهود الصلح مع أصبهبد طبرستان[(١١)]. ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة وتقدم لمقاتلة أصحاب الجمل، كان هند بن عمر من الداعين في الكوفة إلى نصرته[(١٢)]، ومن

(١) الأنساب لابن الكلبي ٩٥ (مخطوطة الاسكوريال).
(٢) الأنساب للسمعاني ٤/ ٢٩٥، اللباب لابن الاثير ٣/ ٨٩.
(٣) الطبري ٢/ ٣٦٦.
(٤) المحبر ٣٤٢.
(٥) الطبري ٢/ ٢٤١.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٠.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٦٦٩، ٣٢١٢.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٥١١، ٢٦٥٧.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٥١١.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٧.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٩.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٣١٥٥.

رؤساء جيش أهل الكوفة الذي شارك في موقعة الجمل[١]، ونسب إليه قتل عمير بن يثربي وقد قتل في المعركة[٢].

أما نافع بن هلال فقد استقبل مع جمع من أهل الكوفة الحسين في عذيب الهجانات[٣]، وانضم إليه[٤] وقاتل معه ثم أسر وقتل[٥].

ومن موالي جمل الأغنياء أبو دكين «كاتب على مائة ألف، وكان يبيع إلى العطاء كل بياعة من العطر والرقيق والدواب، واقرض مرة مراد إلى العطاء»[٦].

زبيد

كانت زبيد إحدى قبائل مذحج الكبرى، وقد انضمت مبكراً إلى الجيوش الإسلامية، وشاركت في القادسية مع رئيسها عمرو بن معد يكرب[٧]، الذي كان من ابرز فرسان العرب في القادسية وكان في الوفد الذي فاوض رستم[٨]، وشارك في مطاردة الفرس بعد فتح المدائن[٩]، وكان على الخيل في معركة جلولاء[١٠]، ثم شارك في معركة نهاوند[١١] وفي غزوة الري الأولى، وتوفي في طريق عودته منها ودفن بكرمنشاهان[١٢]. ولا بد أن مكانته عززت مكانة زبيد، فلما توفي لم يتردد في ذكرها في اخبار الحوادث، ولم يذكر ممن اشترك من زبيد في صفين غير المخارق بن الحارث الذي شهد صحيفة الموادعة[١٣].

---

(١) الطبري ١/٣١٩٦، ٣١٩٩، ٣٢١٢.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٢٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/٣٠٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/٣١٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/٣٥٠.
(٦) المحبر ٣٤٢.
(٧) الطبري ١/٢٢٣٥، ٢٢٥٩.
(٨) فتوح البلدان ٢٥٦.
(٩) الطبري ١/٢٢٤٧.
(١٠) فتوح البلدان ٢٦٨.
(١١) الطبري ١/٢٦١٧، ٢٦٤٤.
(١٢) فتوح البلدان ٢١٩.
(١٣) الطبري ١/٢٢٣٨.

كان أبرز رجال زبيد في اوائل العصر الأموي عمر بن الحجاج الزبيدي، وكانت أخته عند هانئ بن عمرو[1]، وهو ممن شهد على حجر بن عدي[2]. وجاء بهانئ بن عمرو إلى عبيد الله بن زياد[3] وصار في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين[4]، وكان على الميمنة[5]، وشجع ابن مطيع على الصمود بوجه المختار[6]، فأُرسل مع قوة ممن تبعه من مذحج إلى جبانة مراد[7]، فلما انتصر المختار هرب ولم يعرف مصيره[8].

الأزد

كانت الأزد التي استوطنت الكوفة من أهل السراة في الأصل، ويسمون أزد شنوءة، فهم يختلفون عن ازد البصرة الذين قدموا من عمان. وكانوا قد اتصلوا بالإسلام في السنة العاشرة للهجرة حيث قدم منهم وفد من عشرة على راسهم صرد بن عبد الله وأعلنوا إسلامهم[9]. ولما توفي الرسول (ص) كان الأزد ممن ارتدّوا وتجمعوا مع بجيلة وخثعم يرأسهم حميضة بن النعمان البارقي، فأرسل إليهم عثمان بن أبي العاص والي اليمن قوة شتتتهم وأخضعتهم بعد أن هرب رئيسهم حميضة[10].

ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة، وأباح لمن سبق ارتداده أن ينضم إلى الجيوش الإسلامية، قدم عليه جمع من بني كنانة والأزد وعددهم سبعمائة عامتهم من بارق[11]، وعليهم عرفجة بن هرثمة فسرحهم إلى العراق، وشاركوا

(١) الطبري ٢/ ٢٥٠.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣٢.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٠، ٢٥٠.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣١٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٧.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٢.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٦٦١.
(٩) المصدر نفسه ١/ ١٧٢٩.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ١٩٨٥.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٧.

في معركة البويب[1]. ولا بد أن الأزد شاركت في معركة القادسية ومعارك فتوح العراق، ولكن المصادر لم تذكر لهم ولا لرجالهم دوراً بارزاً، ما عدا عرفجة الذي سنتحدث عنه فيما بعد. ويلاحظ أن عددهم آخر خلافة يزيد بن معاوية في حاضر الكوفة كان سبعمائة مقاتل[2].

ولما اختُطت الكوفة، أُنزل في قبلة الصحن الأزد بني أسد والنخع وكندة[3]. ولعل في هذا إشارة إلى أن خطط الأزد كانت في الأطراف الجنوبية الشرقية من المسجد. ويذكر اليعقوبي أن سعد بن أبي وقاص أقطع الأشعث بن قيس الكندي وسائر كندة من ناحية جهينة إلى بني أود، وجاء قوم من الأزد فوجدوا فرجة بين بجيلة وكندة فنزلوا[4].

ذكرت المصادر في ثنايا الأخبار التالية بعض دور الأزد، ومنها دار عمارة بن صاحب الأزدي[5]، ودار عبد اللّه بن مالك[6]، ودار ربيعة بن ماجد وبني زرارة، وقد نزل زيد بن علي في دار أنس بن عمرو الأزدي[7].

وعندما نظم أهل الكوفة أسباعاً كانت الأزد وحدة متميزة في أحد الاسباع، ومعهم فيه غسان بن شبام وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت[8]، وظلوا كذلك إلى خلافة علي بن ابي طالب[9]؛ غير أنه لم يذكر لهم أو لأي من رجالهم دور متميز في حوادث الكوفة الأولى حتى أوائل خلافة عثمان حيث يرد اسم جندب بن زهير الغامدي ممن ثار على الوليد بن عقبة[10]. ثم كان من النفر

---

(١) الطبري ١/ ٢١٨٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٠.
(٤) البلدان ٣١١.
(٥) الطبري ٢/ ٢٥٦.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١١٨.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٩.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٥.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣٠٧٤.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٨٤٠، أنساب الاشراف ٥/ ٣٤.

الذين نقموا على عثمان من أشراف العراق في زمن ولاية سعيد بن العاص، الذي أخبر الخليفة عثمان بحركاتهم، فكتب إليه أن يسيرهم إلى الشام ليشاركوا في الحملات على الروم فيها[1]، وكان جندب بن زهير ممن احتج على قول أحد جلاس سعيد بن العاص أن «السواد بستان قريش»[2]. وشارك جندب بن زهير في معركة الجمل، وكان فيها[3] على خيل الأزد، ثم شارك في موقعة صفين وجعله الخليفة علي على الأزد واليمن[4] وقتل في المعركة[5].

ومن رجال الأزد البارزين في العهود الأولى مخنف بن سليم الغامدي وهو ابن خالة جندب بن زهير[6]، وكان على سبع الأزد وعشائره الأخرى التي قاتلت مع علي في معركة الجمل، ويروي نصر أن علي لما قدم الكوفة ولاه أصبهان وهمدان[7]؛ وروي أن راية الأزد في صفين كانت مع مخنف فقتل عليها ثم تتابع عليها أخواه فقتلا[8]. غير أن هذه الرواية ينقصها ما رواه الطبري ونصر من أن مخنف كان مع علي عند تقدمه إلى صفين، وأنه قاتل أهل الشام على الماء[9] وعز عليه أن يقاتل أبناء عشيرته الذين يقاتلون في صف معاوية[10]. ويدعي نصر أن مخنف قتل مع عدد من الأزد، وكان في عين التمر عندما اغار عليها النعمان بن بشير[11].

احتفظ بنو مخنف بمكانة متميزة في الكوفة، فكان منهم أبو بكر وقد ولي استان العال لمصعب بن الزبير، ثم للحارث بن أبي ربيعة، وقضى في الولاية

(١) الطبري ١/ ٢٩٢١، أنساب الاشراف ٥/ ٤١.
(٢) الطبري ١/ ٢٩٠٨.
(٣) النصرة في أخبار البصرة للشيخ المفيد ١٥٦.
(٤) وقعة صفين ٢٠٤.
(٥) المصدر نفسه ٢٦٢.
(٦) الطبري ١/ ٣٣٠٣.
(٧) وقعة صفين ١٠، ١٥.
(٨) الطبري ١/ ٣٢٠٢.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣٧٤٠.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٣٠٣.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٣٣٤٤ ـ يدعي نصر أنه قُتل في صفين: وقعة صفين ٢٦٢.

سنتين قتله بعدها الخوارج[١]. ومن أولاده عمر وقد قتل في موقعة جبانة السبيع في زمن المختار[٢].

وأبرز أولاد مخنف بن سليم هو عبد الرحمن، وكانت له مكانة منذ أيام خلافة علي، فلما أغار النعمان بن بشير على عين التمر أنجد عبد الرحمن بن مخنف واليها مالك بن عمرو، وصد النعمان بن بشير[٣]. ولما تجمع أهل اليمن في جبانة الصائديين يتشاورون في أمر حجر، أشار عليهم عبد الرحمن أن يلبثوا قليلاً، فإنه «سرعان شباب همدان ومذحج يكفونكم ما تكرهون أن تلوا من مساءة قدمكم في صاحبكم»[٤].

وكان عبد الرحمن يجاري عبيد الله بن زياد[٥]، وأيد ابن مطيع الذي عندما ثار المختار بعثه إلى جبانة الصائديين ليكفيه قومه ولايؤتى من جهتهم[٦]، وأشار على ابن مطيع أن يأخذ من المختار أماناً ويخرج، ونصح أشراف الكوفة أن يتريثوا في مقاتلة المختار[٧]، فلم يستجيبوا له فقاتل معهم وجرح[٨]، ثم انضمّ مع اشراف الكوفة إلى المصعب، الذي عندما عزم على القضاء على المختار أرسله ليدعو أهل الكوفة لبيعته[٩]، فلما وصل المصعب كلفه أن يزحف من جبانة السبيع[١٠].

ولما استتبت سيطرة عبد الملك على الكوفة بعثه واليها بشر بن مروان لقتال الأزارقة مع المهلب[١١]، وقتله قطري في المعركة[١٢]؛ فولى ابنه جعفر بن عبد

(١) الطبري ٢/٧٥٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/٦٥٩.
(٣) المصدر نفسه ١/٣٤٤٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/١٢٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/٣٧٤.
(٦) المصدر نفسه ٢/٦١٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/٦٣١.
(٨) المصدر نفسه ٢/٦٤٥ ـ ٦٤٩.
(٩) المصدر نفسه ٢/٦٦٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢/٧٣٣.
(١١) المصدر نفسه ٢/٨٥٦.
(١٢) المصدر نفسه ٢/٩٤٤.

الرحمن بن مخنف ربع أهل المدينة، وقاتل الخوارج وانتصر عليهم.. ويروى انه قتل رئيسهم قطري بن الفجاءة[1].

أما سبرة بن عبد الرحمن بن مخنف فقد أرسله الحجاج مدداً لمطرف بن المغيرة في مائتي فارس لقتال الخوارج وليحمي المدائن[2]، ثم كان مع الأمويين في قتالهم يزيد بن المهلب. ومن رجال غامد البارزين عبد الرحمن بن نعيم، وقد ولي خراسان مدة، وكان على أهل الكوفة فيها[3] وعلى العشرة آلاف من اهل الكوفة الذين أمد بهم الخليفة هشام بن عبد الملك خراسان[4]، وكان لعبد الرحمن بن نعيم خمسة أولاد هم نعيم، وشديد، وعبد السلام، وابراهيم، والمقدام[5]، وقد شارك بعضهم في الأعمال الحربية في خراسان[6].

ومن أشهر أحفاد مخنف بن سليم، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم المشهور بأبي مخنف (ت ١٥٦)، وقال عنه أحمد بن الحارث الخزاز «قالت العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره»[7]. ومما يؤيد هذا القول أن الطبري اعتمده في معظم ما رواه عن حوادث العراق في العصر الأموي، كما أن ابن النديم ذكر أسماء كتبه وأكثرها عن أخبار العراق منذ زمن خلافة عثمان، وعن ثورات الخوارج والعلويين في العراق. وقد نقل كثيراً من رواياته عن رواة أزديين، ولكنه لم يبالغ في دورهم أو يفيض فيه، وكان اكثر اهتمامه بوصف الحوادث وأدوار الرجال فيها، ولم يذكر كثيراً عن التيارات العامة والأفكار والعقائد.

ومن الأسر الأزدية التي كان لعدد من رجالها إسهام في الحوادث آل

(١) الطبري ٢/١٠١٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/٩٥٦، ٩٨٢.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٤٨٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/١٢٥٢، ١٥٨٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/١٤٨٠.
(٦) المصدر نفسه ٢/١٦٠٩، ١٨٩٤، ١٩٤٢.
(٧) الفهرست لابن النديم ١٠٦.

المغفل، وأول من ذكر منهم يزيد بن المغفل الذي أنفذه الخليفة علي بن أبي طالب مع معقل بن قيس لمطاردة الحريت بن راشد[١]؛ وكان على ميمنة جيش معقل[٢]، وعليه عبء قتالهم[٣].

كان سفيان بن يزيد بن المغفل من أنصار المختار، وكان على ميمنة جيش الاشتر الذي قاتل عبيد الله بن زياد في عين الوردة[٤]، وهو أول من بدأ القتال[٥]، وينسب إليه قتل شرحبيل بن ذي الكلاع في المعركة[٦]. وممن ساند المختار، النعمان بن عوف بن أبي جابر وكان على ربع المدينة في الجيش الذي أرسله إلى الموصل[٧]. أما عبد الله بن يزيد بن المغفل فشارك في قتال ابن الحر[٨]، ثم قاتل مع عبد الرحمن بن الأشعث الذي كان متزوجاً ابنة أخيه[٩]. ولما ثار ابن المهلب جعل على ربع أهل المدينة من أهل الكوفة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل[١٠]، وكان ممن أيد يزيد بن المهلب في قنابيل وداع بن حميد الازدي[١١]، وكان على ميمنة قواته التي حاربت مسلمة[١٢]. ومن أشراف الأزد حكيم بن الحارث الأزدي، وكان يقيم في المدائن ثم استعمله الحجاج على بيت المال[١٣]، وكان في ثورة زيد بن علي على ربع أهل الكوفة[١٤].

---

(١) المصدر نفسه ١/ ٣٤٢٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٤٣، ٣٤٣٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٤٣١.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧٠٩.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٧١٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٧١٥.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٤٤.
(٨) أنساب الاشراف ٥/ ٢٦٦.
(٩) الطبري ٢/ ١٠٩٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ١٣٩٧.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ١٤١٠.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ١٤١٢
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٢٠
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ١٦٩٩

ومن رجال الأزد أبو بردة بن عوف، وطارق بن ظبيان، اللذان سرحهما عبيد الله بن زياد مع زحر بن قيس برأس الحسين إلى يزيد[١].

بارق

كانت بارق من العشائر الأولى التي استجابت لدعوة عمر بن الخطاب في الانضمام إلى الجيوش الإسلامية الموجهة إلى الفتوح[٢]، وأمَّر عمر بن الخطاب عليهم عرفجة بن هرثمة، ثم أردفهم بسبعمائة من أهل السراة، وهم بارق وألمع وغامد، وعليهم حميضة بن النعمان البارقي[٣]، وكانوا قد انضموا إلى المثنى وقاتلوا في البويب[٤] وشاركوا في معركة القادسية[٥]؛ وكان رئيسهم عرفجة من الوفد الذي فاوض رستم[٦]، وشاركوا في فتح المدائن[٧]؛ وكان على الخيل في الجيش الذي فتح تكريت[٨] والموصل، وولي خراج الموصل بعد فتحها[٩]، ثم أرسل لتعزيز القوة الإسلامية التي كانت تقاتل الهرمزان في الأهواز[١٠].

كانت بارق من مؤيدي علي وسارت معه إلى صفين[١١]، وكانت خططهم قريبة من السبخة والجبانة، وكانت بيوتهم مزينة وأحمس شاذة منفردة عن بيوت أهل الكوفة؛ وفي هذه الخطط منزلهم[١٢]، وبالقرب منهم خطط رواس[١٣].

---

(١) الطبري ١/٢١٨٨
(٢) المصدر نفسه ١/٢١٨٨.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٢١٧.
(٤) المصدر نفسه ١/٢١٨٨.
(٥) المصدر نفسه ١/٢٢٥٨.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٣٦٩.
(٧) المصدر نفسه ١/٢٤٣٧.
(٨) المصدر نفسه ١/٢٤٧٤.
(٩) المصدر نفسه ١/٢٤٧٧، ٢٤٨١.
(١٠) المصدر نفسه ١/٢٥٤٨، ٢٥٥٢.
(١١) المصدر نفسه ١/٢٣٥٩، وقعة صفين ٤٩.
(١٢) المصدر نفسه ٢/٦٢٧.
(١٣) المصدر نفسه ٢/١٧٠٨.

الحارث بن كعب

كان بنو الحارث عند ظهور الإسلام واتساع دولته يقيمون في نجران، ولم يرد ذكر لمشاركتهم في موقعة القادسية وفتح العراق، سوى ما ذكره الطبري أن المسلمين عندما هاجموا طيسفون كان بينهم غلام من بني الحارث[١]، ولم يذكر لهم سيف أو المصادر الأخرى خطة في الكوفة، أو أنهم كانوا من أسباع الكوفة. وأول ذكر لمشاركة رجالهم في حوادث الكوفة ما رواه الطبري أنه في الاحتجاج على سعيد بن العاص وسياسة عثمان «خرج أهل الكوفة في أربع رفاق: زيد بن صوحان العبدي، والاشتر النخعي، وزياد بن النظر الحارثي، وعبد الله بن الأصم أحد بني عامر بن صعصعة»[٢]. ولابد أنه كان لزياد بن النظر سند قبلي عند خروجه. ولما تقدم الخليفة علي بن أبي طالب بجيشه إلى صفين بعث زياد بن النظر الحارثي طليعة في ثمانية آلاف، وبعث معه شريح بن هانئ في أربعة آلاف[٣]، وكان في صفين على الخيل[٤] ومن أبرز مقاتليه[٥]، وظل بجانب علي عندما انشق عليه الخوارج[٦].

ومن رجال بني الحارث المؤيدين لعلي: شريح بن هانئ الذي كان من قوات الطليعة مع زياد بن النظر، وكانت له مكانه عند علي، ثم كتبه زياد في الشهود على حجر بن عدي، غير أنه أنكر موافقته على الشهادة[٧].

ومن رجال بني الحارث في أوائل العصر الأموي في الكوفة قطن بن عبد الله بن الحسين ذي القصة[٨]، وكان عثمانياً[٩]، وله حمام عند جبانة

(١) الطبري ١/ ٢٤٣٣.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٥٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٢٨٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٣٥٠، ٣٣٥٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣١، ١٣٤، ١٣٥.
(٨) أنساب الاشراف ٥/ ٧٣.
(٩) المصدر نفسه ٥/ ٣٥٤.

السبيع[١]. وكان ممن كتب زياد بن أبي سفيان شهادتهم على حجر بن عدي[٢]، وجعله مصعب بن الزبير على ربع مذحج وأسد[٣]، غير أن عبد الملك بن مروان اتصل به سراً ووعده بولاية أصبهان، فلما انتصر عبد الملك ولاه الكوفة وشرطها[٤].

ومن رجال بني الحارث في الكوفة كثيِّر بن شهاب الذي شارك في مطاردة الفرس بعد انهزامهم في القادسية[٥]، وبرز اسمه في زمن ولاية زياد، وكان ممن شهد على حجر وحمل الشهادات على معاوية[٦]. ولاه معاوية الري ودستبي[٧]، ثم ولي ماسبذان ومهرجانقذق وحلوان والماهين، وأقطعة ضياعاً بالجبل[٨]، وكان عثمان محباً للأمويين[٩]. ولعل هذه الأعمال المتأخرة تشكك في مشاركته في القادسية المتقدمة.

ومن رجالهم السري بن أبي وقاص، وهو ممن كتب زياد شهادته على حجر بن عدي[١٠]، وكان يتعاطف معه[١١]، ثم ولي نهاوند[١٢].

ومن رجال بني الحارث عبد الله بن رزم، وقد انضم إلى ابن الاشعث في ثورته، وكان على مجنبته[١٣]، ثم قتل في معركة دير الجماجم[١٤].

(١) الطبري ٢/٦٥٦.
(٢) المصدر نفسه ٢/١٣٣.
(٣) أنساب الاشراف ٥/٣٤١.
(٤) الطبري ٢/٦١٨، أنساب الاشراف ٥/ ٣٥٤.
(٥) فتوح البلدان ٢٥٨.
(٦) المصدر نفسه ٣١٧.
(٧) الطبري ٢/٢٥٦.
(٨) المصدر نفسه ٢/٢٥٦.
(٩) المصدر نفسه ٢/٣٠٧.
(١٠) المصدر نفسه ٢/١٣٣.
(١١) المصدر نفسه ٢/١٣٥.
(١٢) أنساب الاشراف ٥/١٩٣.
(١٣) الطبري ٢/١٠٧٦.
(١٤) المصدر نفسه ٢٢/١٠٦٥.

ومن رجالهم الربيع بن زياد الحارثي، الذي ولي خراسان وأوطن العرب فيها.

بجيلة

كانت بجيلة عند ظهور الإسلام متفرقة في ديارها في جنوب الحجاز، ومن أبرز رجالها عرفجة بن هرثمة البارقي وهو حليف لهم، وسيدهم جرير بن عبد الله البجلي. وقد اتصلا بالخليفة عمر بن الخطاب، فأمَّر عليهم جرير بن عبد الله وأمره بجمع متفرقتهم وهم قيس كبة وسحبة وعرينة. وأغراهم عمر بن الخطاب بالتوجه إلى العراق[١] ووعدهم بنصيب متميز من الغنيمة اختلفت المصادر في تقديره، فيروي أبو مخنف أن عمر وعدهم أن لهم ربع ما غلبوا عليه[٢]؛ ويروي الشعبي أنه وعدهم بالثلث بعد الخمس[٣]؛ وفي رواية ربع خمس الفيء[٤]؛ وفي رواية أنه أعطاهم ربع السواد، فأخذوه ثلاث سنين، علماً بأن السواد آنذاك لم يشمل إلّا رقعة غير كبيرة في أطراف الفرات، ثم جعلوا في ألفين من العطاء[٥].

يذكر الطبري أن عدد من كان من بجيلة مع جرير ألفان[٦]، وقد شاركوا في القتال الذي جرى في جبهة العراق منها القادسية[٧]، ويبدو أنهم كانوا في الجناح الأيمن وبجانبهم أسد، ووجه الفرس نحوهم ثلاثة عشر فيلاً كادت تدمرهم لولا أن أنجدتهم أسد[٨].

وعندما اختُطت الكوفة أنزل أبو الهياج في ودعة الصحن سليم وثقيف، مما

(١) الطبري ١/ ١٩٨٥، ٢١٨٣، ٢٠٠٠ معجم ما استعجم للبكري ٦٣.
(٢) الطبري ١/ ٢٠٠١.
(٣) فتح البلدان ٢٥٣.
(٤) الطبري ١/ ٢١٨٥، ٢١٨٦، ٢١٩٧، ٢١٩٨.
(٥) فتح البلدان ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٦) الطبري ١/ ٢٢٢١، ـ ويذكر ابن أبي شيبة أنهم كانو ثلاثة آلاف، المصنف (١٢/ ٢٧١).
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢١٩٧.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢١٩٨.

يلي الصحن على طريقين، وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات على آخرهم وتغلب[1].

يذكر اليعقوبي أن عمر بن الخطاب أقطع جرير بن عبد الله البجلي وسائر بجيلة قطيعة واسعة، وأقطع الأشعث بن قيس الكندي وكندة من ناحية جهينة إلى بني أود، وجاء قوم من الأزد فوجدوا فرجة فيما بين بجيلة وكندة فنزلوا[2].

وفي بجيلة كان «شهار سوج بجيلة بالكوفة» نسب اليهم[3]. ولعله كانت فيها دار أبي أرطاه التي نسبت إلى أرطاه بن مالك البجلي[4]. ويذكر النجاشي أن جعفر بن بشير أبو محمد البجلي الوشاء «له مسجد بالكوفة باق في بجيلة إلى اليوم، وأن كثيراً من أصحابنا إذا وردنا بالكوفة نصلي فيه مع المساجد التي يرغب الصلاة فيها»[5].

استقرت بجيلة في الكوفة[6]، وذكرت في قائمة أسباع الكوفة في زمن عمر[7]، وفي وقعة صفين[8]. وانقسمت في موقفها من الخليفة علي، فقد لحق جرير ومعظم قسر معاوية، وقاتلت أحمس مع الخليفة علي، وقتل في صفين من البجليين نعيم بن صهيب بن العلية[9]، وبكر بن علقمة[10]. وكانت راية أحمس مع أبي شداد بن عفيف بن إياس حمسى، فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس[11].

---

(١) الطبري ١/ ٢٤٨٩.
(٢) البلدان ٣١٠ ـ ٣١١.
(٣) المصدر نفسه ٢٨٩.
(٤) فتوح البلدان ٢٨٦.
(٥) الرجال ٩٢.
(٦) لم يكن من بجيلة أحد في الشام (الطبري ١/ ٣٢٨٧، وقعة صفين ٢٥٨) ولم يكن بالبصرة منها غير شبل بن معبد وابنه (جمهرة النسب لابن حزم ٢٨٩).
(٧) الطبري ١/ ٣١٧٤.
(٨) وقعة صفين ١٣٢.
(٩) الطبري ١/ ٣٣٠٢، وقعة صفين ٢٥٩.
(١٠) وقعة صفين ٦٤٣.
(١١) المصدر نفسه ٢٩١.

وفي زمن ولاية زياد شهد عزرة بن عزرة على حجر بن عدي[1]، غير أن ورقاء بن سمي البجلي كان مؤيداً لحجر، فسيره زياد مع حجر إلى معاوية[2]. وشارك في قتال الحسين عدد من البجليين، منهم عبد الرحمن بن أبي خشكارة[3].

وقاتلت بجيلة مع المختار في وقعة المذار، ويبدو أنها خسرت عدداً من القتلى، اذ يقول الأعشى.

ألا هل أتاك والأنباء تنبي بما لاقت بجيلة بالمذار[4].

وأيد بكير بن هارون البجلي المطرف في ثورته على الحجاج[5]. وأيد الحجاج في قتاله ابن الاشعث زياد بن جرير بن عبد الله[6]، فولاه بعدها الكوفة[7].

ومن رجال بجيلة السمط بن مسلم البجلي أنفذه خالد القسري في أربعة آلاف لقتال الفند الخارجي[8].

ومن موالي بجيلة محمد بن سوقة[9]، وبيان بن جشر[10]، وطرخان الذي كان جزاراً يبيع البقر[11].

---

(١) الطبري ٢/ ١٣٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣٦.
(٣) الطبري ٢/ ٣٤٤، ٦٦٩، أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٩.
(٤) الطبري ٢/ ٧٢٢ ـ ٣، أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٤.
(٥) الطبري ٢/ ٩٣٣، ٩٩٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٠٦٤، ١١٣٧.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١١٨٢، ١١٩٥، ١٢٠٨، ١٢٦٦.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٦٢٧.
(٩) ابن سعد ٦/ ٢٣٧.
(١٠) المصدر نفسه ٦/ ٢٣٠.
(١١) المحبر ٢٩٣.

أحمس

أحمس من أبرز عشائر بجيلة، وهم مقدمون على القسريين[1] وقد وفد على الرسول بعد فتح مكة قيس بن عزرة الأحمسي في ٢٥٠ رجلاً من أحمس[2]. برز فيها عدد من الرجال الذين كان لهم دور كبير في حوادث الكوفة في صدر الإسلام، ومن البارزين من رجالهم صخر بن العيلة ويكنى أبا حازم، وإليه البيت في أحمس[3]، وهو من دهن أحد أحياء أحمس[4]، وكان ابنه مع القعقاع في مقدمة جيش هاشم بن عتبة في جلولاء[5].

استجابت أحمس إلى دعوة الخليفة علي بن أبي طالب فشاركت في معركة صفين، وشهدها منهم سبعمائة رجل[6]. ووجهها مع الأزد إلى همدان الشام، وقتل منهم يومئذ ثلاثة آلاف[7]، وقد تكون مبالغة في هذا الرقم، ولكنه يظهر كثرة من قتل من الحيين.

كانت راية بجيلة في صفين في أحمس مع أبي شداد قيس بن مكشوح (وهو غير المرادي)، فلما قتل أخذها عبد الرحن بن قلع، فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عفيف بن إياس الأحمسي، فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس[8].

وفي رواية أن راية بجيلة في صفين كانت بيد حازم بن أبي حازم، وقتل وبيده الراية[9]، وذكر ابن سعد أحاديث رواها عن جرير البجلي[10].

---

(١) ابن سعد ١ ـ ٢/٧٨، مصنف ابن أبي شيبة ١٢/٢٠٦.
(٢) ابن سعد ١ ـ ٢/٧٨، ٦/٢٦٤٨.
(٣) المصدر نفسه ٦/١٩.
(٤) المصدر نفسه ٦/١٤٨، الطبري ١/٣١٨٨.
(٥) الطبري ١/٢٣٢١.
(٦) وقعة صفين ٦٧ ـ ٦٨.
(٧) المصدر نفسه ٣٧٢.
(٨) الطبري١/٣٣٠١، وقعة صفين ٢٩١.
(٩) المصدر نفسه ١/٢٣٠٢ وقعة صفين ٢٥٩.
(١٠) ابن سعد ٦/٤٤.

ومن رجال أحمس قيس بن عزرة الأحمسي، الذي وفد على الرسول بعد فتح مكة في مائتي رجل من أحمس[1]. وكان ابنه عزرة بن قيس كاتب الحسين للقدوم إلى الكوفة[2]، ثم أرسله عبيد الله بن زياد ليكلم الحسين عن سبب قدومه إلى العراق[3]، ثم كان على الخيل في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين[4]، وكان ممن سرحهم عمر بن سعد من قتلى كربلاء إلى عبيد الله بن زياد[5].

ومن رجال أحمس أحمر بن شميط الذي استجاب إلى المختار عندما أظهر دعوته[6]، ووجهه إلى شبث بن ربعي[7]، وشارك في حصار ابن مطيع[8]، ثم أرسله لصد تقدم جيش لمصعب، فاشتبك معه في معركة المذار وقتل وتفرق جيشه[9].

خطط أحمس

ذكر اليعقوبي أن عمر بن الخطاب أقطع جرير بن عبد الله البجلي قطيعة واسعة. وانتقلت عامة أحمس عن جرير بن عبد الله إلى الجبانة[10]. وذكر الطبري «أن المختار أمضى من السبخة حتى ظهر على الجبانة، ثم ارتفع إلى البيوت: بيوت أحمس وبارق، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم، وبيوتهم شاذة منفردة من بيوت أهل الكوفة»[11]. وهذا يشير إلى أن بيوتهم عند الجبانة، غير أنه لم

(١) ابن سعد ١ ـ ٢/٧٨، ٦/١٤٨.
(٢) الطبري ٢/٢٣٥.
(٣) المصدر نفسه ٢/٣٠٩، ٣١٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/٣٢٥ ـ ٦، ٣٤٤، أنساب الاشراف ٥/٢٣٩.
(٥) المصدر نفسه ٢/٣٧٠.
(٦) المصدر نفسه ٢/٩٥٩، ٦٠١، ٦٠٩.
(٧) المصدر نفسه ٢/٦١٩.
(٨) المصدر نفسه ٢/٦٣٠.
(٩) المصدر نفسه ٢/٧٢١، ٧٢٤، أنساب الاشراف ٥/٢٥٦، ٢٧١.
(١٠) البلدان ٣١١.
(١١) الطبري ٢/٦٢٧.

يحدد موضع الجبانة، إذ إن في الكوفة عدة جبانات أكثرها مسماة باسم العشائر التي لها خطط بقربها، ولعل المقصود بها جبانة السبيع، فإن الطبري يذكر أنه عندما ثار أشراف الكوفة على المختار اتخذ مقره في السوق، ووجه إلى المتجمعين في جبانة السبيع قوتين: إحداهما بقيادة كامل بن عبد الله الشاكري، والثانية بقيادة أحمر بن شميط البجلي الأحمسي؛ وقال لابن شميط الزم هذه السكة حتى تخرج إلى أهل جبانة السبيع من بين دور قومك، فمضيا فسلكا الطريق الذي أمرهما به. «وبعث المختار مالك بن عمرو الهندي في مائتي رجل، وكان من أشد الناس بأساً، وبعث عبد الله بن شريك الهندي في مائتي فارس إلى أحمر بن شميط، وثبت مكانه، فانتهوا إليه وقد علاه القوم وكثروه فاقتتلوا عند ذلك كاشد القتال»[1]، ويتبين من هذا الكلام أن خطط أحمس كانت قريبة من جبانة السبيع، وأنه كانت بالقرب منها خطة بني وادعة وفيها مسجد أبي داود القصاص. ويدل إرسال المختار مالك بن عمرو وعبد الله بن شريك، وكلاهما نهدي، ان خطط نهد كانت بالقرب من أحمس. كما يظهر النص أن أحمس كانت بين السبيع وبين السوق الذي اتخذه المختار مقراً له.

ذكر ابن حزم أن أحمس فيها بطون منها دهن، وفتيان[2]. وذكر ابن دريد أن من أحمس بني قداد وبني فتيان وهما بطنان عظيمان، وبني مقلد الذهب[3]؛ وأشارت بعض المصادر إلى أن «دهن حي من أحمس»[4]. ومن أبرز رجالها الأولين عبيد الله بن شبل، الذي عندما غزا الوليد بن عقبة أرمينية في خلافة عثمان، بعثه في أربعة آلاف، فأغار على أهل موقان والببر والطيلسان، فأصاب من أموالهم وغنم، وتحرز القوم منهم، وسبى منهم سبياً يسيراً، فاقبل إلى الوليد بن عقبة[5]، ثم أرسله في حملة ثانية إلى أرمينية[6].

---

(١) جمهرة النسب ٣٩٨.
(٢) المصدر نفسه ٣٨٩.
(٣) الاشتقاق ٥١٩.
(٤) ابن سعد ٦/١٤٨، الطبري ١/٣١٨٩.
(٥) المصدر نفسه ١/٢٨٠٥.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٨٠٦.

ومن بني دهن قيس بن معاوية الذي كان مع علي في قتال الخوارج[١]، ومنهم أيضا عمار بن معاوية الذي قاتل مع علي في وقعة الجمل[٢]، وذكر ابن سعد أنه من موالي أحمس[٣].

أما بنو فتيان فقد اشتهر منهم رفاعة بن شداد الفتياني، وكان على بجيلة في صفين[٤]، وكان من القصاص[٥] ومن أصحاب حجر بن عدي، ولكنه هرب مع عمرو بن الحمق إلى الموصل[٦]. كان قد كاتَبَ الحسين يدعوه إلى المجيء إلى الكوفة[٧]، وكان من أبرز التوابين[٨]. قام بدور بارز في تنظيم قوات التوابين عند خروجهم من الكوفة[٩]، وشارك في معركة عين الوردة[١٠]، ثم انسحب إلى التنينير[١١]، ثم عاد إلى الكوفة[١٢]، وانضم إلى المختار[١٣]، واشترك في موقعة جبانة السبيع[١٤]، ثم قتل في المعركة[١٥].

قسر

قسر إحدى بطون بجيلة، وفيها بطون فرعية ذكر منهم: عرينة، وافرك،

---

(١) الطبري ١/١/٣٣٨٣.
(٢) المصدر نفسه ١/٣١٨٨.
(٣) ابن سعد ٦/٢٣٧.
(٤) وقعة صفين ٢٣١.
(٥) الطبري ٢/٢٥٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/١٢٧.
(٧) المصدر نفسه ٢/٢٣٣.
(٨) المصدر نفسه ٢/٤٩٧، ٥٥٢، ٥٥٦، أنساب الاشراف ٥/١١.
(٩) المصدر نفسه ٢/٥٤٣.
(١٠) المصدر نفسه ٢/٥٦٣ ـ ٥٦٥.
(١١) المصدر نفسه ٢/٥٦٨ ـ ٥٧٠.
(١٢) أنساب الاشراف ٥/٢١٢.
(١٣) الطبري ٢/٥٩٩، أنساب الاشراف ٥/١٩.
(١٤) الطبري ٢/٦٥٤.
(١٥) جمهرة النسب لابن حزم ٣٨٨، الاشتقاق ٥١٨.

ونذير، وعمرو بن يشكر. فأما عرينة فأبرز رجالها جرير بن عبد الله، وأما أفرك فأبرز رجالها خالد القسري وحية بن جويد[1].

فأما جرير فهو أحد ثلاثة رجال سادوا في الجاهلية والإسلام[2]، وقدم إلى الرسول (ص) ومعه من قومه مائة وخمسون رجلاً[3]. ولابد أن المقصود أنه جاء مع قسر، وهو من بني عرينة من قسر[4]. ويعثه الرسول (ص) إلى ذي الخلصة، وهو بيت كانت تقدسه القبائل في جنوب الحجاز، فهدمه[5]؛ كما أرسله أيضاً إلى نجران[6]، ويروى ان الرسول (ص) أرسله أيضاً إلى ذي المطلاع وذي غمرة[7]، وقد ثبت على الإسلام ولم يرتد[8].

وعندما ولي عمر بن الخطاب الخلافة أمّره على بجيلة بعد أن جمع المتفرقين منها، وبذلك لم تقتصر رئاسته على قسر، وإنما على بطون بجيلة الأخرى، وإن كانت المصادر لم تذكر عدد هذه البطون.

شارك جرير في معركة البويب[9] في مقاتلة الفرس ومطاردتهم قبل القادسية[10]، وكان في القادسية على ميمنة الجيش الإسلامي[11]، وشارك في معركة نهاوند[12]، وكان شاهداً على صلح ماه وفقئت عينه في فتح همدان[13].

(١) العميان والبرصان.
(٢) ابن سعد ١ ـ ٢/ ٧٧.
(٣) جمهرة النسب لابن حزم ٢٨٨.
(٤) الطبري ١/ ١٧٦٤، أنساب الاشراف ١/ ٣٨٤، المحبر ٧٥.
(٥) الطبري ١/ ٢١٣٦.
(٦) المصدر نفسه ١/ ١٩٨٤.
(٧) المصدر نفسه ٢١٨٤.
(٨) المحبر ٧٥.
(٩) الطبري ١/ ٢٢٠١، ٢٢١١.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٢٥٣.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٢٥٣
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٥٩٧.
(١٣) العميان والبرصان.

كان جرير ممن شغب على سعد بن أبي وقاص، مما حمل عمر بن الخطاب على عزله[1] وولي قرقيسيا[2]، ثم همدان[3]؛ ثم أرسله علي بن أبي طالب إلى معاوية لإقناعه بالإقرار بخلافته ولكنه لم يفلح، وتأثر بما رآه من تمسك أهل الشام، فاستاء منه علي، فهرب ولحق بقرقيسيا ولحق به ستون من قسر من قومه، ولم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر[4]؛ وقد غضب علي عليه فشُعثت داره وحرق مجلسه، كما حرق دار ثوير بن وفاق وهو من الاشراف وكان قد لحق بجرير[5]، ثم عاد إلى الكوفة واستقر بها، وكان حياً عندما توفي المغيرة بن شعبة[6]؛ ولم يرد له ذكر في الاخبار في ولاية زياد، مما يدل على أنه توفي ابان ولاية زياد. وكانت دار جرير بن عبد الله في بجيلة، وله مسجد كان أحد أئمته الصباغ بن ثابت[7].

ارتبط جرير بالمصاهرة بعدد من الشخصيات البارزة في الكوفة، فكان ممن تزوج من بناته سعيد بن العاص[8]، ويحيى بن عيسى بن طلحة التيمي[9]، والمغيرة بن شعبة[10]، وأبو أراكة[11] وهو ابن مالك بن عامر القسري، وكانت داره مشهورة في الكوفة. وقد حرق علي هذه الدار عندما خرج أبو أراكة مع جرير بن عبد الله وانضم إلى معاوية، وكانت لأولاده مكانة مرموقة.. فقد ولّى الحجاج ابنه زياد الحرب بالكوفة سنة ست وثمانين[12]، وظل في عمله إلى سنة

(1) الطبري ١/٢٦٧٦.
(2) المصدر نفسه ١/٢٩٢٨، ٣٠٥٩.
(3) المصدر نفسه ١/٣٢٤٥.
(4) وقعة صفين ٦٧.
(5) الطبري ١/١٩٦٠.
(6) ابن سعد ٢/١٢.
(7) المصدر نفسه ٦/٢٤٧.
(8) جمهرة النسب ٨١.
(9) المصدر نفسه ١٣٩.
(10) المصدر نفسه ٢٦٧.
(11) المصدر نفسه ٢٨٨.
(12) الطبري ٢/١١٨٢/ ابن حزم ٣٨٨.

تسعين[1]. وأرسل عبد الحميد بن عبد الرحمن والي الكوفة لعمر بن عبد العزيز، محمد بن جرير في حملة لقتال بسطام الخارجي[2]، ثم إلى شوذب الخارجي[3].

وعندما ثار زيد بن علي في الكوفة.. كان على ربع أهل الكوفة ابراهيم بن عبد الله بن جرير[4].

ومن أبرز القسريين خالد بن عبد الله، وهو من بني فرك[5]؛ وكان جده كرز من الجرارين[6]، أي أنه كان قائداً بارزاً في الجاهلية وتولّى أبوه عبد الله بن كرز الصائفة سنة اثنين وأربعين[7].

أما خالد بن عبد الله، فقد ولاه الوليد بن عبد الملك المدينة، ثم ولاه هشام العراق، وبقي في ولايته سبع عشرة سنة عني خلالها بالري والزراعة، فحفر عدداً من الأنهار في الشمال والوسط كنهر المبارك ونهر الرمان، وأقام سداً في جبّل لتنظيم مجرى دجلة ولكن السد انهار، واقتنى أراضي واسعة كانت تدر عليه موارد كبيرة، كما عرف بسخائه. ولابد أن ذلك عزز مكانته في أهل الكوفة. وولي أخوه أسد خراسان فأظهر كفاءة في إدارتها. ولما عزله هشام عاد إلى دمشق، وكان أبناؤه في الساحل لصد غزوات الروم[8]، وتابع إخلاصه للأمويين، فلما تنكر الوليد بن يزيد له قال له قد علم أمير المؤمنين إنا اهل بيت الطاعة أنا وابي وجدي[9]. ويبدو مما ذكرناه أن الأسرة التي منها خالد القسري كان لها دور كبير في بلاد الشام دون الكوفة.

(١) الطبري ٢/١٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/١٣٤٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/٣٧٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/١٧٠٢.
(٥) جمهرة النسب لابن حزم ٢٨٨.
(٦) المحبر ٢٥١.
(٧) الطبري ٢/٨٦.
(٨) المصدر نفسه ٢/١٨١٤.
(٩) المصدر نفسه ٢/١٨٢٠.

أما بنو عمرو بن يشكر فمنهم أبو أراكة، وهو زوج ابنة جرير بن عبد الله؛ وكانت داره قرب الجامع مشهورة[1]. ومن بني عمرو زهير بن القين، وكان عثمانياً[2]، وأيد الحسين[3]، وقاتل معه[4] وكان على ميمنة قوات الحسين[5]. كانت لزهير بن القين دار في التمارين أقطعت له بعد أن كانت للحارث بن أبي ربيعة[6].

وفي آخر نسخة لندن من أنساب ابن الكلبي ضميمة لا علاقة لها بما قبلها، وكأنها من إضافة أحمد بن أبي داود وبخطه، ذكر فيها:

مسجد بني غبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر

مسجد الأحلاف، وهم الحارث مغامر وجشم بنو عبس وحليفهم ابن عدي بن جشم بن غنم

مسجد بني رفاعة بن ثعلبة بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر

مسجد بني عدي بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر

مسجد بني عامر بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر

مسجد بني حرام، وهو عجل بن العتيك بن كعب بن يشكر، أمه الحرام

مسجد بني كنانة بن حريث بن يشكر رهط ابن الكواز

مسجد بني جشم بن كنانة بن يشكر[7]. والعلاقة غير واضحة بين قسر وبني يشكر.

---

(١) جمهرة النسب لابن حزم ٢٨٨.
(٢) الطبري ٢/٣٢٣، انساب الاشراف ٢ ـ ٢/١٦٧، ١٨٤.
(٣) الطبري ٢م٣٠١، ٣٠٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/٣١٨ ـ ٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٤٧.
(٥) أنساب الاشراف ٢ ـ ٢/١٨٧.
(٦) الطبري ٢/٢٩٠.
(٧) الأنساب لابن الكلبي٢/٣٦٢.

الأنصار

روى ابن سعد «دخل الكوفة سبعون بدرياً»، وروي عن ابراهيم التميمي، «هبط الكوفة ثلاثمائة رجل من أصحاب الشجرة، وسبعين من أهل بدر»[١]. وذكر سيف بن عمر أن سعد بن أبي وقاص عندما رتب الأعشار من شراف قبيل نشوب معركة القادسية كان في الأعشار بضعة وسبعون بدرياً[٢]، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة من أبناء الصحابة[٣]: ولا ريب في أن عدداً من هؤلاء كانوا من الانصار وظلوا مقيمين في الكوفة ولم يعودوا إلى المدينة.

ذكر ابن سعد أن قرظة بن كعب الانصاري كان أحد العشرة الذين وجههم عمر بن الخطاب إلى الكوفة مع عمار بن ياسر، فنزلها وابتنى بها داراً في الانصار[٤]. وذكر من هؤلاء العشرة عبيْد بن عازب[٥]، ولم يذكر غيرهما من العشرة، وإنما ذكر عدداً ممن نزل الكوفة من الأنصار منهم سهل بن حنيف وحذيفة بن اليمان حليف عبد الاشهل وأبو قتادةبن ربعي(سلمة) وأبو مسعود (خدارة) وزيد بن أرقم كانت له دار في كندة والحرث بن زياد (ساعدة) وكلهم من الخزرج، أما الأوس فذكر ممن نزل الكوفة منهم البراء بن عازب (حارثة) وعبد الله بن يزيد (خطمة)[٦] وعبيد بن عازب وله فيها عقب وقرظة بن كعب وداره في كندة.

وذكر عبد الحميد بن أبي ليلى أنه أدرك مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله (ص)[٧]. وذكر اليعقوبي أن سعد بن أبي وقاص عندما

---

(١) ابن سعد ٦/ ٤، ابن الفقيه ١٦٦.
(٢) ابن سعد ٦/ ١١٠، وانظر: فضل الكوفة ٢٩٠.
(٣) الطبري ١/ ٢٢٢٧، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٦٤.
(٤) ابن سعد ٢/ ١٢، ٤ ـ ٢/ ٨٣.
(٥) المصدر نفسه ٦/ ١٧.
(٦) المصدر نفسه ٦/ ٨ ـ ١٠، ١٢.
(٧) المصدر نفسه ٦/ ١١٠.

اختط الكوفة أقطع أبا جبرة الانصاري وأقطع أبا مسعود عقبة بن عمرو الانصاري وأقطع أسامة بن يزيد، وحذيفة بن اليمان[1]. وهذه الاقطاعات على تواجدهم في معارك فتح العراق، ولم تذكر المصادر رجالاً بارزين منهم في الفتوح أو في الادارة فيما عداعثمان بن حنيف، الذي مسح سقي الفرات ونظّم الخراج.

كانت للأنصار في الكوفة خطة فيها دار لقرظة بن كعب وللحارث بن زيد[2]، وذكر الطبري مسجد الانصار وهو قريب من السوق والجامع[3]، وذكر ابن الكلبي أن عبيد بن أرقم الخزرجي كانت له دار في بني البداء[4]. ذكر نصر بن مزاحم الأنصار من عشائر سبع يضم الأزد وبجيلة وخزاعة[5]. ولما أعاد زياد تنظيم الكوفة وجعلها أرباعاً، أطلق على أحد هذه الأرباع اسم (ربع أهل المدينة)، وكان يشمل أكثر العشائر المقيمة في الحجاز، غير أن المصادر لم تخص الأنصار بالذكر في هذا الربع.

خزاعة

ذكرت المصادر خططاً لخزاعة في الكوفة، ولبعض رجالها ذكر في أخبار الحوادث التي جرت في آخر خلافة عثمان، فذكر الطبري أن عدداً من شباب أهل الكوفة نقبوا على ابن الحيسمان، وكان جاره أبو شريح الخزاعي فلم يفلح في انجاده[6]، وذكر ابن سعد أن بني خزاعة كانوا جيران كنانة[7].

ومن خزاعة عمرو بن الحمق وهو من القراء[8] ومن أشراف العراق، وكان

(١) البلدان ٣١١.
(٢) ابن سعد ٦/ ١٠، وانظر خطة الانصار الطبري ١/ ٢٤٨٩.
(٣) الطبري ٢/ ١٨٤.
(٤) الأنساب ٨٠، (مخطوطة الاسكوريال).
(٥) وقعة صفين ١١.
(٦) الطبري ١/ ٢٨٤٠ ـ ٤١.
(٧) ابن سعد ٦/ ١٦.
(٨) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠٩.

ممن يطعن على عثمان فسيّره سعيد بن العاص إلى الشام[١]، ثم عاد إلى الكوفة وانتقل بعدها إلى المدينة، وشارك في حصار عثمان،[٢] ثم طعنه حتى الموت[٣]، وشارك في موقعة صفين[٤]، وكان على خزاعة[٥] كما كان من شهود الموادعة بين علي ومعاوية[٦]، وكانت تجتمع إليه شيعة علي[٧]، وهو ممن أيد حجر[٨].

ومن رجال خزاعة عبد الله بن بديل الذي شارك في فتح خراسان[٩] وفي صفين[١٠]، وكان فيها على ميمنة جيش علي[١١]، ثم كان أحد رؤساء القراء في الكوفة[١٢].

ومن رجالهم سليمان بن صرد، وكان في صفين على رجاله الميمنة في جيش علي[١٣]، ولما قتل الحسين قاد حركة التوابين.

(١) الطبري ١/ ٢٩٢٢١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٩١ ـ ٥٦٩١، ٢٩٩٧.
(٣) الطبري ١/ ٣٠٢١، أنساب الاشراف ٥/ ٩٧.
(٤) وقعة صفين ١١٥، ٤٣٣، ٤٥٤، ٥٥١.
(٥) المصدر نفسه ٢٣١.
(٦) المصدر نفسه ٥٨١.
(٧) الطبري ٢/ ٨٩.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١١٨.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٧٠٤.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٢٩٧، ٣٢٨٩، ٣٢٩٢، وقعة صفين ٢٧٦.
(١١) الطبري ١/ ٣٢٨٣، ٣٨٩٢، وقعة صفين ٢٣٥.
(١٢) وقعة صفين ٢٣١، وعن اشتراكه في المعركة، انظر ٣٥٤، ٤٥٥، ٥٩٥.
(١٣) المصدر نفسه ٥٩٥.

الفصل الثالث عشر

قبائل الحجاز وعشائره ورجالهم

قيس عيلان

قيس عيلان من المجموعات القبلية الكبيرة، فهي عمارة تضم أعداداً كبيرة من القبائل والعشائر والبطون، وذُكرت في أخبار الكوفة باسم قيس عيلان[(1)]، غير أن أغلب الاشارات إليها تذكرها باسم (قيس).

ورد أول ذكر لاشتراك قيس في جبهة القتال عندما أرسل عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص إلى العراق، فقد خرج معه من المدينة من قيس عيلان ألف عليهم بشر بن عبد الله الهلالي[(2)]، ثم أن عمر أمدّ سعداً بعد خروجه بألفي يماني وألفي نجدي مؤدّ من غطفان وسائر قيس[(3)]، وكان مجموعة القيسيين الذين صاروا مع سعد أكثر من ألف[(4)].

لم تذكر قيس في الوحدات القبلية في أسباع الكوفة زمن عمر، ولكنها ذكرت في قائمة أسباع الكوفة في وقعتي الجمل وفي صفين، وإذا لم يكن ذكرها في الأسباع راجع إلى نقص في النص المروي، فإنه يعني أن قيساً أصبحت وحدة قبلية في الكوفة في زمن خلافة عثمان بن عفان؛ وذكرت وحدها

(1) الطبري ١/٢٢٧٨، ٢٤١٥، ٢٣٨٢.
(2) المصدر نفسه ١/ ٢٥٧٨.
(3) المصدر نفسه ١/٢٢٢١.
(4) المصدر نفسه ١/٢٢٢٢.

في قائمة وقعة الجمل ومع عبد القيس في قائمة الأسباع في صفين، كما ذكرت من المجموعات القبلية المكونة لربع أهل المدينة[1].

ذكرت قيس كوحدة قبلية في الكوفة في بعض الحوادث، وعندما أرسل عمرو بن حريث ابن الاشعث ليأتيه بمسلم بن عقيل، قال له زائدة بن قدامة ابعث مع ابن الاشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس.. فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي في ستين أو سبعين من قيس حتى أتوا الدار التي فيها ابن عقيل[2].

ولما أعلن المختار حركتة خرج عليه شمر بن ذي الجوشن حتى نزل بجبانة بني سليم في قيس[3]، ونزل عقبة بن طارق مع قيس في جبانة بني سلول[4].

ولما تقدم ابن الحر إلى الأنبار بلغ ذلك القيسية فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة فسألوه أن يبعث معهم جيشاً[5]، ولما ثار يزيد بن المهلب مالت إليه ربيعة وبقية تميم وقيس[6].

يتبيّن من هذه النصوص أن قيس كانت تشمل بني هلال وسلول، وذكرت كتب النسب المجموعات القبلية التي تشملها قيس عيلان، وهي عشائر كثيرة ظهر منها رجال كثيرون، وشاركت في حوادث كثيرة قبل الإسلام وبعده، وانتشرت بطونها في أقاليم واسعة من البلاد الإسلامية، وسكنت بلداناً كثيرة منها الكوفة، أو شارك كثير من رجالها في الحوادث التي جرت في صدر الإسلام وشغل بعضهم مراكز إدارية كبيرة.

---

(١) الطبري ١/ ١٣٨٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٢٦١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٧٧٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٣٨٢.

عامر بن صعصعة

ذُكرت عامر بن صعصعة وحدة ذات كيان متميز في عدد من الحوادث والحركات، وأول ذكر لها في القتال في جبهة العراق منذ أول خلافة عمر بن الخطاب، حين عين جرير بن عبد الله على من كان من بني عامر(١)، وقد أنزلوا في شرقي الصحن مع أسد على طريق(٢).

وذكر من رجالهم عبد الله بن الأصم رئيس من خرج من الكوفة لحصار عثمان(٣)، والمقطع العامري الفهري الذي شارك في صفين(٤). وكان منهم مع ابن مطيع وساحق بن عبد الله بن مخرمة(٥)، ومنهم أزهر بن عبد الله العامري الذي قتلته جماعة شبيب الخارجي عند دخول الكوفة(٦).

ومن عامر بن صعصعة بنو عقيل(٧)، وقد ذُكر منهم في الكوفة أبو رزين وهو من قراء الكوفة الاتقياء(٨).

الضباب

الضباب من بني كلاب وهي من عشائر عامر بن صعصعة(٩). وكانت لبني جعفر بن كلاب في الكوفة صحراء دفن فيها لبيد بن ربيعة الشاعر، وذكر السمعاني محلة بالكوفة يقال لها قلعة الضباب، ومسجد ابن اسحاق السبيعي في هذه المحلة، وجماعة كثيرة من شيوخهم يسكنون هذه المحلة.

(١) الطبري ١/٢١٨٦.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٩٥٤.
(٤) وقعة صفين ٣١٥.
(٥) أنساب الاشراف ٥/٢٢٦،٢٢٧.
(٦) الطبري ٢/٩١٨.
(٧) المصدر نفسه ١/٣٣٧١، ٢/ ١٣٦٠، وانظر المقتضب لابن الكلبي ١٥١.
(٨) الطبري ١/١٩٩٣/ أنساب الاشراف ٥/ ٢٧١.
(٩) المقتضب ١٣٩، معجم البلدان ١/٣٠١.

لا ترد أخبار الضباب في حوادث الكوفة، ولكن يتردد ذكر بعض رجالها البارزين، ومن هذه الأخبار يمكن معرفة بعض دورهم. كان من الضباب ذو الجوشن الذي كان مع خالد بن الوليد عندما قدم الحيرة، وتدور أكثر أخبار الضباب حول شمر بن ذي الجوشن الذي ذكر الطبري انه من عامر[1]، ولكن أكثر الاشارات إليه أنه من الضباب[2]، وقد شهد صفين وقاتل مع عشيرته في صفوف علي بن أبي طالب[3]، وكان ممن شهد على حجر[4]. وكان مع عبيد الله بن زياد[5]، فأرسله مع عمر بن سعد لقتال الحسين[6]، وكان على ميسرة جيشه[7]، وحمل العبء الأكبر من القتال[8]؛ ثم قاتل المختار مع ابن مطيع، ودحر المضريين المتجمعين في جبانة سلول[9]، ثم قتله المختار[10].

هوازن

ذكرت هوازن في عدة مواضع من أحداث الكوفة، فقد كانت أحد أسباع الكوفة مع تميم وسائر الرباب[11]، وفي صفين وضعت هوازن وسليم وغطفان بإزاء التيم[12]، وكان عليها مجاشع بن مسعود السلمي[13]، وجاءت بعشرين من القتلى في وقعة كربلاء[14]، وكان عبد الله بن الطفيل سيد بني عامر معه جماعة من هوازن[15].

---

(١) الأنساب. مادة ضباب المقتضب ٢/ ٣٢٤، معجم البلدان ٣/ ٢٦٤.
(٢) الطبري ٢/ ١٣٣، ٢٥٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٤٣، ٣٧٠٢، ٢/ ٣٢٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٦.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٥.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٤.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٤، ٢٤٦، ٣٥١.
(٩) أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٢.
(١٠) المصدر نفسه ٥/ ٢٣٨.
(١١) الطبري ١/ ٢٤٦٥، وانظر ٢/ ١٢١.
(١٢) وقعة صفين ٢٥٦.
(١٣) الطبري ١/ ٣١٧٩.
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٦.
(١٥) وقعة صفين ٣٤٩، ٣٥٢.

ولما أعلن المختار حركته في الكوفة كان شمر مع ابن مطيع[١]، وكان من أبرز قوات مضر في ثورة أهل الكوفة على المختار[٢]، فلما فشلت الثورة وانتصر المختار، هرب شمر من الكوفة وأراد اللحاق بالمصعب ولكن قوات المختار أدركته فقتلته[٣].

هلال

لم تذكر هلال في الحوادث التي مرت بالكوفة، ولكن ذُكر عدد من رجالهم شاركوا في القتال في جبهة العراق مما يدل على وجود العشيرة أيضاً، فقد ذكر الطبري أن بشر بن عبد الله الهلالي كان على الألف من القيسيين الذين خرجوا من المدينة مع سعد بن أبي وقاص حين توجه إلى العراق[٤]، وفي معركة القادسية ذكر الطبري اشتراك ابن ذي البردين في القتال[٥]. وفي وقعة صفين ذُكر عائذ بن كريب[٦] وكليب بن تميم[٧]، وفي زمن الأمويين كان شداد بن الهيثم الهلالي على الشرط في الكوفة في زمن ولاية زياد[٨]، وكان هو ومروان بن الهيثم الهلالي من الشهود على حجر عندما سيّره زياد إلى الشام[٩].

وذكر ابن سعد أربعة من رجال بني هلال في الكوفة[١٠]، وهم النزل بن سمرة (٣٦) ومعقل بن ابي بكر (١٠٢) وابو بجد (٢٤٥) ومسعر بن كدام (٢٥٣). وذكر الطبري مسجدهم، وقال إن زيد بن علي بعد ان تنقل في عدة محال نزل عند مسجد هلال بن عامر فأقام يبايع الناس[١١].

---

(١) الطبري ٢/ ٦١٤ن ٦٢٨، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٤.
(٢) الطبري ٢/ ٦٥٠، ٦٥٢، ١٥٣، ٦٦١ أنساب الاشراف ٥/ ٢٣١.
(٣) الطبري ٢/ ٦٥٠، ٦٥٢، ١٥٣، ٦٦١ أنساب الاشراف ٥/ ٢٣١.
(٤) الطبري ١/ ٢٢١٩.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٣٢٩.
(٦) وقعة صفين (٥٥٦).
(٧) المصدر نفسه ٥٥٨.
(٨) الطبري ٢/ ١١٧، ١١٨، ١٢٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٣٣.
(١٠) مذكورون في الجزء السادس في الصفحات التي مقابل كل اسم.
(١١) الطبري ٢/ ١٦٨٧.

سلول

ذكر السمعاني أن سلول قبيلة نزلت الكوفة وصارت محلة معروفة وكانت وقت حلولها بالكوفة عامرة(١)، وذكر الطبري عدداً من رجال سلول شاركوا في الحوادث التي وقعت في الكوفة في زمن الأمويين، ويظهر منها ميلهم للشيعة. وكان منهم عامر بن سعيد السلولي الذي أرسله الشيعة إلى الحسين يستدعونه للقدوم إلى الكوفة(٢).

وفي جيش ابن الاشتر، الذي قاتل عبيد الله بن زياد في موقعة الخازر، ذُكر عبد الله بن زهير السلولي الذي ادعى قتل شرحبيل بن ذي الكلاع(٣)، ثم ارسله ابن الاشتر إلى الكوفة لإخبارهم بمقتل عبيد الله بن زياد(٤).

ومن رجالهم الذين شاركوا في معركة الخازر: عبد الله بن ورقاء بن جنادة الذي تولى قيادة ميسرة جيش ابن الاشتر بعد مقتل قائدها، وكان صموده من أسباب الانتصار في معركة(٥). وفي يوم المذار كان منهم رزين بن عبد يقاتل مع المختار، وكان على الخيل(٦).

وفي زمن الحجاج، ذكر منهم عقيل بن شداد الذي كان على ميسرة قوات ابن الأشعث عندما قاتل شبيب الخارجي وقتل في المعركة(٧).

إن أبرز المعالم العمرانية المتصلة بسلول هي جبانة بني سلول، التي تردد ذكرها في عدد من الحوادث التي جرت في الكوفة وخاصة في زمن الأمويين، فذكر الطبري أنه عندما ثار أهل الكوفة على المختار في يوم السبيع خرج

---

(١) الأنساب: مادة سلول.
(٢) الطبري ٢/ ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٧.
(٣) أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٠.
(٤) الطبري ٢/ ٢٤٧.
(٥) الطبري ٢/ ٧٦١، أنساب الاشراف ٥/ ٢٤٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٧٢١، أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٩٣٤ ـ ٩٣٦.

شمر بن ذي الجوشن في جبانة بني سلول[1]، ثم نزل عقبة بن طارق مع قيس في تلك الجبانة[2]. وذكر البلاذري أن جبانة بني سلول هي جبانة سالم، لأن صاحب هذه الجبانة هو (سالم بن عمارة بن عبد الحارث بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن)، وبنو مرة بن صعصعة ينسبون إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان[3]. وذكر الطبري جبانة سالم السلولي في خبر نزول زيد بن علي الكوفة، حيث تنقل في عدة بيوت ثم تحول من بني غبر إلى دار معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصاري بأقصى جبانة سالم السلولي[4]. وهذا النص يظهر أن هذه الجبانة قرب خطط الانصار.

ذُكرت جبانة سالم في أخبار عدد من الحوادث التي حدثت بالكوفة، فبالإضافة إلى النص الآنف الذكر، ذكر الطبري أنه عندما أعلن المختار ثورته أرسل ابن مطيع شمر بن ذي الجوشن إلى جبانة سالم[5].

ذكرنا أن زيد بن علي أعلن ثورته عندما كان مقيماً في دار معاوية بن اسحق في أقصى جبانة سالم، وذكر الطبري في حديثه عن أحداث هذه الثورة بعض المعالم العمرانية قربها، فقال إن زيد بن علي ارسل بعض جماعته يعلنون ثورته، فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي[6]. وممن استجابوا لدعوة زيد، نصر بن خزيمة، «فأقبل إليه فلقي عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكمة في الطريق الذي يخرج إلى مسجد بني عدي»[7]. ويذكر أيضاً أن زيد بن علي أقبل من جبانة سالم حتى انتهى إلى الصائديين وبها خمسمائة من

---

(١) الطبري ٢/ ٦٥٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٣.
(٣) فتوح البلدان ٢٨٥، وانظر معجم البلدان ٢/ ١٧.
(٤) الطبري ٢/ ١٦٨٧.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦١٤.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠١.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٧١٤ ـ ٢٧١٦.

أهل الشام.. وانتهى إلى دار رجل من الأزد يقال له أنس بن عمرو.. ثم مضى حتى انتهى إلى الكناسة.. ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة.. ثم أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة، وكانت فرقة من أصحابه قد تشعبت نحو جبانة مخنف بن سليم، ثم قال بعضهم لبعض: ألا ننطلق نحو جبانة كندة.. فخرج بهم زيد حتى مر على دار خالد بن عرفطة.. وجاء زيد وأصحابه حتى انتهى إلى دار الفيل(١).

يتبيَّن مما تقدم أن جبانة سالم قريبة من كل من دار معاوية بن اسحاق الانصاري (وربما خطط الانصار)، وصحراء عبد القيس، ودار الزبير بن أبي حكمة، وجهينة، ومسجد بني عدي. كما يتبين أيضاً أنها غير بعيدة عن جبانة الصائديين التي تقع بين جبانة سالم وبين الكناسة، وأن بينهما وبين المسجد مصلى خالد بن عبد الله.

بنو البكاء

بنو البكاء من عشائر بني عامر بن صعصعة، وكثيراً ما تسمى المصادر المنتسبين لها من المقيمين في الكوفة بالاسمين(٢). وذكر الطبري أنه عندما خطت الكوفة كانوا أعدوا مناخاً لكل رادف، فكان كل من يجيء سواء فيه وذلك المناخ اليوم دور بني البكاء(٣). وهذا النص يدل على أن خطط بني البكاء حددت متأخرة، غير أننا لا نعلم زمن ذلك، وإن كان إشغالها مناخ الرادفة يدل على انها كانت بعيدة عن المسجد وما حوله من خطط.

نسب إلى بني البكاء كل من الفرات بن معاوية(٤) والعامر(٥) وعامر بن

---

(١) الطبري ٢/ ٢٧١٤ ـ ٢٧١٦.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٣٧١، ١/ ٢٢٩٠، ٥/ ١٣٦٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٣٦٧.
(٤) أنساب الاشراف ٥/ ٢٨٠.
(٥) الطبري٢/ ١٣٦.

الطفيل[١] والعامري[٢] والمقطع بن الهيثم[٣]. ويلاحظ أن ابن حزم يذكر نسبهم البكاء بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة[٤]. وذكر من رجال بني البكاء ابن الهيثم الذي كان يدافع عن عثمان من تهجمات الاشتر[٥]، ومن رجالهم في الكوفة زرارة بن يزيد[٦].

وفي موقعة صفين كان مع الخليفة علي عبد الله بن الطفيل، الذي شهد كتاب الموادعة مع معاوية[٧]. وانضم منهم إلى الخوارج الأولين حكيم بن عبد الرحمن وابنه عبد الله[٨].

محارب

محارب عند النسابين من فروع الأسد بن ربيعة بن نزار، غير أنهم اختلفوا في وضع مكانها من شجرات النسب، فذكر ابن دريد أن محارب من عنزة وذكر نسبها: محارب بن صباح بن عتيك بن اسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة[٩]. أما ابن حزم فذكر محارب بن عمرو بن وديعة[١٠]. ومحارب بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار[١١]. ومحارب بن مر ومنهم أنمار وأسلم وضاعنة[١٢]. وذكر في عشائر عبد القيس محارب بن عمرو بن وديعة[١٣].. ولم أجد معلومات إضافية تمكنني من البت في المكان الحقيقي لمحارب من شجرات النسب.

---

(١) الطبري ١/٣٣٠٦.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٣٣٧.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٠٢٤.
(٤) جمهرة النسب ٤٨٢.
(٥) المقتضب ٣٣٩.
(٦) الطبري ١/٣١٥١.
(٧) الطبري ١/٣٣٣٧، وقعة صفين ٢٠٦، ٢٧٧، ١٠٩، ٣١١، ٤٦٨، ٥١١.
(٨) وقعة صفين ٢٧٧.
(٩) الاشتقاق ٣٢١.
(١٠) جمهرة النسب ٢٩٧.
(١١) المصدر نفسه ٣٨١.
(١٢) المصدر نفسه ٢٠٧.
(١٣) المصدر نفسه ٢٩٨.

ذكرت محارب في خطط الكوفة وفي أحد أسباعها، فذكر الطبري أنه لما أسست الكوفة أنزل في شرق الصحن الانصار ومزينة على طريق، وتميم ومحارب على طريق، وأسد وعامر على طريق[1].. وذكر وكيع مسجد محارب[2]. وذكر ابن الكلبي هند من كليب لهم خطة بالكوفة من محارب الباطنة[3]. وفي تنظيم الأسباع في زمن عمر صارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعاً[4]. وبالنظر لصلة محارب بضبيعة وأنمار فالراجح أن المقصود بها العشيرة التي عدها النسابون من أسد بن ربيعة، فقد ذكر ابن حجر أن نملة بن عامر المحاربي الجسري.. هو الذي ضمن لعلي بن ابي طالب طاعة قومه بني جسر لما غضب عليهم وأمر بهدم دورهم[5].

ذكرت الأخبار عدداً من رجال محارب، كانوا من الخوارج، ومنهم عنترة بن عبيدة بن خالد الذي كان من الخمسمائة الذين لجأوا إلى البندنيجين والدسكرة مع فروة بن نوفل[6]؛ ومنهم يزيد بن عاصم المحاربي الذي ثار في زمن علي، ثم خرج مع أخوة له ثلاثة فأصيبوا مع الخوارج بالنهر.

وفي زمن الأمويين ذُكر منهم شريك بن نملة، وقد روى عنه الطبري أخباراً عن أحداث معركة الجمل[7]. ثم ذكر أنه أخذ من المغيرة بن شعبة أماناً لعبد الله بن عقبة الغنوي الخارجي[8]؛ ومنهم حكيم بن شريك الذي أطراه يوسف بن عمر لموقفه المحايد[9].

---

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٠.
(٢) أخبار القضاة ٣/ ١٤٤.
(٣) النسب ٢٠٨ (مخطوطة الاسكوريال).
(٤) الطبري ١/ ٢٤٩٥.
(٥) الاصابة ٣/ ٥٥٥.
(٦) الطبري ١/ ٣٣٠٩.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٢١٢، ٣٢١٤، ٣٢١٧.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٦١.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٩، ٧١٦؛ وقعة صفين، ٨٧٨.

مزينة

شارك رجال من مزينة في الحركات الإسلامية الأولى في جبهة العراق، ففي حصار خالد بن الوليد الحيرة "كان ضرار بن مقرن المزني عاشر عشرة أخوة له محاصراً قصر بني مازن وفيه ابن أكّال؛ وكان المثنى محاصراً قصر ابن بُقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح؛ وذلك أثناء حصار العرب المسلمين للكوفة[1]. وكان ضرار من ولاة الثغور الذين ولاهم خالد بن الوليد عندما كان في العراق، فولاه المسيب[2]، وكان ممن فرق عليه السواد[3].

وممن شارك في الأيام الأولى الصباح بن فلان المزني، الذي أرسل معه خالد بن الوليد غنائم المثنى والبشر[4].

وفي التخطيط الأول للكوفة جعلت مزينة والأنصار على طريق شرقي الجامع[5]. وفي زمن الأمويين كانت بيوت مزينة وأحمس وبارق مفردة عن بيوت أهل الكوفة[6].

ومن أبرز رجال مزينه النعمان بن مقرن الذي كان من الوفد الذي بعثه سعد بن أبي وقاص لمفاوضة رستم[7]، ثم أرسل إلى الأهواز[8] وبعد موقعة جلولاء ولاه عمر بن الخطاب على ما سقت دجلة، وولّى أخاه سويد على ما سقت الفرات، ثم استعفيا فولى مكانهما حذيفة بن أسيد وجابر بن عمرو المزني، ثم ولي عملهما حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف[9].

(١) الطبري ١/ ٢٠٣٩.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧٣.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٥٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٠.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٧.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٢٣٦، ٢٢٩٢.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٥٥١، ٢٥٦٥.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٤٥٦.

ولي النعمان بن المقرن قيادة الجيش الإسلامي في نهاوند وقتل في المعركة[١]. وممن ذكر اشتراكه فيها أخوه معقل بن مقرن[٢]. أما عمرو بن عمرو بن مقرن فقد أوكل إليه سعد بن أبي وقاص بعد فتح المدائن جمع ما في القصر والايوان والدور[٣]. ويتبيّن من هذا المكانة الكبيرة التي كانت لآل المقرن في فتوح العراق، ولا بد أن مما ساعدهم على الوصول إلى هذة المكانة القوة العددية الكبيرة لعشيرتهم.

لم يرد ذكر مزني شارك في إثارة النقمة على عثمان أو في موقعة الجمل، أما في صفين فقد ذكر بشر بن عصمة المزني، وكان من أهل الكوفة فلحق بمعاوية. ولم يذكر لمزينة أو أي من رجالها إسهام في أخبار الخوارج أو في مقتل الحسين، إنما ورد ذكر بعضهم مع التوابين، فقد كان مع سليمان بن صرد ضمير بن حذيفة المزني[٤]، وكان احد القصاص الثلاثة عندهم[٥].

ولما تقدم سعد بن حذيفة بن اليمان لنجدة التوابين ذهب لإخبارهم ثلاثة فرسان، منهم كثُير بن عمرو المزني[٦]، وممن قاتل مع التوابين عبيدة بن سفيان وقتل في المعركة.

وفي الجيش الذي قاده المطرف بن المغيرة لمقاتلة شبيب، كان من المزنيين سليمان بن حذيفة بن هلال، وكان من ثقات المطرف ومن أهل نصائحه الذين يستشيرهم[٧]، وأرسله المطرف لمفاوضة شبيب[٨]. وممن كان مع المطرف عندما ثار، سليمان بن صخر المزني وقد وضعه المطرف على الحامية عند

---

(١) الطبري ١/٢٥٩٦.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٦٠٤.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٥٤٤، ٢٤٥١، ٢٤٥٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/٢٤٠.
(٥) المصدر نفسه ٢/٥٥٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/٥٦١.
(٧) المصدر نفسه ٢/٩٨٦.
(٨) المصدر نفسه ٢/٩٤٧، ٩٨٣.

اشتباكه مع قوات الأمويين[١]، ثم قتل في المعركة[٢]. وعندما ثار زيد بن علي في الكوفة كان، على شرطة واليها يوسف بن عمر، العباس بن سعيد المزني[٣] الذي شارك في قتال زيد بن علي[٤]، وممن قاتل مع يوسف بن عمر حزام بن مرة المزني[٥].

خطط مزينة

يذكر الطبري أن ابا الهياج عندما وضع خطط الكوفة أنزل في شرقي الصحن الانصار ومزينة على طريق[٦]، غير أن أخبار الحوادث التالية تظهر أن خطط مزينة كانت بعيدة عن الجامع، مما يدل على أن الذين سكنوا شرقي الصحن، إن صحت الرواية، كانوا بعض مزينة وأن خططهم نقلت في زمن وأسباب لا نعرفهما.

ذكر الطبري ما يدل على أن خطط مزينة كانت ناحية في أطراف الكوفة، وأنها بالقرب من خطط سليم وأحمس وبارق. وروى أنه عندما تقدم شبيب إلى الكوفة أرسل الحجاج لصده سويداً فخرج حتى «جعل بيوت مزينة وبني سليم ظهره وظهور أصحابه، وحمل عليهم شبيب حملة منكرة فلم يقدر منهم على شيء.. وأتبعه سويد حتى انتهى إلى الحيرة»[٧].

وعندما خرج المختار على ابن مطيع اتخذ مقره في السبخة، ثم مضى منها حتى ظهر على الجبانة، ثم ارتفع إلى البيوت بيوت مزينة وأحمس وبارق فنزل عند مسجدهم وبيوتهم، وبيوتهم شاذة منفردة عن بيوت أهل الكوفة[٨].

وصف الطبري تقدم المختار من المنطقة التي وصلها، والتي فيها خطط

(١) الطبري ٢/ ٩٩٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٠٠٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٧١٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٤.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٠.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٩١٥.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٨.

مزينة وبارق وأحمس إلى الكناسة، وذكر في وصفه عدداً من المعالم العمرانية قرب خطط مزينة، فقال إن المختار تقدم من هذا المكان وقدم أمامه ابراهيم بن الاشتر، وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجاج في ألفي رجل، فخرج عليهم من سكة الثوريين. . وذهب المختار في أثر ابراهيم، فمضوا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلى خالد بن عبد الله، فوقف وأمر ابراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبل الكناسة، فمضى فخرج إليه من سكة ابن محرز. . فمضى حتى انتهى إلى سكة ابن شبث. . وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة[١]. ويتبين من هذا النص أن الأماكن التي بين مزينة والكناسة هي سكة الثوريين، فمصلى خالد بن عبد الله، فسكة ابن محرز، فسكة شبث.

كنانة

كنانة من البطون الضخمة، تشمل في قول النسابين ليث وضمرة والديل، وأشجع وغفار والقارة[٢].

انضم الكنانيون إلى الجيوش الإسلامية المقاتلة في جبهة العراق منذ أوائل خلافة عمر. يروي الطبري عن سيف أنه قدم على عمر غزاة بني كنانة والأزد في سبعمائة، فدعا لهم عمر بخير، وأمّر على بني كنانة غالب بن عبد الله وسرّحه، وأمّر على الأزد عرفجة بن هرثمة وعامتهم من بارق، فخرج هذا في قومه، وهذا في قومه حتى قدما على المثنى[٣]. ولا بد أنهم شاركوا في هذه المعارك الأولى.

وفي القادسية ذكر الطبري أن سعد وضع بالعذيب خيلاً تحوط الحريم، وانضم اليها حاطة كل حريم، وأمّر عليهم غالب عبد الله الليثي[٤]، الذي صار

(١) الطبري ٢/ ٦٢٩.
(٢) جمهرة النسب لابن حزم ١٨١ ـ ١٨٦، ٤٦٥؛ أنساب الاشراف ١/ ٣٥٠، ١٧٩.
(٣) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢١٣٣.

ابنه عبد الله بن عبد الله الليثي مع ابن مطيع في قصر الكوفة عندما حاصره المختار[١]، وكان منهم حملة بن جوية الذي كان ممن أرسله سعد بن أبي وقاص لمفاوضة كسرى[٢].

ذُكرت كنانة في المجموعات القبلية التي تتكوَّن منها الأسباع في القوائم الثلاث التي وصلتنا عن عشائر الأسباع، غير أنه لم يرد ذكر خطة كنانة إلاَّ ما ذكره ابن أبي الحديد أن «بني كنانة جيران خزاعة»[٣].

وذكر ابن سعد في الجزء السادس من كتاب الطبقات أربعة رجال من كنانة هم: ابو الطفيل[٤]، وحنش بن المغيرة[٥]، وعبد الرحمن بن عبد الملك[٦]، وثابت بن محمد[٧]. وذكر رجلين من غفار هما حذيفة بن أسد[٨]، وأبو مالك[٩].

ومن كنانة أبو الطفيل وهو من مخلصي الشيعة[١٠]، والوليد بن قيض وأبو المعتمر وكانا من التوابين مع سليمان بن صرد[١١]، ومنهم بنو الأبجر المشهورون في الطب[١٢].

سليم

سليم إحدى القبائل الكبيرة في الحجاز، وديارها في الأطراف الجنوبية الشرقية من المدينة، في منطقة جبلية اشتهرت بحرّتها وبمناجم الذهب فيها،

(١) الطبري ٢/ ٦٣١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٣٦.
(٣) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠٩.
(٤) ابن سعد ٦/ ٤٢.
(٥) المصدر نفسه ٦/ ١٥٧.
(٦) المصدر نفسه ٢٧٢.
(٧) المصدر نفسه ٦/ ٢٨٢.
(٨) المصدر نفسه ٦/ ١٥.
(٩) المصدر نفسه ٦/ ٢٠٦.
(١٠) وقعة صفين ٢٥٨.
(١١) الطبري ٢/ ٢٨٥.
(١٢) المقتضب ٨٥.

وهي المناجم المسماة (معدن بني سليم) وانضمت بجملتها إلى الإسلام بعد صلح الحديبية، وشارك عدد من رجالها في فتح مكة[١]. ولما توفي الرسول (ص) ارتدت عن الإسلام غير أنها عادت إلى حضيرته دون قتال.

ويبدو أن عدداً من رجالها قدم مع أبي عبيدة الثقفي للقتال في جبهة العراق، إذ يذكر الطبري أن أبا عبيدة عندما عبأ قواته في موقعة الجسر جعل المثنى على الخيل، وعلى ميمنتة والق بن جيدارة وعلى ميسرته عمرو بن الهيثم بن الصلت بن حبيب السلمي[٢].

لم يرد في أخبار معركة القادسية ذكر لبني سليم كوحدة قبلية بذاتها، غير أن هذا لا يدل على عدم اشتراكها في المعركة، إذ إن المعلومات التي وصلتنا عنها لم تستوعب ذكر كافة العشائر العربية التي شاركت فيها.

ويبدو أن سليم كانت من العشائر التي شاركت في فتح أرمينية، فيذكر الطبري أن حبيب بن مسلمة كتب إلى أهل العلم بالله وأهل القرآن[٣]، أما عمر بن عتبة بن فرقد فكان من المشاركين في معركة بلنجر في أرمينية[٤]، ويبدو أنه عاد إلى الكوفة، ويروى أنه كان ممن مر بأبي ذر عند وفاته بالربذة[٥]. وكانت أسرته وحدة متميزة تسمى الفراقدة[٦]، وتزوج أحدهم ابنة يعقوب بن عبد الله السلمي[٧]. وشارك أبو عبد الرحمن السلمي في معركة صفين مع الخليفة علي[٨].

انضم عدد من بني سليم الكوفيين إلى الخوارج، ومن هؤلاء عبد الله بن

(١) انظر كتابنا «الدولة في عهد الرسول (ص)» ١/ ٢٩٦ ـ ٢٩٩.
(٢) الطبري ١/ ٢١٦٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٧٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٨٩١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٨٩٣.
(٦) ابن سعد ٤/ ٢/ ١٨.
(٧) الطبري ٢/ ١٦٨٥.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٣١٩.

شجرة، وكان في زمن عثمان بن عفان من القراء الذين يجالسون سعيد بن العاص[١]، ثم ثار مع الخوارج على الخليفة علي[٢] وقتل في النهروان[٣].

وكان حيان بن ظبيان السلمي يرى رأي الخوارج، وهو ممّن تمردوا يوم النهروان، فعفا عنه علي في الأربعمائة الذين كان عفا عنهم من أهل النهروان وعاد إلى أهله وعشيرته فلبث شهراً أو نحوه ثم خرج إلى الري في رجال كانوا يرون ذلك الرأي، فلم يزالوا مقيمين بالري حتى بلغهم قتل علي فدعا أصحابه إلى الرجوع إلى الكوفة وبث الدعوة بين الناس[٤]. وكان عدد من رؤسائهم يرجعون اليه ويجتمعون في داره ثم ثاروا وبايعوه[٥]؛ ولكن المغيرة بن شعبة قضى عليهم[٦]. ظل من بني سليم مع الامويين، فلما ظهر مسلم بن عقيل في الكوفة أرسل إليه عبيد الله بن زياد حوالى سبعين رجلاً من قيس على رأسهم عمرو بن عبيد الله بن عباس السلمي، فألقوا القبض عليه[٧]. وهذا يشير إلى أن سليم كانت في الكوفة منذ أوائل تأسيسها، وأنها أسهمت في فتوح أرمينية حيث استقر معظم رجالها في الجزيرة الفراتية. ولعل هذا من أسباب قلة رجالها في الكوفة وميلهم إلى الخوارج، ويلاحظ أن ابن سعد لم يذكر في الجزء السادس من طبقاته، الذي خصصه للكوفيين، سوى عتبة بن فرقد[٨] ويزيد بن الأخنس[٩]. وذكر أبو نعيم في كتاب «أخبار أصفهان» اثنين من بني سليم سكنا أصفهان، هما: محمد بن أحمد بن عبد الوهاب[١٠] ونوح بن منصور بن مراد[١١]، ولم يذكر أن أصلهما من الكوفة، علماً بأن معظم العرب الذين استوطنوا أصفهان هم من أهل الكوفة.

---

(١) أنساب الاشراف ٥/ ٤٤.
(٢) الطبري ١/ ٣٣٧٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٣٨٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٧ ـ ١٨.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٨١.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٨٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٣.
(٨) طبقات ابن سعد ٤ ـ ٢/ ١٨.
(٩) المصدر نفسه ٤ ـ ٢/ ١٧.
(١٠) أخبار اصبهان ٢/ ٢٨٩.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٢.

خطط بني سليم

ذكر الطبري أنه عندما خط أبو الهياج مسجد الكوفة وصحنه «أنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقين، وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق اخر، وتيم اللات على آخرهم»[1]. إن هذا النص يظهر أن خطط سليم كانت مما يلي الصحن، أي في الشمال، غير أنه لا توجد في أخبار الحوادث التالية إشارة تؤيد أن خططهم مما يلي الصحن، مما يدل إما على عدم دقة الطبري، أو أن عدد من اختط لهم مما يلي الصحن كان قليلاً، أو أنهم أو معظمهم انتقلوا إلى الأطراف الشرقية قرب السبخة ودار الرزق. وفي أخبار معركة البويب معلومات تظهر أن بني سليم كانت خططهم في الأطراف الشرقية القريبة من الفرات، فقد ذكر الطبري أن القائد الفارسي وجيشه عبروا الجسر، ونزلوا شوميا موضع دار الرزق[2]، أما المسلمون فكان معسكرهم بالنخيلة[3]، ثم تقدموا واتخذوا مواقعهم في موضع السكون[4]. ثم تقدم الفرس من دار الرزق فدفعوا من المسلمين وجاءهم المسلمون من قبل نهر بني سليم، فلما دنوا زحفوا، وكان صف المسلمين فيما بين نهر بني سليم وما ورائها[5]. ولما نشبت المعركة قتل الفرس في ما بين السكون إلى شاطئ الفرات: ضفة البويب الشرقية، وذلك أن المثنى أدركهم عند الهزيمة بالجسر فأخذه عليهم[6]. ويروى عن أبي رزق قوله «والله إن كنا لنأتي في البويب فنرى فيما بين موضع السكون وبني سليم عظاماً بيضاً تلولاً من هامهم واوصالهم.. حتى دفنها أدفان البيوت»[7] ويروي الطبري أن العظام فيما جنبتي البويب هي ما بين السكون

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٠.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٧، ٢١٩٠؛ ٢١٩٦؛ فتوح البلدان ٢٥٢.
(٣) فتوح البلدان ٢٥٢.
(٤) الطبري ١/ ٢٦٨٧.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢١٩٦. وكان بنو سليم بجوارهم ومعهم في الدعوة بنو صلامان. الطبري ١/ ٣٣٤٥، وقعة صفين ٦٠٨.
(٦) الطبري ١/ ٢١٩٦.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢١٩٣، وانظر ١/ ٢١٩٦، فتوح البلدان ٢٥٢.

ومرهبة وبني سليم[١]. وهذه النصوص تظهر أن بني سليم شمال دار الرزق والسكون، قرب شاطئ الفرات ويجري فيها نهر بني سليم. ولما ثار زيد بن علي في الكوفة اتخذ مقره في السبخة وأرسل إليه والي الكوفة يوسف بن عمر قوة لقتاله، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة، ثم شد عليهم بالسبخة حتى أخرجهم إلى بني سليم، ثم تبعهم في خيله ورجاله حتى أخذوا على المسناة، ثم إن زيداً أظهر لهم فيما بين بارق ورؤاس فقاتلهم هناك قتالاً شديداً[٢]؛ ويظهر أن خطط بني سليم هي بين السبخة وبين المسجد وقرب سكة البريد، إذ يروي الطبري "لما صلى المختار الغداة سمعنا أصواتاً مرتفعة فيما بين بني سليم وسكة البريد[٣].

أعصر

ذكر الطبري أن زياد بن أبي سفيان لما أراد القبض على حجر، قال وهو على المنبر: «ليقم همدان وتميم وهوازن وأبناء أعصر ومذحج وأسد وغطفان فليأتوا جبانة كندة فليمضوا من ثم إلى حجر فليأتوني به، ثم إنه كره أن يسيّر طائفة من مضر مع طائفة من أهل اليمن فيقع بينهم شغب واختلاف وتفسد ما بينهم الحمية، فقال لتقم تميم وهوازن وأبناء أعصر وأسد وغطفان، ولتمض مذحج وهمدان إلى جبانة كندة ثم لينهضوا إلى حجر فليأتوني»[٤]. وهذا النص يشير إلى أن أعصر قبيلة رئيسة من مضر ومن المجموعات المضرية الخمسة، رغم أن هذه المجموعات يعدها النسابون مع همدان وغطفان ضمن مجموعة قيس عيلان الكبرى، ويدل على تمييزها مكانتها العددية.

ذُكرت أعصر في قصيدة كتبها عبد الله بن خليفة إلى عدي بن حاتم يستعطفه السعي لإعادته من منفاه، ويقول فيها:

---

(١) الطبري ١/ ٢١٩٠.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٨، وانظر مقاتل الطالبيين ٢٤٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٢١.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٢١ ـ ١٢٢.

ففرجتم عني فغُودِرت مسلماً كأني غريب في إياد وأعصر[1].

وذكر ابن حزم أعصر بن أسعد، وأشار إلى أن فيهم البيت وذكر أنهم من عشائر غطفان[2]. وفي مكان آخر ذكر أن أخوة غطفان باهلة وغنى وهما بالجزيرة والكوفة[3]. وأضاف في مكان آخر من عشائرهم الطفاوة[4].

لم تذكرالمصادر خطة لأعصر، ولم يتردّد عنها في الأخبار، وإنما ذكرت عشائرهم.

باهلة

ورد أول ذكر لباهلة في الكوفة من أيام خلافة علي بن أبي طالب، إذ ذكر نصر بن مزحم أن علياً قال لباهلة: «يامعشر باهلة أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم، فخذوا عطاءكم وآخر جواد إلى الديلم، وكانوا قد كرهوا ان يخرجوا معه إلى صفين»[5].

ذكرت المصادر عدداً من رجال باهلة كانت لهم مع أهل الكوفة أدوار مهمة في الفتوح الأولى، ومن أبرز من ذكر منهم في أيام الفتوح، سلمان بن ربيعة وأخوه عبد الرحمن. فأما سلمان بن ربيعة فقد كان على المجردة عند تقدم المسلمين إلى القادسية[6]، وأبلى في القادسية بلاءً حسناً، وكان فارس الناس يوم القادسية، وأحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت، والآخر عبد الرحمن ذو النور (أخوه). ومال على آخرين قد نصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله[7]، وقد ولي القسم بعد فتح المدائن[8]. وفي جلولاء كانت إليه الأقباض

(1) الطبري ٢/١٥١.
(2) جمهرة النسب ٢٤٢، ٢٤٨.
(3) المصدر نفسه ١٤٧.
(4) المصدر نفسه ٤٨٠.
(5) وقعة صفين ١١٦.
(6) الطبري ١/٢٢٢٥.
(7) المصدر نفسه ١/٣١٤٤.
(8) المصدر نفسه ١/٢٤٥١،٢٤٥٤.

والأقسام، وكانت العرب تسميه سلمان الخيل، ذلك أنه كان يقسم إليها ويقصر بما دونها[١]. وكان هو وأخوه عبد الرحمن على قضاء الكوفة، وكان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لكون إن كان.. وكان قيِّمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يصنّع سوابقها ويجريها في كل عام[٢].

وفي فتح الباب بأرمينية جعل سلمان على الأقباض[٣]، وكان من الشهود على صلح الباب، وقاد بعض الحملات الفرعية في تلك المناطق[٤]؛ كما كان على مقدمة الجيش الذي كان يتولاه الوليد بن عقبة في أذربيجان وأرمينية إبان ولاية الوليد على الكوفة[٥]؛ ثم قاد الحملة التي أرسلت من الكوفة لنجدة أهل الشام عندما هاجمهم الروم[٦]؛ ثم أرسله سعيد بن العاص سنة ٣٢ على فرج بلنجر مدداً لجيش أهل الشام[٧]؛ وظل في الباب إلى سنة ٣٤[٨].

كانت لسلمان بن ربيعة دار أقطعت له منذ زمن خلافة عمر بن الخطاب[٩]، وهي تقع بين دار أخيه عبد الرحمن وبين دار المختار، اتخذت فيما بعد محبساً[١٠].. وقد نزل في هذا الدار لما جاء الكوفة في زمن ولاية المغيرة شعبة[١١].

أما عبد الرحمن بن ربيعة فقد شارك في معركة القادسية، وكان ممن مال على الفرس فهزمهم وثبت المسلمين[١٢]. وكان على قضاء الناس عند التقدم

(١) الطبري ١/ ٢٤٦٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٥٠٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٣.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٨٠٥، (ويقول الواقدي أن عدد من قادهم سلمان ثمانية آلاف).
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٨٠٨.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٨٩٠.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٩٢٨، (ويذكر الطبري أن سلمان كان عاملاً لعمر على ربيعة الجزيرة ١/ ٢٨٠).
(٩) المصدر نفسه ٣١١.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٥.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٧١، ٧٢.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٤.

إلى القادسية، وجعلت إليه الاقباض وقسمة الفيء(١). قام بدور كبير في فتح أرمينية، فكان على مقدمة جيش سراقة الذي أرسل لفتح الباب(٢). ولما توفي سراقة ولي عبد الرحمن القيادة، ويروى أنه توغّل في تلك المنطقة حتى وصل إلى البيضاء على رأس مائتي فرسخ من بلنجر، ولم يقدم جيشه ضحايا كثيرة(٣). وتعاون مع حذيفة في غزو أذربيجان(٤)، وفي هجومه على بلنجر شدد عليها الحصار، ويبدو أنه لم يفلح في فتحها وقتل في الحصار(٥). وكان يلقب بذي النورين(٦).

أشار الطبري إلى اضطراب حدث بين العرب في أرمينية، مما آلم عبد الرحمن، حيث ذكر أنه أصيب حين تبدل أهل الكوفة في إمارة عثمان لاستعماله من كان ارتد استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك وزادهم حرصهم على طلب الدنيا وعضّلوا عثمان(٧). ولم يذكر الطبري أسماء من استعمل من المرتدين ممن حرصوا على طلب الدنيا وعضلوا عثمان، مما حدا بعثمان أن يقول إن الرعية قد أبطروا كثيراً وأفسدتهم البطنة، ولعل هذا أول مظهر للجدل الذي حدث حول قراءات القرآن.

وفي وقعة صفين لم يرد إلاّ اسم مسلم بن سعيد الباهلي في المشاركين مع علي. ولعلّ ذلك راجع إلى موقف باهلة غير المؤيد لعلي، مما حداه إلى إرسالهم إلى الديلم(٨).

ذكر من الباهليين في الكوفة في زمن الأمويين مسلم بن عمرو، الذي أرسله يزيد إلى عبيد الله بن زياد بعهده على البصرة(٩)، ثم قدم مع عبيد الله إلى

(١) الطبري ١/ ٢٢٢٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٣.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٨
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٨٥٦، ٢٨٩٣.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٨٨٩، ٢٦٦٩.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٨٨٩، ٢٢٢٥، ٢٣٤٤.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٨.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٢٣٩ _ ٢٤٠.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٤١.

الكوفة[١]، ثم انضم إلى مصعب فأرسله لقتال ابن الحر[٢]، ثم حارب مع مصعب في موقعة مسكن وقتل فيها[٣]. وقد أثار تقريب مصعب لمسلم حفيظة ابن الحر فعاتبه بعدة أبيات. ويقول الطبري عن مسلم بن عمرو «وليس بالكوفة شامي أو بصري غيره»[٤]، غير أن هذا لا يقطع بعدم وجود الباهليين في الكوفة.

ثقيف

كانت ثقيف في ديارها الأولى في الحجاز مكوّنة من بني مالك والأحلاف[٥]، إلاّ أنها كانت في الكوفة كتلة واحدة لم يذكر لها فروع. وشاركت في فتوح العراق أول ما ولي عمر الخلافة واهتم بالجبهة العراقية، إذ أرسل قوة على رأسها أبو عبيد الثقفي لقيادة الحركات في منطقة العراق، وكان معه من ثقيف عدد لابد أنه كان كبيراً بدليل أنه أراد حصر القيادة فيهم، فقد قال «إن قتلت فعلى الناس جبر، فإن قتل فعليكم فلان. ثم قال إن قتل أبو القاسم فعليكم المثنى ثم نهد بالناس فعبر». ولما هاجم الفرس المسلمين ومعهم الفيلة تتابع سبعة من ثقيف إلى الجسر كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى الموت[٦]؛ ولما اندحرت العرب بادر رجل من ثقيف إلى الجسر فقطعه[٧]، ويبدو أن أبا محجن الثقفي حضر المعركة. إذ يذكر الطبري أن أبا محجن هرب من الحبس ولم يرجع مع المثنى[٨].

وفي القادسية كان من أشهر الثقفيين الذين حضروها أبو محجن الثقفي، وقد حبس في المعركة وذكر الطبري روايتين عن سبب حبسه، إحداهما تذكر أنه

(١) الطبري ٢/ ٧٧٣.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٦، أنساب الاشراف ٥/ ٣٤١.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٨٧، أنساب الاشراف ٥/ ٢٤٣، ٨٩٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ١٥٤، ١٦٥٥ (وانظر كتاب لامنس عن الطائف).
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢١٧٨، ٢١٧٩.
(٧) المصدر نفسه ١/ ١٢٧٥.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٣.

حدث شغب على سعد، وكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس فهمّ بهم سعد وشتمهم، وقال أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلكم نكالاً لغيركم، فحبسهم وقيدهم في القصر ومنهم أبو محجن الثقفي[1]؛ أما الرواية الأخرى فتذكر أنه حبس أبا محجن لشربه الخمر، ولكنه (أبو محجن) استطاع ان يقنع زوجة سعد فيسرت له الاشتراك في المعركة، ثم أطلق سعد سراحه لبسالته[2].

ومن رجال ثقيف سعد بن مسعود الثقفي، وكان عليٌ قد عينه أولاً على الزوابي[3]. ولما تقدم إلى صفين جعله على قيس وعبد القيس[4]. وكان من شهود وثيقة الموادعة يزيد بن الحر الثقفي[5]. أما في العصر الأموي فقد ذكر منهم عبد الرحمن بن أبي عمير، وكان مع عمرو بن حريث[6]، وقد ضمن المختار[7] وكان من أصحابه[8]. كما ذكر عبد الله بن أبي عصيفير، وكان من مؤيدي المصعب، فولاه المدائن[9]. ثم اختان مالاً فحبسه المصعب، ثم أطلق سراحه استجابة لرجاء الأحنف، ومات الأحنف في داره[10].

ومن رجالهم زائدة بن قدامة الذي قد كفل المختار[11]، كما أرسله ابن مطيع لجلب المختار، ولكنه ألمح للمختار بأن ابن مطيع يريد القبض عليه[12]؛ وأيد المختار فأرسله لمنع والي ابن الزبير من دخول الكوفة[13]، ثم انضم إلى

---

(١) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣١٢، ٢٣٥١، ٢٣٥٤.
(٣) وقعة صفين ١١١.
(٤) المصدر نفسه ١١٧.
(٥) المصدر نفسه ٥٠٧، ٥١١.
(٦) الطبري ٢/ ٥٢١.
(٧) أنساب الاشراف ٥/ ١٩٢.
(٨) الطبري ٢/ ٧٢٤.
(٩) أنساب الاشراف ٥/ ١٩٢.
(١٠) المصدر نفسه ٥/ ٢٨٧.
(١١) المصدر نفسه ٥/ ٢١٥، ٢١٩.
(١٢) الطبري ٢/ ٦٠٤ ـ ٦٠٥.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٨٧، أنساب الاشراف ٥/ ٥٣٤.

عبد الملك وهو الذي جرح المصعب في موقعة مسكن[١]. ثم أرسله الحجاج في ألفين لقتال شبيب[٢]، وهو صاحب بستان زائدة في السبخة[٣]. ومن الثقفيين سويد بن سرحان الذي انضم إلى المطرف ضد الأمويين؛ ومن أصحاب المختار عبد الرحمن بن أبي عميرة[٤].

خطط ثقيف

يذكر الطبري أنه عند تأسيس الكوفة أنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقين[٥]. ويذكر اليعقوبي أن السوق كان يمتد من القصر والمسجد إلى دار الوليد إلى القلائين إلى دور ثقيف وأشجع[٦]. وفي ثقيف كانت دار المغيرة بن شعبة[٧]. ويروى أن الخليفة علي نصح عمرو بن الحمق أن لا ينزل في ثقيف[٨].

ومن أبرز رجال ثقيف المغيرة بن شعبة وزياد بن أبي سفيان، والحجاج. وكان كل منهم من أبرز الولاة في العراق، بما فيها الكوفة، عدة سنوات. ودفنوا في خطط ثقيف، وقد وردت عن موقع دفنهم إشارات تحدد مكان الموقع وخطط ثقيف، فقد ذكر ياقوت أن المغيرة بن شعبة في الكوفة بموضع يقال له الثوية، وهناك دفن ابو موسى الاشعري[٩]، ودفن فيها أيضا زياد بن أبي سفيان[١٠]، والأحنف بن قيس[١١]. ويذكر ابن أبي الحديد «مقابر ثقيف في

(١) أنساب الاشراف ٥/ ٣٤٠.
(٢) الطبري ٢/ ٩٠٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦١٩.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧٧٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٠.
(٦) البلدان ٣١١.
(٧) تاريخ بغداد للخطيب ١/ ١٩٣؛ أنساب الاشراف ١٢١٦، (نسخة استامبول).
(٨) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠٩.
(٩) معجم البلدان ١/ ٩٤٠، مراصد للاطلاع ١/ ٣٠٤، وانظر انساب العرب ٢/ ١٢٨.
(١٠) الطبري ٢/ ١٥٩، معجم البلدان ١/ ٩٤٠، شرح نهج البلاغة ٢/ ٤٥.
(١١) المعارف لابن قتيبة ٢٢٤، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/ ٥٠٤.

الثوية، إلى اليوم معروفة، وقبر المغيرة فيها، إلا أنها لا تعرف، فقد ابتلعها السبخ وزبد الارض وفورانها فطمست، واختلط بعضها ببعض»[1]. وروي أنها كانت سجناً للنعمان بن المنذر يحبس بها من أراد قتله. وفي الثوية دفن كميل بن زيد النخعي[2].

لم تذكر المصادر سبب انتقال ثقيف من أطراف الجامع، ولا اختيارهم الثوية المتطرفة لخططهم الجديدة.

ناجية

أمدت ناجية عكرمة بن أبي جهل عندما تقدم للقضاء على ردة مهرة[3]، ثم انتقلت إلى البصرة فلما انتصر علي في معركة الجمل انضموا إليه، وانتقل ثلاثمائة منهم إلى الكوفة وشهدوا معه صفين، فلما قبل التحكيم انشقوا عليه وانسحبوا منه، فأرسل زياد بن خصفة فاشتبك معهم في معركة عند المذار انكسر فيها، وتابعوا سيرهم إلى الأهواز حيث لحق بهم نحو مائتين من اصحابهم من الكوفة[4]، فأرسل علي قوة أخرى قوامها ألفان من أهل الكوفة بإمرة معقل بن قيس وألفان من أهل البصرة، وانضم إليهم في الاهواز علوج من أهلها كثيرون أرادوا كسر الخراج ولصوص كثيرون وطائفة أخرى من العرب ترى رأيه، ونظّم الخريت قواته فجعل من معه من العرب ميمنة، وجعل العلوج ومن أراد كسر الخراج وأتباعهم الاكراد ميسرة، ونشبت معركة قتل فيها من بني ناجية ومن اتبعهم من العرب سبعون، ومن العلوج والأكراد نحو ثلاثمائة، وانسحب الخريت بعد معركة الأهواز إلى سيف البحر وأثار من بها من ناجية وعبد القيس على علي، وكان معه عدد ممن لهم رأي الخوارج ومن العثمانية، وعدد ممن أسلم حديثاً من النصارى، فعمل على استمالتهم، فقاتلهم معقل

(١) شرح نهج البلاغة ٢/٤٦.
(٢) وقعة صفين ١٤٠.
(٣) الطبري ١/١٩٧٩، ١٩٨١، ١٩٩٥.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٤١٨.

ودحرهم، فتفرق عن الخريت من كان معه من غير قومه ولكنهم عادوا إليه عندما تقدم معقل لقتاله[١].

جديلة

ذكر الطبري جديلة من العشائر التي لها خطة غرب الجامع[٢]، مما يدل على قدم تواجدها في الكوفة. وذكرت كتب الانساب أربع عشائر اسمها جديلة إحداها من طي[٣]، والثانية من أسد بني ربيعة[٤]، والثالثة من الخزرج، والرابعة من جديلة[٥]. ولم يحدد الطبري أيها كانت خططها غرب المسجد.

لم تذكر جديلة في أخبار الحوادث الأولى في الكوفة، كما أن عدد من ذكر من رجالها قليل، منهم عياش بن جعدة الجدلي الذي كان على ربع أهل المدينة في القوات التي خرجت مع عمر بن سعد لقتال الحسين[٦]. ولعله هو الذي كان على ميسرة ابن رواس الذي كان من رجال المختار، الذين أرسلهم لنجدة ابن الزبير[٧]، غير أن عياش قتل في المعركة.

ومن جديلة عبد الله الجدلي الذي كان من مؤيدي المختار واستخلفه على الكوفة[٨]. ومنهم أيضاً قيس الذي ذكر ممن قاتل البهلول الخارجي[٩].

أسلم

ذكر ابن سعد لأسلم خطة فيها دار لكل من عبد الله بن أوفى وأهبان بن الأكوع وهانيء بن أوس. ولكن لم يرد في الأخبار ذكر أسلم أو رجالها، مما يدل على أنهم لم يكن لهم دور ملحوظ في الأحداث.

---

(١) الطبري ١/٣٤٢٨ ـ ٣٤٣٣.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٤٩٧.
(٣) الاشتقاق ٣٨٠، الأنساب لابن حزم ٢٩٩. وانظر الطبري ١/١٨٨٦ ـ ١٨٩٢.
(٤) الاشتقاق ٣٢٠، الأنساب لابن حزم ٢٩٥.
(٥) الانساب لابن حزم ٢٠٦، ٢٤٣، الانساب المتفقة ١٨٣.
(٦) الطبري ٢/٢٠٥.
(٧) المصدر نفسه ٢/٦٨٩.
(٨) المصدر نفسه ٢/١٦٧.
(٩) المصدر نفسه ٢/٢٥٥.

غطفان

ذكر الطبري أن سعد بن أبي وقاص بعد خروجه من المدينة متوجهاً نحو العراق أمده الخليفة عمر بن الخطاب بألفي يماني وألفي نجدي مؤد من غطفان وسائر قيس[١]. . ومع أن النص لم يحدد الغطفانيين إلاّ أنه يشير إلى تواجدهم الذي لم تشر إليه المصادر.

لم تذكر المصادر خططاً لغطفان في الكوفة، ولكنها ذكرتهم في قائمة العشائرالمكونة لأسباع الكوفة في زمن عمر بن الخطاب.

ذُكرت غطفان في أخبار موقعة صفين، فذكر نصر بن مزاحم أن هذه الموقعة كان فيها راية غطفان العراق مع عياش بن شريك بن حارثة بن جندب. .[٢]. وذكر أيضاً أن عبد الله بن المعتم العبسي وحنظلة بن ربيعة التميمي لما أمر علي الناس بالمسير إلى الشام دخلا في رجال كثر من غطفان وتميم على أمير المؤمنين ونصحوه بالتريث[٣].

وفي زمن خلافة معاوية، عندما عزم زياد على إلقاء القبض على حجر بن عدي، قال وهو على المنبر: «ليقم همدان وتميم وهوازن وأبناء أعصر ومذحج وأسد وغطفان، فليأتوا جبانة كندة»، ثم أعاد النظر في قراره واكتفى بأن تمضي مذحج وهمدان إلى جبانة كندة ليقبضوا على حجر[٤]. ولم يرد لغطفان ذكر بعد ذلك في الأخبار، وإنما ذكرت عشائرها.

غطفان[٥] عبد الله ريث

بغيض اشجع مازن أهون

ذبيان عبس أنمار

فزارة مرة

(١) الطبري ١/٢٢٢١.
(٢) وقعة صفين ٢٦.
(٣) المصدر نفسه ٩٥ ـ ٩٦.
(٤) الطبري ٢/٢١ ـ ٢٢.
(٥) جمهرة الانساب لابن حزم ٢٤٤.

ذكر الطبري ما يشير إلى فروع غطفان الثلاثة: فزارة ومرة وأشجع، فقال في كلامه عن غزوة الخندق «وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعود بن رخيلة بن نويرة بن طريف.. فيمن تابعه من قومه من اشجع»[1].

فزارة

ورد في أخبار الكوفة ذكر فزارة وعبس وأشجع، فأما فزارة فإنه لم يرد ذكر خطط لها في الكوفة، وإنما ورد ذكر رجال منها، ذكر الطبري منهم عبد الرحمن بن شبيب الذي أرسله الخليفة علي لبعض المهمات[2]، ثم أرسله لمطاردة القوة التي أرسلها معاوية وتوغلت في العراق[3]، وذُكر أيضاً أن رجلاً من فزارة اختبأ في زمن الحجاج في دار الحارث بن أبي ربيعة في التمارين[4]. وذكر البلاذري منهم أسماء بن خارجة الذي كان من أشراف الكوفة الذين يستشيرهم ابن مطيع في أمر المختار[5]، فلما انتصر المختار هرب أسماء إلى البادية فأحرق المختار له ثلاثة دور[6]، وتزوج بشر بن مروان من ابنته[7]، وذُكر له ولدان هما: مالك وعيينة[8].

ذكر ابن سعد أسماء أحد عشر رجلاً من فزارة من أهل الكوفة، وهم: سمرة بن جندب، أبو أمية، خرشة بن الحر والربيع بن عميلة، لقيط بن قبيصة، ومعين بن عقبة، المسيب بن نجبة، أسماء بنت الحكم، الركين بن الربيع، عبد

(١) الطبري ١/ ١٤٦٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٤١٣.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٤٤٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٠.
(٥) أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٧.
(٦) المصدر نفسه ٥/ ٢٤١، ٢٦٩.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ١٧٣.
(٨) المصدر نفسه ٥/ ١٧٤، ٣٢٣.

الملك بن سليمان العرزمي ومحمد بن عبد الله العرزمي[1]. ان انتساب اثنين من فزارة إلى «عرزم»، وهي الجبانة المعروفة، يدل على أن خطط فزارة قرب جبانة عرزم التي وردت في الأخبار. فذكر البلاذري أن «جبانة عرزم نسبت إلى رجل يقال له عرزم كان يضرب فيها اللبن، ولبنها رديء فيه قصبُ خزف، فربما وقع الحريق بها فاحترقت الحيطان. وقال بعض أهل الكوفة إن عرزماً هذا رجل من بني نهد»[2]، ونقل ياقوت هذا النص وأضاف إليه «وقيل عرزم بطن من فزارة نسبت الجبانة إليه، وقال الكلبي نسبت الجبانة إلى عرزم مولى لبني أسد أو بني عبس»[3]. وذكر ابن سعد «ليث بن أبي سليم مولى عنبسة بن أبي سفيان كان منزله في جبانة عرزم»[4]. وذكر الطبري أنه عندما أخرج حجر بن عدي "سار معهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة، فلما انتهوا إلى جبانة عرزم، نظر ليث بن ضبيعة العبسي إلى داره وهو في جبانة عزرم.. فمضوا حتى انتهوا إلى الغريين»[5].

يتبيَّن من هذا النص أن جبانة عزرم كانت بالقرب من خطط عبس، أي تتصل بها خطط فزارة وعبس، وأنها في الأطراف الشمالية من الكوفة في الطريق إلى الغريين.

ذكر اليعقوبي أن عمر بن الخطاب أقطع بني شمخ بن فزارة مما يلي جهينة[6]. وذكر النجاشي «حماد بن عثمان بن عمر بن خالد الفزاري كان يسكن عرزم فنسب اليها»[7]. ولعل في هذه الخطط كان مسجد دار اللؤلؤ الذي كان إمامه الصباح بن صبر الفزاري[8].

---

(١) طبقات ابن سعد ج٦، مذكورون بالتتابع: (١) ٢٢، (٢) ٣٣، (٣) ١٠١، (٤) ١٢٢، (٥) ١٤٤، (٦) ١٤٤، (٧) ١٥٠، (٨) ١٥٧، (٩) ٢٢٧، (١٠) ٢٤٤، (١١) ٢٨٥.

(٢) فتوح البلدان ٢٨٢.

(٣) معجم البلدان ٣/ ٩٣٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٤٣.

(٥) الطبري ٢/ ١٣٥.

(٦) البلدان ٣١١.

(٧) الرجال للنجاشي ١١٠.

(٨) المصدر نفسه ١٥٠.

عبس

ذكر اليعقوبي أن عمر بن الخطاب «أقطع حذيفة بن اليمان مع جماعة من عبس نصف الآري، وهو فضاء كانت فيه خيل المسلمين»[1]. وذكر أن عبس إلى جانب المسجد، ثم تحول قوم منهم إلى جانب الكوفة[2]. وورد ذكر العبسيين في الكوفة "وأن لهم مسجداً وهم كثيرون[3]، وكان زيد بن علي عندما جاء الكوفة نزل في منزل مولى له يقال حميد بن أحسن، ثم انتقل إلى منزل نصر بن خزيمة العبسي، ثم انتقل إلى بارق[4].

ومن عبس بنو المقاصف بن ذكوان، ولهم مسجد بالكوفة. انقرضوا فلم يبق منهم أحد[5].

كان بنو عبس ممن أثاروا الانتقاد على سعد بن أبي وقاص إبان ولايته الكوفة[6]. ومنهم العباس بن عتك بن حارثة «شهد الجمل وصفين مع علي»[7]؛ وعفاق بن زهير بن بشر بن أسماء «كان على شرطة الخميس مع علي»[8]، وشهد مع علي المشاهد[9]؛ ومنهم خزيمة بن نصر وكان من أصحاب المختار[10].

أشجع

ذكر اليعقوبي أن السوق الذي وضعه سعد بن أبي وقاص كان يمتد من

(١) البلدان ٣١٠
(٢) المصدر نفسه ٣١٠.
(٣) معجم البلدان ٣/٦٠٥، الأنساب للسمعاني، (مادة عبس).
(٤) أنساب الاشراف ٢ ـ ٢/٢٣٧.
(٥) النسب لابن الكلبي ١٥٦، فتوح البلدان ٢٧٨.
(٦) الطبري ١/٢٦٠٦، فتوح البلدان ٢٧٨.
(٧) النسب لابن الكلبي ١٥٣.
(٨) المصدر نفسه ١٤٥.
(٩) المصدر نفسه ١٥٢.
(١٠) المصدر نفسه ١٥٢.

القصر إلى دور ثقيف وأشجع[١]؛ «ينزلون وراء أشجع بالكوفة»[٢]. ويدل قرب خططهم من السوق على قدم وجودهم بأعداد كبيرة في الكوفة منذ تأسيسها.

ذكر ابن سعد في الجزء السادس من كتاب الطبقات أربعة عشر رجلاً من أشجع، وهم: سليط بن شريط وعرفج بن شريح وسلمة بن قيس وطارق بن الاشيم وسلمة بن نعيم وهشيم بن عبيد ومعقل بن سفيان وسحيم بن نوفل وسويد بن جهيل وهلال بن يساف ونعيم بن أبي هند وعبد الله بن عبد الرحمن، كما ذكر أبا الجعد «مولى لهم».

ومن أشهر رجال أشجع في الكوفة فروة بن نوفل «كان سيد أشجع»[٣]، وكان من الخوارج عندما انشقوا على الخليفة علي، ولكنه اعتزلهم قبيل موقعة النهروان وذهب إلى الدسكرة والبندنيجين مع خمسمائة من الخوارج[٤]، فلما صفت الخلافة لمعاوية ظل ثائراً عليه ودحر جيشاً أرسله معاوية لقتاله[٥]. ولا يبعد أن يكون كثير ممن اتبعه من عشيرته، التي لم يذكر لها أو لرجالها دور بارز في الحوادث التي جرت في الكوفة.

ومن رجالهم من الخوارج شبيب بن بحرة، الذي اشترك مع عبد الرحمن بن ملجم في طعن الخليفة علي[٦].

قضاعة

قضاعة مجموعة من القبائل يتردد ذكرها في كتب التاريخ منذ أواخر حياة الرسول (ص)، بما يشير إلى أنها كانت تقيم في شمال الحجاز وفي أطراف بلاد الشام، فقد ذكر الطبري أن الرسول (ص) بعث سرية إلى ذات أطلاح وهي

(١) البلدان ٣١٠.
(٢) الرجال للنجاشي ١٠٣.
(٣) الطبري ٢/ ١٠.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٣١٠، ٣٣٨٠.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٠.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٤٥.

من ناحية الشام، وكان ينزل فيها من قضاعة ورأسهم رجل يقال له سدوس[١]. وذُكر أن من بلادهم ذات السلاسل أرض بلي وعذرة[٢]؛ ولما توفي الرسول (ص) كان له عمال على كلب وبلي وسعد هذيم[٣]، ولما أنفذ أبو بكر أسامة بن زيد قال له «ابدأ ببلاد قضاعة، ثم إئت آبل. وانتهى إلى ما أمره به النبي (ص) من بث الخيول في قبائل قضاعة والغارة على آبل، فسلم وغنم»[٤]، وهربوا حتى ارزوا إلى دومة، واجتمعوا إلى وديعة (الكلبي) ورجعت خيول أسامة إليه، فمضى فيها حتى أغار على الحمقتين فأصاب في بني الضبيب من جذام وفي بني خليل من لخم ولفها من القبيلتين، وحازهم من آبل، وانكفأ سالماً وغانماً[٥].

ويذكر الطبري أن أبا بكر عقد ألوية، منها لواء لعمرو بن العاص إلى جماع قضاعة[٦]. وكان عمرو بن العاص «يغاور سعداً وبلياً»[٧]، ثم أمره أبو بكر بالمسير إلى الشام ففعل[٨].

ذكرت المصادر قضاعة في العراق، فذكر الطبري أن المثنى بن حارثة الشيباني أغار على سوق لقضاعة[٩]، وبها خيلان من ربيعة وقضاعة، وعلى قضاعة رومانس بن وبرة، وعلى ربيعة السليل بن قيس، وهم الخضراء، وأنه نهب السوق وما فيها، وسلب الخضراء، ثم رجع عوده على بدئه[١٠]؛ وأن الوليد بن عقبة كان على النصف من صدقات قضاعة[١١]. وعندما تقدم سعد بن

(١) الطبري ١/ ١٦٠١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٦٠٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١٨٧٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٨٥١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ١٨٧٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ١٨٨٠.
(٧) المصدر نفسه ١/ ١٩٦٣.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢١١١.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧٧.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٣.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٠٨٣.

أبي وقاص من الحجاز انضمت إليه بعض القبائل، منهم "ألفان من قضاعة وطي ممن انتخبوا، وعلى بجيلة جرير بن عبد الله"[1]؛ غير أنه لم يرد ذكر لعشائر قضاعة المنضمة، ولم يشر إلى مناطق سكناها، كما أنه لم يحدد عدد من انضم من القضاعيين إلى سعد.

لم يرد ذكر خطط لقضاعة في الكوفة، ولكنها ذكرت كوحدة قائمة بذاتها في عشائر الأسباع في زمن عمر بن الخطاب، وذكرت أيضاً في زمن ولاية زياد، حيث «قال زياد وهو على المنبر ليقم همدان وتميم وهوازن وأبناء أعصر ومذحج وأسد وغطفان.. فخرجت الأزد وبجلة وخشعم والأنصار وقضاعة، ونزلوا جبانة الصائديين»[2].. ذكرت كتب الأنساب عشائر قضاعة وبطونها، وهي متعددة، كما أن كتب التاريخ تظهر انتشارهم وتوزيعهم في أقاليم كثيرة، ومتباعدة بما فيها بلاد الشام، ومصر وشمال افريقية والاندلس.

أما عشائر قضاعة التي تردد ذكر رجالها في الكوفة، فهي أسلم بما فيها، وليث ونهد وجهينة.

جهينة

لم يرد ذكر لجهينة أو رجالها في أخبار الأيام الأولى، أو في معركة القادسية، ولم تذكر في قوائم الاسباع. غير أن خططها ذكرت في أخبار عدد من الحوادث التي وقعت في الكوفة[3]. فعندما اختطت الكوفة، أنزل في غرب الصحن بجالة على طريق، وجديلة وأخلاط على طريق، ولم تذكر عشائر أو بطون الاخلاط الذين نزلوا على الطريق الذي فيه خطط جهينة أو جديلة. غير أن اليعقوبي يذكر أن عمر بن الخطاب «أقطع الأشعث بن قيس الكندي كندة من ناحية جهينة إلى بني أود»[4].

(١) الطبري ١/ ٢٢٢١.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٢٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٠.
(٤) البلدان ٣١١.

ذكر ابن سعد مسجد جهينة في الكوفة[١]، وذكر الطبري مسجد جهينة في موضوعين، فروى عن عبيدة بن عمرو البدي أنه مضى مع المختار إلى بني هند ثم على منزل اسماعيل بن كثير حتى مر بمسجد جهينة الباطنة، ثم مضى إلى باب الفيل فأناخ راحلته ثم دخل المسجد[٢]. ويقول أيضاً إنه عندما ضيق مصعب بن الزبير الحصار على المختار الذي تحصن في القصر «أمر أصحابه فاقتربوا من القصر، فجاء عباد بن الحصين الحبطي حتى نزل عند مسجد جهينة، وكان تقدم حتى ينتهي إلى مسجد بني مخزوم وحتى يرمي أصحابه من شارف عليهم من أصحاب المختار من القصر»[٣]. ويقول أيضاً إنه لما تقدم زيد بن علي إلى مسجد الكوفة لقي عمرو بن عبد الرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيله من جهينة، عند دار الزبير بن أبي حكمة في الطريق الذي يخرج إلى بني عدي، وأقبل زيد بن علي من جبانة سالم حتى إلى جبانة الصائديين[٤]. يتبين من النص الأول أن جهينة الباطنة كان فيها مسجد، وقد يوحي هذا النص أنه كانت لجهينة خطتان، إحداهما في الباطنة، والأخرى في مكان آخر لم تشر إليه المصادر.

كان مسجد جهينة الباطنة بين بني هند، وفيهم دار اسماعيل بن كثير، وبين باب الفيل، أي أنهم في الأطراف الشرقية من المسجد، وأن قربهم من بني هند، وهم من كندة، يؤيد قول اليعقوبي إن كندة نزلت قرب جهينة.

ويتبيَّن من النص الثاني أن مسجد جهينة كان بينه وبين القصر مسجد بني مخزوم، الذي هو على مرمى السهام من القصر. ويظهر النص الثالث أن جهينة كان فيها دار الزبير بن أبي حكمة، ويخرج منه طريق إلى بني عدي.

ذكر ابن سعد أن في جهينة دار أبي ليلى[٥]. وذكر الطبري أن بني دهمان

---

(١) ابن سعد ٦/ ١٧١.
(٢) الطبري ٢/ ٥٣٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٣٤: وذكر ابن سعد مسجد جهينة ٦/ ١٧١.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٣، مقاتل الطالبيين ١/ ١٣.
(٥) ابن سعد ٦/ ٣٥.

وهم من جهينة كانت لهم خطة ومسجد[١]، فالراجح أن خطتهم كانت في جهينة أيضاً.

ورد ذكر عدد من الجهينيين في أخبار معركة صفين، فقد قتل على راية بني نهد عدة رجال حتى أخذها أبو مسبح بن عمرو الجهني الذي قتل أيضا[٢]. واستعمل الخليفة علي «على اللفيف من القواصي القاسم بن حنظلة الجهني»[٣] وكان من شهود وثيقة التحكيم عقبة بن عامر الجهني[٤]. غير ان عدداً من الجهنيين كان في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين في كربلاء، ومن هؤلاء عثمان بن نهيك الذي اشترك مع بسر بن شوط القابضي في قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب[٥]، ولقيط بن ياسر الذي قتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل[٦]. وممن كان في ذلك الجيش أيضاً عبد الله بن أسيد بن النزال[٧].

ذكر ابن حزم بني جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة[٨]؛ وذكر عشائر جهينة وغطفان، والحرقات وأخوتهم نهد وسعد هذيم وعذرة[٩]، وهم عشائر تقطن في شمال الحجاز، وكان لها دور في الإسلام في زمن الرسول.

ذكر من حرقة جهينة في الكوفة عبد الله بن أسيد بن النزال[١٠]، وموسى بن عامر العدوي الحرقي.

---

(١) الطبري ٢/ ٦٧٠.
(٢) وقعة صفين ٢٢٥.
(٣) المصدر نفسه ٦/ ٥٨١.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الطبري ٢/ ٣٨٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٨.
(٧) أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٩، ٢٨٦.
(٨) جمهرة النسب لابن حزم ٢٨٦.
(٩) الطبري ٢/ ٦٦٨.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٠، أنساب الاشراف ٥/ ٢٤٠، ٢٦٩.

ومن عشائر جهينة بنو دهمان، ومنهم عثمان بن خالد بن أسير، وكان لهم مسجد في الكوفة[١].

راسب وجرم

ذكر ابن دريد من بطون جرم «بني راسب بطن بالبصرة، وفي الأزد راسب بن الحارث»[٢].

وذكر الطبري «راسب الأزد»[٣] وذكر أيضاً "النعمان بن صهبان الجرمي ثم الراسبي»[٤]. غير أنه ذكر في مكان آخر النعمان بن صهيب الراسبي[٥]، وذكر أيضا أشخاصاً منسوبين إلى جرم ومنهم عاصم بن كليب[٦] وبيهس بن صهيب[٧]. وذكر ابن سعد في الجزء السادس من الطبقات عدداً من الكوفيين، ينتسب ثلاثة منهم إلى جرم، وهم الفلتان بن عاصم وعمارة بن ربيعة وعاصم بن كليب بن شهاب، غير أنه ذكر اثنين نص على أنهما من جرم من قضاعة، وهما كليب بن شهاب وأبو القعقاع، والراجح أن الثلاثة الأولين هم من جرم قضاعة.

غير أنه لم يذكر من أهل الكوفة من انتمى إلى راسب[٨] التي تردد ذكرها، وكان منهم أول من رفض قرار علي في صفين بقبول التحكيم، فيذكر نصر بن مزاحم أن الاشعث، مر على رايات بني راسب فقرأها عليهم، فقالوا لاحكم إلا لله، لا نرضى ولا نحكّم في دين الله[٩]. وذكر الطبري أن هؤلاء الخوارج كانوا في أول الأربعة آلاف، ثم اعتزل منهم مع فروة بن نوفل خمسمائة، وعاد

---

(١) الطبري ٢/٦٦٨، أنساب الاشراف ٥/٢٣٩، ٢٦٩.
(٢) الاشتقاق ٥٤٥.
(٣) الطبري ٢/ ٣٤.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٧٤٣٧، ٢/ ٦٥.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٤٤٤، ٤٤٦ وانظر انساب الاشراف ٥/ ٢٣٣، ٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣١٥٩.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٥٤.
(٨) مذكورون في الجزء السادس من الطبقات بالتتابع: ٤٠، ١٥٨، ٢٣٨، ٨٤، ١٢٥، ٥/ ٢٣٣، ٢٧٢.
(٩) وقعة صفين ٥١٢.

بعضهم إلى حظيرة علي، "فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم الفان وثمانمئة"[1]، وقد بايع الخوارج عبد الله بن وهب بالرئاسة، وهو أنه "من راسب الأزد"[2]. وكان الخوارج عادوا بعد صفين إلى الكوفة، يجتمعون في منزله[3]. ولما توجه أبو موسى إلى أذرح للتحكيم بايع الخوارج عبد الله بن وهب[4] ونرجح أن عبد الله ينتسب إلى بني راسب الجرميين الذين خرجوا على التحكيم في صفين، ولا بد أن كثيراً منهم انضم إليه عندما خرج إلى النهروان، وأن عدداً غير قليل منهم قتل في النهروان. وكان على إحدى المجنبتين في المعركة[5].

ومن رجال راسب البارزين النعمان بن صهبان الراسبي، وكان من أهل البصرة، فشارك في قتال الخريت[6]، وكان ممن اختاره أهل البصرة ليختاروا من يتولى عليهم بعد خروج عبيد الله بن زياد[7]، وقدم الكوفة عندما سيطر عليها المختار، ولكنه لم يؤيد تطور أحوال المختار فخرج عليه مع جماعة، ثم قتل[8]. لم تذكر راسب في الأخبار؛ ولكن ذُكِر عددٌ من رجالها، ومنهم عبد الله بن وهب الذي كان على مجنبة القوة التي ارسلت بقيادة ضرار بن الخطاب لقتال ابن الهرمزان في ماسبذان بعد معركة جلولاء[9]، ثم تنقطع أخباره إلى زمن معركة صفين، حيث أصبح أبرز قواد الخوارج بعد قبول علي التحكم، فكانوا يجتمعون في منزله[10]، ثم صار رئيسهم وثبت معه النهروان الفان وثمانماءة[11]، فقاتلوا علياً واندحروا وقتل عبد الله بن وهب[12].

(1) الطبري ١/٣٣٨١.
(2) المصدر نفسه ٢/٣٤.
(3) أنساب الاشراف ٢ ـ ١/٣٥.
(4) المصدر نفسه ٢ ـ ١/٣٦١.
(5) الطبري ١/٢٤٧٨.
(6) المصدر نفسه ١/٣١٣٧، ٣٢٣٧، ٢/٦٥٩.
(7) المصدر نفسه ٢/٤٤٤، ٤٤٦.
(8) المصدر نفسه ٢/٢٣٥، ٢٧٢.
(9) المصدر نفسه ١/٢٤٧٨.
(10) المصدر نفسه ١/٥٣٣٦٣ وانظر ٣٤٤٣.
(11) المصدر نفسه ١/٣٣٨١.
(12) المصدر نفسه ١/٣١٨٢.

وفي حرب الجمل كان على قضاعة والتوابع الرعبي الجرمي[١]، وفي صفين قتل جهم الراسبي[٢]، وليس من الواضح أنه من راسب البصرة أم الكوفة، فقد كان النعمان بن صهبان الراسبي من أهل البصرة، وكان شيعياً[٣]، جاء الكوفة ليقاتل مع المختار ثم أنكر آراءه فقاتله وقتل[٤].

نهد

أول ذكر لنهد جاء في أخبار القادسية، إذ يذكر الطبري أنه عند الاستعداد للقتال في تلك المعركة «قام أحد رجال نهد قيس بن حذيم بن جرثومة، فقال «يا بني نهد انهدوا إنما سميتم نهداً لتفعلوا، فبعث إليه خالد بن عرفطة والله لتكفّن أو لأولّين عملك غيرك، فكف»[٥].. ويظهر من هذا النص أن عدد المشاركين من نهد في القادسية كان كبيراً، وأن سعداً عيّن على رجالهم رجلاً، ولعله كانت لهم خيالة أيضاً، وكانوا في تلك الحركات تابعين لخالد بن عرفطة[٦]، الذي كان خليفة سعد في إدارة المعركة[٧]، ويدل هذا على كثرة عددهم وبسالتهم في معركة القادسية. وكان بنو نهد في الكوفة جيران بجيلة[٨].

لم تذكر الاخبار نهد في الحوادث التالية حتى زمن خلافة عثمان بن عفان، إذ ذكر الطبري نهدياً «في جيش سعيد بن العاص في فتح طبرستان»[٩].

ومن بني نهد ابن ذي الحبكة، وكان من القراء والوجوه المجالسين لسعيد بن العاص، ولكنه أظهر استياءه من سعيد عندما قال «السواد بستان قريش»[١٠]،

(١) الطبري ١/ ٣١٨٠
(٢) وقعة صفين ٦٤٣.
(٣) الطبري ٢/ ٤٤٤.
(٤) أنساب الاشراف ٥/ ٢٧٢، ٢٣٣٢٣٧.
(٥) الطبري ١/ ٢٢٩٧.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٢٩٧.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٨٨٠.
(٨) الاغاني ٢٠/ ٦٢.
(٩) الطبري ١/ ٢٩٠٨.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٩٠٨، أنساب الاشراف ٥/ ٤٠.

فأبعد مع مالك بن عبد الله إلى نهاوند «لأنها بلاد سحرة»، ثم أعاده من الإبعاد[١]. ولابد أن إبعاده تم لأمور أخرى وليس لمجرد هذه الجملة المعارضة.

شاركت نهد في صفين، وكانت رايتها بيد مسروق بن الهيثم بن سليمة، وجاءت أكثر أخبارها في الكوفة من زمن ثورة المختار، فقد ناصره عدد كبير، منهم قيس بن طخفة الذي جاء من نهد لإسناد المختار في مقاتلة شبث بن ربعي[٢]، وكان على ربع أهل المدينة في الجيش الذي أرسله المختار مع ابن الاشعث لمقاتلة عبيد الله بن زياد[٣]، وكان قيس متزوجاً ابنة الاشعث[٤]. وأرسلة المختار إلى القادسية مع مائة فارس لتتبع قتلة الحسين، ولكنه لم يخف تعاطفه مع العرب «فكان لا يخلو بعربي إلاَّ خلا سبيله»[٥]، وكان ممن اتصل بهم عبد الملك بن مروان طالباً التأييد[٦].

ومن رجالهم البارزين المنضمين إلى المختار مالك بن عمرو النهدي، وهو من رؤساء أصحاب المختار[٧]، ومن أشد الناس بأساً[٨]. أرسله المختار لإسناد أحمر بن شميط في جبانة السبيع[٩]. وكان على الرجالة في الجيش الذي أرسله المختار لمقاتلة المصعب عندما تقدم إلى الكوفة، فلما هزم جيش المختار عاد إلى الكوفة وشارك في الدفاع عن المختار إلى أن قتل[١٠]. وقد هجا ابن همام مؤيدي المختار وأشار إلى قيس ونهد وهوازن[١١].

---

(١) الطبري ١/ ٢٣٣١.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦١٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٠١، أنساب الاشراف ٥/ ٢٤٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٧.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٨١١.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٦٨.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٧.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٩.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٥، ٧٢٧، ٧٢٧؛ أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٩.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٨؛ أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٩

وكانت نهد في الكوفة من قضاعة، وعددها غير كبير وقد ساندها عبد الملك بن مروان عندما قدم الكوفة بعد مقتل المصعب[١]. وجعل الحجاج خليفته بشير بن حسان النهدي على الكوفة سنة ٩٧[٢]، عندما أرسل قوة لمطاردة شبيب الخارجي بقيادة زحر، كان على ميمنتها عبد الله بن كنانة النهدي[٣]، ثم أرسل مع مائتين لاسناد المطرف بن المغيرة في مقاتلة شبيب[٤].

وكانت نهد من العشائر التي نزل فيها زيد بن علي عندما قدم الكوفة متخفياً قبل إعلان ثورته[٥].

بنو أسد

بنو أسد من القبائل العربية الكبيرة التي كانت ديارها عند ظهور الإسلام في الاطراف الشمالية الشرقية من الحجاز، وتمتد ديارها إلى أطراف جبليْ طي شرقاً وإلى وادي الرمة جنوباً: وفي أواخر حياة الرسول (ص) كان رئيسها البارز طلحة بن خويلد الذي قاد ردتها على أثر وفاة الرسول، وكانت تهدد المدينة لكثرة رجالها وقربها من المدينة، وبعد أن انتصر عليهم خالد بن الوليد في معركة بزاخة انضموا إلى دولة الإسلام، ولم يستعن بهم أبو بكر في الأعمال العسكرية التي تمت إبان خلافته القصيرة الأمد[٦]. ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة وسمح لمن كان قد ارتد بالمشاركة في الفتوح انضمّ بنو أسد إلى الجيوش التي وجهت إلى العراق، ولم تذكر المصادر ترددها في الانضمام للقتال في جبهة العراق كالذي أبدته بعض القبائل اليمانية التي كانت تقاتل في جبهة بلاد الشام.

---

(١) الطبري ٢/ ٨١٤؛ أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٥.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣١٤.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٢١.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٨١.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٧٠٣، أنساب الاشراف ٢ ـ ٢/ ٢٥.
(٦) انظر كتابنا «الدولة في عهد الرسول (ص)» ٢/ ٥٠٠ ـ ٥١٢.

ويذكر الطبري أنه بعد أن تحرك سعد من المدينةوصل زرود في الشتاء فنزلها واتخذها مقراً لتجمع القوات الإسلامية واخذ ينتخب من القبائل، فانتخب من بني أسد ثلاثة آلاف وأمرهم أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة، فاقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة(١)، أي أن بني أسد كانوا طليعة الجيش الذي تقدم إلى العراق، ويلاحظ عددهم الكبير الذي بلغ قرابة ربع جيش سعد.

كان لبني أسد دور متميز في معركة القادسية، وأبدى بعض فرسانهم بسالة، فيذكر الطبري أنه لما هاجم الفرس بجيلة أرسل سعد إلى بني أسد ليذبوا عن بجيلة ومن لافها من الناس، فخرج طليحة بن خويلد وحمال بن مالك وغالب بن عبد الله والربيل بن عمرو في كتائبهم فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها وإن على كل فيل عشرين رجلاً(٢)، وقد تحمل بنو أسد عبء القتال في اليوم الأول(٣)، ووقع منهم خمسمائة قتيل وكانوا ردئاً للناس(٤). وتابعت بنو أسد هجومها في اليوم الثاني الذي يسمى (ليلة الهرير)(٥). ويظهر من هذا أن بني أسد كانوا في الخط الأول من القتال، ولعلهم كانوا في القلب منه.

أشار الطبري إلى البسالة التي أبداها عدد من رجال بني أسد، ومنهم حمال بن مالك والربيل بن عمرو الوالبيين، وطلحة بن خالد الفقعسي(٦). وممن ذكر اشتراكه في المعركة شقيق الأسدي(٧).

يروى سماك بن حرب (أدركت ألفين من بني أسد قد شهد القادسية، وكانت راياتهم في يد سماك صاحب المسجد)(٨).

(١) الطبري ١/ ٢٢٢١ ـ ٢٢٢٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٩٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠٠.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠١، ٢٣٠٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٣٣٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٩٨٠، ٢٣٠٨.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٢٧٩، ٢٣٣٩، ٢٣٤٤
(٨) المصنف لابن أبي شيبة ١٢/ ٢٠٤.

وشارك بنو أسد في فتح المدائن[١]، وفي معركة نهاوند[٢]، في فتح أصبهان[٣]؛ وكان من قوادهم البارزين سماك بن مخرمة الذي ولي مسالح دستبي[٤]، وورد على عمر بأخماس نهاوند[٥]. وكان على مقدمة نعيم بن المقرن في فتح قومس[٦] وصلح طبرستان[٧]، وفي فتح أصبهان التي سكنها عدد غير قليل منهم[٨].

أثار بنو أسد شغباً على سعد بن أبي وقاص[٩]، وكان من أبرز من حرض عليه الجراح بن سنان[١٠].

وكان أبو مورع الأسدي ممن حرك على الوليد بن عقبة لشربه الخمر[١١]، وشهد عليه بالشرب[١٢]. وأسهم في إثارة الشغب على عثمان[١٣]. وعاهد حمزة بن سنان الأسدي الأشتر ألاّ يسمح لسعيد بن العاص بالعودة إلى الكوفة، وأرسله الاشتر مع خمسمائة ليكون مسلحة بينه وبين الشام[١٤].

قاتل بنو أسد في صفين، وكان كعب بن حدير الأسدي فيها فارس أهل الكوفة[١٥]؛ وممن ناصر علياً إبان تلك الأحداث قبيصة بن جابر الأسدي الذي جاء إلى عليّ «في وجوه بني أسد»[١٦]. وكان أبو سماك في صفين يسقي

(١) الطبري ١/ ١٤٥٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥١
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣٠
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٥.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥١.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٦
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٠.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣٠.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٦٠٧.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٦٠٦
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٨٤٣، أنساب الاشراف ٥/ ٣٣.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٢٨٤٦.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٣٠٣٤.
(١٤) أنساب الاشراف ٥/ ٤٥.
(١٥) وقعة صفين ٥٢.
(١٦) المصدر نفسه ٣٤٩.

الجرحى المحبين لعلي ويقتل الكارهين له[١]؛ وكان لمسعود بن مالك دور ملحوظ فيها[٢]. وكان بنو أسد في صفين في الكوفة بعد همدان[٣]. وانضم إلى الخوارج منهم حمزة بن سنان الذي عرضت عليه قيادتهم قبل أن ينتخب لها عبد الله بن وهب[٤].

وظل فريق منهم مؤيداً لعلي ولخلافة الحسن، الذي عندما أراد التنازل لمعاوية عارضه الجراح الأسدي بساباط[٥].

لم يكن لأسد موقف موحد في أحداث الكوفة من الحسين، فقد كان مسلم بن عوسجة الاسدي من مؤيدي الحسين وكان يأخذ البيعة له[٦]، وقاتل معه[٧]، ثم قتل في موقعة كربلاء[٨]، وقاتل المرقع بن ثمامة مع الحسين أيضاً[٩]. وكانت موقعة كربلاء قرب الغاضرية وهي قرية لبني أسد قام أهلها بدفن الحسين[١٠].

غير أن عدداً منهم قاتل الحسين، فكان حرملة الاسدي من قتلة الحسين[١١]، وقتل بعضهم ولداً للحسين[١٢]، «وجاءت بنو أسد بستة رؤوس من أصحاب الحسين»[١٣]، وقتل المختار رجلاً من أسد من قتلة الحسين[١٤].

(١) وقعة صفين ٢٨٥.
(٢) المصدر نفسه ٦٤٣.
(٣) المصدر نفسه ٣٥١.
(٤) الطبري ١/ ٣٣٦٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٦٠٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٢٤٧ ـ ٩، ٣٢٢، ٣٢٨.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٢، ٣٢٨.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٤٣، ٣٢٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٨.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٨.
(١١) أنساب الأشراف ٥/ ٢٤١.
(١٢) الطبري ٢/ ٣٦٠.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٦.
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٨.

أيد زيد بن أنس الأسدي المختار في حركته[١]، ودعا الأشتر لتأييد الحركة، وكان من قواد الاشتر[٢] الذي أرسله مع ثلاثة آلاف لقتال عبيد الله بن زياد[٣]، وكان مع يزيد ورقاء الأسدي على الخيل وهو على ربع مذحج وأسد[٤]. ولما قتل يزيد تولى ورقاء قيادة الجيش[٥]، فقاتل عبيد الله بن زياد[٦]. وقتل شرحبيل بن ذي الكلاع[٧]. ثم عاد إلى صفوف المتعاونين مع الأمويين، وكان على ميسرة جيش المطرف الذي قاتل الخوارج[٨].

وممن قاتل الخوارج بشر بن غالب الأسدي، وكان في ميسرة قوات المطرف، ثم قتل في المعركة[٩].

ولي عدد من بني أسد ولايات في الكوفة وما يتبعها، فكان سماك بن مخرمة أحد من ولي مسالح دستبي وقاتل مع عبس الديلم[١٠].

وولي عبد الرحمن بن خنيس شرطة سعيد بن العاص[١١]. كما ولي بشر بن غالب شرطة الكوفة للمصعب[١٢]. وولي سعد بن حرملة أعمال الخراج في بعض المناطق، وأشار إليه ابن الصعق في القصيدة التي خاطب بها مصعب بن الزبير، وذكر فيها سوء استغلال بعض العمال الخراج، ومما جاء فيها:

ومنقذ بن طريف بن بني أسد   أنبثت عالمهم قد راح ذا ثقل

والوالي الذي مهران أمّره   فزال مهران مذموماً لم يزل[١٣].

---

(١) الطبري ٢/٦٠١، أنساب الاشراف ٥/٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه ٢/٦٢٢، ٦٢٤.
(٣) المصدر نفسه ٢/٦٤٣.
(٤) المصدر نفسه ٢/٦٤٤.
(٥) المصدر نفسه ٢/٦٤٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/٧١٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/٧١٥.
(٨) المصدر نفسه ٢/٩٩٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/٩١٩، ٩٢٣، ٩٣٢.
(١٠) المصدر نفسه ١/١٦٥٠ ـ ١٦٥٢.
(١١) أنساب الاشراف ٥/٤٠.
(١٢) المصدر نفسه ٥/٢٧٩.
(١٣) المصدر نفسه ٥/١٩٣.

شارك عدد كبير من رجال بني أسد في الحركة الفكرية، وخاصة في دراسة الحديث، وعدّد كل من ابن سعد والبخاري والنجاشي أسماء كثيرين منهم، وهذا يشير إلى تنوع توجهاتهم العقائدية.

خطط بني أسد

لما تأسست الكوفة كان أبو الهياج الأسدي يقوم بالتخطيط وتوزيع القطائع[١]، كما كان أبو سمال ينزل عليه من ليس له خطة قبل أن ينشئ عثمان دارالضيفان[٢].

وضعت خطط بني أسد في قبلة المسجد، أي غربيه، ومعهم في ذلك النخع وكندة والأزد، يفصل بين كل عشيرة وأخرى طريق، وسكن بعضهم في شرق الصحن مع عامر وتميم ومحارب ومزينة والانصار، واحتفظ بنو أسد في خطتهم، ووضع بني أسد في طريقين يدل على كثرة عددهم، ومن المحتمل أن الطريقين كانا متقاربين. وكان فيها دار مالك بن أسماء، وعند فم سكة بني جذيمة، كان يقع زقاق البصريين[٣]. أما مقبرتهم فكانت في الظهر[٤].

وكان بنو أسد من سبع الكوفةو الذي يضم أيضاً غطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب[٥]، وفي أول خلافة علي كانت أسد سبعاً مع قريش وكنانة وتميم ومزينة[٦]. ولما أعيد تقسيم الكوفة إلى أرباع صارت أسد ومذحج ربعاً[٧].

روى ابن قتيبة أن مالك بن أسماء بن جارية من بني أسد، كانت داره في بني أسد مبنية بالجص والآجر[٨].

---

(١) الطبري ١/ ٢٨٤٢، ٢٤٩٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٨٩٢، وانظر: دار «الضيفان» لعبد الملك بن عمر: فتوح البلدان ١٥٧.
(٣) الاغاني ١٦/ ٤٢.
(٤) المصدر نفسه ١٥/ ١٢٤.
(٥) الطبري ١/ ٢٤٩٥.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣١٧٤، وقعة صفين ١٢٣؛ ولم تكن لأسد خطة في البصرة: الاشتقاق ٥٠١.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٣٣١.
(٨) الأغاني ١٦/ ٤٢.

كانت لبني أسد مقبرة خاصة في الكوفة سماها الاصفهاني (مكران) إذ ذكر أن الكميت الشاعر قال عند موته (يابنيّ إنه بلغني في الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق يخرج منه الموتى من قبورهم وينبشون منها فيحولون إلى غير قبورهم، فلا تدفني في الظهر، ولكن إذا مت فامض بي إلى موضع يقال له مكران فأدفني فيه، فدفن في ذلك الموضع، فكان أول من دفن فيه، وهي مقبرة بني أسد إلى الساعة. ولم أجد فيما اطلعت عليه من المصادر غير هذا النص يذكر مكران الكوفة، ولم تذكر هذه المقبرة في جبانات وصحارى الكوفة التي ذكر أكثرها في المصادر.

ذكر البلاذري أن صحراء أثير نسبت إلى رجل من بني أسد، يقال له أثير[1]. غير أن ياقوت يذكر أن جبانة أثير نسبت إلى أثير بن عمرو السكوني، وهو الذي طبب الخليفة علي عندما جرح[2]. ويبدو أن صحراء أثير كانت معروفة منذ زمن الخليفة علي، إذ إن ياقوت يذكر «وفي صحراء أثير حرق علي الطائفة الغلاة فيه»[3]. ومن حيث العموم امتدت خطط بني أسد إلى الأطراف، إذ يذكر اليعقوبي «وجاءت بكر وتميم وأسد فنزلوا الاطراف»[4].

عشائر أسد ورجالهم

تضم قبيلة أسد عدة عشائر ذكرت بعض كتب النسب عدداً منها وعلاقاتها النسبية، وأجمل ذلك ابن حزم حيث ذكر في كتابه «جمهرة النسب» تفرعات عشائر بني أسد في مكانين: أحدهما موسع والثاني مقتضب، وهو يشمل عدداً من رجال كثير من الفروع التي ذكرها، ومنهم كثيرون ممن كان لهم دور قبل الإسلام، أو بعده في الكوفة، وأشار إلى مكانة بعض العشائر: فذكر أن «دودان فيه البيت والعدد»، كما ذكر أن بني غاضرة بطن من بطون أسد[5].

---

(١) معجم البلدان ١/ ١٢٠.

(٢) المصدر نفسه ٣٨١، وقد أشار إليها الطبري ٢/ ٦١٨ وينسب ابن ماكولا هذه المقبرة إلى أثير بن عمرو السكوني، الاكمال ١ ـ ١٢٠.

(٣) معجم البلدان ١/ ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه ١/ ١٢٠.

(٥) الأنساب ١٩٠ ـ ٩٤، ٤٦٥.

نصر بن قعين

ذكر ابن حزم أن قعين فيه العدد وذكر لهم بطوناً كثيرة(١). وذكر ابن دريد من قبائل أسد بني قعين(٢)، غير انه لم تذكر خطة في الكوفة باسم قعين، وإنما ذكرت خطة باسم نصر بن قعين، وقد اشتهرت بأن فيها مسجد سماك المنسوب إلى سماك بن مخرمة(٣). وكان سماك من العثمانية الذين خرجوا من الكوفة لما ولي علي الخلافة، ولجأ إلى الرقة(٤). وذكر الأصفهاني معلومات أوفى عن سماك ومسجده وخطة بني نصر بن قعين، فقال «سماك بن مخرمة الاسدي صاحب مسجد سماك بالكوفة بناه في أيام عمر، وكان عثمانياً، وأهل تلك المحلة إلى اليوم كذلك، ويروي أهل الكوفة أن علي بن ابي طالب لم يصلِّ فيه، وأهل الكوفة إلى اليوم يجتنبونه، وسماك الذي بناه هو سماك بن مخرمة». وذكر أن مسجده الذي بالكوفة وهو أكبر مسجد لبني أسد، هو في خطة بني نصر بن قعين. قال الأقيشر:

غضبت دودان من مسجدنا ... وبه يعرفهم كل أحد

إسمهم فيه وهم جيرانه ... واسمه الدهر لعمران أسد(٥)

وذكرت عدة مصادر نهي الخليفة علي الصلاة في خمسة مساجد، منها مسجد سماك. ويروي الكلبي أربعة مساجد بالكوفة فرحت لقتل الحسين، منها مسجد سماك(٦).

ومن عشائر بني قعين في الكوفة بنو جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين، وكان لهم مسجد فيه حوانيت الصرافين(٧) وعند فم سكتهم يقع زقاق البصريين(٨).

(١) جمهرة النسب ١٩٤.
(٢) الاشتقاق ١٨٠.
(٣) الطبري ١/٢٦٥٣، البلدان ٢٨٤، معجم البلدان ٤/٢٦٥.
(٤) فتوح البلدان ٢٨٤، معجم البلدان ٤م ٢٥٦ تاريخ اليعقوبي ٢/٢١٨.
(٥) الاغاني ١١/٢١٥.
(٦) الأنساب ٣/٤٩٠، بحار الانوار ٤٥/٣٣، ٤٤.
(٧) فتوح البلدان ٢٨٥/ معجم البلدان ٢/٤٤.
(٨) الطبري ٢/٧٣٥.

غاضرة

ومن عشائر بني أسد بنو غاضرة: وكانت لهم في الكوفة خطة ومسجد صلى فيه يزيد بن عمر بن هبيرة[1]. ولما وقع الطاعون بالكوفة أفنى بني غاضرة، ومات فيه بنو زر بن حبيش الغاضري[2].

كاهل ووالبة

ذكر ابن سعد والطبري عدداً ممن نسب إلى بني أسد من عشائر، ولكن المصادر لم تذكر خططهم، ومن أبرز هذه العشائر بنو كاهل ومن مواليهم الأعمش. وذكر الطبري عدداً من بني كاهل ممن شاركوا في القادسية. ومنهم ابن الهذيل الكاهلي الذي أبدى بسالة في القادسية[3]، وكان بحيال القائد الفارسي خسروشنوم الهمداني[4]، كما كان في مقدمة الجيش الذي فتح تكريت[5].

ذكر البلاذري سعيد بن حرملة الكاهلي الوالبي، الذي أشار إليه ابن همام في قصيدة ذكر فيها عدداً من العمال الذين أثروا من استغلال عملهم، ومما ذكره:

والوالبي الذي كان أمّره ... مهران فزال مذموماً ولم يزل[6]

وبنو والبة اشتهر منهم عدة رجال، منهم حمال بن مالك والربيل اللذان كان لهما دور بارز في معركة القادسية[7]. وقد أقطع عمر الربيل إقطاعاً[8]. ومن بني

(١) الأغاني ٣/ ٤١١.
(٢) المصدر نفسه ١١/ ٤١١، ٢٠/ ٦٢.
(٣) الطبري ١/ ٢٢٩٣.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٤٧٨.
(٦) أنساب الاشراف ٥/ ١٩٢.
(٧) الطبري ١/ ٢٢٢٥، ١٢٢٨٩، ٣٠٨، ٣٢٤ _ ٣٢٦.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٣٧٦.

والبة بشر بن غالب الأسدي الذي أرسله الحجاج في الفين لقتال شبيب[1]، ثم قتل في المعركة[2].

مالك بن ثعلبة وسعد بن ثعلبة

ومن بني أسد مالك بن ثعلبة، ومن رجالها كرام الذي كان من جلاس سعيد بن العاص[3]، وبنو سعد بن ثعلبة ومنهم مسلم بن عوسجة[4].

---

(١) الطبري ٢/ ٩١٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٢٣، ٩٢٥.
(٣) أنساب الاشراف ٥/ ٤٠.
(٤) الطبري ٢/ ٢٤٧.

الفصل الرابع عشر

عشائر نجد ورجالها

تميم

تميم من أكبر القبائل العربية، امتدت ديار بطونها على هضبة نجد من أطراف اليمامة والبحرين والعراق شرقاً وإلى أطراف جبلي طيْ شمالاً، وإلى أطراف حمى ضرية غرباً. وكان امتداد ديارها من أسباب ظهور تجمعات بارزة فيها، يتبع كل تجمع السياسة الخاصة التي تقتضيها مصلحته، فلم تكن مجموعاتها متماسكة، ولم تكن لها مواقف موحدة في اتباع السياسة الخاصة التي تقتضيها المواقف، وقد انضمت إلى الإسلام بعد فتح مكة وأبقى الرسول (ص) عليها رؤساءها، ولما توفي الرسول (ص) ترددوا في بيعة أبي بكر، ثم امتنعوا عن أداء الطاعة له، فكانوا مرتدة، ولكن ارتدادهم لأسباب سياسية وليست عقائدية، فلما انتصر خالد بن الوليد على مالك بن نويرة عادوا إلى حظيرة الإسلام.

عاون بعض بني تميم الجيوش الإسلامية في قضائها على بعض حركات الردة وفي الفتوح الإسلامية، ففي زمن خلافة أبي بكر انضم إلى العلاء بن الحضرمي من عشائر عمرو وسعد والرباب عدد بقدر ما كان معه[1]. وانضم عدد منهم إلى عكرمة في هجومه على مهرة[2]، وانضم عدد آخر إلى جيش خالد بن الوليد عند تقدمه إلى

(١) الطبري ١/ ١٩٦٥؛ وانظر تفاصيل أوفى في الجزء الثاني من كتابنا: «الدولة في عهد الرسول (ص)».
(٢) الطبري ١/١٩٠٦، ١٩٦٣.

العراق وكان رئيسهم ابن المثنى[١]، وهو ممن حارب النوشجان[٢]؛ كما أن الزبرقان بن بدر السعدي كان على مقدمة جيش خالد[٣]، وشهد معه كافة المشاهد في العراق[٤]، وكان كل من حسكة الحبطي[٥] وإط بن أبي إط ممن فرقهم خالد على سواد العراق، كما أرسل خالد أعبد بن مذكى إلى الحصيد، وولّى الزبرقان على الأنبار، وجعل القعقاع خليفته على العراق بعد توجهه إلى الشام[٦]. وشاركوا في معركة البويب[٧] وفي صد النوشجان عندما تقدم من جنوب العراق[٨]. ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة وأذن للمرتدين السابقين بالانضمام إلى الجيوش الإسلامية ازداد عدد من انضم إلى الجيوش الإسلامية، فلما تقدم سعد بن ابي وقاص إلى العراق انضم إليه ثلاثة آلاف من تميم[٩]، فجعل عاصم بن عمرو على الساقة وسواد بن مالك على الطلائع[١٠]، وقاموا بالهجوم على الفيلة[١١]، وقاتلوا قتالاً شديداً ليلة الهرير[١٢]، وكانوا ازاء القائد الفارسي ماهود[١٣]، وحمى كثيّر بن شهاب السعدي عبور المسلمين نهر الصراة[١٤].

وعندما اختطت الكوفة وضعت تميم مع محارب في وسط شرق الصحن بين الانصار ومزينة من جهة وأسد وعامر من جهة أخرى[١٥]. وفي الأسباع كانت

(١) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٥٨، ٢٠٦٨.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٩٢١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢٥، ٢٠٧٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٠٦٧.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٥.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٥.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢١.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٢٥٨، ٢٢٦٦.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠٠.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٣٢.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٥.
(١٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢٢.
(١٥) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٠.

تميم والرباب وهوازن سبعاً[1]، ولما أعيد تنظيم الكوفة وجعلت أرباعاً كانت تميم وهمدان ربعاً[2]، وأكثر من ولي هذا الربع رجال من تميم.

احتفظ بنو تميم بسماتهم البدوية فكانوا «أصحاب الابل والخيل»[3]. ووردت إشارة إلى أعاريب بكر وتميم[4]. ولم يذكر لرجالهم دور بارز في الأحداث التي جرت في أواخر خلافة عثمان، مما يدل على ضعف مكانتهم. وذكر الطبري قصيدة لعمرو بن عاصم في مدح عثمان[5]، ولكن كان عمير بن ضابي ممن ثار على سعيد بن العاص وشارك في حصار عثمان[6].

وعندما ولي علي الخلافة وتقدم إلى البصرة لقتال عائشة ترددت تميم في المجيء للقتال معه[7]. وأيدوا أبا موسى في دعوته إلى عدم التدخل في الخلافة بين علي وعائشة[8]. غير أن تميم ساندت علياً وشاركت في وقعة صفين، وكان على تميم الكوفة عمير بن عطارد، وعلى عمرو وحنظلة الكوفة شبث بن ربعي[9]. ولما أعلن علي كتاب الموادعة مع معاوية، ثار عليه فروة بن أدبة، فكانت ثورته بداية حركة الخوارج[10]؛ ويروى أن معن بن زيد السلمي قال لعلي لايثنيك عن رأيك أعاريب بكر وتميم، ودفع علياً إلى مضاء الحكومة[11].

شاركت تميم في مقاتلة الخريت بن راشد[12]، وانضم بعضهم إلى الخوارج

(١) الطبري / ١٢٤٩٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠٠.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٥٠.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٢١٤١.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٠٣٣.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣١٤٨، ٣١٥٨.
(٨) وقعة صفين ٢٣٣.
(٩) الطبري ١/ ٣٣٣٩.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٣٥٣.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٣٥٠
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٥٣.

في زمن الامويين، فقد "خرج مرداس أبو بلال وهو من بني ربيعة بن حنظلة في أربعين رجلاً إلى الأهواز، فبعث إليهم عبيد الله بن زياد جيشاً عليهم ابن حصن التميمي، فقتلوا من أصحابه وهزموه"[١].

وكان مع حجر بن عدي عائذ بن سماك التميمي[٢]، ولكن سويد بن عبد الرحمن ومحمد بن عمير بن عطارد كانا من الشهود على حجر[٣]. واشترك بنو تميم في جيوش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين في كربلاء، وقد ذكرت فيها مشاركة عبد الله بن حوزة التميمي[٤]. وساند بعضهم ابن مطيع[٥]. وكان مع المصعب الأبرد بن قرة التميمي الذي أرسله المصعب لقتال ابن الحر[٦]. وعندما قدم زيد بن علي الكوفة تمهيداً لإعلانه الثورة فيها كان يختلف إلى رجل من بني تميم يقال له طعمة ابن اخت لبارق وهو نازل معهم[٧]. وكثير من المعلومات التي في الكتب عن مضر ومواقفها واتجاهاتها إنما يقصد فيها تميم.

يبدو أن تميم كانت أبرز الميالين إلى العلويين والمؤيدين لهم، وقد نصح ابراهيم الإمام عكرمة، وقال له: «احذر غالباً ورهيطاً قد ظاهروه على رأيه من أهل الكوفة، منهم عياش بن أبي عياش وزياد بن نذير، وهم في نفير من بني تميم، وابو خالد الجواليقي، فإنهم قوم قد سعوا في الفتنة وقد برئنا منهم فابرأوا منهم»؛ وحذر ابراهيم الامام عند قيامه بالحركة من الاعتماد على مضر[٨]، غير أنه كان منهم ثلاثة من النقباء وعشرة من السبعين، وعدد من دعاة الدعاة، الأمر الذي يثير الشكوك في صحة ما نسب إلى ابراهيم الإمام من الدعوة إلى نبذ الاعتماد على مضر.

---

(١) الطبري ٢/ ١٨٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٢٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١٣١.
(٤) المصدر نفسه / ١٣١.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٩.
(٧) أنساب الاشراف ٥/ ٢٩٥.
(٨) أخبار بني العباس ٢٠٤.

عشائر تميم وبطونها في الكوفة

ذكرنا ان ديار تميم عند ظهر الإسلام تشغل مساحة واسعة من أواسط الجزيرة العربية، وأن هذا الاتساع يسر لكتلها الرئيسة شبه استقلال في التصرف، بحيث أصبحت تميم وكأنها مكوّنة من «اتحاد قبائل متعددة. فلما انضمت تميم إلى الإسلام ودولته أبقى الرسول (ص) تجمعاتها، وعين لكل مجموعة رئيساً من أهلها. فكان عماله الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف والابناء، وقيس بن عاصم على مقاعس والبطون، وسبرة بن عمرو على بني عمرو: هذا على بني بهدلة وهذا على خضم، ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة على بني حنظلة؛ هذا على بني مالك وهذا على بني يربوع»[(١)].

ذكر الطبري أن سعد بن زيد مناة كانوا عند الردة فريقين، فأما عوف والابناء فإنهم أطاعوا الزبرقان بن بدر فثبتوا على إسلامهم، وأما المقاعس والبطون فإنهما أصاخا ولم يتابعا[(٢)]. وذكر أيضاً أنه لما خرج النوشجان بن الهربذ من سواد البصرة يريد أهل غضى اعترضه نفر من أفناء تميم وهم بإزائهم: المستورد وهو على الرباب، وعبد الله بن يزيد يسانده الرباب بينهما، وجزء بن معاوية وابن النابغة يسانده سعد بينهما، والحسن بن نيار والأعور بن شامة يسانده عمرو والحصين بن صعب والشبه على حنظلة فقتلوه دونهم[(٣)]. وقدم سعد فانضووا إليه هم وأهل غضى وجميع تلك الفرق.

يتبيَّن من هذه النصوص أن المجموعات التميمية الكبرى، هي:

١ ـ سعد بن زيد مناة تتكون من عوف والأبناء ومقاعس والبطون.

٢ ـ بنو عمرو بن عوف وتتكوَّن من بهدلة وخضم.

٣ ـ بنو حنظلة، وتتكوَّن من بني مالك ويربوع.

---

(١) الطبري ١٠/١٩٠٩.
(٢) المصدر نفسه ١/١٩٦٣.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٢٤٥.

وقد يؤيد هذا ما ذكره الهيثم بن عدي والمدائني أنه «أتى بني تميم محمد بن عمير بن عطارد من حمالة، فقال: يقسم على بني عمرو كذا، وعلى حنظلة كذا وعلى بني سعد كذا..»[1]. وذكر الطبري أن عاصم بن عمرة التميمي ثم العمري كان على الساقة في القادسية[2]. وذكر نصر بن مزاحم أنه كان في صفين «على عمرو وحنظلة الكوفة شبث بن ربعي»[3]، غير أنه لم يذكر لبني عمرو أو رجالها دور ملحوظ في الكوفة، مما قد يدل على قلة من سكنها منهم.

وذكر ابن حزم بطون بني عمرو بن تميم، ولكنه لم يسمهم ولم يذكر بطوناً اسمها خضم، وإنما ذكر أن أبرز بطون عمرو العنبر والهجيم والحبطات، وذكر كثيراً من رجالهم الذين برزوا في البصرة وفي مناطق الهضبة الايرانية[4].

لم يرد ذكر لبني العنبر في الكوفة، أما في خرسان فقد كان «الحسن بن يزيد العنبري رأس من خرج إلى جوسق له ومعه يعقوب الأعسر في خيل بني تميم»[5].

حنظلة

كانت حنظلة من المجموعات الكبرى المكونة لتميم عند ظهور الإسلام، وذكر الطبري إسهامها في الحركات في جبهة العراق، فقال: لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة جاء ربعي في اناس من بني حنظلة، فأمّره (عمر) عليهم وسرحهم، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنى،فرأس بعده ابنه شبث بن ربعي[6]. وذكر أيضاً أن بني حنظلة كان عليها الحصين بن معبد والشبه، صدوا تقدم الانوشجان لمقاتلة المسلمين، ثم انضموا إلى سعد[7].

(١) أنساب الاشراف ٥/ ٢٧٥.
(٢) الطبري ١/ ٢٢٢٥.
(٣) وقعة صفين ٢٠٥.
(٤) جمهرة النسب ٢٠٧.
(٥) أخبار بني العباس ٢٧٦.
(٦) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٥.

بنو مالك ونهشل ودارم

ذكرت كتب النسب أن حنظلة مكونة من فرعين كبيرين، بنو مالك وبنو يربوع[١]. ذكر ابن حزم ان مالك بن حنظلة فيه البيت العدد[٢]، وذكرت كتب النسب أن أهم فروع مالك بنو دارم، وهي تتفرع إلى عدة فروع أبرزها نهشل وعبد الله ومجاشع[٣].

فأما نهشل فيذكر أنه دخل فيهم بنو ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم[٤]. ورزام بن مالك بن حنظلة[٥]. وذكر الطبري عدداً من رجال الكوفة نسبوا إلى نهشل، وذكر نصر بن مزاحم رجلاً من نهشل شارك في وقعة صفين[٦]. وذكر الطبري الحر بن يزيد[٧] الذي لقي الحسين قرب القادسية ونصحه بالعودة إلى الحجاز لنكوص أهل الكوفة عن تأييده[٨]، ثم أرسله عبيد الله بن زياد في خيل لتلقى الحسين[٩]، ثم انضم إلى الحسين وقاتل معه حتى قتل[١٠]. وعندما كان حجر مختبئاً في دار قرب بني دارم نصح أن يخرج إلى بني ذهل[١١].

ذكر الطبري نهشل بن دارم[١٢]، وهم الذين استعدوا زياداً على الفرزدق[١٣]، ومن رجالهم مالك بن جري الذي شارك في وقعة صفين[١٤]، ومنهم رجل أخذ سيف الحسين بعد مقتله في كربلاء[١٥].

---

(١) الطبري ١/ ١٩٠٩.
(٢) جمهرة النسب ٢٢٢.
(٣) الاشتقاق ٢٣٤، جمهرة النسب ٤٦٧.
(٤) جمهرة النسب ٢٢٢.
(٥) المصدر نفسه ٢٢٨.
(٦) وقعة صفين ٢٩٩،٣٣١.
(٧) الطبري ٢/ ٢٨٥، وينسبه في مكان آخر إلى تميم ٢/ ٣٨١.
(٨) الطبري ٢/ ٨٢٨١.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٨٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٢٦.
(١١) المصدر نفسه ٢٨٦، ٢٩٦، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٢٦.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٦، ١٣٨٤.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٦.
(١٤) وقعة صفين ٢٦٤.
(١٥) الطبري ٢/ ٣٦٦.

أما عبد الله بن دارم «كان فيهم البيت»[١]، وقد دخل فيهم ضاعنة في الكوفة[٢]، وكان بنو حنظلة كلهم مع بني عبد الله بن دارم[٣]، وذكر ابن حزم من أولاده زيد وأمية وقنة ووهب وعبد[٤].

ذكر ياقوت «كان دير هند الصغرى بالحيرة يقارب خطة عبد الله بن دارم بالكوفة، مما يلي الخندق في موضع نزه»[٥]، ويدل هذا النص على أن خطة بني عبد الله بن دارم في أقصى الطرف الغربي من الكوفة عند الحيرة. وكان بنو ابان بن دارم «خططهم بالكوفة»، ولم يختط منهم بالبصرة أحد، وكان لهم مسجد بالكوفة.

ومن أبرز رجال بني دارم محمد بن عمير بن عطارد، وكان على أحد أرباع الكوفة، ومن الشهود على حجر بن عدي[٦]، ثم كاتب الحسين للقدوم إلى الكوفة[٧] وانضم إلى المختار فولاه أذربيجان[٨]؛ ثم انضم إلى المصعب وصار من أبرز قواده في مقاتلة المختار[٩]. ثم اتصل به عبد الملك بن مروان ووعده بولاية أصفهان[١٠] فلم يتحمس للقتال مع مصعب[١١].

يربوع ورياح

كانت رياح من أبرز فروع بني يربوع، وقد ذُكر عدد من رجالها في الفتوح

(١) الاشتقاق ١٣٤.
(٢) جمهرة النسب ٢٠٧.
(٣) المصدر نفسه ٢٢٢.
(٤) المصدر نفسه ٢٣١.
(٥) معجم البلدان ٢/٧٠٧.
(٦) الطبري ٢/١٣٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/٢٣٥.
(٨) المصدر نفسه ٢/٦٣٥، ٦٨٥.
(٩) المصدر نفسه ٢/٦٥٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢/٨٠٤.
(١١) المصدر نفسه ٢/٨٠٦.

الأولى، فعندما قدمت حنظلة على عمر بن الخطاب كان عليها ربعي الرياحي[١]. وعندما هاجم القعقاع الفرس في القادسية 'آزره يومئذ نفر من بني يربوع رياحيين.. واليربوعيان نعيم بن عمرو بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن همام، وعمرو بن شبيب بن زنباع بن الحارث بن ربيعة احد بني زيد[٢].

وفي معركة نهاوند كان من المشاركين فيها معقل بن قيس الرياحي[٣]. ولما أذن عمر للمسلمين بالانسياح، أمر سعداً أن يندب الناس للتوجه إلى أصبهان. وكان ممن انتدب له عبد الله بن ورقاء الرياحي[٤]، الذي سار من رستاق الشيخ إلى جي[٥] وفتح أصفهان[٦].

وأبرز شخصية من بني رياح هو شبث بن ربعي[٧] التميمي اليربوعي[٨] الرياحي[٩]، وقد رأس شبث بعد أبيه[١٠] وأيد عائشة في نزاعها مع علي[١١]، ثم انضم إلى علي وقاتل معه في صفين[١٢]، وكان ممن أرسلهم علي إلى معاوية[١٣]، ثم مال إلى الخوارج عندما انشقوا على الخليفة علي وعسكروا بحروراء وأرادوا أن يجعلوه أمير القتال عليهم[١٤]، غير أن الخليفة علي أرسل من يقنعهم بالعودة، فعاد إليه شبث[١٥].

---

(١) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٤٤١.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣٨.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٧١٣.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٣٤٩.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٦.
(٩) المصدر نفسه ١/ ١٩١٩، ٣٣٨٠
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٩.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٣١٤٨.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٣٢٦٥.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧١.
(١٤) المصدر نفسه ١/ ٣٣٤٩
(١٥) المصدر نفسه ١/ ٣٣٨٧.

ولما آلت الخلافة إلى معاوية وقف شبث مباعداً للأمويين، فكان ممن لا يحضرون صلاة الجمعة، ولكن المغيرة بن شعبة والي الكوفة ألزمهم بحضورها[1]، ثم كان ممن شهد على حجر بن عدي[2] وممن كاتب الحسين[3]، غير أنه انضم إلى عبيد الله بن زياد فأرسله عبيد الله لتفريق الناس عن ابن عقيل ثم عقد له لواء لقتال ابن عقيل[4] فقاتله[5]، وكان على الرجالة في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين[6]، وحرض الناس على القتال ولكنه تردد في الهجوم[7].

ومن بني مالك البراجم، وقد دخلوا في بني دارم، وذكرت الكتب من رجالهم ضابئ بن الحارث البرجمي الذي شارك في الثورة على عثمان وقتله[8]، وظل حياً إلى أن قتله الحجاج[9]. وكان ابنه عمير بن ضابئ ممن ثار على سعيد بن العاص[10].

ولما أظهر المختار دعوته عارضه شبث[11]، وقاتله مع ابن مطيع[12]، واجتمع أشراف الكوفة في بيته تمهيداً لتمردهم على المختار، «وقالوا نجتمع في منزل شيخنا»[13]، وكان أحد رؤساء مضر في قتال المختار[14]، فلما انتصر

(١) الطبري ٢/ ٢٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣٣.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٤، ٣٠.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢٥٦، ٢٥٧.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٢٧٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣٢٦.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٤٤٣، ٤٤٤.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٠٣٣/ ٣٠٤٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٨٦٩.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٩٠٨.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٥٣٥.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ٦١٤، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٦، ٣٢٠.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٤٩.
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٢ ـ ٦٥٧.

المختار لم يمسه بأذى[١]، ثم غادر الكوفة وانضم إلى المصعب[٢]، ولما أراد الخوارج التحرك بالكوفة نصحهم أن يخرجوا من الكوفة[٣]، ونصح المصعب ألاّ يطارد الخوارج وراء الكوفة[٤]. يتبين من هذا العرض أن شبث ساهم في كافة الحوادث البارزة في الكوفة، وأنه كان يسير وراء الحوادث ولا يسيّرها، وكان قلقاً في سلوكه السياسي، وليست له عقائد أو اتجاهات سياسية ثابتة، ولكنه احتفظ بمكانته في عشيرته.

نسبت إلى شبث بعض المعالم العمرانية في الكوفة، فصحراء شبث منسوبة اليه[٥] وكذلك مسجد شبث[٦]، وكان من المساجد الملعونة لأن أهله فرحوا لمقتل الحسين[٧]، وهذا المسجد في السوق في آخر درب حجاج[٨].

ومن الرجال البارزين في رياح، عتاب بن ورقاء، كان في زمن المصعب على أصبهان[٩]، وكان على خيل المصعب عندما خرج لقتال عبد الملك[١٠]، وقد أغراه عبد الملك سراً بولاية أصبهان فلم يتحمس للقتال[١١]. وظل موالياً للأمويين فأرسله بشر بن مروان في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة لقتال الأزارقة[١٢]، ثم انضم إلى جيش المهلب في قتال الخوارج[١٣]. ثم قتله

(١) الطبري ٢/ ٧٠٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧١٦.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٥٩.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٢١٦.
(٥) فتوح البلدان ٢٨٥.
(٦) الطبري ٥/ ٧٢٢.
(٧) بحار الانوار ٤٥/ ٢٨٩.
(٨) المصدر نفسه ٢١/ ١٠٢.
(٩) الطبري ٢/ ٧٦٢، أنساب الاشراف ٥/ ١٩٢.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٦، أنساب الاشراف ٥/ ٣٤١.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٤، أنساب الاشراف ٥/ ٣٤٤، ٣٤٨.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٢٨.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٧٧، ٩٤٤، ٩٤٩ ـ ٩٥٣.

الخوارج[1]، وكان ابنه حنظلة بن عتاب على ربع تميم عند خروج يزيد بن المهلب على الأمويين[2].

ومن بني حنظلة بنو مالك بن حنظلة، ويسمّون ببني شِيطان، وكانت لهم خطة بالكوفة[3]، وذكر ابن سعد أن عبد الحميد بن صالح كان ينزل في بني شيطان[4]، وكانت منازلهم فوق الكناسة[5].

بنو سعد بن زيد مناة

كانت ديار بني سعد في الأطراف الشرقية من جزيرة العرب، وتمتد من أطراف شمال اليمامة إلى جهات البصرة، وانضمت إلى الإسلام بعد فتح مكة، ولما توفي الرسول (ص) اتخذت بطونها مواقف متباينة، فارتدت بعضها وثبت البعض على الإسلام، مشاركاً الجيوش الإسلامية في القضاء على ردة أهل البحرين[6]، وردة أهل مهرة[7].

انضم بعض بني سعد إلى جيش خالد بن الوليد عند تقدمه إلى العراق، فأرسل خالد أط بن أبي أط إلى روذمستان فنزل منزلاً على نهر سمي ذلك النهر به ويقال له نهر أط[8].

ويروي الطبري أيضاً أنه لما تحركت الأعاجم لدفع العرب عن العراق بعث القعقاع بن عمرو، وكان آنذاك على الحيرة، أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحصيد[9]، واصطدم أعبد بقوات من الأعاجم وانتصر عليهم[10].

(١) الطبري ٢/ ٩٤٠، ٩٥٥، ٩٦٥.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣٩٧.
(٣) جمهرة النسب لابن حزم ٢٨ فتوح البلدان ٢٨٤ معجم البلدان ٣/ ٢٥٦.
(٤) الطبقات ٦/ ٢٨٦.
(٥) النسب لابن الكلبي ١/ ٣٠٣.
(٦) الطبري ١/ ١٩٦٥.
(٧) المصدر نفسه ١/ ١٩٨٠.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢، ٢٠٥٧.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٠٦٧.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٠٩٦.

ولما ولي عمر بن الخطاب الخلافة 'قدم عليه المثنى الجشمي، فوجهه وأمّره على بني سعد، فقدم المثنى[1] وشارك بني سعد في قتال النوشجان[2].

لم يذكر لبني سعد دور في القادسية، ولكن ذكر دور بعض رجالهم في المعركة مما يدل على اشتراكهم فيها، فذكر الطبري دور زهرة بن حوية السعدي الذي أبدى بسالة في القتال، وكان على طلائع سعد في تقدمه إلى المدائن.

ومن رجالهم المشاركين في فتوح العراق كثير بن شهاب السعدي، وكان ممن قدمهم زهرة بن حوية حين عبر الصراة ملتحقاً بأخريات الناس[3]. ومنهم أيضاً عبدة بن الطيب السعدي الذي كان في الوفد الذي ذهب لمقابلة رستم ثم شهد وقعة بابل، وعاد بعد ذلك إلى البادية لأسباب شخصية[4].

لم يذكر لبني سعد دور في الفتوح التي تلت فتح المدائن، ولا في النقمة على عثمان، أو في وقعتي الجمل وصفين. غير أنه ذُكر أن محرز بن شهاب التميمي من بني سعد كان ممن حرض علياً على قتال الخوارج[5].

وفي زمن الأمويين كان من مؤيدي حجر بن عدي، عبد الله بن حوية السعدي، فسيره زياد مع حجر إلى الشام[6]، ولكن معاوية أخلى سبيله لوساطة حبيب بن مسلمة[7].

وممن ذكر منهم في حوادث الكوفة في صدر العهد الأموي سويد بن عبد الرحمن التميمي السعدي وكان ممن شهد على حجر بن عدي، ثم أرسله ابن مطيع لمناظرة الخوارج وبعثه مكان راشد بن إياس إلى الكناسة عندما أراد

---

(١) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٢٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢٩٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧٣
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٣٦.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٩.

القضاء على حركة المختار[1]، وأرسله الحجاج بعد ذلك مع ألفي فارس لصد شبيب الخارجي[2]، وولاه على حلوان وماسبذان حيث قاتل المطرف[3]. وكانت لبني سعد في معركة دير الجماجم راية يحملها غلام منهم اسمه رستم[4].

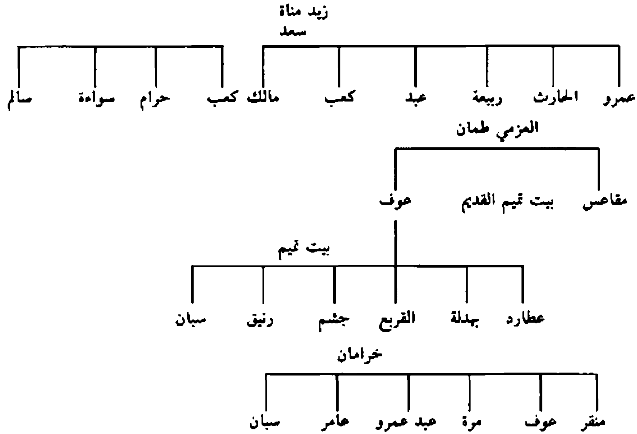
ذكرت لبني سعد خطة في الكوفة، فيروي الطبري أنه عندما خرج الناس إلى حروراء خرج شبث بن ربعي الرياحي «حتى إذا بلغ بني سعد لقيه صبيان فنزعوا سلاحه وتلعبوا به فرجع»[5]، وهذا النص يظهر أنه كانت لبني سعد خطة بين بني رياح والطريق إلى حروراء، أي أنهم كانوا أبعد عن المركز من بني رياح. ويبدو أنها كانت بالقرب من صحراء أثير والكناسة[6].

كانت سعد بن زيد مناة في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام مكوّنة من عدة مجموعات، فيروي الطبري أنه عندما ارتدت تميم بعد وفاة الرسول (ص) كانت بنو سعد «فرقتين، فأما عوف والأبناء فإنهم أطاعوا الزبرقان بن بدر فثبتوا على إسلامهم وتمّوا وذبوا عنه، وأما المقاعس والبطون فإنهما أصاخا ولم يتابعا، إلاّ ما كان من قيس بن عاصم فإنه قسّم الصدقات التي كانت اجتمعت إليه من المقاعس والبطون حين شخص الزبرقان»[7].

ذكر عدد من الكتب المعنية بالأنساب عشائر بني سعد وتفرعاتها والرجال البارزين في كل من هذه الفروع. ومن أشمل وأوضح ما كتب في ذلك هو ما أورده ابن حزم، حيث ذكر في شجرات نسبهم ما نلخصه أدناه:

---

(١) الطبري ٦١٦/٢، ٦١٨، ٦٢٩.
(٢) المصدر نفسه ٩١١/٢.
(٣) المصدر نفسه ٩٨٩/٢.
(٤) المصدر نفسه ٩٩٠/٢.
(٥) المصدر نفسه ٣٣٨٩/١، وانظر: ٦١٨/٢.
(٦) المصدر نفسه ٩١٠/٢.
(٧) المصدر نفسه ١٩٦٣/١.



ذكر ابن حزم أن بني سعد مجموعتان كبيرتان هما البطون ويتكوّنون من كعب وعمرو، والأبناء ويتكونون من عمرو والحارث وعوافة وجشم ومالك وعبد شمس. فأما البطون فمن عشائرهم بنو صريم بن مقاعس وكان أكثرهم من الخوارج[1]، وعطارد بن عوف بن عوف بن عمرو، وكان أكثر رجالهم في خراسان، والحمان «بيت تميم القديم»، ولكن لم تُذكر لهم خطة في الكوفة.

ذكرت المصادر خططاً لعدد من بطون الأبناء، فذكر ابن سعد أن بني عوف بن سعد لهم خطة[2]، وبني عمرو بن سعد لهم مسجد[3]، كما ذكر أن لبني حرام خطة[4]، ولهم فيها مسجد كان يصلي فيه الأعمش، وهو مولى بني كاهل، وكان ينزل في بني عوف من بني سعد[5].

---

(١) الطبري ٢/ ٢١٧.
(٢) ابن سعد ٦/ ٢٣٠.
(٣) المصدر نفسه ٦/ ٢٣٠.
(٤) معجم البلدان ٢/ ١٣٠.
(٥) ابن سعد ٦/ ٢٣٨.

وأكثر ما يتردد في الكوفة من بطون سعد هم جشم[١]. فذكر الطبري ما يدل على اشتراكهم في القتال في جبهة العراق منذ الأيام الأولى، إذ قال إن ابن المثنى الجشمي قدم على عمر بن الخطاب «فوجّهه وأمّره على بني سعد فقدم على المثنى»[٢]. وذكرت الأخبار اشتراك عدد من الجشميين في معركة صفين، ومنهم مالك بن الجراح الجشمي، كان يفري أهل الشام فرياً عجيباً، وكان رجلاً مسلماً شجاعاً[٣]. وممن شارك فيها مرثد بن الحارث وعائذ بن أخملة[٤].

وذُكر عدد منهم في حركة المختار، فكان علي بن مالك الجشمي على ميسرة ابن الاشتر عندما قاتل عبيدالله بن زياد[٥].

وكان قدامة بن مالك الجشمي ممن اجتمعوا لمعرفة صلة ابن الحنفية بالمختار[٦]، ولما أعلن المختار ثورته أمره فنادى يالثارات الحسين[٧]؛ وكان عبدالله بن شداد ممن ضمن المختار في سجنه[٨]، ولما ذهب المختار لملاقاة جيوش المصعب خلفه على الكوفة[٩]؛ وعقبة بن طارق الجشمي قاتل المختار ثم ذهب مع قيس إلى جبانة بني سلول[١٠].

الرباب

الرباب من القبائل التي أسلمت وانضمت إلى دولة الإسلام بعد فتح مكة،

(١) الطبري ١/٢٢١٨، ٢/٤٨٩.
(٢) المصدر نفسه ١/٢١٨٨.
(٣) المصدر نفسه ١/٣٣٠٥.
(٤) وقعة صفين ٥٢٨، الطبري ١/٣٣٠٥.
(٥) الضبي ٢/٧٠٩، أنساب الاشراف ٥/٥١٩.
(٦) الطبري ٢/٦٠٥.
(٧) المصدر نفسه ٢/٦١٩.
(٩) أنساب الاشراف ٥/٢١٩.
(٩) المصدر نفسه ٥/٢٥٨.
(١٠) الطبري ٢/٦٥٣.

ولم ترتد بعد وفاة الرسول (ص) ثم انضمت إلى الجيش الإسلامي في جهة العراق، فيذكر الطبري أن عمر بن الخطاب حين ولي الخلافة ودعا العرب إلى الانضمام إلى الجيوش الإسلامية، «خرج هلال بن علفة التميمي في من اجتمع إليه من الرباب حتى أتى عمر، فأمَّره عليهم وسرحه، فقدم على المثنى»[1]. وانتخب سعد بن أبي وقاص، عندما عسكر في زرود في طريقه إلى العراق الف ربي ضمهم إلى جيشه[2]، وشاركت الرباب قبائل من تميم في صد النوشجان بن الهربذ عندما أراد السيطرة على غُضى[3].

ذكرت الرباب وحدة قبلية في أسباع الكوفة، ففي زمن خلافة عمر حيث «صارت تميم وسائر الرباب وهوازن سبعاً»[4]، ولما تقدم الكوفيون للانضمام إلى علي في وقعة الجمل «خرج إلى علي إثنا عشر ألف رجل وهم أسباع على قريش وكنانة وأسد وتميم والرباب ومزينة معقل بن يسار الرياحي»[5].

لم تُذكر للرباب خطط في الكوفة، ولم تذكر كوحدة متميزة في غير قائمة الأسباع، ولم يرد ذكر رجل نسب إلى الرباب، غير أن المصادر ذكرت بطون الرباب ومن نسب إلى بعض هذه البطون. فذكر ابن دريد وابن حزم أن بطون الرباب عدي وتميم، وعطارد، ومزينة[6]، وأضاف ابن حزم إليها بجالة. أما عدي الرباب فلم يرد لهم ذكر في الكوفة، وإنما ذكر منهم في البصرة وخاصة في مشاركة وقعة الجمل حيث كانوا بجانب عائشة[7]؛ ويروى أنه قتل يوم الجمل من بني عدي سبعون شيخاً كلهم قد قرأوا القرآن سوى الشباب ومن لم يقرأ القرآن[8]، وذكرت بعض أعمالهم في البصرة[9].

(١) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢١.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٥.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣١٧٤.
(٦) الاشتقاق ١٨٠، جمهرة النسب لابن حزم ٢٠٣ ـ ٢٠٤.
(٧) الطبري ١/ ٣١٧٧، ٣١٩٦.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٢٢٤.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٨١، ١٨٩، ١٢٩٩، ١٤٤٦.

أما تيم الرباب فقد كان منهم خصفة التيمي، الذي أرسله العلاء بن الحضرمي لقطع الطريق على المرتدة[١].

وممن شارك منهم في المعارك الأولى في جبهة العراق، هلال بن علفة الذي أمّره عمر على الرباب الذين انضموا إلى الجيش الإسلامي[٢]، وقاتل مع المثنى ثم هاجم بعد موت المثنى دست ميسان[٣].

ذكرت المصادر عدداً من رجال الرباب الذين اشتركوا في معركة القادسية، وممن ذكرت أسماؤهم: هلال بن علفة الذي قتل رستم[٤]، وأخذ سلبه وباعه بسبعين ألف درهم[٥]، وممن ذكر اشتراكه في القادسية مالك بن ربيعة بن خالد التيمي الوائلي الذي أرسله سعد بن أبي وقاص للإغارة على أطراف القادسية قبيل نشوب القتال[٦]. وقد شارك بعض بني تيم الرباب في حركات الخوارج الأولى، وكان منهم وردان الذي اشترك في مؤامرة قتل الخليفة علي[٧]. والمستورد بن علفة الذي كان أحد من فزعت إليه الخوارج[٨]، ثم خرجوا من الكوفة[٩] وأعلنوا الثورة، ولكن المغيرة بن شعبة والي الكوفة أرسل إليهم جيشاً بإمرة معقل بن يسار انتصر عليهم وقتل المستورد[١٠]، ثم جدّد أتباعه الثورة في سنة ٥٨هـ، ولكنهم فشلوا[١١].

---

(١) الطبري ١/ ١٩٧١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٣٦ ـ ٢٣٣٧.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٠.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٢٤٥.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٤٥٨ ـ ٣٤٥٩.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٢٠، ٢٩.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٣٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٥٥ ـ ٦٥
(١١) المصدر نفسه ٢/ ١٨١.

ضبة

انضمت ضبة إلى الجيوش الإسلامية منذ أوائل زمن خلافة عمر بن الخطاب عندما أباح للمرتدين السابقين الانضمام إلى الجيش الإسلامي، فقد استجاب لدعوته بنو ضبة، «وبعث عصمة بن عبدالله من بني عبد بن الحارث الضبي في من تبعه من بني ضبة إلى العراق»[١]؛ ثم قدم قوم من بني ضبة على المثنى فجعلهم فرقتين: جعل على إحدى الفرقتين ابن الهوبر، وعلى الأخرى المنذر بن حسان[٢].

وذكر الطبري أن ابن الهوبر شارك في معركة البويب[٣]، ثم شارك بعد ذلك في موقعة نهاوند[٤]، أما المنذر بن حسان فشارك في قتل مهران وأخذ سلبه،[٥] ثم اختفى ذكره بعد ذلك؛ وذكر رجل بهذا الاسم في زمن المختار[٦]، غير أن طول الزمن بين القادسية وحركة المختار يرجّح أن الأخير هو غير الأول.

وممن ذكرت مشاركته في الأيام الأولى من الضبيين: عصمة بن عبد الله من بني الحارث بن طريف[٧]، وعبد بن الحارث وكان من البررة[٨]. وكان عصمة قد أرسله عمر بن الخطاب إلى المثنى[٩]، واشترك في موقعة البويب[١٠] والمعارك التالية[١١]، وأبدى بسالة في القادسية ففضل عند العطاء بخمسمائة[١٢]، ثم شارك

(١) الطبري ١/٢١٣٨.
(٢) المصدر نفسه ١/٢١٨٩.
(٣) المصدر نفسه ١/٢١٩٢، ٢١٩٣.
(٤) المصدر نفسه ١/٢٦١٩.
(٥) المصدر نفسه ١/٢٢٠١، الانساب لابن حزم ٢٠٤.
(٦) المصدر نفسه ٢/٦٣٣، وانظر: ٢/٣٠٥.
(٧) المصدر نفسه ١/٢٠٩٦، ولعله هو عبد بن الحارث (١/٢١٨١٣).
(٨) المصدر نفسه ١/٢٠٦٩.
(٩) المصدر نفسه ١/٢١٨٣
(١٠) المصدر نفسه ١/٢١٨٣ ـ ٢١٨٥، ٢١٩٧.
(١١) المصدر نفسه ١/٢١٨٧، ٢١٩٩، ٢٢٠٢.
(١٢) المصدر نفسه ١/٢٣٤٣ ـ ٢٣٤٤.

في فتح أصبهان وكان من شهود صلحها[١]، وكان ممن فرقت عليهم مسالح دسبي[٢].

وممن شارك من بني ضبة في الفتوح الأولى الكلج الضبي الذي كان ممن عقد الجسر وحمى المسلمين في العبور في معركة الجسر[٣]، وجعله المثنى على بعض المسالح[٤]، وأبدى في القادسية بسالة، ففضل في العطاء بخمسمائة[٥] وكان من أوائل من عبر دجلة لفتح المدائن[٦].

شارك بعض رجال ضبة في معركة الجمل وأبدوا بسالة في القتال[٧]، وكان منهم بجير بن دلجة الذي عقر الجمل[٨]، والمكعبر الذي ادعى قتل محمد بن طلحة[٩]. ويقال إنه قُتل من ضبة في معركة الجمل سبعمائة كانوا يقاتلون بجانب عائشة[١٠]، ولعلهم كانوا من ضبة البصرة.

وفي زمن الأمويين ذُكر منهم شهبان بن حريث، وكان على خيل شبث بن ربعي مع ابن مطيع ضد المختار[١١]؛ وبكير بن أبي ثروان، وكان مع ابن الأشعث فقتله الحجاج[١٢].

ومنهم أيضاً مصقلة بن مهلهل، وكان مع شبيب ثم تركه عندما برئ من صالح بن مسرح[١٣].

---

(١) الطبري ١/ ٢٦٤١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٧٥٨.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٣.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٤٣، ٢٤٤٦.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠٤.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠٤، ١٤١٥.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠٨.
(١٠) الأنساب لابن حزم ٢٠٣.
(١١) الطبري ٢/ ٦٢١.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ١١٠٠، ١١٢٥.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٦٧.

وكان المختار قتل أحد رجالهم المنذر بن حسان، فحرضت ضبة مصعب على قتل من كان من القصر من جماعة المختار[1].

لم تُذكر ضبة إلاَّ في قائمة عشائر وأسباع وقعة صفين، وذكر ابن سعد اثني عشر رجلاً منسوبين إلى ضبة ممن كانت إقامتهم في الكوفة، وذكر ابو نعيم خمسة وعشرين رجلاً من ضبة كانوا مقيمين في أصفهان.

ذكر الطبري أن كل قطائع الكوفة الأولى كانت ستين ذراعاً إلاَّ الذي لبني ضبة[2]، ولكنه لم يذكر فيما إذا كانت قطائعهم أكثر أو أقل من هذا المقدار.

---

(١) الطبري ٢/ ٧٥٠.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٨.

الفصل الخامس عشر

عشائر شرق الجزيرة ورجالها

ربيعة

يتكرّر في كتب التاريخ والأنساب ذكر «ربيعة» كمجموعة قبلية كبيرة توازي «مضر»، فتُذكر ربيعة ومضر[(١)]. ولم تذكر ربيعة في عشائر الأسباع، ولكن لما جعلت الكوفة أرباعاً، كان أحدها «ربع كندة وربيعة».

ذكر الطبري بعض ما اشتهرت به ربيعة، فقال «وكانت ربيعة لا تسبي إذا العرب يتسابون في جاهليتهم»[(٢)]، وكانوا يتجرون في سوق الخنافس[(٣)] ولم يكن أحد من العرب أجرأ على فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد أو ربيعة الفرس.

ذكرت مشاركة ربيعة في فتوح جبهة العراق منذ أيام خلافة أبي بكر، فذكر الطبري أنه لما تقدم خالد بن الوليد إلى العراق «حشر من كان بينه وبين العراق، فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومضر إلى الفين كانوا معه»[(٤)].

ذُكر تواجد ربيعة مع المسلمين في موقعة الجسر[(٥)]. يذكر الطبري «كان

(١) الطبري ١/١٩١٦، ١٩٣٧، ٢٠٢١، ٢١٠، ٢٣٠٥، ٣١٧٨، ٣٢٩٣، ٢/١٣٠.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٢١٧.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٢٠٣.
(٤) المصدر نفسه ١/٢٠٢١.
(٥) المصدر نفسه ١/٢١٦٨.

المثنى في ثمانية آلاف من ربيعة: ستة آلاف من بكر بن وائل وألفين من سائر ربيعة؛ أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقي يوم الجسر»[١]. وقد أمر عمر باستنفار ربيعة: «لا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلاّ اجتلبتموه، فإن جاء طائعاً وإلاّ حشرتموه»[٢]. ويروي الطبري أن عمر أرسل إلى سعد يقول له «وسرح الجيش، وهم ستة آلاف: خمسة آلاف من ربيعة ومضر، وألف من أفناء اليمن من أهل الحجاز»[٣]، غير أنه لم يحدّد عدد من كان من ربيعة.

لم يرد في المصادر ذكر عدد ربيعة في القادسية وفتوح العراق، ولكن الطبري ذكر «كانت ربيعة مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة، ونصف الناس»[٤].

شاركت ربيعة في وقعة صفين، ويُروى أن علياً قال «يا معشر ربيعة أنتم أنصاري ومجيبو دعوتي ومن أوثق حي في العرب في نفسي»[٥]، ويروي الطبري أنه لما قتل عمار بن ياسر قال علي لربيعة وهمدان: «انتم درعي ورمحي، فانتدب له نحو من اثني عشر ألفاً، وتقدمهم علي على بغلته فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية»[٦]. كما شاركت ربيعة في قتال الخوارج[٧].

وعندما ثار أهل الكوفة على المختار "نزل حجار بن أبجر ويزيد بن الحارث في

(١) الطبري ١/٢٢٢١.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٢١٠.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٣٠٥.
(٤) المصدر نفسه ١/٢٢١٠.
(٥) المصدر نفسه ١/٢٣١١.
(٦) المصدر نفسه ١/٣٣٢١.
(٧) المصدر نفسه ٢/٥٣.

ربيعة، فيما بين التمارين والسبخة»[١]. وهذا قد يدل على أن خطط ربيعة كانت في تلك المنطقة، أي بين التمارين والسبخة في الجهات الشرقية من الجامع.

ساند بعض رجال ربيعة المختار، فكان شريك التغلبي على خيل ربيعة مع جيش ابن الأشتر، الذي قاتل عبيدالله بن زياد في موقعة الخازر[٢].

غير أن عدداً منهم انضم إلى حركات الخوارج، فقد «خرج مع صالح بن مسرح رجال من ربيعة»[٣]، وكانت منهم قوات مع شبيب الخارجي[٤]، وعندما خرج شوذب اليشكري "كان مخرجه بجوخي في ثمانية آلاف فارس أكثرهم من ربيعة"[٥]، وكان مع المفضل بن المهلب «أهل الكوفة وهو عليهم، ومعه خيل لربيعة معها عدد حسن»[٦]، إبّان ثورة أخيه يزيد. ويبدو أن ربيعة لم تكن متحمسة في تأييد الأمويين في خراسان على الأقل، ويروى أن ابراهيم الإمام أوصى أبا مسلم أن ينزل في اليمن ويتألف ربيعة[٧]. ويبدو أنه أفلح في جلبهم اليه إذ «سارعت الأعاجم وكثير من أهل اليمن وربيعة إلى الدعوة من بين منتدب لذلك أو طالب بدخل أو موتور يرجو أن يدرك بها داره، وأتاه عدة من ذوي البصائر من مضر»[٨]. وكتب نصر بن سيار لمروان يصف له أمر أبي مسلم وميل اليمن وربيعة له، وعندما وصل سرخس قال «الست آمن سفهاء ربيعة واليمن»[٩]. وعندما وصلت جيوش العباسيين إلى الكوفة "خرج في سواد الكوفة وسواد البصرة عدة من ربيعة: أبو الخفاف والفرفصة والحجاج بن علاط

(١) الطبري ٢/ ٦٥٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧١٤.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٨٨٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٥١.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١٣٤٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٤٠٢.
(٧) أخبار بني العباس ٢٠٤، ٢٨٤، ٢٠١٥.
(٨) المصدر نفسه ٢٨٥.
(٩) المصدر نفسه ٣١٥.

العجلي فأخذوا أسافل الفرات كله وهم متنابذون، كل واحد على حياله، على غير نيات صحيحة، وسودوا وشهروا ذلك وكاتبوا قحطبة[1].

بكر

بكر أكبر قبائل ربيعة وأقربها إلى الكوفة إذ كانت ديارها عند ظهور الإسلام في الاطراف الغربية، وتمتد من أواسط الفرات في شمال الكوفة إلى اليمامة ورمل يبرين[2]، وعشائرها أول من ناصب الدولة الساسانية العداء قبيل الإسلام واشتبكوا مع جيشها في معركة ذي قار، وتابعوا الغارات على أطرافها الغربية فأخلّوا بأمنها وجرأوا العرب عليها، وبذلك مهدوا لتقدم الجيوش الإسلامية وانتصارها على تلك الدولة. ثم إن عشائر بكر التي ديارها في أطراف العراق الغربية لم تشارك في حركات الردة التي كانت سبباً في حدوث شرخ مؤقت في علاقات الخلافة بعدد من قبائل الجزيرة، ويبدو أن عدداً من أفرادها اعتنق النصرانية من دون أن تتغلغل فيهم وتهيمن على توجيههم، ولكنها مهدت لسرعة اعتناقهم الإسلام دون أن يبدوا مقاومة شأن بعض من كان قبل الإسلام يعتنق الوثنية والشرك.

إلاّ أن سعة رقعة الأرض التي امتدت عليها ديارها ومناخها الصحراوي وأرضها المجدبة أدت إلى تفرُّق عشائرها في مجموعات كل منها شبه مستقلة، ولم يقتصر هذا التفرق على تنظيمهم قبل الإسلام، وإنما امتد أثره إلى أحوالهم بعد الإسلام أيضاً وخاصة في الكوفة، ففي توزيع الخطط لم تذكر خطة لبكر وإنما ذكرت خطة لتيم اللات في ودعة الصحن[3]، ولم تذكر خطة لعشيرة من بكر غيرها، وفي تنظيم الأسباع كان أحد الأسباع يضم أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب[4]، ولم تذكر في الأسباع بكر ولا أي من عشائرها

(١) اخبار بني العباس ٣٥٥.
(٢) انظر: البكري، معجم ما استعجم ٨٦ ـ ٨٩.
(٣) الطبري ١/٢٤٨٩ ـ ٢٤٩٠.
(٤) المصدر نفسه ١/٢٥٩٥.

المشهورة مثل شيبان أو ذهل أو يشكر أو عجل أو قيس بن ثعلبة، علماً بأن هذه العشائر ذكرت لها في الكوفة خطط. ومما تجدر ملاحظته أن رجال بكر وعشائرها أسهموا في حركات الخوارج، ولم يكن لهم إسهام كبير في الحركة الفكرية التي ازدهرت في الكوفة.

اقتصر عدد من كتب النسب على ذكر بعض بطون بكر، فقال ابن عبد البر "في بكر بن وائل بنو شيبان.. وفي شيبان بطون منها بنو ذهل.. وبنو سدوس.. وبنو محلم بن وهب.. وبنو مازن"[1]. وقال الغساني من بطون بكر: عجل وحنيفة ولجيم ويشكر وشيبان ووهب وتيم اللات وقيس وسدوس[2].

وقدم ابن حزم أوسع ما وصلنا عن فروع بكر وصلاتها ببعضها، مع الإشارة إلى أبرز رجال كل فرع[3]، ونجمل فيما يلي هيكل ما ذكر:

نزار	بكر
ربيعة	يشكر ـ علي
ضبيعة ـ أسد	صعب
عنزة ـ جديلة	لجيم /مالك/ عكابة
قاسط	حنيفة/ عجل/ ثعلبة
النمر ـ وائل	شيبان قيس/ ذهل/ الحارث/ تيم اللات
عنز تغلب بكر	(رقاش)
	شيبان
	ضبيعة تيم
	سدوس

(١) الاستيعاب ٩٦.
(٢) طرقة الاحباب ١٦، ٣١.
(٣) جمهرة النسب ٣٠٧ فما بعد.

ذكر الطبري تنظيماً لعشائر بكر، فقال: «اللهازم هم قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عنزة وشيع وتيم اللات وحلفاؤهم عجل.. وذهل بن شيبان وحلفاؤها يشكر، وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضبيعة بن ربيعة بن نزار أربع قبائل، وكان هذا الحلف في أهل الوبر في الجاهلية، فكانت حنيفة بقيت من قبائل بكر ولم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف لأنهم أهل مدر، فدخلوا في الإسلام مع أخيهم عجل فصاروا الهزمة[1]، وفي هذا النص ثماني عشائر، كل اثنتين منها متحالفتان، ومع أن كافة هذه العشائر من بكر، إلاّ أنه لم يحدد اللهازم، فهل تشمل العشائر الثماني، أم تقتصر على العشائر الأربع الأولى، فإن كانت الأخيرة فما هو اسم العشائر الأربع الأخيرة، وما العلاقة بين المجموعتين.

ذكر ابن منظور «اللهازم عجل وتيم اللات وقيس بن ثعلبة وعنزة»، وقال الجوهري: تيم الله بن ثعلبة بن عكابة يقال لهم اللهازم وهم حلفاء بني عجل[2]. لقد قصّر الجوهري اللهازم على تيم الله وعجل، أما ابن منظور فمده إلى العشائر الأربع التي ذكرها الطبري.

ذكرنا إن المعلومات التي وصلتنا عن بكر في الكوفة قليلة، ولا بد من إكمالها بالمعلومات التي وردت عن فروعها وعشائرها والأفراد المنتسبين لكل عشيرة، وإسهامهم في الأحداث أو التيارات السياسية، ولكن لا يمكن الجزم بعدد أفرادها أو مدى تجمع خططها السكنية أو التماسك الاجتماعي بين أفرادها، ولا ريب في أن بعض الاضطراب في أخبار الأحوال السكانية راجع إلى التنقلات الكثيرة التي تمت إبان النصف الأول من القرن الأول الهجري بسبب المتطلبات العسكرية. هذه التنقلات أثرت في تنظيم العطاء ومواقع خطط سكن العشائر مما فصلناه في فصول سابقة. ومن حيث العموم فإن نسبة أهل الأيام من البكريين وعشائرهم هي أعلى من العشائر الأخرى.

شاركت بكر في وقعة الجمل، ويروي الطبري أنه خرج إلى علي اثنا عشر

(١) الطبري ٢/٤٤٨ ـ ٩، ذكرت اللهازم عرضاً في الطبري ١٧/٣٦، ١٩٦٨.
(٢) البكري ١٢٩١.

ألفاً فكان على سُبع بكر بن وائل وتغلب وعلة بن مخدوج الذهلي، ويروى عن محمد بن الحنفية «أقبلنا من المدينة بسبعمائة رجل وخرج إلينا من الكوفة ستة آلاف، وانضم إلينا من حولنا ألفان أكثرهم بكر بن وائل»، ويقال ستة آلاف[١]، إن هذه الأرقام إن صحت، لا تحدِّد عدد من شارك من بكر، لأنها لا تذكر عدد البكريين الذين خرجوا من الكوفة، أو عدد المنضمين منهم في الطريق، ولكنها تشير إلى نسبتهم العالية.

وشاركت بكر في صفين، وكانت رايتها للحصين بن المنذر الذهلي وهو من أهل البصرة[٢] كما شاركت في معارضة إتفاقية التحكيم في صفين[٣]، غير أن علياً انتدب عدداً منهم لقتال الخوارج[٤].

لم يذكر لبكر دور في حركة المختار، ولكن يبدو أنها كانت تقاتل مع المصعب، يدل على ذلك قول ابن قيس الرقيات يرثي مصعباً:

ولو كان بكرياً تعطَّف حوله كتائبُ يغلي حَمْيُها ويدوم
ولكنه ضاع الذِّمامُ ولم يكن بها مُضريٌّ يوم ذاك كريمُ[٥]

ويروي الطبري أنه عندما دخل عبد الملك الكوفة بعد انتصاره في يوم مسكن، عرض أهل الكوفة، وأقبل داوود بن قحذم في مائتين من بكر بن وائل عليهم الأقبية الداوودية، وبه سميت، فجلس مع عبد الملك على سريره، فأقبل عليه عبد الملك ثم نهض ونهضوا معه، فأتبعهم عبد الملك بصره وقال هؤلاء الفساق، والله لولا أن صاحبهم جاءني ما أعطاني أحد منهم طاعة[٦].

(١) الطبري ١/٣١٨١.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٣١٢.
(٣) المصدر نفسه ١/٣٥٣٣.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٤٢٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/٨١٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/٨١٦.

ولم يرد ذكر لبكر بعد ذلك في الكوفة، ولكن ورد ذكر لعشائرهم وبطونهم فيها.

شيبان

كانت ديار شيبان في بادية غرب الفرات بين الكوفة والبصرة، ومنذ إزالة دولة المناذرة ساءت علاقتها بالساسانيين، وقام عليها القسط الأكبر من قتال الفرس في ذي قار وساند بعض بني شيبان برئاسة السَّليل بن قيس سجاح عند تقدمها من تغلب إلى الجزيرة[1]، كما ساند بعضهم المنذر الغرور في الانشقاق في البحرين على دولة الإسلام[2]، غير أن أغلبهم لم يناوئوا الإسلام، وشاركوا المثنى بن حارثة الشيباني، وهو من بني هند، في حركاته ضد الفرس في الأطراف الغربية من العراق[3]، وقد اتصل المثنى بأبي بكر وأعلن انضمامه إلى الإسلام وتابع حركاته التي أصبحت من حينها باسم الإسلام. وكان معتمداً بالدرجة الأولى على رجال عشيرته، وتابع نشاطه عند مجيء خالد بن الوليد إلى العراق، وانضم إليه في حركاته، فلما غادر خالد العراق عادت إليه قيادة الحركات في أطراف العراق. وانضم بقواته إلى ابي عبيد الثقفي عندما أرسله عمر بن الخطاب في أول خلافته إلى العراق، وقاتل في معركة الجسر وحمى انسحاب المسلمين منها، ثم كوَّن هو وجماعته من شيبان القوة الرئيسة الإسلامية التي دحرت الفرس في معركة البويب حيث كان على مجنبتيه النعمان بن عوف ومطر الشيبانيان[4]. ولا بد أن قواته انضمت إلى جيش سعد بن أبي وقاص وقاتلت مع المسلمين في القادسية، غير أنه لم ترد أخبار واضحة عن دورها ومن أبلى من رجالها في تلك المعركة، مما قد يدل على أنهم وضعوا في المؤخرة من الجيش الإسلامي. أو أن الرواة تعمّدوا إغفال

---

(١) الطبري ١/ ١٩١١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٩٧٣.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢١٦٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٦٦٩.

ذكرهم تحيّزاً، وعلى أي حال فإنهم كوّنوا نسبة كبيرة من «أهل الايام»، ولا بد أنهم تابعوا مشاركتهم في فتوح العراق والمشرق، ولكن أخبار إسهامهم قليلة، ومما ذكر منها أنهم قاتلوا في نهاوند.

أيّد نعيم بن عميرة الشيباني المختار عند بدء حركته، فأرسله المختار في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل لقتال ابن مطيع[1]، غير أنه قتل في المعركة[2].

ومن رجال بني شيبان حوشب الذي كان من أصحاب المصعب[3]، ثم ولي الشرط في زمن الحجاج[4]، ثم جعله الحجاج عاملاً على الكوفة[5].

انضم عدد من الشيبانيين إلى الخوارج، فكان سلام بن يسار الشيباني مؤذن شبيب الخارجي[6]، وكان دعامة الشيباني من أصحاب البهلول الخارجي، الذي أوصى أن يكون رئيساً للخوارج من بعده، غير أنه لما توفي البهلول هرب دعامة[7]. وممن انضم إلى الخوارج من بني شيبان عتريس بن عرقوب[8].

بنو ذهل

ذكر ابن حزم أن «البيت والعدد في ولد شيبان بن ثعلبة ثم في ذهل وقيس وتيم الله بن ثعلبة»[9]، وأن «ذهل فيهم العدد»[10]. وذكر الطبري خططها وعدداً من رجالها البارزين؛ ومعلوماته تظهر دور ذهل منذ خلافة علي فما بعد، ولم يرد ذكر لها أو لرجالها قبل ذلك. ففي معركة الجمل كان سُبع بكر وتغلب

(١) الطبري ٢/ ٦٢٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٤.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩١٨، ١١٢١.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ١١٢٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٩٤٩.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٦٢٧.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٨٣.
(٩) جمهرة النسب ٣٢٥.
(١٠) المصدر نفسه ٣٢١.

عليهم وعلة بن مخدوج الذهلي[١]، وقتل منهم في المعركة خمسة وثلاثون[٢]، وكانت راية بكر مع الحارث بن حسان الذهلي[٣].

وفي معركة صفين جعل علي على ذهل الكوفة يزيد بن رويم الشيباني[٤]. وكانت راية بكر بن وائل من أهل الكوفة في بني ذهل مع الحارث بن حسان حوط الذهلي.. فقتل وقتل ابنه وقتل خمسة أخوة لهم.. وقتل من بني ذهل خمسة وثلاثون رجلاً[٥]، وممن قُتل: عمرو بن يزيد[٦] وأبو عرفاء جبلة بن عطية[٧].

وممن ذكرهم الطبري من بني ذهل: شداد بن المنذر والقعقاع بن شور[٨]، الذي كان مع عبيد الله بن زياد في القصر عندما أعلن مسلم بن عقيل حركته[٩]، وكان النظر بن القعقاع بن شور يقاتل مع الحجاج شبيباً[١٠]. غير أن بعضهم انضم إلى الخوارج ومنهم الفضل بن عامر الذي كان من جماعة شبيب الخارجي[١١].

ومن رجال بني ذهل: مصقلة الذي اشتهر بفداء سبايا بني ناجية، ثم هرب إلى معاوية[١٢]، فلما صفت الخلافة لمعاوية أرسله بحملة إلى طبرستان، فأصيب ومن معه[١٣]، وولي ابنه بسطام عين التمر للمصعب[١٤]. وانضم إلى ثورة ابن الأشعث ثم قتل في دير الجماجم[١٥].

---

(١) الطبري ١/٣١٧٤.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٢٠٣.
(٣) المصدر نفسه ١/٣٢٠٢.
(٤) وقعة صفين ٢٣١.
(٥) الطبري ١/٣٢٠٢.
(٦) المصدر نفسه ١/٣٣٠٨، وقعة صفين ٣٢١.
(٧) وقعة صفين ٣٤٣.
(٨) الطبري ٣/١٣٣.
(٩) المصدر نفسه ٢/٢٥٦.
(١٠) المصدر نفسه ٢/٩١٩-٩٢١.
(١١) المصدر نفسه ٢/٨٨٥، ٩٢٦، ٩٥٣.
(١٢) المصدر نفسه ١/٤١٤٨.
(١٣) المصدر نفسه ٢/٣٢٢.
(١٤) المصدر نفسه ٢/٨٧٣.
(١٥) المصدر نفسه ٢/١١٩٠، ١١٩٥.

ورد في أخبار بعض حوادث الكوفة ذكر لخطط بني ذهل ومسجدهم، فذكر الطبري أن حجر بن عدي عندما اعتزم زياد القبض عليه «دخل دار رجل من بني حرب»، فلما اشتد عليه الحصار وأراد ترك البيت قال له صاحبها «هذه خوخة تخرجك إلى دور بني العنبر وإلى غيرهم من قومك»، فخرج حتى مر ببني ذهل.. وخرج معه فتية منهم يتقصون به الطريق ويسلكون به الأزقة حتى أفضى إلى النخع[1]. وذُكر «أن المختار جاء من الحيرة فمر بمسجد السكون وجبانة كندة وأقبل حتى مر بمسجد بني ذهل وبني حجر.. حتى مر ببني بداء»[2].

وذُكر أيضا «أن شبيب جاء إلى السبخة ثم مر بالسوق، فالقصر، فالمسجد»، «ومر بالجحاف بن نبيط الشيباني من رهط حوشب».. ثم «مضوا فمروا بمسجد بني ذهل، فلقوا ذهل بن الحارث وكان يصلي في مسجد قومه.. ثم مضوا حتى خرجوا من الكوفة»[3].

ويتبين من النص الأول أن خطط بني ذهل كانت تقع بين بني العنبر والنخع، أما النص الثاني منه أن ذهل كان بالقرب من مسجد السكون وجبانة كندة، ويظهر النص الثالث أن مسجد بني ذهل كان بين المسجد والمردمة.

تيم الله

ومن بني شيبان تيم الله بن ثعلبة، ذكر الطبري عدداً من الرجال المنسوبين إليهم مما يظهر دورهم منذ زمن أبي بكر. وممن ذكرهم الطبري التيمي من الرجال الذين ارسلهم العلاء بن الحضرمي لحصر المرتدين[4]، ومطر بن فضة الذي كان مع أبي عبيدة الثقفي وأسرجابان[5]، وكان رأس النمر بن قاسط في

(١) الطبري ٢/ ١٢٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٥٣٢.
(٣) المصدر نفسه ٢٧/ ٩٢٨.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٩٧١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢١٦٦.

صفين عبدالله بن عمرو من بني تيم[١]. ومن أبرز رجالهم في زمن خلافة علي زياد بن خصفة، فقد كان من أبرز قواد الخليفة علي[٢] والمخلصين له[٣]، وقد أوفده إلى معاوية[٤] وأيّد علياً في قتال الخوارج[٥]، وكان ممن ادعى قتل عبدالله بن وهب الراسبي[٦]. ومن أحفاده أبو سعيد الصيقل[٧].

ومن رجالهم عبد الله بن وال، الذي كان من قواد الحملة على بني ناجية[٨]، وكان من التوابين مع سليمان بن صرد[٩] ثم قتل في عين الوردة[١٠].

بنو بحر

ومن بني تيم بحر بن كعب الذي سلب الحسين ألبسته[١١]. ومنهم عامر بن نهشل الذي قتل محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب[١٢]، وتدعي بكر أن محرز بن الصحصح من بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة هو الذي قتل عبيد الله بن عمر[١٣].

بنو هند

ومن بني شيبان بنو هند الذين ينتمي إليهم المثنى بن حارثة[١٤]، وسويد بن

(١) الطبري ١/ ٣٣١٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٧٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٣١١.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧١.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٤٢١.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٣.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٤٢٢ _ ٣٤٢٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٢٩٩، ٤٩٧٢/ ٥٠١/ ٥١٢/ ٥٠٢، ٢/ ٥٥٦.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٥٦٤.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٧، ٣٨٧.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٣٣١٥.
(١٤) المصدر نفسه ١/ ٢١٦٢

صالح الخارجي[١].. وذكر ابن دريد أن بني هند بطن عظيم من بكر بن وائل ولهم خطة بالبصرة[٢]. ويذكر ابن حزم أن بني اتيد بن ثعلبة دخلوا في بني هند[٣]، ولعل هذا في الكوفة، حيث كان لهم عدد ملحوظ، وكان سويد بن سليم[٤] من أبرز رجال بني هند فيها. وقد أرسل محمد بن مروان عدي بن عميرة من الجزيرة لقتال الخوارج ولكنه انكسر في معركة عند خانقين[٥]، وأعاد الحجاج إرساله إلى الخوارج[٦]، ثم قاتل الخوارج مع جيش زحر وكان على ميسرة الجيش[٧].

أما سويد بن سليم فقد كان من «أشجع العرب وأشدهم قتالا»[٨]، وكان خارجياً يقاتل مع صالح بن مسرح الخارجي[٩]، وكان معه في غزوة الكوفة[١٠] وفي الهجوم على المدائن[١١]، وهاجم هو والبطين وقعنب دار الخراج والعمال في سورا[١٢].

وروى ابن دريد قول الشاعر:

لو كنت جار بني هند تداركني ... عوف وهمان أو عمران أو مطر[١٣]

(١) الطبري ٢/٨٨٧.
(٢) الاشتقاق ٤٠.
(٣) جمهرة النسب ٣١٥.
(٤) الطبري ٢/٨٢١.
(٥) المصدر نفسه ١/٨٩٧.
(٦) المصدر نفسه ١/٨٩٩.
(٧) المصدر نفسه ١/٩٢١.
(٨) المصدر نفسه ٢/٩٢٤.
(٩) المصدر نفسه ٢/٨٨٨، ٨٩٠، ٩٠٣، ٩٠٤.
(١٠) المصدر نفسه ٢/٩١٥، ٩٢٣.
(١١) المصدر نفسه ٢/٩٤٦، ٩٥١ ـ ٩٥٢.
(١٢) المصدر نفسه ٢/٩٥٢.
(١٣) الاشتقاق ٣٥٦.

عشائر شيبانية

ذكر الطبري من شيبان بني محدوج «وكانت الرئاسة لهم من أهل الحيرة»، وذكر أنه قُتل عدد منهم في وقعة الجمل[1].

ومن بني شيبان سدوس، ومنهم علباء بن الهيثم كان سيداً بالكوفة، وهو أول من دعا إلى علي فيها[2]. ولكن المصادر لم تذكر سدوسياً غيره في الكوفة.

ومن بني شيبان بنو همام، فقد ذكر الطبري أن قيس بن عباد الشيباني جاء إلى زياد، فقال «إن امرأ منا من بني همام يقال له صيفي بن فسيل من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك»[3].

عجل

كانت ديار بني عجل في الاطراف الغربية من أواسط العراق، بالقرب من الحيرة، وقد اعتنق بعضهم المسيحية، فلما نشطت جيوش المسلمين في أطراف العراق وأخذ الفرس يستعدون لمقاومة العرب انضم إليهم بعض نصارى عجل، غير أن فريقاً من بني عجل انضم إلى الإسلام وقاتل الفرس ومن أيدهم، ومنهم: عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرّة وفرات بن حيان والمثنى بن لاحق ومذعور بن عدي[4].

لم يُذكر دور لبني عجل في حوادث الفتوح الأولى، ولكن ذكر رجال منهم شاركوا في تلك الفتوح مما يدل على مشاركتهم أو عدد منهم فيها، وأبرز من ذكرتهم المصادر الأسماء التي أوردناها أعلاه بالإضافة إلى عدد آخر.

وكان عتيبة بن النهاس ممن اتصل بهم العلاء بن الحضرمي لإعانته في حصر

(١) الطبري ١/٣٢٠٣.
(٢) المصدر نفسه ١/٣١٧٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٢٩.
(٤) المصدر نفسه ١/٢٠٣٢.

حركات المرتدين[١]، ثم انضم إلى المثنى وكان من المتشددين على من ساند الفرس من نصارى عجل[٢]. وعندما قدم خالد بن الوليد العراق أرسله إلى السيّب[٣]، ثم بقي مع المثنى[٤]. وعندما هاجم المثنى الكباث جعله خليفته على عسكره في الأنبار[٥]، ثم سرحه مع آخرين للإغارة على أحياء من تغلب والنمر في صفين[٦]. وقد وفد إلى عمر بعد وفاة المثنى، وعاد وانضم إلى جيش سعد بن أبي وقاص[٧].

شارك عتيبة في فتح الري، وكان ممن وفد على عمر بأخماس الغنائم في وجوه من أهل الكوفة[٨]، وكان على مجنبة الجيش عندما تقدم من الري إلى قومس[٩]، ومن شهود صلح جرجان وطبرستان[١٠]. ثم ولي حلوان[١١] وأنابه المغيرة بن شعبة على الكوفة عندما ذهب لمقابلة معاوية[١٢].

ومنهم سعيد بن مرة، وكان ممن وضعه خالد بن الوليد كميناً عندما قاتل الاندرزغر بالولجة[١٣]. ووضعه المثنى في المسالح عندما ذهب إلى المدينة ليخبر الخليفة عمر بحراجة وضع المسلمين[١٤] ثم كان في الوفد الذي أرسله سعد بن أبي وقاص لمفاوضة رستم[١٥].

---

(١) الطبري ١/ ١٩٧١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠٣٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٥٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢١١٥.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٦
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٧
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢٢.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٥، ٢٦٥٦.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٧.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٨، ٢٦٦٠.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٩٢٨، ٢٩٣١.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٢/ ٧٢.
(١٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٣٠.
(١٤) المصدر نفسه ١/ ٢١٢٠.
(١٥) المصدر نفسه ١/ ٢٢٧٠.

ومنهم فرات بن حيان، فكان دليلاً لقوافل قريش عندما حولت تجارتها إلى طريق العراق بعد تهديد الرسول (ص) طريق البحر الاحمر[1]، ثم أرسله الرسول (ص) إلى ثمامة بن أثال في اليمامة[2]، وقاتل الفرس ثم خلفه المثنى على الأنبار، وشارك في الغارة على تغلب والنمر في صفين[3]. ووفد إلى الخليفة عمر بن الخطاب بعد وفاة المثنى، ثم عاد مع سعد وجيشه إلى جبهة العراق[4]، وكان في الوفد الذي أرسله سعد لمفاوضة رستم[5].

اما مذعور فقد قاتل مع خالد بن الوليد[6]، وتعاون مع المثنى في تأمين انسحاب المسلمين في موقعة الجسر[7]. وكان في الوفد الذي أرسله سعد بن أبي وقاص لمقابلة رستم.

ومن العجليين الذين وردت أسماؤهم في أخبار الفتوح الأولى: المضارب بن يزيد، فقد ذكر الطبري أن المثنى سرحه إلى الكباث[8]، وكان على إحدى المجنبتين في قتال اذين بن هرمز الفارسي في بهندف[9]، وبعثه نعيم بن مقرن إلى عمر يخبره بفتح الري[10].

ومن العجليين الذي ذكروا لشجاعتهم في القادسية: علباء بن جحش العجلي[11]، وسعيد بن الريان بن الحارث[12].

ومن المشاركين في الفتوح الأولى: النسير، وكان على إحدى مجنبتي جيش

---

(١) الطبري ١/ ١٣٧٤ ـ ١٣٧٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٧٩٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢٠.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٢٦٩.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢١
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢١٢٥.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢١٢٦.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٤٧٨.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٥.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٢٦٩.
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣١٤.

المثنى في موقعة الجسر وشارك في القادسية، وأرسله سعد لإخبار عيالات المسلمين بالنصر[١]. ولما تقدم المسلمون من مرج القلعة إلى نهاوند "خلفوا عليها النسير بن ثور في عجل وحنيفة وافتتحها بعد نهاوند، ولم يشهد نهاوند عجلي ولا حنفي. أقاموا مع النسير على القلعة، فلما جمعوا فيء نهاوند والقلاع أشركوا فيها جميعاً لأن بعضهم قوى بعضاً[٢]". وقد نسبت القلعة إلى النسير[٣]، ثم ولي همدان بعد سعيد بن قيس. ويذكر الطبري أن لبني عجل وربيعة عدداً بهمدان[٤]. ولعل أصل استقرارهم يعود إلى أيام الفتوح الأولى.

ذكر عجليّ قاتل مع علي في وقعة الجمل، وهو مسلم بن عبد الله[٥]، أما في صفين فكان عبد الله بن عجل العجلي على لهازم الكوفة[٦]، وقتل منهم فيها سمير بن الحارث[٧].

وفي زمن الأمويين كان إياس بن مضارب العجلي على شرطة ابن مطيع[٨]. ولما قتل في اشتباكه مع المختار ولي ابنه راشد الشرطة مكانة[٩]. وكان قيس بن سعد العجلي على شرطة حمزة بن المغيرة[١٠]، ويذكر ابن حزم أن لإياس بن مضارب عقباً بالكوفة[١١].

ويبدو أن بني عجل أيدوا الدعوة العباسية، ففي إحدى الروايات أن أبا مسلم كان مولى عيسى بن معقل العجلي[١٢]، وقد حبس هو ويونس أبو عاصم

---

(١) الطبري ١/ ٢١٩٧.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٦٤٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٢٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٩٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣١٩٢، ٣٢١٢.
(٦) وقعة صفين ٢٠٥.
(٧) المصدر نفسه ٢٨٤.
(٨) الطبري ٢/ ٦٠٢، ٦٠٤، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢١.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٦١٦ انساب الاشراف ٥/ ٢٢٢٩ جمهرة النسب لابن حزم ٣١٢.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٩٩٤.
(١١) جمهرة النسب ٣١٣.
(١٢) الطبري ٢/ ١٧٢٩.

العجلي مع بكير[١]. واشتهر منهم في زمن العباسيين أبو دلف العجلي، وقد ثار عدد من أولاده في فارس وأصبهان ودامت ثورتهم ثلاثين سنة[٢].

يروي المدائني أن بني عجل تحوَّلوا إلى الكوفة أيام الجمل[٣]، وذكر ابن سعد أن لبني عجل خطة فيها دار فرات بن حيان العجلي[٤].

ضبيعة

كانت ضبيعة عند ظهور الإسلام تعتنق النصرانية كبني عجل وتيم اللات، وساندت جابان في قتاله المسلمين[٥]، ولم يذكر لها أو لرجالها دور في الفتوح الأولى غير أنها ذكرت في أخبار الكوفة، فعندما نظمت الأسباع صارت أسد وغطفان ومحارب وضبيعة وتغلب سبعاً[٦]، وضبيعة من اللهازم وهي حليفة ذهل بن ثعلبة[٧]. كانت لهم خطة يبدو أنها قرب عنزة والحمراء في شرق الكوفة، حيث يذكر الطبري أن المختار بعث عبدالله بن كامل للقبض على قتلة الحسين، فخرج عبدالله «حتى مر ببني ضبيعة فأخذ منهم رجلاً يقال له زياد بن مالك، ثم مضى إلى عنزة فأخذ منهم رجلاً يقال له عمران بن خالد»، ثم بعث رجلاً معه جماعة إلى دار في الحمراء[٨]. ويظهر هذا النص مشاركة رجال من ضبيعة وعنزة في قتل الحسين.

عنزة

عنزة أحد فروع بكر بن وائل، ذكر أبو عبيده أنها من اللهازم وأنها حليفة

---

(١) الطبري ٢/١٧٢٦، ١٧٢٧.
(٢) جمهرة النسب ٣١٣.
(٣) أنساب الاشراف ٤ ـ ٢/٨٧.
(٤) إبن سعد ٦/٢٥.
(٥) الطبري ١/٢٠٣٢.
(٦) المصدر نفسه ١/٢٤٩٥.
(٧) المصدر نفسه ٢/٤٤٨.
(٨) المصدر نفسه ٢/٦٦٨

قيس بن ثعلبة[1]. وكانت عند ظهور الإسلام تقيم في اليمامة، ومن أبرز فروعها فيها هزان.

لم تذكر عنزة أو أي من رجالها في حوادث الحروب الأولى في العراق أو في القادسية، غير أن الطبري يذكر أنه بعد فتح المدائن أمر عمر بن سعد بن أبي وقاص «أن يوجه عبد الله بن المعتم إلى الإنطاق، على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي، وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي، وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي، وعلى ساقته هانئ بن قيس، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة»[2]، ويذكر أن عبدالله بن المعتم سرح إلى حصن الموصل ابن الأفكل العنزي، ثم ولاه حرب الموصل، وولى الخراج عرفجة بن هرثمة[3].. ويدل هذا على أن عنزة كانت متواجدة في العراق عند فتح المدائن، ولعل عدم ورود ذكرها قبل ذلك يرجع إلى أنها هاجرت إلى العراق بعيد القادسية، أو أنه لم يكن لها دور كبير في المعركة، كما أن ارسالها في الجيش لفتح الموصل مع ذهلي وعجلي يدل على صلتها بعشائر بكر، وأنه كان لها عدد ملحوظ آنذاك.

ذكر الطبري ما يفيد أن خطط عنزة كانت بين خطط ضبيعة والحمراء[4]، أي في الجانب الشرقي من الكوفة.

وذكر نصر أنه كان في صفين مع علي أربعة آلاف مجفف من عنزة[5]، ولعلَّ في هذا الرقم مبالغة، ولكنه يدل على كثرة عددهم؛ ويذكر أن عنزة كانت مع تيم الله والنمر بن قاسط[6]. وقد انضم كثير منها إلى الخوارج، ولكن لم يكن منها رؤساء أو بارزون.

---

(١) الطبري ٢/٤٤٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٧٤.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٤٧٦ ـ ٧، (ذكر الأزدي دور عنزة في بعض حوادث الموصل «تاريخ الموصل ٢٩٦، ٣١٣ ـ ١٦، كما ذكر أن أبا العتاهية من عنزة الموصل ٣٧٣).
(٤) الطبري ٢/٦٦٨.
(٥) وقعة صفين ٣٢٨، ٥٨٨.
(٦) المصدر نفسه ٣٧٦.

ذكرت كتب الرجال والتراجم أسماء خمسة من عنزة ممن أسهموا في دراسة الحديث، ولم تذكر لهم موالي.

يشكر

كانت ديار يشكر عند ظهور الإسلام في اليمامة[١]، ولم يذكر لهم أو لأحد رجالهم دور في الأيام الأولى أو القادسية أو الفتوح الاولى، ولم تذكر لهم خطة في الكوفة. وأول ذكر لهم في الكوفة كان عن عبدالله بن الكواء اليشكري الذي كان من الثائرين على سعيد بن العاص[٢]، وممن أمر عثمان بنفيهم إلى دمشق، ثم عاد بعدها إلى الكوفة[٣]، ويبدو أنه شارك في صفين، فلما عاد علي إلى الكوفة واتى الخوارج في حروراء جعلوه أمير الصلاة عليهم[٤]. ولما صفت الخلافة لمعاوية عاد ابن الكواء إلى الكوفة، ولكنه كان ممن لم يصلِّ مع الجماعة، فألزمهم المغيرة بن شعبة الصلاة مع الجماعة، وكانوا من الموالين لعلي[٥].

وكان من يشكر عدد من الخوارج البارزين، ومن أبرز متكلميهم عبيدة بن هلال[٦] وكان مع ابن الازرق[٧]، ثم ولي قيادتهم في ثورتهم ضد الحجاج بعد مقتل قطري[٨]. ومن الخوارج الريان بن عبدالله[٩]، وشوذب[١٠]، وابن عمه هدبة[١١].

---

(١) الطبري ١/١٩٥٦.
(٢) المصدر نفسه ١/٢٩٠٨.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٩٢٦.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٣٤٩، ٣٣٥٨، ٣٣٨٨.
(٥) المصدر نفسه ٢/٢٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/٥١٥، ٥٨٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/٥٨١، ٥٨٢.
(٨) المصدر نفسه ٢/١٠٩٠.
(٩) المصدر نفسه ٢/١٣٧٨.
(١٠) المصدر نفسه ٢/١٣٨٤.
(١١) المصدر نفسه ٢/١٣٧٥.

تغلب

كانت ديار تغلب عند ظهور الإسلام تمتد على الجوانب الغربية من الطرف الأعلى من الفرات، وكانت تعتنق النصرانية، ويبدو أن صلتها بالروم في الشام أقوى من صلتها بالمناذرة في العراق، وكان بنو تغلب أهل إبل ومواشي[(١)]. وأول ذكر لاشتراكهم في فتح العراق كان في معركة البويب، حيث يذكر الطبري أنه عندما كان العرب يستعدون لقتال الفرس «قدم ابن مِردى التغلبي في أناس من بني تغلب نصارى وجلاّبِ جلبوا خيلاً ـ وهو عبد الله بن كليب بن خالد ـ وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا»[(٢)].

ساند فريق من تغلب العرب وشاركوا في فتح تكريت[(٣)]، وعندما تقدم العرب من الموصل لتهديد حمص التي اتخذها هرقل قاعدة له، كان من القواد العرب المتقدمين أيضاً الوليد بن عقبة فسار في تغلب وعرب الجزيرة، وطووا مدائن الجزيرة[(٤)]، واضطر هرقل أمام هذا التهديد إلى الانسحاب من حمص.

وعندما انتصر العرب وهيمنوا على الموصل وتكريت وما حولهما، وتجلّى اندحار الفرس والرومو أقبلت العيون من تغلب وإياد والنمر إلى عبد الله بن المعتم بخبر انسحاب الروم، وسألوه للعرب السلم وأخبروه أنهم قد استجابوا له[(٥)].

كان لتغلب موقف خاص بسبب موقع بلادهم وأحوالهم الخاصة، إذ كانت ديارهم في الفرات الأوسط والجزيرة وفي أطراف البلاد التي يسيطر عليها الروم والفرس، فكان موقعهم على الحدود يجعل لهاتين الدولتين حاجة إلى خدماتهم، ثم أنهم كانوا يقومون بنقل السلع والتجارة مع البلاد التابعة للفرس

---

(١) فتوح البلدان ١٨١، الطبري ١/ ٢١٩٠.
(٢) الطبري ١/ ٢١٩٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٧٦.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٩٥.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٤٥٧.

والروم، وكذلك مع العرب في أطراف العراق والجزيرة، فمصالحهم تقضي عليهم الاحتفاظ بالصلة مع العرب، كما أن تمتعهم بالسلطة الذاتية يتيح لهم اتخاذ مواقف ملائمة لمصالحهم، والراجح أنهم كانوا على المذهب اليعقوبي من النصرانية، فهم يختلفون عن الفرس الزرادشتيين، وعن الروم الأرثوذكس وعن النساطرة في العراق. كل هذا جعل لبني تغلب وضعاً خاصاً أدركه القواد العرب فعملوا على جلبهم جانبهم، ويروي الطبري أن عبد الله بن المعتم، وهو القائد العربي الذي كان يقود الجيش الإسلامي في المنطقة التي فيها ديار تغلب، قدم إلى عمر ومعه وفود، «وكان في وفده عتيبة ابن الرعل وذو القرط وابن ذي السنية وابن الحجر وبشر، فعاقدوا عمر على بني تغلب، فعقد لهم على من أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ومن أبى فعليه الجزاء، وإنما الإجبار من العرب على من كان في جزيرة العرب، فقالوا إذاً يهربون وينقطعون فيصيرون عجماً.. فقال ليس إلاّ الجزاء، فقالوا تجعل جزيتهم مثل صدقة المسلم فهو مجهودهم ففعل على ألّا ينصروا وليداً ممن أسلم آباؤهم، فقالوا لك ذلك، فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم من النمريين والإياديين إلى سعد بالمدائن، وخطوا معه بعد الكوفة، وأقام من أقام في بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهم وذميهم»[1].

يتبيّن مما تقدم أن عدداً من بني تغلب أسلم وانضم إلى جيوش الإسلام قبل تأسيس الكوفة، فلما مصّرت الكوفة كانت للتغلبيين فيها خطط، وقد تردد ذكرها وذكرهم في أخبار الحوادث، غير أنه لم يذكر من رجالهم من برز في تلك الحوادث.

فأما عن خططهم، فإن الطبري يذكر أن أبا الهياج عندما نظم نزول القبائل في الكوفة، أنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقين، وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات على آخرهم

(١) الطبري ١ / ٢٤٨٢، وانظر: الخراج لابي يوسف، الأموال لأبي عبيدة، الخراج ليحيى بن آدم ٦٥.

وتغلب[1]. وظلت خطتهم قائمة دون أن تتأثر بالتبدلات التي حدثت في بعض الخطط. يروي الطبري أن زيد بن علي عندما قدم الكوفة كان ينزل منازل شتى: في دار امرأته من الأزد، ومرة في أصهاره المسلمين، ومرة عند نصر بن خزيمة من بني عبس، ومرة في بني غبر، حتى استقر في بني نهد وبني تغلب عند مسجد هلال بن عامر فأقام يبايع الناس[2]. وهذا النص يظهر أن خطط تغلب كانت قريبة من خطط بني نهد وغبر بعيدة عن مركز الكوفة ومسجدها وقصرها، وأن تغلب لم تكن ميالة للأمويين مما حدا بزيد بن علي إلى اختيار منطقة خططهم لإعلان حركته، وكانت تغلب من القبائل التي ذكرت في قائمة الأسباع في زمن عمر وقبيل وقعة الجمل؛ فأما في زمن عمر فإن الطبري يذكر أنه عندما نُظمت الكوفة أسباعاً صارت أسد وغطفان ومحارب والنمر وضبيعة وتغلب سبعاً[3]، وعند الاستعداد لمعركة الجمل خرج إلى علي (من الكوفة) اثنا عشر ألف رجل وهم أسباع.. سُبع بكر بن وائل وتغلب عليهم وعلة بن محدوج الذهلي[4].

لم تذكر تغلب في قائمة أسباع الكوفة في وقعة صفين، والراجح أن عدم ذكرها راجع إلى إغفال النساخ إيراد القائمة كاملة، فقد ورد اشتراك أحد رجالهم فيها، إذ يذكر الطبري أن شريك بن جرير التغلبي كان مع علي وأصيبت عينه، فلمّا انقضت حرب علي لحق ببيت المقدس فكان به، فلما بلغه أن المختار خرج يطلب بدم الحسين اجتمع إليه فوجهه مع ابراهيم بن الأشتر وجعله على خيل ربيعة. وممن ذكر اشتراكه في صفين مع علي كعب بن جعيل التغلبي[5].

(١) الطبري ١/ ٢٤٨٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٦٨٧.
(٣) المصدر نفسه ١٠/ ٢٤٩٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣١٧٤
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣١٨٧، ٣٢٩٦، ٣٣١٥.

ذكر الطبري أن عروة بن بطال التغلبي كان في جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين في كربلاء[1].

شاركت تغلب في قتال شبيب الخارجي مع الجيش الذي أرسله الحجاج بقيادة عتاب، ويبدو أن عدد المشاركين منهم في تلك المعركة كان كبيراً، فيروي الطبري عن هذا القتال: «فلما صف عتاب الناس جعل على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس وقال يا ابن أخي إنك شريف فاصبر وصابر، فقال أما أنا فوالله لأقاتلن ما ثبت معي انسان، وقال لقبيصة بن والق وكان يومئذ على ثلث بني تغلب: اكفني الميسرة، فقال أنا شيخ كبير كثير مني ما تطلبه من القيام ما أستطيع القيام، ولكن هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغلبيان، وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب، فقال ابعث أيهما أحببت فأيهما بعثت فلتبعثن ذا حزم وعزم وغناء، فبعث نعيم بن عليم على ميسرته»[2]؛ ولما هاجمهم شبيب «ثبت أصحاب رايات قبيصة بن والق وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم فقتلوا، وانهزمت الميسرة كلها، ونادى اناس من تغلب قتل قبيصة بن والق، فقال شبيب: قتلتم قبيصة بن والق التغلبي يامعشر المسلمين»[3]. وكان من أصحاب شبيب «رجل من تغلب من بني زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو، وكان أصاب دماً في قومه فلحق بشبيب وكان من الفرسان»[4].

حنيفة

كانت ديار حنيفة في اليمامة، وكان لها كيان سياسي مستقل ورئيسها هوذة، فلما مات سيطر مسيلمة على اليمامة وادعى النبوة ولم يدن للإسلام ولم ينضمّ إلى دولته، ولم يتم ضمها إلى الإسلام إلاّ بعد معارك دامية.

---

(١) الطبري ٢/ ٣٦٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٩٥٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٥٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٥٣.

لم يُذكر لحنيفة أو أي من رجالها دور في الحوادث الأولى للكوفة، ولم تُذكر في عشائر الأسباع، ولم تذكر لها خطة، وأول ذكر لها في الحوادث التي جرت قبيل معركة نهاوند، وفي الإشارة إلى الذين رافقوا النسير وأقاموا في قلعته، ولعلهم جاؤوا بعد القادسية، وكان دورهم ضئيلاً. وظل عدد منهم مقيماً مع عجل في نهاوند[1]. وتردد ذكر دورهم في اتصال الحسين بأهل الكوفة، فكان سعيد بن عبد الله الحنفي ممن سرح إلى الحسين[2]، وأيّد مسلم بن عقيل[3]، وقُتل مع الحسين.

بايع سعد بن أبي سعد الحنفي المختار على الخروج معه[4]، وقاتل مصعب[5]، غير أنه لم يكن كل بني حنيفة مع المختار، الذي قتله رجلان من حنيفة[6].

وذكر ابن أبي شيبة أن حنيفة في الكوفة ظلت تقدر مسيلمة، وكانوا في صلواتهم في مسجدهم يقرأون ما ادعى أنه نزل عليه، ولما علم بذلك تمّ منعهم[7]. وذكرت كتب التراجم والرجال اربعة عشر رجلاً من الكوفة منسوبين إلى حنيفة، ولم تذكر اسم مولى لهم.

عبد القيس

كانت عبد القيس عند ظهور الإسلام تقيم في البحرين وانتشرت فيها النصرانية[8]. وكان الجارود نصرانياً وله تجارة مع المدينة[9]، ثم أسلمت

(١) الطبري ١/ ٢٠١٢، وانظر عن ابن القيس: شرح نهج البلاغة ٤/ ٢٣١ ياقوت ٤/ ٧٨٤.
(٢) الطبري ٢/ ٢٣٤.
(٣) المصدر نفسه ٣/ ٢٣٨.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٢.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٤٥، أنساب الاشراف ٥/ ٢٣.
(٦) المصدر نفسه ٢ ٧٣٨.
(٧) المصنف لابن أبي شيبة ١٢/ ٢٧٧، ٣٩٢؛ مصنف عبد الرزاق ١٠/ ١٦٨؛ سنن البيهقي ٨/ ٢٠١.
(٨) الطبري ١ / ١٧٣٦، ١٩٥٨.
(٩) المصدر نفسه ١/ ١٤٣٠.

وأرسلت وفداً إلى الرسول (ص)[1]، وثبتت على الإسلام بعد وفاته، وكانت أول جمعة جمعت خارج المدينة في جواثا بالبحرين[2].

وأول ذكر لها في جبهة العراق في أول خلافة عمر بن الخطاب، حين قدم عليه قرط بن الحجاج في عبد القيس، فوجهه إلى المثنى وشاركوا في القادسية[3]. ومنهم من قاتل شهربراز[4].

وعندما انضمت أسباع الكوفة كانت عبد القيس من سُبع معهم فيه اياد وعك وأهل هجر والحمراء[5]. وكانت لهم خطة ومسجد وصحراء ذكرها الطبري في كلامه عن عدد من الحوادث، فلما طارد المغيرة بن شعبة الخوارج الذين ظهروا إبان ولايته على الكوفة «خرجوا من الحيرة متفرقين فقال لهم صاحبهم الحقوا بي في دار سليم بن مخدوج العبدي من بني سلمة، فخرج من الحيرة فمضى حتى أتى عبد القيس فأتى بني سلمة فبعث إلى سليم بن مخدوج وكان له صهراً»[6].. وهذا النص قد يبين أن خطط عبد القيس في جهة قريبة من الحيرة، وأنها في أطراف الكوفة لا في قلبها، وفي يوم جبانة السبيع أرسل المختار نجدة إلى ابن كامل، وقال له امض حتى تاتي إلى جبانة السبيع. ثم أخذ في تلك السكك حتى وصل إلى مسجد عبد القيس فوقف عنده[7]. ولما طارد المختار قتلة الحسين كان من هؤلاء القتلة حميد بن مسلم الأزدي، وروي أنه قال «جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار فخرجت نحو عبد القيس وخرج عبد الله وعبد الرحمن ابنا صلخب في أثري وشغلوا بالاحتباس عليهما عني فنجوت وأخذوهما»[8]. وهذا النص قد يدل على أن عبد القيس كانت قرب الأزد، وأنها في طرف الكوفة بحيث يسهل منها الهرب ومغادرة الكوفة.

---

(١) الطبري ١/١٧٣٦، ١٩٥٨؛ وانظر كتابنا «الدولة في عهد الرسول (ص)».
(٢) الطبري ١/١٢٥٨.
(٣) المصدر نفسه ١/٢١٨٩، ٢٣٢٣.
(٤) المصدر نفسه ١/٢١٩٤.
(٥) المصدر نفسه ١/٢٤٩٥.
(٦) المصدر نفسه ٢/٣٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/٣٢
(٨) المصدر نفسه ٢/٦٦٩.

ولما استقر زيد بن علي في دار معاوية بن اسحاق بن زيد بن حارثة الانصاري في طرف جبانة سلول، وطلبه يوسف بن عمر، خرج من دار معاوية بن اسحاق وبعث القاسم التّنصي ثم الحضرمي ورجلاً آخر، فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس الكندي فشدوا عليه[1]. ويتضح من هذا النص أن موضع صحراء عبد القيس لا يبعد عن جبانة سلول.

اشتركت عبد القيس في صفين وكان سعد بن مسعود الثقفي على قيس وعبد القيس، وكان على رجال الميسرة الحارث بن مرة العبدي[2]. وقد عبيت عبد القيس للكلاع[3]. وكانت رايتهم في الموقعة مع القاسم بن مسيلمة ثم مع زيد بن صوحان فراشد بن منقذ بن النعمان[4].

ظهرت من عبد القيس شخصيات أعلنت نقمتها على عثمان، منهم: صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان؛ فأما صعصعة فكان ممن ثار على سعيد بن العاص عندما قال أن السواد بستان لقريش[5]. ثم نفي إلى الشام وذمه معاوية[6]. ثم اشترك في حرب الجمل وجُرح[7]، وأرسل لمفاوضة معاوية قبيل صفين[8]. وكان على راية الميسرة وعلى رجالها الحارث بن زياد[9]. وكان ممن أرسله علي إلى الخوارج[10]، وحرّض عبد القيس على عدم الاشتراك معهم[11]. أما زيد بن صوحان فكان ممن يطعن على عثمان[12]. ولما خرج

(١) الطبري ٢/ ١٧٠١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٢٤؛ وقعة صفين ٣٢٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٣١٤. وقعة صفين ٢٩٧.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٢١٤. وقعة صفين ١٣٢.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٩٠٨.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٩١٧، ٢٩٢١، ٢٩٢٥.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣١٩٢/ ٣١٩٤.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٢٦٨.
(٩) المصدر نفسه ١/ ١٣٢٢. وقعة صفين ٣٢٢.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤١.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٣٢٦٨
(١٢) المصدر نفسه ١/ ٢٩٥٤، ٣٠٣٤.

أهل الكوفة على عثمان كان زيد أحد الرفاق الذين رأسوهم[١]. ولم يؤيد عائشة في خروجها[٢]، بل ساعد علياً[٣]، واشترك في الجمل. وكانت بيده راية ميسرة أهل الكوفة فقتل[٤]. أما شيمان بن صوحان، فقد كان متحمساً لعلي واشترك في موقعة الجمل حيث قتل وبيده الراية[٥].

اشترك بعض عبد القيس في حركات ضد علي، فالخريت بن راشد الناجي «أفسد من قبل عبد القيس ومن والاهم من العرب»[٦]. ولحق فراس بن هذيم بن قيس العبدي بمعاوية[٧]. كما انضم بعضهم إلى الخوارج، فيروي حميد بن هلال حديثاً عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم[٨]. وكان منهم بعض الخوارج الذين ظهروا بالكوفة زمن إمارة المغيرة بن شعبة وضايقتهم السلطة، «ثم خرجوا من الحيرة فقال لهم صاحبهم الحقوا بي في دار سليم بن مخدوج العبدي من بني سلمة فخرج من الحيرة حتى أتى عبد القيس فأتى بني سلمة فبعث إلى سليم بن مخدوج وكان له صهراً»[٩]. غير أن فريقاً آخر كان ضد الخوارج، ولعل ذلك بتأثير صوحان الذي خطب فيهم فاستطاع أن يقنعهم بعدم الانضمام إلى الخوارج، ولما ندب فريق منهم لقتال الخوارج كان منهم الأسود بن قيس الراوية[١٠].

اشترك من عبد القيس في قتل الحسين مُرّة بن منقذ بن النعمان العبدي الليثي الذي قتل علي الأكبر ابن الحسين[١١]. فلما تتبع المختار قتلة الحسين

(١) الطبري ١/ ٢٩٥٤، ٣٠٣٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣١٣٨
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣١٤٧، ٣١٥٥
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣١٩٤، ٣١٩٩، ٣٢٠٢، ٣٢٠٤، ٣٢١٠، ٣٢١٣، ٣٢٢٢
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣١٩٤، ٣٢٠٢، ٣٢١٢، ٢٣١٣، ٣٢٢٨
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٣٣.
(٧) موقعة صفين ٣٠٦
(٨) الطبري ١/ ٣٤٣٣.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٣٢.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٣٣، ٣٧.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٦٧٧.

أرسل إليه عبد الله بن كامل، ولكن مرة استطاع أن يهرب إلى المصعب[١]. كما اشترك رضا بن منقذ في الهجوم على جماعة الحسين وقتل منهم برير[٢].

وكان منهم من أيد الحجاج، فبعد أن انتهى أمر ابن الاشعث وجاء الحجاج فدخل الكوفة أجلس مصقلة بن كليب بن رقبة العبدي إلى جنبه، وكان خطيباً، فقال له اشتم كل امرئ بما فيه[٣]. وانضم بعض بني عبد القيس إلى زيد بن علي، وقد ذكر من هؤلاء ابو الصبار العبدي، وذكرت من عشائر عبد القيس بنو سليم، ومنهم سليم بن مخدوج ومصقل بن عميرة بن ربيعة وهو حليفهم[٤].

ومنهم أيضاً بنو ليث الذين منهم مرة بن منقذ بن النعمان[٥]. وذكرت كتب التراجم والرجال أسماء ثلاثة عشر منسوبين إلى عبد القيس.

أهل هجر

ذكر الطبري أن أحد أسباع الكوفة في زمن عمر بن الخطاب كان مكوناً من إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر والحمراء[٦]. وذكر أيضاً أنه عندما نضم العطاء قدّم أهل الشام وأهل القادسية وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين[٧].

كانت هجر من أكبر مدن البحرين، وكانت عند ظهور الإسلام من المراكز التجارية الكبيرة، وأهلها من العرب، ولعل أكثرهم من عبد القيس، إلاّ أن استقرارهم في ذلك المركز الحدودي أكسبهم سمة خاصة تميزت عن البدو وأهل الريف من بني عبد القيس[٨]. والراجح أن أهل هجر كانت صلتهم قوية بعبد القيس، ولكنهم ظلوا وحدة قائمة بذاتها.

---

(١) الطبري ٢/ ٣٧٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٠٤٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٣٣٩.
(٥) المصدر نفسه / ٣٣٧
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤١٣.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٤١٣.
(٨) انظر تفاصيل أوفى عن هجر في كتابنا «الدولة في عهد الرسول (ص)».

طي

كانت لطي عند ظهور الإسلام علاقة بالمنطقة التي تأسست فيها الكوفة، فقد استوطن بعض رجالها الحيرة[1]، وعندما زالت دولة المناذرة ولي الحيرة قبيصة بن إياس الطائي، ولما قدم خالد بن الوليد الحيرة استقبله قبيصة بالترحاب[2]. وانضم عدي بن حاتم الطائي إلى خالد بن الوليد وأسهم في حركات خالد في العراق[3]، وأغار معه على المصيخ[4]. وكان دليل خالد في قطع الصحراء رافع الطائي[5]. ولم يذكر لطي أو لأي رجل منهم دور في الحركات العسكرية التي حدثت بين مغادرة خالد بن الوليد العراق وتقدم سعد بن أبي وقاص، غير أن في الطبري إشارة إلى أن بعضهم ظل في العراق وأسهم في تلك الحركات، فيقول الطبري: إنه عندما تقدم سعد إلى العراق انضم اليه «ألفان» من قضاعة وطي ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك من طي مع عدي بن حاتم. ولم تذكر المصادر عدد من كان مع عدي أو عدد الطائيين الذين انضموا إلى سعد، ولم تشر إلى دور رجالهم في القادسية وما تلاها من حركات حتى تقدم العرب إلى نهاوند، ولكن الطبري يذكر: «لما تقدم نعيم بن مقرن إلى همدان كان على إحدى مجنبتيه مهلهل بن زيد الطائي»[6]. وهو ممن فرقت عليهم مسالح دستبي[7].

لم ترد إشارة إلى خطط طي في الكوفة، ولكن وردت إشارة إلى مسجد عدي بن حاتم[8] وإلى كثرة عددهم، فيروي الطبري أن الطرماح قال للحسين «فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائي يضربون بين يديك بأسيافهم»[9]، وقد يكون

---

(١) الطبري ١/ ٦٨٥، ٦٨٦، ٧٩٤.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢٣، ٢١٢٢.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٠٧١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٠٢٣، ٢٢١٢.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٦٤٩.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٠.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٤.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٤

في هذا العدد مبالغة ولكنه يشير إلى كثرتهم، ولا يحدد عدد من كان بالكوفة منهم. وكان أبرزَ فروع طي بنو عدي رهط حاتم، وبنو حرمز، وكانوا أكثر عدداً من بني عدي[١].

وردت إشارة إلى أن علياً عندما تقدم من المدينة إلى البصرة في أول خلافته ووصل الربذة[٢]، ثم وصل فيد[٣]، أتته جماعة من طي وعرضت عليه انضمامها اليه لإسناده، ولكن علياً لم يستعن بهم.

غير أن عدداً من رجال علي وعلى رأسهم عدي بن حاتم نفروا من الكوفة لاسناد علي[٤]، وشاركوا في معركة الجمل وبيدهم قتل عبد الله بن حكيم[٥].

شاركت طي مع علي في صفين[٦]، وكان «عدي على طي ويجمعهم الدعوة مع مذحج»[٧]، واشتبكت في إحدى المعارك مع قوة من أهل الشام[٨]، وكان عدي ممن أرسله علي للموادعة[٩].

ومن رجال طي خالد بن معدان وهو من أهل الصلاح، أرسله علي نجدة لمطاردة بني ناجية[١٠]. وكان عدد من رجال طي خوارج عندما ظهرت حركتهم في صفين. ومن أبرز هؤلاء الأوائل زيد بن حصين الطائي السنبسي، الذي كان أحد اثنين «في عصابة معها من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك»[١١].

---

(١) الطبري ١/ ٣٢٨٠.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٣٤٣.
(٣) المصدر نفسه ١/٣٣٤٣، ٣١٥٤.
(٤) المصدر نفسه ١/٣١٥٥.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠٢، ٣٢٠٧.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٢٨٠، ٣٣٠٨ وانظر وقعة صفين ٢٠.
(٧) وقعة صفين ١٣٢.
(٨) المصدر نفسه ٣١٦.
(٩) الطبري ١/ ٣٢٧٤.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٣٣٠
(١١) المصدر نفسه ١/٣٣٦٨

وكان زيد طالب أن يكون أبو موسى ممثلَ عليّ في التحكيم[1]، ثم عرضت عليه رئاسة الخوارج عند انشقاقهم عن علي[2]، وتنازل عن الرئاسة لعبد الله بن وهب، ولم يستجب لمكاتبة علي إياه[3]، وكان على ميمنة الخوارج في النهروان[4]، ثم قتل في المعركة[5].

ومن الخوارج الطائيين طرفة بن عدي[6]، وقد قتل في النهروان ومعه القعقاع بن قيس الذي أراد الخوارج ضمه إلى أهل النهروان فمنعه أهله[7]. ومنهم معاذ بن جوين السنبسي الذي حبسه المغيرة[8]. غير أن عدداً من الطائيين لم يساندوا الخوارج، ومنهم عدي بن حاتم كان مؤيداً لعلي[9]، ويكره الخوارج[10]. ومنهم عبد الله بن خليفة الذي واثب عدي بن حاتم على رئاسة علي في الكوفة[11]، وكان من الشرط[12]، وشهد على حجر[13].

ومنهم عبد الله بن أفضل الذي خرج من المدائن وانضمّ إلى جيش الاشتر في قتال عبيد الله بن زياد[14]، وكان عبد الله بن مالك أحد قضاة المختار[15].

---

(١) الطبري ١/ ٣٣٣٣.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٣٦٥.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٣٦٨.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣٣٨١.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣١٨٢، ٢/ ٢٠.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٣٣٦٦، ٣٣٨٤.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٣٦٣.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ١٨١.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧١.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٣٧.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٣٧.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ١١٩.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ١٢٩.
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ٥٢١.
(١٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٣٦.

الفصل السادس عشر

المقاتلة الأعاجم في الكوفة

أباح عمر بن الخطاب استخدام القوات العسكرية المقاتلة في صفوف دول الأعاجم إذا انضمت برغبة منها للقتال مع الجيوش العربية، وأجاز لهم أن يكونوا وحدات مستقلة محتفظة بتنظيماتها القديمة ورؤسائها وأن يعاملوا كالمقاتلة العرب في العطاء والرزق، وقد تم هذا في عدة جبهات، فكان منهم في البصرة الاساورة والسيابجة والزط وفي الفسطاط كان منهم الحمراء من الروم والفرس[1]، وكان عمر بقراره هذا يضعف قوات الأعداء الذين يقاتلهم ويستفيد من خبراتهم في القتال ويزيد بأعدادهم القوات الإسلامية التي استنفدت معظم طاقات أهل الجزيرة العربية. وتظهر المعلومات أن هؤلاء الأعاجم قاتلوا بإخلاص مع المسلمين واسندت إلى بعضهم مهام أمنية داخلية أخلصوا في أدائها، فكانت دافعاً لحسن معاملة العرب لهم. غير أنه لم تكن لهم المكانة العليا في الأمصار، ولم يرد خبر عن مشاركتهم في الحوادث الداخلية والفتن التي استعرت بين العرب أو في حركات التمرد إبان العهود الأولى.

الحمراء

كان للكوفة نصيب من هذه القوات وأبرزها الحمراء والقيقانية، وفي المصادر معلومات واسعة عن حمراء الكوفة، وخططهم عند السبخة في الأطراف الشرقية من الكوفة بالقرب من شاطيء الفرات.

---

(١) انظر ما كتبناه عن هذه القوات في: كتابنا «التنظيمات الاجتماعية في البصرة»، وكتابنا «أهل الفسطاط».

رويت في أصول الحمراء روايتان رئيسيتان، تذكر أحداهما أنهم كانوا من جند الملك وانضموا إلى الإسلام في القادسية، وتذكر الثانية أنهم كانوا مقيمين في أطراف الديلم وانضموا إلى الإسلام بعد غزو قزوين.

فأما الرواية الأولى، فقد ذكرها عدة رواة منهم المدائني، حين قال: كان ابرويز وجه إلى الديلم فأتى بأربعة آلاف، وكانوا خدمه وخاصته، ثم كانوا على تلك المنزلة بعده وشهدوا القادسية مع رستم، فلمَّا قُتل اعتزلوا وقالوا ما نحن كهؤلاء ولا لنا ملجأ، وأثرنا عندهم غير جميل، والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم فنعز بهم، فاعتزلوا.. فقال سعد: ما هؤلاء، فأتاهم المغيرة بن شعبة فسألهم عن أمرهم، فأجابوه بخبرهم وقالوا ندخل في دينكم، فرجع إلى سعد فأخبره فأمنهم فأسلموا وشهدوا فتح المدائن مع سعد، وشهدوا فتح جلولاء ثم تحولوا فنزلوا الكوفة مع المسلمين. ويروى أيضاً عن أبي مسعود الكوفي عن بعض الكوفيين عن مسعر بن كدام أنه «كان مع رستم يوم القادسية أربعة آلاف يسمون جند شاهنشاه، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أرادوا أو يحالفوا من أحبوا، ويفرض لهم في العطاء، فأعطوا الذين سألوه»[١].

ويروي سيف بن عمر عن أبي عمرو عن عثمان النهدي أن سعد قدم القادسية في اثني عشر ألف من أهل الأيام وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين فأعانوهم، أسلم بعضهم قبل القتال، وأسلم بعضهم غب القتال، فأُشركوا في الغنيمة وفرضت لهم فرائض أهل القادسية ألفين ألفين[٢]. ويتصل بهذه الرواية ما رواه سيف: «وقال الديلم ورؤساء أهل المسالح الذين استجابوا للمسلمين وقاتلوا معهم على غير الإسلام: اخواننا الذين دخلوا في هذا الأمر من أول الشأن أصوب منا وخير، ولا والله لا يفلح أهل فارس بعد رستم إلاَّ من دخل في الأمر منهم فأسلموا»[٣].

---

(١) فتوح البلدان ٢٨٠.
(٢) الطبري ١/ ٢٢٦٠.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٠.

وروى سيف أيضاً: فلما هزم الله عز وجل أهل جلولاء وخرج القعقاع بن عمرو في آثار القوم إلى خانقين في جند من أفناء الناس ومن الحمراء، واستولى المسلمون على حلوان وأنزلها القعقاع الحمراء وولى عليهم قباذ، ولم يزل القعقاع هنالك على الثغر والجزاء بعدما دعاهم فتراجعوا واقروا بالجزاء، إلى أن تحوّل سعد من المدائن إلى الكوفة فلحق به واستخلف قباذ على الثغر، وكان أصله خراسانياً[(١)].

ثم يذكر أنه بعد جلولاء نزل القعقاع بحلوان في جند من الأفناء ومن الحمراء، فلم يزل بها إلى أن تحوّل الناس من المدائن إلى الكوفة، فلما خرج سعد من المدائن إلى الكوفة لحق به القعقاع. وذكر أن عمر كتب إلى سعد «أن يستعينوا بمن احتاجوا إليه من الأساورة ويرفع عنهم الجزاء»[(٢)]، ويروي أيضاً أن سعد كتب إلى القعقاع بن عمرو أن خلف على الناس بجلولاء قباذ فيمن تبعكم إلى من كان معه من الحمراء، ففعل[(٣)]، وذكر «كان خليفة القعقاع على حلوان قباذ»[(٤)]؛ وأنه عندما بدأ الفرس يجتمعون في جلولاء «بلغ سعد الخبر عن قباذ صاحب حلوان»[(٥)].

ينص المدائني ومسعر بن كدام وأبو عثمان أن الحمراء كانوا مع رستم في معركة القادسية، ولا يحدّد مسعر زمن انضمامهم للعرب، أما المدائني فينص على أن انضمامهم تم بعد هزيمة الفرس ومقتل رستم في القادسية. ويقول أبو عثمان: أسلم بعضهم قبل القتال، وأسلم بعضهم غب القتال. ويلاحظ أنه لم يذكر في أخبار القادسية للحمراء قائد أو دور ملحوظ، كما أن استسلامهم قبل القادسية أو بعيدها لا يمكن قبوله، لأن الفرس وإن كانوا انهزموا في القادسية إلاً أن ملكهم تضعضعت قوته بعد جلولاء وانهارت بعد نهاوند، فمن الصعب

(١) الطبري ١/ ٢٤٧٣.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٧.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٧.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٦٠٥.

أن نقبل استسلام الحمراء بُعيد القادسية الذي لم يتم فيه فتح العراق بعد، لذلك لا يصح قبول رواية المدائني بأنهم شهدوا فتح المدائن مع سعد، وشهدوا فتح جلولاء «ويذكر مسعر بن كدام أن الذين جلبهم أبرويز وانضموا إلى المسلمين كانوا أربعة آلاف»[1].

وحول أصل الحمراء يذكر البلاذري روايتين، عن أبي مسعود أنه قال: «وسمعت من يذكر أن هؤلاء الأساورة كانوا مقيمين بإزاء الديلم، فلما غشيهم المسلمون أسلموا على مثل ما أسلم عليه أساورة البصرة وأتوا الكوفة فأقاموا بها»[2]. وروي عن عدة من أهل قزوين وبكر بن الهيثم عن شيخ من أهل الري قالوا أن البراء بن عازب «غزا أهل حصن قزوين، فلما بلغهم قصد المسلمين لهم وجهوا إلى الديالمة يسألونهم نصرتهم فوعدوهم أن يفعلوا، وحل البراء والمسلمون بقوتهم فخرجوا لقتالهم والديلميون وقوف على الجبل لا يمدون إلى المسلمين يداً، فلما رأوا ذلك طلبوا الصلح فعرض عليهم ما أعطي أهل أبهر، فأعفوا من الجزية وأظهروا الإسلام، فقيل إنهم نزلوا على مثل ما نزل عليه أساورة البصرة من الإسلام على أن يكونوا مع من شاؤوا، فنزلوا الكوفة وحالفوا زهرة بن حوية فسموا حمراء الديلم، وقيل إنهم أسلموا وأقاموا بمكانهم وصارت أرضوهم عشرية، فرتب البراء معهم خمسمائة رجل من المسلمين معهم طليحة بن خويلد الأسدي، وأقطعهم أرضين لاحق فيها لأحد»[3].

ويلاحظ أن الطبري ذكر أن الحمراء في الكوفة كانت في السبع الذي فيه إياد وعك وعبد القيس وأهل هجر[4]، غير أنه لم ترد لهم إشارة في الأسباع التي ذكرت في وقعتي الجمل وصفين.

---

(١) الطبري ١/ ٢٢٦١.
(٢) فتوح البلدان ٢٨٠.
(٣) المصدر نفسه ٣٢١ ـ ٣٢٢.
(٤) الطبري ١/ ٢٤٩٥.

تتفق هذه الروايات على أن انضمامهم إلى المسلمين تم إبان فتوح قزوين والمناطق الواقعة في الاطراف الجنوبية من بحر قزوين، غير انها تختلف في تحديد تكوينهم وكيفية انضمامهم. فأبو مسعود يقول إنهم «أساورة كانوا مقيمين بإزاء الديلم»، أي أنهم لم يكونوا من الديلم، وأنهم كانوا أساورة أي من طبقة الفرسان ذات الامتيازات في زمن الساسانين، مما يدل على أنهم من المقربين للملوك الساسانيين، ولعلهم من أطراف اصفهان، ويجدر بالذكر أن الطبري يذكر (رستاق من رساتيق ماه دينار يقال له سامان متاخم أرض أصفهان، وهو رستاق كانت الحمراء تنزله) غير أنه ليست في المصادر إشارة إلى أنهم كانوا من الأساورة.

أما رواية البلاذري عن شيخ من أهل الري، فتذكر أنهم كانوا ديالمة وهو يذكر أنهم وعدوا أهل قزوين بمساعدتهم، ولكنهم لم ينفذوا وعدهم، ويسّر هذا الموقف السلبي للمسلمين التغلب على قزوين؛ غير أن الشطر الثاني من الخبر فيه يذكر أنهم (أظهروا الإسلام) ولكنه يقدم روايتين عما حل بعد ذلك: الأولى أنهم «أقاموا بمكانهم وصارت أرضوهم عشرية فرتب البراء معهم خمسمائة رجل من المسلمين معهم طليحة بن خويلد الاسدي، وأقطعهم أرضين لاحق لأحد فيها». والرواية الثانية، «أنهم نزلوا على مثل مانزل عليه أساورة البصرة من الإسلام، على أن يكونوا مع من شاؤوا»، ولا ريب في أن استيطانهم الكوفة يدل على أن الرواية الثانية هي أقرب إلى الصحة، غير أن القول إنهم شرطوا لانضمامهم إلى العرب شروطاً تشبه شروط أساورة البصرة، وإنهم حالفوا زهرة بن حوية (وهو من تميم) أمر مشكوك فيه إذ لم يرد في المصادر ما يشير إلى ذلك.

إن كلمة (الحمراء) التي غلبت عليهم هي كلمة عربية تشير إلى لون بشرتهم، ولا تدل على المكان الذي جاؤوا منه أو على حرفتهم، ويلاحظ أن العجم كانت توصف بالحمرة، ويروى أن الرسول (ص) قال بعثت إلى الأحمر

والأسود[1]. ويذكر شمر في توضيح معنى هذا الحديث (يعني العرب والعجم). والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة[2]. ويروي البخاري «جاء رجل من بني تيم الله أحمر كأنه من الموالي»[3]. ومع أن كلمة (العجم) قد تطلق على كل غير عربي إلاّ أنها في الغالب تطلق على أهل الهضبة الايرانية من دون حصر بسكان منطقة منهم. وقد ذكرنا من قبل أن (الحمراء) كانوا مع القعقاع في حلوان، وأنه خلفهم وجعلهم مع قباذ في حلوان، غير أنه لم يحدد هوية الحمراء، وقد أطلق عليهم أيضاً اسم (حمراء الديلم) وهو تعبير يظهر صلتهم بالديلم. وقد ذكرنا من قبل الروايات التي تذكر أن أصلهم من الديلم وأنهم انضموا إلى المسلمين إبان فتح المسلمين المناطق الجنوبية الغربية من بحر قزوين، وذكرنا أيضاً قول المدائني إنهم كانوا من الديلم، وقول أبي مسعود إنهم «كانوا مقيمين بإزاء الديلم»[4]، وهذا لا يستلزم أن يكونوا من الديلم. ويجدر أن نشير إلى أن أبا مسعود يروي عن مسعر بن كدام أنه «كان لهم نقيب منهم يقال له ديلم، فقيل حمراء ديلم»[5]. غير أنه لم يرد في الأخبار ذكر لهذا النقيب أو لأي شخص بارز آخر منهم في حوادث صدر الإسلام، ولابد أن إطلاق كلمة (ديلم) عليهم هو مظهر لصلتهم بالديلم، ولعلهم كانوا في الأصل من الديلم ثم انضموا إلى الإسلام وأسكنوا في الكوفة، وأن هذا تم خلال غزو قزوين وإقليم الديلم.

يروي المدائني أن عمر بن الخطاب أمر أبا موسى الاشعري (والي البصرة) "أن ألحقهم على قدر البلاء في أفضل العطاء وأكثر شيء أخذه أحد من العرب، ففرض لمائة منهم في ألفين ألفين ولستة منهم في ألفين وخمسمائة لسياه وخسرو - ولقبه مقلاص - وشهريار، وشهرويه وأفروذين، فقال الشاعر:

---

(1) الدارمي: سير ٢٨، مسلم: مساجد ٣، ابن حنبل ١/ ٢٥٠، ٣٠١، ٤/ ١٦، ٥، ١٤٥، ١٤٨، ١٦٢.
(2) لسان العرب ٥/ ٥/ ٢٨٧.
(3) البخاري: خمس ١٥، كفارات ٢١٠، ايمان ٤.
(4) فتوح البلدان ٢٨٠.
(5) المصدر نفسه ٢٨٠.

ولما رأى الفاروق حسن بلائهم ... وكان بما يأتي من الأمر أبصرا

فسنّ لهم ألفين فرضاً وقد رأى ... ثلاثمئين فرض عك وحميرا[1]

ان هذ النص أكثر انسجاماً مع سياق نظام العطاء الذي وضعه عمر، ويتبين منه أن عدداً من الأساورة تميّزوا بعطاء (ألفين وخمسمائة)، أما الباقون فلم يذكر مقدار عطائهم، ولابد أنه أقل من ذلك؛ والراجح أن هذه القواعد طبقت على الحمراء في الكوفة، أي أن عدد من جعلوا في شرف العطاء محدود قد لا يتجاوز عشر عددهم. غير أن المصادر لم تذكر أسماء رؤساء الحمراء، ولا مقدار ما أعطي عمومهم، ولعلّه طبق عليهم ماكان يطبق على العرب في مقدار العطاء، ومن المحتمل أنهم أعطوا أيضاً أرزاقاً عينية، وأن العطاء لم يثر استياء العرب في حينه لأن نسبة عددهم إلى العرب لم تكن كبيرة، كما أن موارد جبايات الكوفة كانت كبيرة.

ذكرنا من قبل ما ذكرته المصادر أن حمراء الديلم انضموا إلى المسلمين على أثر معركة القادسية، وأنهم شاركوا في معركة جلولاء وكانوا مع القعقاع في حلوان، حيث ظلوا بعد عودة القعقاع مقيمين في ذلك الثغر بأمرة قباذ الرازي. ومن المحتمل بموجب هذه الرواية أنهم شاركوا في معركة نهاوند الحاسمة. وسواء صحت هذه الروايات أو أنهم انضموا إلى القوات الإسلامية بعد غزو قزوين، ففي أي من الحالتين يكون استقرارهم في الكوفة متأخراً عن تأسيسها. ولعلّ هذا التأخر هو أحد الأسباب التي جعلت لهم خططاً عند السبخة في أطراف الكوفة، وليس في منطقة وسطى، غير أن خططهم في الكوفة تدل على أنهم، أو بعضهم على الأقل، انسحب من حلوان أو قزوين واستقر في الكوفة.

لم يرد ذكر للحمراء في الحوادث التي تلت مباشرة نهاوند وغزو قزوين، ويجدر أن نلاحظ أن فتوح أهل الكوفة تناقصت في زمن خلافة عثمان وتوقفت في زمن خلافة علي بن ابي طالب. غير أنهم لم يشاركوا في حوادث الانقسامات التي مهدت ثم أعقبت مقتل عثمان.

---

(١) الطبري ١/ ٢٥٦٤.

مهام إدارية أسندت لرجال من الحمراء

أشارت بعض الروايات إلى أن بعض الولاة استخدم حمراء الديلم في واجبات أمنية وفي الشرطة، ومن أبرز هؤلاء حميد بن بكير وبكير بن حمران الأحمري، فإن سعيد بن العاص والي الكوفة لما غرّب كعب بن عبده إلى دنباوند حمله مع بكير بن حمراء الأحمري[١]. وذكر بكير في الحوادث زمن ولاية زياد وابنه عبيد الله، فقد أورد الطبري أن زياداً أرسل إلى عبد الله بن خليفة الطائي، وهو أحد أصحاب حجر بن عدي،بكير بن حمران الأحمري، فبعثه في أناس من أصحابه، فأقبلوا في طلبه فوجدوه في مسجد عدي بن حاتم[٢]. وظل بكير هذا يخدم عبيد الله بن زياد الذي أرسله إلى مسلم بن عقيل، وهو الذي قتل مسلم[٣].

وذكر أن حميد بن بكير الأحمري كان من شرط عبيد الله بن زياد ممن يقوم على رأسه[٤]. وحميد هذا شارك في قتال الحسين، فقد أمره عمر بن سعد فأذّن في الناس بالرحيل إلى الكوفة[٥]. ولعل حميد هذا هو ابن بكير بن حمران، كما يذكر مري بن معاذ الأحمري[٦]، الذي أرسله عمر لدراسة شكوى بعض أهل الكوفة من سعد.

يذكر الطبري عندما أُلقي القبض على حجر بن عدي في زمن زياد كان الشرط «هم أهل الحمراء يومئذ»[٧]، ولعل منهم كان حرس زياد في الكوفة، وتدل كلمة (يومئذ) إلى أنهم لم يستمروا في عملهم في الشرطة.

شاركت الحمراء في حركة المختار، ويروى أن ابراهيم بن الأشتر عندما

(١) أنساب الاشراف ٥/ ٤٢.
(٢) الطبري ٢/ ٢٨٢٩، وانظر أيضاً ١٤٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٣٦١.
(٤) المصدر نفسه ٢٧/ ٢٥٤.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٩.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٣٧٣.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٤٣.

خرج لقتال عبيد الله بن زياد خرج معه ألفان من الحمراء[١]، إلاّ أن القضاء على حركة المختار أضعف الحمراء، إذ لم يتردّد لهم ذكر بعدها، ولكن هذا لا يستلزم أن يكون قد قضي عليهم.

ذكرت معظم المصادر التي تحدثت عن الحمراء أنهم عندما انضموا إلى الإسلام شرطوا بفرض لهم في العطاء الذي كان يعطى للمقاتلة فقط، مما يؤيد أنهم كانوا قوة عسكرية ولم يكونوا (كتّاباً) أو (عمالاً مدنيين)

خططهم في الكوفة

كان للحمراء مسجد ذَكَر الكليني أنه من المساجد الأربعة الملعونة، وأنه بالحمراء على قبر فرعون من الفراعنة[٢]. ولكن الهمداني ذكر أنه من المساجد المباركة وهو في موضع بستان لا تذهب الليالي والأيام حتى تنبع فيه عين ماء وفيه قبر أخي يونس بن متى[٣]. ويذكر المجلسي «مسجد الحمراء هو مسجد يونس بن متى، ومسجد بني على قبر فرعون من الفراعنة، والظاهر أن مسجد الحمراء هو المعروف الآن بمسجد يونس»[٤].

ويذكر الأميني أن مسجد الحمراء هو الوحيد من المساجد المباركة الأربعة (وهو اليوم قريب من الشط)[٥].

أحوالهم في الأزمنة التالية

يذكر اليعقوبي ان علياً ساوى الموالي بالعرب في العطاء والفريضة، مما أثار استياء العرب[٦]. ولعله قصد بالموالي الحمراء، مما أدى إلى ميلهم إليه. ويشير الطبري إلى استياء زياد من ميلهم إلى علي. ويروي البلاذري أن

(١) بحار الانوار ٤٥/ ٣٣٤.
(٢) الكافي ٣/ ٤٩٠.
(٣) كتاب البلدان ١٧٤.
(٤) بحار الانوار ٢١/ ١٠٢.
(٥) مفتاح الجنات ٢/ ١١٥.
(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢١٣.

الأحنف قال استشارني زياد في قتل الموالي العجم، فقلت إن شاء الله فإنهم قد تحرروا بالإسلام وشاركناهم في الأولاد فخالطونا وخالطناهم، فترك ذلك[1]. ويروي أيضاً أن زياداً سيّر بعضهم إلى بلاد الشام بأمر معاوية، فهم بها يدعون الفرس، وسيّر منهم قوماً إلى البصرة، فدخلوا في الأساورة الذين بها[2]. إن كلمة (سيّر) تعني أن نقلهم من الكوفة لم يكن اختياراً ذاتياً، وإنما بأمر ملزم من الخليفة، وأن تسيير بعضهم إلى البصرة يدل على أن العمل كان حلاً لمشكلة محلية في الكوفة لم توضحها المصادر. ولم يذكر عدد من نقل من الحمراء أو عدد من بقي في الكوفة، غير أن الحوادث التالية تدل على أن عدداً منهم بقي في الكوفة. ولم تذكر المصادر أن زياداً نقل خططهم، الأمر الذي يدل على أن موقع خططهم قرب السبخة يرجع إلى الأيام الأولى التي استقروا فيها وظلوا محتفظين فيها.

القيقانية

القيقانية من المجموعات الأعجمية التي استوطنت الكوفة في وقت مبكر؛ وذكر خليفة بن خياط معلومات عن احتكاك العرب ببلادهم. إذ إنه في سنة ٣٦ ندب الحارث بن مرة العبدي الناس فجاوز مكران إلى بلاد قنداييل، ووغل في جبال قيقان فأصاب سبايا كثيرة، وأخذوا عليه بعقبته فأصيب الحارث ومن معه[3]، وروى البلاذري هذه المعلومات بتفصيل أوفى، فقال: «فلما كان آخر سنة ٣٨ وأول سنة ٣٩ في خلافة علي بن أبي طالب توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوّعاً بإذن علي، فظفر وأصاب مغنماً وسبياً، وقسم في يوم واحد ألف راس، ثم انه قتل ومن معه بأرض القيقان إلاّ قليلاً، وكان مقتله في سنة ٤٢»[4].

---

(١) أنساب الاشراف ٧ ـ ٢/ ١٣٢.
(٢) فتوح البلدان ٢٨٢.
(٣) تاريخ خليفة ١٧٣.
(٤) فتوح البلدان ٤٣١.

وذكر خليفة أن المهلب بن أبي صفرة غزا أرض الهند في سنة ٤٤، «فسار إلى قندابيل ثم أخذ على بَنه والأهواز، وهما في سفح جبل كابل، فلقيهم عدد هزمهم الله وملأ المسلمون أيديهم وانصرفوا سالمين»[١].

وذكر خليفة أنه في سنة ٤٥ «بعث ابن عامر عبد الله بن سوار العبدي فافتتح القيقان وأصاب غنائم وقاد منها خيلاً، فالبراذين القيقانية من نسل تلك الخيل، ثم قدم واستخلف كُراز بن أبي كراز العبدي، وقدم على معاوية فرده إلى عمله وعزل ابن عامر»[٢]. ويذكر أيضا أنه في سنة ٤٧ غزا عبد الله بن سوار القيقان، فجمع له الترك فقُتل عبد الله بن سوار وعامة ذلك الجيش، وغلب المشركون على بلاد القيقان[٣]. ويذكر خليفة أنه في سنة ٥٠ «ولى زياد سنان بن سلمة بن المحبق ثغر الهند بعد قتل راشد، فحدثنا ابو اليمان النبال، قال غزونا مع سنان القيقان فجاءنا قوم كثير من العدو. . وحمل وحملنا معه فمنحونا أكتافهم فقتلناهم، وسرنا أربعة فراسخ فأتينا قوماً متحصنين في قلعة»[٤].

وذكر البلاذري «ثم استعمل زياد على الثغر راشد بن عمرو الجديدي من الأزد، فأتى مكران ثم غزا القيقان فظفر ثم غزا الميد فقتل، فقام بأمر الناس سنان بن سلمة فولاه زياد الثغر فأقام به سنتين»[٥]. وذكر خليفة أن عبد الله بن عامر ولّى راشد ثغر الهند حيث «أقام بها وشن الغارات وأوغل في بلاد السند»[٦]؛ وأنه في سنة ٥٠ مات راشد بن عمرو الجديدي بأرض الهند، وعلى اثرها ولى زياد سنان بن سلمة بن المحبق ثغر الهند بعد قتل راشد[٧]. وذكر

(١) تاريخ خليفة ١٩١.
(٢) التاريخ ١٩٢.
(٣) تاريخ خليفة ٢٤٤، وانظر فتوح البلدان ٤٣٢.
(٤) المصدر نفسه ٢٥٠، وانظر فتوح البلدان ٤٣٢.
(٥) فتوح البلدان ١٩٠.
(٦) التاريخ ١٩٧.
(٧) المصدر نفسه ١٩٨، وانظر: الاستيعاب ٢/ ٦٨٥، أسد الغابة ٢/ ٣٥٨.

البلاذري بعد ذلك ولاية عمار بن زياد على ثغر الهند[1]، فقال «ثم ولّى زياد المنذر بن الجارود العبدي، ويكنى أبا الأشعث، ثغر الهند فغزوا البوقان والقيقان فظفر المسلمون وغنموا، وبث السرايا في بلادهم، وفتح قصدار وسبابها، وكان سنان قد فتحها إلاّ أن أهلها انتفضوا، وبها مات»[2].

أما خليفة فذكر أنه في سنة ٦٢ «ولي عبيد الله بن زياد المنذر بن الجارود ثغر قندابيل، فمات المنذر بالثغر، فخرج الحكم بن المنذر بن الجارود فغلب على قندابيل، فبعث ابن زياد سنان بن سلمة ففتح الموقان، ثم بعث اليها يزيد بن معاوية بعد ذلك عبد الرحمن بن يزيد الهلالي»[3]. وذكر ياقوت أن البلاذري ذكر أن المنذر غزا «البوقان والقيقان فظفر المسلمون»[4]، وذكر البلاذري ولاة ثغر الهند وإنجازاتهم، ولم يشر إلى القيقانية إلاّ في زمن المعتصم، حيث يذكر أن هذا الخليفة ولّى موسى بن يحيى بن برمك ثغر الهند «فخرج إلى القيقان وهم زط، فقاتلهم فغلبهم، وبنى مدينة سماها البيضاء، وأسكنها الجند»[5].

يتبيّن مما ذكر البلاذري أن «القيقان من بلاد السند جنوب خراسان»، ويدل ما ذكره على أن بلادهم قرب قندابيل وهي «جبال قيقان»، وأنه نقل منها خيلاً تعرف بالبراذين القيقانية. ويبدو من هذا السرد أن المسلمين لم يؤمنوا السيطرة على بلاد القيقان، رغم أنهم انتصروا عليهم في عدة حملات.

ذكرت القيقانية كقوة مقاتلة في الكوفة في زمن ولاية يوسف بن عمر، فذكر الطبري أنه عندما ثار زيد بن علي بالكوفة «بعث يوسف بن عمر إليه الريان بن سلمة الاراشي في ألفين وثلاثمائة من القيقانية رجالاً معهم النشاب»[6]، وورد

---

(١) فتوح البلدان ٤٣٢.
(٢) المصدر نفسه ٤٣٣.
(٣) تاريخ خليفة ٢٢٦.
(٤) معجم البلدان ٤/ ١١٥.
(٥) فتوح البلدان ٤٤٤.
(٦) الطبري ٢/ ١٧٠٢.

هذا الخبر عند البلاذري أنه كان مع الريان «القيقانية وهم ألف وثلاثمائة، وهم من أهل السند، ويقال إنهم بخارية لقبوا القيقانية»[1].

غير أن المصادر لم تذكر متى قدموا إلى بلاد الإسلام، وأين أقاموا وهل كان عددهم كبيراً في الكوفة، أم كانوا مع الزط في البصرة ثم نقلوا إلى بلاد الشام واعيدوا منها إلى العراق مع أهل الشام الذين أرسلوا إلى العراق.

الموالي المحررون ومشاركاتهم في القتال

كان حكم أسرى الحرب من مقاتلة العدو المن وإطلاق السراح أو الفداء أو القتل أو الاسترقاق؛ وكانت حالة قتل الأسرى نادرة ولا تتم إلاً في حالات خاصة كالتمرد بعد الاستسلام، أو المغالاة في العناد بالمقاومة وعدم الاستسلام. أما الفداء فيتم بإطلاق سراح الأسير لقاء مبلغ يدفعه. وكل هذه الحالات مباحة شرعياً ولكنها كانت محدودة في التطبيق، منها ما ذكره البلاذري من حالات أخذ فيها قادة مسلمون عدداً استرقوهم من مدن فتحوها، ومما ذكره زرنج التي صالحها الربيع بن زياد الحارثي على ألف وصيف، مع كل وصيف مقدار من ذهب، ويروي أنه سبا أربعين ألف رأس[2]. وفي العدد الأخير مبالغة. ولما فتح عبد الرحمن بن سمرة كابل «قدم بغلمان من سَبي منها فعملوا له مسجداً في قصره على بناء كابل»[3]. وصالح عبد الله بن عامر ميمند على وصائف ووصفاء ودواب[4]. ولما قطع عبيد الله بن زياد النهر قدم البصرة بخلق من أهل بخارى، ففرض لهم[5] وصالح عبد الله بن خازم سرخس على مائة رجل وبعض النساء[6]. وغزا مسلم بن سعيد في زمن خلافة هشام بن عبد

(١) أنساب الاشراف ٢/ ٢٤٥.
(٢) فتوح البلدان ٣٩٣.
(٣) المصدر نفسه ٣٩٦.
(٤) المصدر نفسه ٣٩٦.
(٥) المصدر نفسه ٤٠٩.
(٦) المصدر نفسه ٤١٣.

الملك أفشين فصالحه على ستة آلاف رأس[1]، وكل هذه الحالات ألصق بالبصرة التي أولاها البلاذري اهتماماً، ولابد أن حالات مشابهة حدثت في فتوح الكوفة ولم تذكرها المصادر.

إن من ذكرناهم لا يشملون من فرض قتيبة بن مسلم على كل مدينة يفتحها أن تقدم عدداً يقاتلون مع المسلمين، ولعله لا يشمل كافة من استرقوا وجلبوا إلى الأمصار، ومنها الكوفة ممن لم تذكرهم المصادر؛ ولكن الوضع العام يوحي بكثرة عددهم، فقد أشارت الكتب إلى تزايد أولاد السراري وأثرهم في إفساد السمات العربية الأصيلة التي كانت تتميز بها الأمصار، وذكرت كتب التراجم أسماء عدد من البارزين في العلوم من أولاد السراري.

لاريب في أن عدداً غير قليل من هؤلاء الرقيق جاء عن طريق الشراء، لكنه يصعب تحديد نسبة من جاء من أسرى الحروب وهم المدربون على القتال، وكانت الدولة تحتفظ بخمسهم ويدعون رقيق الخمس[2] فتعيلهم وتستخدمهم في أعمالها، وكان عددهم في الكوفة زمن الحجاج ألفاً[3]. أما الباقون فيوزعون على من يرى الولاة توزيعهم عليهم ليقوموا بالأعمال التي يقررها عليهم سادتهم وهي في الغالب الخدمة في البيوت. ويذكر الفقهاء أن على الزوج أن يزود مطلقته في أيام العدة بعبد ليخدمها[4]، مما يدل على كثرتهم.

واذا تحرَّر العبد يصبح مولى لسيده، والغالب أنه يبقى في المصر ولايتركه. وبذلك كثر العبيد والموالي في الكوفة وأكثر الأمصار الأخرى. ومع أن حياتهم لم تكن رافهة، إلا أنها ليست سيئة كالذين يعملون في كسح السباح. وكان عدد موالي الكوفة القادرين على القتال في زمن الخليفة علي (رض) ثمانية آلاف،

---

(١) فتوح البلدان ٤٢٧.
(٢) انظر الاشارات إلى رقيق الخمس في كتب الحديث والفقه: **الموطأ** لمالك: حدود ١٢؛ **الأموال** لابن سلام ٣١٩، ابن ماجة: حدود ٥٠، ابن سعد ٧ ـ ٢ / ١٦٣، ٥/ ٢٩٣، **الأغاني** ٦/ ١٢٦، ٥٥٧.
(٣) ابن سعد ٥/ ٢٩٣.
(٤) تفسير الطبري ٢/ ٣٧٢ وانظر الاموال لابن سلام ٥١٦.

أي قرابة سدس المقاتلة، ولكن لم يرد ذكر أنهم كوّنوا وحدة خاصة في التقدم والقتال ولعلهم كانوا يقاتلون مع سادتهم[١].

شاركت الأعاجم الجيوش الإسلامية منذ أوائل سني الفتوح وكونت وحدات مستقلة بتكوينها وتنظيمها وكانت في العطاء والرزق، فكان في البصرة منهم الاساورة والسيابجة والزط والبخارية، وفي الكوفة الحمراء والقيقانية، وقد اشتركوا في بعض معارك الفتوح، وأسندت إلى بعضهم مهام أمنية في الداخل فكان السيابجة حرساً على الجامع وبيت المال في البصرة، ولابد أن قيامهم بهذه المهام كانت دافعا لحسن معاملتهم، غير أنه لم تكن لهم اليد العليا في هذه الأمصار، ولم تُذكر لهم مشاركة في الحوادث الداخلية، بما في ذلك حرب الجمل وصفين، كما لم تذكر لهم مشاركة في الفتن، وأول ذكر لعمل حربي قاموا به في خروج أبي مريم، وأول دور واسع لهم في الحواث الداخلية كان في زمن المختار حيث شارك عدد كبير منهم، وكان لهم دور بارز يعادل إن لم يفق دور العرب، مما أثار استياء الاشراف ودفعهم إلى الانضمام إلى مصعب بن الزبير ومعاونته في القضاء على حركة المختار والتنكيل بالموالي، الذين قاتلوا معه، وقد كونوا في زمنه وحدات متميزة، فقد «جعل كيسان أبا عمرة، وكان مولى لعرينه على الموالي»[٢]، ويذكر الدينوري أن المختار أرسل إلى شمر بن ذي الجوشن زريب مولى بجيلة في مائة فارس على الخيل العتاق[٣].

غير أن استخدام الموالي في الجيش لم يتوقف عند القضاء على حركة المختار، فقد استخدمهم الحجاج في قتال الخوارج وخاصة ضد شبيب، فيروي الطبري أن الحجاج في سنة ٧٦ بعث بشر بن غالب الأسدي من بني والبة في الفي رجل، وزائدة بن قدامة الثقفي في ألفي رجل، وأبا الضريس مولى بني

(١) إن الأبحاث الكثيرة التي نشرت في العهود الإسلامية عنيت بمكانتهم الاجتماعية المتدنية او بإسهاماتهم في الحياة الاقتصادية، ولم تستوف اسهاماتهم في القتال، وهو ماقصرنا عليه الكلام من دون بحث دورهم في الحركة الفكرية وبخاصة بعد القرن الأول.

(٢) أنساب الاشراف ٥/ ٢٥٣.

(٣) الأخبار الطوال ٣٠٨.

تميم في ألف من الموالي، وأعين صاحب حمام أعين مولى بشر بن مروان في ألف رجل[١]. وهذا يظهر أن الموالي كوّنوا ثلث الجيش وأنهم كونوا وحدتين على كل منهما رئيس منهم. ولم تذكر المصادر أصول هؤلاء الموالي وتنظيمهم وما كان يدفع لهم مقابل اشتراكهم، وهل كان جعلاً أم عطاءً. ويبدو أن شبيباً أدرك أن اشتراك الموالي في هذا الجيش يكون نقطة ضعف، فيروي الطبري أن جيش شبيب شدوا على أبي الضريس مولى تميم وهو يلي بشر بن غالب فهزموه، حتى انتهى إلى موقف أعين، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموهما حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة[٢]، واستطاع شبيب أن يقتل زائدة، فانسحب أبو الضريس وأعين وقال شبيب لأصحابه ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم إلى البيعة[٣]، غير أنهما لم يستجيبا فحاصرهما شبيب، ثم شخص عنهما إلى الكوفة. وفي السنة التالية تقدم شبيب لدخول الكوفة وكان في زهاء مائتين[٤]، على ميمنته البطين وعلى ميسرته مقنب مولى بني أبي ربيعة بن ذهل، فأرسل إليه الحجاج قوة تبلغ أربعة آلاف رجل، وجعل على الميمنة مطر بن ناجية الرياحي وعلى الميسرة خالد بن عتاب الرياحي، وكان معه أبو الورد مولاه، فقتله شبيب ودخل الكوفة، ولكن الحجاج استطاع بعد جهد إخراجه[٥]. وعلى أثر هذا استدعى الحجاج قوة من أهل الشام تولّت مقاتلة شبيب وإقصاءه عن العراق.

غير أن تولية الموالي أمرة الجيوش لم تكن مستساغة، فيروي ابن سعد "لما كان يوم الجماجم أراد القراء أن يؤمّروا عليهم أبا البحتري، فقال ابو البحتري لا تفعلوا فاني رجل من الموالي، فأمّروا عليكم رجلاً من العرب»[٦].

ويجدر أن نورد ماذكره الطبري عن فارس حيث قال: «كان محارب بن

---

(١) الطبري ٢/ ٩١٩، أنساب الاشراف ٧/ ٩١.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٥.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٦.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٩٢٩.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٩٦٦.
(٦) ابن سعد ٦/ ٢٠٤.

موسى مولى بني يشكر عظيم القدر بفارس، فجاء يمشي في نعلين إلى دار الإمارة باصطخر فطرد العامل عامل عبد الله بن عمر عنها، ثم بايعوا لابن معاوية وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم وأصاب ابلاً لثعلبة بن حسان المازني فاستاقها ورجع»[١]. وكان الاحنف بن قيس في حرب مرو وهو في خمسة آلاف من المسلمين أربعة آلاف من العرب والف من مسلمي العجم[٢].

الموالي المقاتلة في الكوفة

لابد أن مساواة الموالي بالعرب في العطاء راجع إلى كثرتهم وتدريبهم والحاجه إلى خدماتهم، واعطاءهم العطاء يقوي علاقتهم بالخليفة. ولم يكن ذلك بدعا فإن الخليفة عمر بن الخطاب فعل ذلك مع القوات الأعجمية التي استسلمت. وهذا القرار يرفع من مكانة الموالي ويزيد من التفافهم حوله ومزاحمة العرب في التقرب منه.

ولم تذكر المصادر للموالي وحدة متميزة في جيش الخليفة علي الذي قاتل في صفين، وهذا لايمنع اشتراك أفراد من الموالي مع سادتهم، واشتراكهم في ذلك يكون متفرقاً وإسناداً لسادتهم الافراد ولا يبرز لهم دور مستقل. ويبدو أن الموالي المقاتلة أخلصوا في الالتفاف حول علي بن ابي طالب (رض) وفي عدم معارضتهم له، فلم يرد ذكر لوجود موالي في الخوارج الذين خرجوا عليه في حروراء وقاتلوه في النهروان، غير أن المدائني يذكر أن أبا مريم أتى بعد وقعة النهروان شهرزور في مائتين جلهم موالي، فأقام بشهرزور أشهراً يحض أصحابه، واستجاب له قوم من غير أصحابه فقدم في أربعمائة[٣]، ويذكر أن أبا مريم كان «في أربعمائة من الموالي والعجم ليس فيهم من العرب إلاّ خمسة من بني سعد، وأبو مريم سادسهم وأن علياً أرسل قوة قاتلتهم فقتلوا إلاّ خمسين رجلاً استأمنوا فأمنهم، وأنه كان فيهم أربعون جريحاً فأمر الامام علي (رض)

(١) الطبري ٢/ ١٩٧٦.
(٢) فتوح البلدان ٤٠٧.
(٣) أنساب الاشراف ٢ ـ ١ / ٤٨٥.

بإدخالهم الكوفة ومداواتهم، ثم قال الحقوا بأي البلاد شئتم»[١]. وتدل قلة عدد العرب ممن خرج مع أبي مريم أن الموالي كانوا قوام الحركة، وأنهم كانوا مقاتلة، وثاروا بدافع العقيدة وليس المصالح المادية. وذكر المدائني في هذا النص أن أبا مريم وجماعته تحركوا بعد النهروان مما قد يوحي أنهم ممن شارك فيها، وأن عددهم لم يكن كبيراً، ولكن هذا لا يعني أنهم ممن كان يقيم في الكوفة في الأصل؛ ولعله عندما تقدم إلى الكوفة كان يأمل انضمام بعض الأعاجم من أهلها، غير أن أمله خاب، وإشارة المدائني غير واضحة فيما إذا كان أبو مريم وأصحابه من الخوارج، ومن المؤكد أنهم جميعاً كانوا مدربين على القتال.

غير أن بعض الموالي تحركوا ضد الدولة، ولا يمكن الجزم بأنهم كانوا من الخوارج، ويقول اليعقوبي: «وخرجت عصابة من الموالي أميرهم أبو علي من أهل الكوفة، وهو مولى لبني الحارث بن كعب، وكانت أول خارجة خرجت فيها الموالي، فبعث المغيرة اليهم رجلاً من بجيلة فالتقوا ببادوريا فناداهم البجيلي: يا معشر الأعاجم هذه العرب تقاتلنا على الدين فما بالكم؟ فنادوه: يا جابر إنّا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً، وأن الله بعث نبينا للناس كافة ولم يزوه عن أحد، فقاتلهم حتى قتلهم»[٢]. ويدل قوله: «بعث المغيرة إليهم». . أن هذه الخارجة حدثت في زمان خلافة معاوية، حين كان المغيرة والياً على الكوفة في أوائل خلافته، وقوله إن هذه «أول خارجة خرجت فيها الموالي» يدل على أنها أول حركة قام بها الموالي خالصة دون العرب، فهي تختلف عن حركة أبي مريم التي يقودها عربي وفيها عدد من العرب، وخروجهم منضمين مع أمير عليهم يدل على قيام تنظيم بين المدربين عسكرياً في الكوفة، وهؤلاء الخارجون كانوا من الموالي أي الأعاجم المتصلين بالعرب، ولعلهم كانوا منوعين في أصولهم، ولكنهم جميعاً متصلون بالعرب،

(١) أنساب الاشراف ٢ ـ ١ / ٤٨٦.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٦٢.

وأنهم كانوا يعتنقون الإسلام، غير أن افكارهم السياسية غير واضحة، خاصة وأن اليعقوبي أطلق عليهم «عصابة» ولم يسمهم «خوارج»، وأن البجلي الذي أرسل إليهم أشار إلى أن الخوارج عرب يقاتلون على الدين، علماً بأن الخوارج يقاتلون لتحقيق نظام سياسي محدد يرون وجوب قيامه بدل النظام القائم على أن لايخرج عن نطاق الإسلام، ولعل هؤلاء الخارجة من الحمراء وأن خروجهم كان مبعث اغتياظ زياد منهم وتفكيره بقتلهم.

المختار والموالي

كان المختار أول من استغل الموالي واعتمد عليهم في إقامة نظام سياسي يخالف النظام القائم، ويعتمد على القوة في تحقيقه، ويروي المدائني مايدل على أن المغيرة بن شعبة أول من نبه المختار إلى الفكرة التي تجلب أهل السوق والعجم. فقد ذُكر أن المختار ركب يوماً مع المغيرة بن شعبة فمر بالسوق، فقال المغيرة أما والله إني لأعرف كلمة لو دعا بها أريب لاستمال بها أقواماً فصاروا له أنصاراً ثم لاسيما العجم الذين يقبلون ما يلقى إليهم، قال المختار وماهي ياعم قال يدعوهم إلى نصرة آل محمد والطلب بدمائهم؛ فكانت في نفس المختار حتى دعا[1].. وقد أشار المغيرة إلى الفكرة التي تجلب الأعاجم، ولعله أدركها من ملاحظته ميلهم إلى الإمام علي (رض) حتى بعد مقتله، علماً بأن الإمام علي (رض) وفر لهم حرية ورفع من مكانتهم، ولكنه لم يعمل على الاعتماد عليهم حتى في العهود الأخيرة من خلافتهو عندما تقاعس العرب عن الاستجابة لدعوته إلي قتال معاوية. غير أن المغيرة لم يشر إلى عددهم أو قوتهم أو مدى الاعتماد عليهم في القتال، وهذا مايبدو أن المختار هو الذي أدركه.

يقول الدينوري إن المختار جعل يختلف بالكوفة إلى شيعة بني هاشم ويختلفون إليه، فيدعوهم إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين (ع)، فاستجاب

(١) أنساب الاشراف ٥/٢٢٣.

له بشر كثير، وكان أكثر من استجاب له همدان، وقوم كثير من أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة فرض لهم معاوية، وكانوا يسمون الحمراء وكان منهم بالكوفة زهاء عشرين ألف رجل[1].

لم تذكر المصادر مقدار ما قرره المختار لعطاء كل من الموالي ولا المقدار الكلي لكلفة عطاء هؤلاء الموالي؛ وليس من الضروري أن يكون قد أنقص عطاء العرب أو قلل عدد من يأخذونه، غير أن الوضع العام سيؤدي إلى ذلك نظراً إلى أن الاضطراب الذي رافق قيام المختار لابد أن ينقص مقدار الجباية مما يتطلب انقاص العطاء بشكل ما، ولابد أن يجعل المختار تأثيره على العرب قبل الموالي الذين يقدمون خدماتهم الأساسية له من أجل العطاء وليس العقيدة. ومن الواضح أن المختار قرّب من الموالي القادرين على القتال ولم يشمل كافة الموالي، غير أن هذا العمل كان سيضعف دور العرب في الحوادث، وقد يوفر اداة لاستيائهم.

امتد عمل المختار إلى العبيد فأعلن تحرر كل من ينضمّ إليه، فكان هذا قراراً قد سبق التفكير به قبل إنفاذه، حيث أدرك كثرتهم وإمكان الإفادة منهم، فيروي المدائني أن ابن الزبير عندما سمع بقرار المختار قال «قد كان يقول إني لأعرف كلمة لو قلتها كَثُر تبعي وهي هذه ليكثر من تبعه»[2]. فتحريره العبيد غرضه سياسي دعائي وهو إكثار العدد، وكان لقرار تحرير العبيد المنضمين إليه أثر اجتماعي على العرب.

يذكر الطبري مايدل على أنه استخدم خمسمائة منهم في القتال، عليهم قائد منهم[3]. وأشار عبيد الله بن زياد إلى العبيد الأبّاق الذين كانوا في جيش ابن الأشتر، حيث خاطب أهل الشام قائلاً لهم «إنكم إنما تقاتلون العبيد الأباق

(١) الأخبار الطوال ٢٩٦، وفي كلامه بُعدٌ عن الدقة، فمعاوية لم يبدأ بفرض العطاء للحمراء، كما أن عدداً من أخبار الآخرين تظهر أن المختار اعتمد على الموالي المرتبطين بالعرب وعلى أهل السوق.

(٢) أنساب الاشراف ٥/ ٢٦٧.

(٣) الطبري ٢/ ٦٢٧.

وقوماً قد تركوا الإسلام»[1]. وفخر الأحنف على الكوفيين بعد قتل المختار بقوله «استنقذناكم من عبيدكم». ويروي البلاذري أن المختار أرسل في أوائل حركته حملة إلى وادي القرى بقيادة شرحبيل بن ورس الوادعي، فسرحه في ثلاثة آلاف اكثرهم موالي ليس فيهم من العرب إلا سبعمائة، «وقد قتل ابن الزبير معظمهم»[2]. وعندما انتصر المصعب على المختار ودخل الكوفة وقضى على حركته استخرج من دور الوادعيين خمسمائة أسير قتل منهم قرابة مائتين وخمسين[3]. ويروى أنه ضرب أعناق سبعمائة منهم، ويروى أن مجموع من قتلهم من الموالي والصليبة كان ستة آلاف[4]. إن هذه الأرقام تعبّر عن عدد من بقي مع المختار إلى آخر حركته، وهو أقل من العدد الأول الذي انضم إليه، ومن المؤكد أنه لم يلجأ أحد منهم إلى المصعب، ولابد أن عدداً منهم قتل في المعارك التي شاركوا فيها في دومة الجندل والجزيرة والمذار، ومن المحتمل أن عدداً منهم تخلى عن المختار عندما تضعضعت سيطرته. غير أنه لايمكن أن يكون المقاتلة فيهم قد بلغوا عشرين ألفاً كما ادعى الدينوري. ويذكر أن ابراهيم بن الاشتر عندما أخذ بالاستعداد للسير إلى الجزيرة انتخب له المختار عشرين ألف رجل، كان جلهم من أبناء الفرس الذين كانوا بالكوفة ويسمون الحمراء وسار بهم نحو الجزيرة[5]. ويذكر أيضا أن المختار جعل يطلب قتلة الحسين «فمن ظفر به جعل ماله وعطاءه لرجل من أبناء العجم الذين كانوا معه»[6]. وتؤيد المعلومات من المصادر الأخرى أن المختار اعتمد في تثبيت سلطته على الأعاجم، وأن الحمراء كانوا من الأعاجم المدربين على القتال واستوطنوا الكوفة منذ أوائل تأسيسها، وتشير بعض الأخبار إلى أنهم كانوا

(١) الطبري ٢/ ٦٤٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٦٠.
(٣) أنساب الاشراف ٥/ ٢٩٤.
(٤) المصدر نفسه ٥/ ٢٦٣.
(٥) الاخبار الطوال ٣٠١.
(٦) المصدر نفسه ٣٠٠.

يأخذون العطاء منذ أول إقامتهم، أي قبل زمن خلافة معاوية، وقد ذكروا أن معاوية نقل بعضهم إلى سواحل بلاد الشام، ولا بد أنه أمّن دفع العطاء لهم، ولكن يصعب قبول القول إن معاوية فرض العطاء لكافة المقيمين منهم بالكوفة، والراجح أن كثيراً منهم كان في جيش ابن الاشتر الذي تقدم إلى الجزيرة، وأنهم عادوا إلى الكوفة إذ لم تذكر المصادر إقامتهم في الجزيرة.

يروي أبو مخنف أنه «لما مات يزيد بن أنس التقى أشراف الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار. . وأخذوا يقولون والله لقد تآمر علينا هذا الرجل بغير رضا منا، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم. . ولقد عصتنا عبيدنا فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا. . ولم يكن فيما أحدث المختار عليهم شيء هو أعظم من أن جعل للموالي من الفيء نصيباً، ثم جاؤوا شبث بن ربعي (فذهب إلى المختار). . فذكر له الموالي، فقال عمدت إلى موالينا وهم فيء أفاءَ الله علينا وهذه البلاد جميعاً، فاعتقنا رقابهم نأمل الأجر من ذلك والثواب والشكر، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيئنا، فقال لهم المختار إن أنا تركت لكم أموالكم وجعلت فيئكم تقاتلون معي بني أمية وابن الزبير وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه وما أطمئن إليه من الايمان؟ فقال شبث ماأدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك، فخرج فلم يرجع إلى المختار، قال واجمع رأي أشراف أهل الكوفة على قتال المختار»[١]. يتبين من هذا أن المختار قرب إليه الموالي لحاجة وقتية عسكرية هي مقاتلة من يهدد سلطانه من بني أمية وابن الزبير، ولابد أنه اختار لتحقيق هذا الغرض القادرين على القتال والمستعدين لتقديم قدراتهم لأغراضه، بعد أن شعر أن من انضم إليه من العرب لايكفون لتحقيق هذا الغرض. وكان أشد ما أغاض العرب أنه جعل للموالي من الفيء نصيباً، وقد أشار إلى ذلك ابن مطيع في تحريضه العرب على قتال المختار، فكان مما قاله «ألا والله ليشاركم فيئكم من لاحق له فيه»[٢]، وكان مما دفعهم على مقاتلة المختار أنه أطعم مواليهم فيئهم[٣].

(١) الطبري ٢/ ٦٤٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٦٢٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٠.

الفصل السابع عشر

المساجد والجبانات

المساجد

المساجد من أبرز المعالم العمرانية في الكوفة وفي غيرها من الأمصار، وقد أشار ابن عياش إلى كثرتها في العشائر المضرية، وقلّتها في العشائر اليمنية، حين سأله الهيثم بن عدي "ما بال مساجدهم (مضر) كثيرة، ومساجد أصحابنا (أهل اليمن) والحي من أحيائنا فيهم خمسة أحياء ومسجد واحد، قال كان والله مسجد الأشعث بن قيس لكندة، ومسجد جرير لبجيلة كلها، ومسجد بني سنبس لطي كلها، وإنما كثرت مساجد الآخرين لضيق الأخلاق[1]. ولا ريب في أنه يقصد بالآخرين عشائر مضر، غير أن تعليله كثرة مساجدهم بضيق الأخلاق غير واضح، ولعل قصد بذلك الانقسامات التي كانت بينهم وروح البداوة التي كانت أظهر فيهم.

ذكر هشام بن الكلبي عدداً من مساجد عشائر كندة والنخع ويشكر. وكل منها لبطن من بطون هذه العشائر. وأوسع ما ذكره من المساجد ما لبطون كندة، فذكر مسجداً لكل من جبلة بن عدي، والحرث بن عدي، وبني الأرقم، وبني شجرة، وبني حجر، وبني مالك، وبني سلمى، وكلهم من بطون ربيعة بن معاوية الذين ذكر لهم تسعة بطون، بالإضافة إلى ست مجموعات لم يشر إلى

(١) الأنساب: (مخطوطة الاسكوريال ٨٩ ـ ٩٢، ٩٥ ـ ٩٦).

أنها بطون[1]. وذكر أيضاً سعد بن مالك بن النخع: ولد قيس وصهبان بطن، ووهبيل بطن، وعامر بطن، وجذيمة بطن، وحارثة بطن، لكل بطن منهم مسجد بالكوفة[2]. وذكر أن ردمان «أهل بيت وملك»، وذكر أيضاً أن مسلية بطن مع بني الحرث بن كعب ولهم مسجد بالكوفة في خططهم[3] وقيس وعود لهم بالكوفة مسجد وعدادهم في قسر[4]. ولاريب في أن كثرة البطون التي ذكر لها ابن الكلبي مساجد تشكك في دقة كلام ابن عياش.

تذكر ضميمة على كتاب أنساب ابن الكلبي مسجداً لكل من بني غبر والأحلاف، وبني رفاعة وبني عامر وبني صرام وبني كنانة وبني جشم، وكلهم من بني كعب بن يشكر[5]. ولعل مساجد أخرى ذكرها ابن الكلبي لعشائر وبطون أخرى في الكوفة حذفها محمد بن حبيب، الذي كانت روايته للكتاب معتمد الناس في «أنساب» ابن الكلبي.

ورد في المصادر عدد غير قليل من المساجد في الكوفة ذكرت عرضياً عند الكلام على بعض الحوادث، أو في تراجم بعض الأشخاص. وبعضها مسماة بأسماء العشائر والبطون، وبعضها أسماء أشخاص من أفراد العشائر أو من الأتقياء. ولم تشر المصادر إلى سعة المساجد أو دورها في الحياة العامة، ويرجّح أن للعشيرة مسجداً واحداً، كما أن بعض المساجد المنسوبة للأفراد كانت للعشائر أيضاً.

ذكرت المصادر عن مساجد عشائر الكوفة فوصفت بعضها «مباركاً» والآخر «ملعوناً»، ونسبت أكثر المصادر هذا الكلام إلى الإمام جعفر الصادق.. ويشير وصفها إلى مواقف أصحابها من خلافة علي بن أبي طالب. والمساجد التي

(١) الأنساب ١٩٧.
(٢) المصدر نفسه ١٣١.
(٣) المصدر نفسه ٢٤٧.
(٤) الانساب: (مخطوطة لندن ٢/ ٣٦٢ (طبعة العظم)).
(٥) بحار الأنوار ٢١/ ١٠٢، البلدان لابن الفقيه ١٧٤ (بحذف الحمراء)، الكافي للكليني ٥٣ ـ ٤٩٠ ـ ٣٩١، روضات الجنات للخونارس ٢/ ١٣٥.

ذكرت أنها مباركة هي مسجد غني ومسجد ظفر (من عبد القيس)، وهو مسجد السهلة، ومسجد جعفي، ومسجد بالحمراء[١]؛ والثلاثة الأولى من هذه المساجد منسوبة إلى عشائر، اما مسجد الحمراء فلعله منسوب إلى حمراء الديلم. وذكر الخونساري ان مسجد السهلة قريب من مسجد زيد بن صوحان، وهو من عبد القيس. أما الكليني فاقتصر على القول بأن حدّه إلى الروحاء[٢].

أما المساجد الملعونة فأكثر المصادر ذكرت أنها: مسجد الأشعث ومسجد سماك ومسجد شبث بن ربعي ومسجد ثقيف ومسجد بالحمراء[٣]. والمساجد الثلاثة الاولى منسوبة للأفراد من عشائر مختلفة، إذ إن الأشعث من كندة، وسماك من أسد، وشبث من تميم، أما المسجد الذي بالحمراء فيذكر الخونساري أنه «هو اليوم قريب من الشط»[٤]. وفي كتب الطبقات والرجال والأخبار ذكر لعدد من مساجد الكوفة، فذكر ابن سعد أربعة مساجد هي (١) مسجد بني حرام، (٢) مسجد بني حنيفة، (٣) مسجد حفص بن غياث في النخع، (٤) مسجد عمرو بن سعد[٥]. وذكر الاصفهاني: (١) مسجد بارق، (٢) مسجد غاضرة، (٣) مسجد سماك[٦]. وذكر البلاذري: (١) مسجد بني المقاصف، (٢) مسجد بني حنيفة وفيه حوانيت الصرافين، (٣) مسجد عنز، (٤) مسجد بهدلة بن المثنى بن معاوية[٧].

وفي كتب التاريخ التي عنيت بالحوادث ذكرٌ لعدد من مساجد الكوفة يحدد سياق الكلام مواقعها التقريبية، وأبرز هذه الكتب تاريخ الطبري الذي يتميز بدقة وسعة ما نقل عن أخبار الكوفة، وخاصة عن أبي مخنف والهيثم بن عدي،

---

(١) روضات الجنات ٢/ ١٣٢.
(٢) الكافي ٣/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥.
(٣) روضات الجنات ٢، ١١٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١١٥.
(٥) مذكورة في الجزء السادس من الطبقات بالتتابع: (١)، ٢٣٠، (٢)، ١٣٦، (٣)، ٢٤٩، (٤)، ٢٤٨.
(٦) مذكورة في كتاب الأغاني بالتتابع (١)٩/ ١٣، (٢) ٢/ ٤٢١، (٣)١١/ ٢٢٢.
(٧) فتوح البلدان ٢٨٥، وذكر ياقوت مسجد بني جذيمة ٢/ ٤٤٠، ومسجد عنز ٣/ ٧٣٥.

ومما يزيد من توثيق الطبري أنه أقام في الكوفة مدة من الزمن يتلقى العلم عن مشايخها، ولابد أن ذلك مكّنه من معرفة بعض الجوامع ومواقعها. وأكثر المساجد التي ذكرها في معرض كلامه عن الحوادث التي جرت في أوائل العصر الأموي، بما في ذلك إلقاء القبض على حجر بن عدي، والقتال الذي نشب بين المختار وابن مطيع، وبين المختار ومصعب بن الزبير، ثم ثورة زيد بن علي. إلا أن معلوماته رغم أهميتها في معرفة بعض المساجد وتحديد مواقعها التقريبية محدودة في أزمنة معينة، ولم يشر إلى مسجد في زمن العباسيين إلاّ مسجد السهلة الذي ذكر أن محمد بن احمد الطائي (ت٢٨٣) دفن فيه. وذكر الطبري مسجد المعاول، ومسجد الأنصار، ومسجد بني ذهل، ومسجد عدي بن حاتم، ومسجد الأشعث، ومسجد أحمس، ومسجد أبي داود، ومسجد السكون، ومسجد عبد القيس، ومسجد بني دهمان، ومسجد بني مخزوم، ومسجد جهينة، ومسجد بني عدي، ومسجد شبث، ومسجد السهلة. وذكر البلاذري هذه المساجد في الفصول التي كتبها عن تلك الحوادث، ونقل فيها المعلومات التي أوردها الطبري، وأشار إلى مصادرها. ومنها مسجد بني غبر بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر، ومسجد الأحلاف (وهم الحارث وعامر وجشم وحليفهم ابن عدي بن جشم بن غنم)، ومسجد بني رفاعة بن ثعلبة بن غنم بن يشكر، ثم مسجد بني عامر بن جشم بن حبيب بن كعب بن يشكر، ثم مسجد بني صرام وهو عجل بن كعب بن يشكر، ثم مسجد بني كنانة بن يشكر.

لم تجرِ حفريات آثارية توضح طرز هذه المساجد المعمارية في العهود الإسلامية الاولى. والإشارة الوحيدة التي وجدتها عن طرز هذه المساجد هي قول الجاحظ «وليس منار مساجدهم على صور منار البصرة، ولكن على صور منار الملكانية واليعقوبية»[1]. ولم توضح المصادر شكل هذه المنار، ولعلها تشبه القائم الذي يذكر الشابشتي في كلامه عن دير القيارة: "كان له قائم، وكل

---

(١) فتوح البلدان ٥٠١.

دير لليعقوبية والملكية فعنده قائم، فأما ديارات النسطورية فلا قائم لها»[1]. ولعل المقصود بذلك المنائر المربعة الشائعة في جوامع دمشق، وفي عدد من مدن شمالي افريقيا.

الجبانات والمقابر

المدافن من المعالم الخططية التي ذكرتها المصادر في الكوفة، فقال اليعقوبي: وكان لكل قبيلة جبانة تعرف بهم وبرؤسائهم، منها جبانة عزرم وجبانة بشر وجبانة أزد وجبانة سالم وجبانة مراد، وجبانة كندة وجبانة الصائدين وصحراء أثير وصحراء بني يشكر وصحراء بني عامر[2]. وذكر ياقوت: «الجبان» في الأصل الصحراء، وأهل الكوفة يسمون المقابر جبانة كما يسميها أهل البصرة المقبرة، وبالكوفة محال تسمى بهذا الاسم وتضاف إلى القبائل، منها جبانة كندة مشهورة، وجبانة السبيع كان بها يوم المختار وجبانة ميمون منسوبة إلى أبي بشر ميمون مولى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس صاحب الطاقات ببغداد بالقرب من باب الشام، وجبانة سالم تنسب إلى سالم بن عمارة. . . بن بكر بن هوازن، وغير هذه جميعها في الكوفة[3]، وذكرت جبانات بأسماء اشخاص ذكر منها مخنف وأثير، وبنو سلم والعائذيون ومراد وكندة. أما تعبير الصحارى فيذكر ياقوت: وبالكوفة عدة مواضع تعرف بالصحراء، كما في البصرة عدة مواضع تعرف بالجفر، والمعنى واحد، فبالكوفة صحراء بني أثير نسبة إلى رجل من بني أسد يقال له أثير بالكوفة، وصحراء بني عامر، وصحراء بني يشكر وصحراء الإهالة وهي مواضع لا أدري بالكوفة أو غيرها، وذُكرت صحارى باسم شبث، وسالم، وضرار، وعبد القيس، وذكرت مقبرة واحدة هي مقبرة جعفي المنسوبة إلى البراء بن عكرمة الجعفي.

(١) الديارات للشابشتي ٣٠٣.
(٢) فتوح البلدان ٣١١.
(٣) معجم البلدان ٢/١٦ ـ ١٧.

يتبيّن مما تقدم أن المدافن في الكوفة أطلقت عليها ثلاثة أسماء، هي الجبان والمقابر والصحراء، والمقصود من هذه التعابير الثلاثة واحد. ويقول ياقوت: «الجبان في الأصل الصحراء، وأهل الكوفة يسمونها الجبان، كما يسميها أهل البصرة المقبرة...»[1]. ويقول ابن منظور: الجبانة، الصحراء، وتسمى بها المقابر لأنها تكون في الصحراء تسمية للشيء بموضعه، وقال أبو حنيفة الجبابين كرام المنابت وهي مستوية في ارتفاع.. وقال ابن شميل الجبانة ما استوى من الأرض وملس ولا شجر فيه، وفيه إحكام وجلاء، وقد تكون مستوية لا احكام فيها ولا جلاء. ولا تكون الجبانة في الرمل ولا في الجبل، وقد تكون في القفاف والشقائق، وكل صحراء جبانة[2]. وتدل تسميتها على أنها كانت في أماكن مستوية صلبة ومرتفعة وأنها اتخذت مدافن، ولما كانت العرب في صدر الإسلام لاتعنى بزخرفة القبور أو إقامة أبنية عليها، فإن الجبانات لم تكن فيها مظاهر عمرانية تلفت النظر، وإنما كان كل منها أرضاً غير مستوية، لما فيها من قبور.

يستلزم وجود الجبانات وجود أراض خالية تقام فيها الجبانة، فهي تدل على أن الكوفة عندما وزعت أرضها خططاً على العشائر أعطيت كل من العشائر أو بعضها رقعة من الأرض تزيد على حاجة سكن أفرادها، فخص موزعو الخطط بعض الأراضي للدفن فيها. ولم تذكر المصادر أن الدولة خصصت مقبرة عامة لأهل الكوفة، والمدافن التي ذكرت في الكوفة أقل من عدد عشائرها. ولا يمكن الجزم بسبب عدم ذكر جبانات بعض العشائر الكبيرة في الكوفة، وهل هو راجع إلى أن هذه العشائر لم تكن لها جبانات، أم أن المصادر أغفلت ذكرها لضعف ارتباطها بالحوادث التي جرت في الكوفة، ولا يبعد أن تكون جبانة العشيرة مدفناً لأفرادها من العشائر القريبة خططها من تلك الجبانة.

اشتهرت بعض الجبانات بسبب الحوادث التي جرت عندها، وتدل تلك

(١) معجم البلدان ٣/ ٣٧٠.
(٢) لسان العرب ١٦/ ٢٣٦.

الحوادث على أن هذه الجبانات كانت واسعة وفي مواقع تناسب التجمعات، غير أنه لا توجد إشارة إلى مساحة أكثر المدافن؛ ولعلها كانت تختلف في سعتها، وأن ذكر المصادر لها يدل على أهمية موقعها أكثر مما يدل على سعتها. يرجع إنشاء الجبانات إلى دوافع الحاجة إليها، والحوادث التي تذكر فيها المدافن تشير إلى وجودها في زمن حدوث تلك الحوادث، كما أن ترجمة من سمي المدفن باسمه يشير إلى زمن وجودها. ولكنها لا تدل جزماً على أول نشوئها، ويمكن القول عموماً بأن المدافن أو أكثرها أنشئت بعد تأسيس الكوفة، وفي أوقات مختلفة وكثير منها في زمن الأمويين.

ولا بد أن المدافن تتباين في سعتها فبعضها صغير المساحة وبعضها واسع، ولكنها عموماً تكون أرضاً فضاء تصلح أن تكون مكاناً للتجمعات، وخاصة في بعض المناسبات المفرحة أو المحزنة أو الأزمات، فهي كالمتنفسات العمرانية التي تجعل في المدينة عدداً من الساحات الخالية من العمران، ولكنها لن تكون من الأماكن التي تجذب المتمكنين إلى بناء القصور عندها، فهي قد تكون في مناطق مزدحمة، ولكن ليس من الضروري أن تكون في الأماكن «الرافهة»، كما أنه لم يرد ذكر سوق أقيمت في هذه الجبانات أو بقربها.

لم تذكر في الكوفة إلاّ مقبرة واحدة هي «مقبرة جعفي»، وقد ذُكرت لأن فيها بئر المبارك المنسوب إلى المبارك بن عكرمة بن حميري الجعفي الذي كان يوسف بن عمر ولاه بعض السواد[1]. ولم تذكر المصادر زمن حفر أو نشوء المقبرة التي لابد أنها كانت قرب خطط جعفى ومدفناً لرجالها.

أما الصحارى فقد ذُكرت منها تسع، منها خمس منسوبة إلى عشائر، هي: صحراء بني عامر، وصحراء بني يشكر، وصحراء بني جعفر بن كلاب، وصحراء بني بشر، وصحراء بني قرار[2] التي نسبت إلى بني بن ثعلبة بن

(١) فتوح البلدان ٢٨٥، وانظر الاشتقاق لابن دريد ٢٤٤.
(٢) معجم البلدان ٣/ ٢٧٠، وانظر عن صحراء بني جعفر: ابن سعد ٦/ ٢١، وعن صحراء بني بشر: البلدان لليعقوبي ٣١١.

مالك بن حرب بن طريف بن النمر بن يقدم بن عنزة بن أسد ربيعة بن نزار[١]. وذكرت عدة مصادر صحراء بني اثير[٢]، وهي في قول البلاذري منسوبة إلى رجل من بني أسد يقال له أثير[٣]، غير أن روايات أخرى تنسبها إلى أثير بن عمرو السكوني وهو طبيب كوفي يعرف بابن عمرويه[٤]، يذكر ياقوت أنه الطبيب الذي عالج الخليفة علي من طعنته، وأن الخليفة حرق الغلاة في هذه الصحراء[٥] مما يدل على قدم وجودها، وهي قرب كندة[٦].

إن الجبانات المسماة بالأشخاص هي على الأرجح لعشائرهم، ومن حصيلة أسماء من نسبت إليهم الجبانات يتبين أن أكثر ما ذكر جبانات لأهل اليمن من كندة ومراد، والسبيع والصائديين وجعفى وبشر (الخثعمي). اما المنسوبة إلى مضر فذكر منها جبانة كل من شبث الرياحي، وبني قرار العنزيين، وسالم (من هوازن) وعرزم من (نهد) وعبد القيس. ومن المحتمل وجود جبانات لعشائر أخرى، وخاصة عشائر بكر وتميم وأهل العالية من الحجاز، غير أن المصادر لم تذكرها.

ذُكرت اغلب جبانات الكوفة في سياق بعض الحوادث فيها، وأبرزها إلقاء القبض على حجر بن عدي، وثورة المختار على والي الكوفة عبد الله بن المطيع، وحركة مصعب بن الزبير في القضاء على المختار، وثورة زيد بن علي وأكثر هذه الحركات امتد إلى مساحات واسعة في الكوفة.

إن اعتماد الحركات على الجبانات يدل على أنها كانت ساحات واسعة قليلة العوارض، مما ييسر تجمع عدد كبير من المقاتلة وقيامهم فيها بالحركات العسكرية والقتال. وقد تكرر ذكر جبانات السبيع وكندة والصائديين ومراد في

(١) فتوح البلدان ٢٨١.
(٢) البلدان لليعقوبي ٣١١.
(٣) فتوح البلدان ٢٨١، معجم البلدان ٣/ ٣٧٠.
(٤) الاكمال لابن ماكولا ١/ ١٤٠.
(٥) معجم البلدان ١/ ١٢٠.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ١٧.

حوادث ثورة المختار[١]، ثم قضاء مصعب بن الزبير عليها[٢]، وذكرت جبانتا كندة والصائديين في حوادث إلقاء القبض على حجر بن عدي[٣]، وتكرر في بعض هذه الأخبار ذكر جبانة بشر وسالم والأزد وأثير، وأكثر هذه الجبانات في أطراف الكوفة الشرقية، وهي قرب السبخة.

ذكر الطبري جبانة عرزم مرة واحدة في أخبار حجر بن عدي، فقال انه لما أخرج حجر وجماعته من الكوفة، انتهوا إلى جبانة عرزم فنظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره وهي في جبانة عرزم[٤]. وهذا يدل على أن هذه الجبانة كانت عند خطط عبس في الاطراف الشمالية من الكوفة على طريق الغريين؛ وذكر جبانة سلول في حوادث مصعب بن الزبير للمختار حيث أرسل مصعب قوات إلى جبانة بشر، وجبانة مخنف (الأزد)، وجبانة السبيع، وجبانة مراد، كما أرسل شمر بن ذي الجوشن فنزل جبانة سلول في قيس[٥]. أما جبانة أثير فإن الطبري ذكر أن ابراهيم بن الأشتر عندما تحرك لإسناد المختار عند إعلان ثورته، انتهى إلى مسجد السكون. . فخرجت خيل فشد عليهم ابراهيم بن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتى إذا دخلوا جبانة كندة. . . خرج ابراهيم حتى انتهى إلى جبانة أثير[٦]. ولم أجد إشارة إلى أثير الذي نسبت إليه الجبانة.

ذكر البلاذري ثلاث صحارى منسوبة إلى أفراد هي: صحراء شبث بن ربعي الرياحي[٧]، وصحراء البردخت وهو اسم الشاعر الضبي علي بن خالد[٨]، وصحراء أم سلمة التي نسبت إلى امرأة أبي العباس المخزومية[٩].

---

(١) الطبري ١١٢، ٦١٤، أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٣٣، أنساب الاشراف ٥/ ٢٦٠.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ١١٢.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٢٤.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٣؛ أنساب الاشراف ٥/ ٢٢٢.
(٦) المصدر نفسه ٢/ ٦١٨، ولا بد أنها هي صحراء أثير التي ذكرها اليعقوبي في البلدان (٣١١).
(٧) فتوح البلدان ٢٨٥.
(٨) المصدر نفسه ٢٨٥، معجم البلدان ٣/ ٣٧٠.
(٩) المصدر نفسه ٢٨٨، معجم البلدان ٣/ ٣٧٠.

أما الجبانات فهي أكثر ما ذكر في الكوفة.. ذكر منها ثلاث عشرة منها ستٌّ منسوبة إلى افراد وسبع منسوبة إلى عشائر من التي ذكرت

١ ـ **جبانة مخنف بن سليم**: ذكر الطبري أن عبد الرحمن بن مخنف خرج فيها[١]، وذكر أن فرقة من أصحاب زيد بن علي توجّهت إلى الكناسة، فلما وصلت جبانة مخنف بن سليم انشعبت فاتجهت نحو جبانة كندة[٢]. وهذا يدل على أنها كانت في الأطراف الغربية، أي في جهة الكناسة وأنها ليست بعيدة عن جبانة كندة؛ وتدل تسميتها على أنها كانت قائمة في أوائل زمن الامويين، ولعلها كانت للأزد التي كان مخنف بن سليم أبرز زعمائها.

٢ ـ **جبانة بشر**: وهي منسوبة إلى بشر بن ربيعة الخثعمي[٣]، وهو ممن شهد القادسية[٤]. وهي من الجبانات الكبيرة[٥]، وكانت في ناحيتها إقطاعات عدي بن حاتم وسائر طيء[٦]. ولعلها كانت قرب خطط خثعم التي ينتمي إليها سالم، وفي رواية أن جبانة بشر نسبت إلى أبن أبي رهم الجهني، وكان مع خالد بن الوليد باليمامة[٧].

٣ ـ **جبانة سالم**: ذكر ابن الكلبي أنها نسبت إلى سالم بن عمار بن عبد بن الحرث بن ظالم بن عمارة. وكان شريفا[٨]. وذكر البلاذري أنه من بني دارم بن نهار بن مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن[٩]. وذكر الطبري أن زيد بن علي أقبل من جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائديين.. ثم مضى

(١) الطبري ٢/ ٧٥٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ١٧٠٤.
(٣) فتوح البلدان ٢٨٢؛ الاشتقاق ٥٢٣؛ الأغاني ١٤/ ٣٩؛ البلدان لليعقوبي ٣١.
(٤) الأنساب لابن حزم ٣٦٨.
(٥) الطبري ٢/ ٦١٤.
(٦) البلدان لليعقوبي ٣١١.
(٧) الاكمال لابن ماكولا ١/ ٢٦٩.
(٨) الأنساب لابن الكلبي ١٥٢ (الاسكوريال).
(٩) فتوح البلدان ٢٨٢؛ ياقوت ٢/ ١٧؛ اليعقوبي ٣١١.

حتى انتهى إلى الكناسة.. ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة[1]. وهذا يظهر أنها كانت في الأطراف الشمالية الغربية، وتقع جبانة الصائديين بينهما بالكناسة.

وذكر البلاذري أن بني مرة بن صعصعة يُنسبون إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان[2]، ولعلها هي جبانة بني سلول التي ذكرها الطبري في حوادث ثورة المختار[3].

٤ ـ **جبانة عرزم**: ذكر البلاذري أنها «نسبت إلى رجل يقال له عرزم كان يضرب فيها اللبن، ولبنها رديء فيه قصب وخزف، فربما وقع الحريق بها فاحترقت الحيطان». قال بعض الكوفيين إن عرزم هذا رجل من بني نهد[4]، وهذا النص نقله ياقوت وأضاف: «وقيل عرزم بطن من فزارة نسبت الجبانة اليه». وقال الكلبي نسبت الجبانة إلى عرزم مولى لبني أسد أو بني عبس[5] ومما يؤيد أن جبانة عرزم كانت في بني عبس[6]، أن حجراً عندما خرج سار معهم صاحب الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة، فلما انتهوا إلى جبانة عرزم نظر قبيصة بن ضبيعة العبسي إلى داره وهو في جبانة عرزم، فمضوا حتى انتهوا بهم إلى الغريين. وعند جبانة عرزم كانت دار ليث بن ابي سليم مولى عنبسة بن ابي سفيان[7].

٥ ـ **جبانة ميمون**: وهي منسوبة إلى ميمون مولى محمد بن علي بن عبد الله[8]، فهي متأخرة، ولم تذكر المصادر ما يشير إلى موقعها.

(١) الطبري ٢/١٧٠٣.
(٢) فتوح البلدان ٢٨٥.
(٣) الطبري ٢/٦٥٢، ٣٥٦.
(٤) فتوح البلدان ٢٨٢؛ وانظر ابن سعد ٦/٢٤٣؛ البلدان لليعقوبي ٣١١؛ معجم البلدان ٣/٧٣٩.
(٥) معجم البلدان ٣/٦٣٩.
(٦) الطبري ٢/١٣٢.
(٧) ابن سعد ٦/٢٤٣.
(٨) فتوح البلدان ٢٨٨؛ معجم البلدان ٢/١٦.

أمّا الجبانات المنسوبة إلى العشائر فقد ذكر منها:

١ ـ **جبانة الأزد**[١]، ولعلها هي جبانة مخنف بن سليم.

٢ ـ **جبانة كندة**: أشار إليها اليعقوبي[٢] وياقوت[٣]، وتردد ذكرها في أخبار أوائل العصر الأموي في حركات القبض على حجر بن عدي، وحركة المختار[٤]، ووردت إشارات إلى موقعها، إذ ذكر الطبري أن ابراهيم بن الأشتر سار حتى انتهى إلى مسجد السكون فظهرت عليه خيل من خيل زحر بن قيس فشد عليهم ابراهيم بن الأشتر وأصحابه فكشفوهم حتى دخلوا جبانة كندة[٥]. وعندما انحاز حجر إلى كندة أمر زياد مذحج وهمدان بالمضي إلى جبانة كندة[٦]. ويذكر الطبري أيضاً أن حجر بن عدي خرج فأخذ طريقاً نحو بني حرب، وسار حتى انتهى إلى دار رجل منهم يقال سليم بن يزيد فدخل داره وفيها خوخة تخرج إلى دور بني العنبر وإلى غيرهم، ثم خرج فمر ببني ذهل وسلك أزقة حتى أفضى إلى النخع ودخل دار عبد الله بن الحارث أخي الأشتر، ثم خرج منها حتى أتى دار ربيعة بن ناجذ الأزدي في الأزد[٧]. ويظهر في هذا النص تسلسل الخط من جبانة كندة فبني حرب فدور بني العنبر، فبني ذهل، فالنخع، فالأزد.

ويذكر ابن سعد أن جبانة كندة كانت عندها دار محاضر بن المروع الهمداني[٨].

٣ ـ **جبانة الصائديين**: وهم من همدان وقد ذكرها اليعقوبي[٩]و وذكرت في

(١) البلدان لليعقوبي ٣١١.
(٢) المصدر نفسه ٣١١.
(٣) معجم البلدان ٢/١٦.
(٤) انظر الطبري ٢/٢٦١، ٦١٤، ٧٣٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/٦١٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/١٢١
(٧) المصدر نفسه ٢/١٢٣.
(٨) ابن سعد ٦/٢٧٨.
(٩) البلدان لليعقوبي ٣١١.

أخبار حوادث القاء القبض على حجر، حيث كان في كندة فأرسل زياد قوة إلى جبانة كندة وأمر سائر أهل اليمن أن يسيروا إلى جبانة الصائديين[1]، كما أرسل مصعب قوة إلى جبانة الصائديين عندما كان يطارد المختار[2]. وعندما ثار يزيد بن علي تقدم من جبانة سالم إلى جبانة الصائديين[3].

٤ ـ **جبانة مراد**: وهم من همدان وقد ذكرها اليعقوبي[4]، كما ذكرها الطبري في أخبار خروج شبث بن ربعي وابن الكواء من الكوفة حين أمر زياد الناس أن يذهبوا إلى جبانة مراد وينتظروا فيها أمره[5]. وفي أخبار حركة المختار أرسل ابن مطيع إليها ابو حوشب[6]، وعسكر فيها زحر بن قيس[7]، ونزلها عمرو بن الحجاج الزبيدي بمن تبعه من مذحج[8]، واجتمعت إليها شبام[9].

٥ ـ **جبانة السبيع**: ذكرها ابن دريد[10] وياقوت[11]، وذكرت في زمن ولاية عبيدالله بن زياد[12]، غير أن أكثر ذكر لها تردّد في حوادث المختار حيث أرسل ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد إليها[13]، واتخذها المختار قاعدة له، وكانت فيها وقعة في سنة ٦٦[14].

---

(١) الطبري ١/١٢٢.
(٢) المصدر نفسه ٢/٧٤٤.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٧٠٣.
(٤) البلدان ٣١١.
(٥) الطبري ١/٣٣٨٨.
(٦) المصدر نفسه ٢/٦١٤.
(٧) المصدر نفسه ٢/٧٢٣.
(٨) المصدر نفسه ٢/٦٥٢.
(٩) المصدر نفسه ٢/٦٢٠.
(١٠) الاشتقاق ٤٢٧.
(١١) معجم البلدان ٢/١٦.
(١٢) المصدر نفسه ٢/٢٦٩.
(١٣) الطبري ٢/٦١٤.
(١٤) المصدر نفسه ٢/٦٦١، ٦٤٣، ٦٦٧، ٧٢٣.

الفصل الثامن عشر

طبقات السكان

من أبرز سمات تأسيس الأمصار تثبيت إقامة المقاتلة العرب واستقرارهم وتثبيت مكانة السلطة المركزية العليا، وبجانب هذا تثبيت أسس الحياة الحضرية التي تضوي جماعات لها سمات متنوعة ومتطورة تعبر عنها مفردات جمعها عدد من المهتمين باللغة، وأفرد بعضهم لها كتباً خاصة أشملها كتاب "المخصص" لابن سيده، دون أن يذكروا مدى انتشار وعمق روابط كل من هذه الجماعات. وأشارت كتب التاريخ والأدب عرضياً وبصورة متفرقة إلى عدد من هذه السمات والمتحلين بها، وييسر جمعها تكوين فكرة عامة عنها، وإن لم تكن دقيقة، فهي تظهر دور هذه الفئات في عدد من الحوادث المبكرة. ولابد أن دورهم أوسع مما تظهر هذه الإشارات.

الوجوه والمتسمتون

وفي مقدمة هذه المجموعات ذات السمات المتميزة التي ذكرت في الكوفة هم الوجوه والمتسمتون والمقربون من الولاة؛ فذكر سيف بن عمر، أن سعيد بن العاص آخر ولاة الكوفة لعثمان كان يغشى مجلسه «وجوه أهل الأيام والقادسية، وقراء أهل المصر والمتسمتون»[1]. ولاريب في أن كلاً من هؤلاء كانوا من العلية المقربين للوالي.

---

(١) الطبري ١/ ١٩٠٨.

فأما الوجوه، فإن ابن منظور عرّفهم "وجوه البلد أشرافه.. ووجوه القوم سادتهم، ووجه السلطان أو أوجهه شرفه.. ويقال للرجل إذا كبر سنه قد توجه"[1]. فالوجيه في هذا التعريف هو المقرب من السلطان من البارزين من قومه، ومكانته مستمدة من مواهبه الشخصية التي يقدرها الناس وخاصة عشيرته، ومن تقربه للسلطان.

إما المتسمتون، فإن ابن منظور عرّفهم بقوله "السمت هيئة أهل الخير، والسمت حسن القصد في الدين والدنيا واتباع الحق والهدى وحسن الجوار وقلة الأذية"[2]، فعماده الاستقامة والدماثة، ولكنه لم يتردد ذكره في الأخبار.

الأشراف

الشرف في اللغة علو المكان وإطلاله على ما حوله من دونه. ولم يرد ذكر هذا التعبير في القرآن الكريم الذي أورد تعابير متعددة لذوي المكانة والكبراء والسراة، وإنما ذكر أبرزهم «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، واستعمل الشرف صفة لمن تميزوا بسلوك يقدره المجتمع ويرفع مكانتهم فيه، فهو قائم على السلوك الاجتماعي، وليس على الصفات الجسدية أو العمل الوظيفي الذي يشغله الشريف ويدر عليه موارد مالية، وإنما أساسه سمات خلقية يقدرها الناس ويولونها احتراماً، وهي سمة فردية وليست وراثية[3]. ولا يشترط في الشرف كمال الجسم وخلوه من العاهات، فقد ذكر محمد بن حبيب عدداً من الأشراف من العرجان والبرص والحولان والعتم والكواسجة[4].

وتقدير الشرف لا يقتصر على عشيرة الشريف، وإنما يمتد إلى أبعد من ذلك.. بل قد يصل إلى الأعاجم، فيروى أن وفد العرب عندما قابل كسرى قبيل

---

(١) لسان العرب ١٧ / ١٥٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٠.
(٣) انظر كتاب، «الشرف عند العرب» لبشر فارس (بالفرنسية) و بحثه في كتابه «مباحث عربية».
(٤) المحبر ٢٩٦ ـ ٣٥٠، وانظر: العميان والبرصان، للجاحظ.

معركة القادسية قال المغيرة بن زراة بن النباش «أيها الملك.. إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وانما يكرم الأشراف الأشراف ويعظم حقوق الأشراف الأشراف،ويفخم الأشراف الأشراف»[(١)].

ولا يقتصر الشرف على العرب وإنما يمتد إلى غيرهم، وقد ذكر محمد بن حبيب عدداً من أشراف الموالي[(٢)].

وردت إشارات تقرن السن بالشرف، فيروي الطبري أن الأشتر قال لسنان بن مالك النخعي في صفين: «انطلق إلى أبي الأعور (السلمي) فادعه إلى المبارزة، فقال إلى مبارزتي أو مبارزتك؟ فقال الأشتر إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي، إنه لا يبرز إن كان ذلك من شأنه إلاّ لذوي الأسنان والكفاءة والشرف وأنت.. من أهل الكفاءة والشرف غير أنك فتى حديث السن.. ولكن ادعه إلى مبارزتي»[(٣)]. ويروي البلاذري أن أبا بكر بن عمرو بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن قوماً من الأنصار بلغوا أسناناً ولم يبلغ عطاؤهم الشرف فإن رأى أمير المؤمنين إثباتهم في شرف العطاء فليفعل، فأجابه عمر: وأما ما ذكرت من أمر الرجال الذين بلغوا سناً ولم يبلغوا في عطائهم الشرف، فإنما الشرف شرف الآخرة[(٤)].

ورد في أخبار القرن الأول ذكر ذوي الأسنان والكفاءة والشرف[(٥)]. ومن ذلك ما ذكره زياد في كتابه إلى معاوية عن موقف حجر بن عدي «وقد دعوت خيار أهل المصر وأشرافهم وذوي السن والدين منهم»[(٦)].. وعرّف ابن منظور ذوي الاسنان بأنهم الأكابر والأشراف[(٧)]، غير أن التطابق بين السن والشرف لم

---

(١) الطبري ١/ ٢٢٤١.
(٢) المحبر ٢٩٦ ـ ٣٥٠.
(٣) الطبري ١/ ٣٢٦٣ ـ ٣٢٦٤.
(٤) أنساب الاشراف ٧/ ١٣٩ (المخطوط).
(٥) وقعة صفين ١٨٥؛ الطبري ١/ ٣٢٦٣.
(٦) الطبري ٢/ ١٣٧.
(٧) لسان العرب ١٧/ ٨٥.

يكن حتمياً أو دائماً، فكثير من ذوي السن لم يكونوا من الأشراف الذين لعل بعضهم لم يكونوا من ذوي السن.

الشرف وشرف العطاء

ذكرنا في الفصل الذي خصصناه لبحث العطاء أن أهل الأيام وأهل القادسية خُصّوا باعلى العطاء لقاء إسهاماتهم في المعارك الأولى، وليس لمكانتهم في المجتمع، وأوردنا أسماء عدد من نصت المصادر على استلامهم هذا العطاء، وقصرت هذه المصادر على ذكر مقدار عطاء كل منهم دون أن تسميه شرف العطاء، ولا تحدد المصادر الزمن الذي سمي بها أعلى العطاء (شرف العطاء) أو قرنه بالأشراف. وفي أي حال فإن (الشرف) كان سمة لأشخاص لهم مكانتهم دون أن تكون مطابقة لأعلى العطاء. وقد نصت المصادر على ذكر شرف العطاء في مصر وبلاد الشام، أما في العراق فقد وردت إشارات قليلة منها ما ذكره الطبري أن عتاب بن علاقة أحد بني عوافة بن سعد كان شريفاً، وكان عمر بن الخطاب فرض لعتاب هذا مع الاشراف في الفين وخمسمائة[1]. ويُذكر أن الأشتر قال لأهل الكوفة إن سعيد بن العاص «ردّ أهل البلاء منكم إلى ألفين ويقول: ما بال أشراف الناس وهذه العلاوة بين هذين العِدلين»[2]. وذكر أنه كان في بني حنظلة أربعون يأخذون شرف العطاء[3].

ذكر ابن سعد أن كلاًّ من عتبة بن فرقد[4]، ومجزاة بن زاهر[5] كان شريفاً في الكوفة. وذكر ابن دريد ثلاثة من أهل الكوفة سمي كلٌّ منهم شريفاً وهم: أبو يكتوم بن عتاهية، وأبو حارث، وزهير بن ناجز[6]، وهذه الأعداد قليلة نسبياً مما قد يدل على تناقص أهمية الشرف الذي كانت له مكانة أكبر في العهود الأولى، مما يتجلى في كثرة عدد من أشار ابن الكلبي إلى أن كلاً منهم

(١) الطبري ٢/ ٣٢.
(٢) المصدر نفسه. ١/ ٢٩٢٩.
(٣) النقائض ٤٦٤.
(٤) ابن سعد ٤ ـ ٢/ ١٨.
(٥) المصدر نفسه ٤ ـ ٢/ ١٨.
(٦) مذكورون بالتتابع في الاشتقاق: ٢٠، ٣٦٠، ٤٩١.

كان «شريفاً»، وذكر العشائر التي ينتمون إليها؛ وهم في الغالب من كل عشيرة واحد، وفي بعضها أكثر من واحد، وقلما يزيدون على الثلاثة، وممن ذكرهم: سعيد بن يحيى وعبد الرحمن بن عتبة حفيدي سعيد بن العاص، وخالد بن الوليد بن عتبة (أمية) وهانيء بن الحرث، والجعد بن عدي وحجر الشر (كندة) وزحل بن عبد الرحمن، ويزيد بن شهاب (السكاري) ومالك بن وهبة، وعمرو بن قيس (السكون)، والحرث بن عبد الله وعمرو بن الحجاج وخالد بن قطن (مذحج)، والمستورد بن نهيك، وعكرمة والريان بن مساعد، ويزيد بن عامر وعبد الرحمن بن النعمان (النخع)، وحصين بن عبد الرحمن (جعفى)، وعتبة بن فرقد، وشريك بن نملة، ويزيد بن هبيرة، وقيس بن نجيل، وقيس بن عباد (سليم)، وعمرو بن عبيد الله (تميم)، وابن رواح، وخالد بن مالك، وعدي بن حارث بن الشريد، وجنادة بن مالك (دارم)، وعقبة بن سميع (شيبان)، وشماخ بن مظاهر (حنظلة)، وعتاب بن ورقاء (يربوع)، والقعقاع بن سويد (سعد بن زيد مناة)، والمسيب بن نجبة (فزارة)، وعبيد بن ابي شيخ (عبس)، ومزاحم بن سكن (صريم)، وبشر بن غالب (جنادة)، وسالم، وعيسى بن حراء (عامر بن صعصعة)، وعبد الله وسعد بن حرب (الحارث)، وشرحبيل (شيبان)، وسالم بن عمارة، والفرات بن معاوية، وقيس بن شرحبيل، ولبيد بن ربيعة. ولا بد أن المصادر ذكرت آخرين لم يتيسر لي استيعاب جمعهم، غير أن القائمة الكبيرة التي ذكرتها تيسر تكوين فكرة عامة سليمة عن سماتهم ومميزاتهم.

وردت الاشارة إلى أشراف الكوفة منذ أوائل تأسيسها، فروى الطبري في كلامه عن موقعة نهاوند أن النعمان بن المقرن قائد المسلمين أمر بضرب الفسطاط، فابتدره أشراف الكوفة وأعيانهم فسيق إليه يومئذ عدة من أشراف الكوفة تسابقوا فبنوا له فسطاطاً، سابقوا أكفاءهم من قومهم وهم أربعة عشر، منهم: حذيفة بن اليمان، وعقبة بن عمرو، والمغيرة بن شعبة، وبشير بن الخصاصية، وحنظلة الكاتب بن الربيع، وابن الهوبر، وربعي بن عامر، وعامر بن

مطر، وجرير بن عبد الله الحميري، والاقرع بن عبد الله الحميري، وجرير بن عبد الله البجلي، والأشعث بن قيس الكندي، وسعيد بن قيس الهمداني، ووائل بن حجر[١]. إن هذا النص يذكر أشراف الكوفة وأعيانهم وهم متمايزون، غير أن الأعيان لم يذكروا في مصادر القرن الأول مما يدل على ضعف دورهم، علماً بأن الذين بنوا الفسطاط هم أشراف لهم أكفاؤهم من عشائر متعددة، ومعظمهم متفردون في العشيرة، وقليل منهم اثنان من عشيرة واحدة، ولا بد أن هؤلاء هم بعض وليس كل الاشراف.

ذكر البلاذري أن عتاب بن علافة أحد بني عوافة بن سعد كان شريفاً، وكان عمر بن الخطاب فرض لعتاب هذا مع الاشراف في ألفين وخمسمائة[٢]. وذكرت الكتب عدداً ممن كانوا في ألفين وخمسمائة من العطاء هو يسمى شرف العطاء، ولكنهم لم يشيروا على أنه حصر بالأشراف أو اقتصر عليهم، وإن كان الأمر كذلك فإنهم أعطوه تقديراً لشرفهم وليس لرفعهم إلى مرتبة الشرف، علماً بأن عدداً ممن ذُكر عطاؤهم ألفين وخمسمائة محدود وهم من عشائر متعددة، وقلما ذكر أكثر من واحد في كل عشيرة في شرف العطاء.

يكثر ذكر الاشراف في أخبار حوادث الكوفة منذ حركة الاحتجاج على عثمان، وذكرت في هذه الأخبار أسماء عدد منهم وأكثرهم ممن له دور في الحوادث، غير أنه لا يصح القول بأن الاشراف اقتصروا على من ذُكرت اسماؤهم، ولا بد أن عدداً آخر في الكوفة كانوا أشرافاً لم تذكرهم المصادر. ومن الطبيعي أنهم كانوا جماعة متميزة، ولكنهم لم يكونوا حزباً أو كتلة موحدة الأفكار والعقائد والاتجاهات والمواقف.

روى الواقدي بسند أبي اسحاق الهمداني "اجتمع نفر في الكوفة يطعنون على عثمان من أشراف العراق: مالك بن الحارث الاشتر (النخعي) وثابت بن قيس النخعي وكميل بن زياد النخعي وزيد بن صوحان العبدي وجندب بن زهير

(١) الطبري ٢٦١٩/١.
(٢) أنساب الاشراف ٣٢/٥.

الغامدي وجندب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو الحمق الخزاعي»[1]. وهذه الأسماء الثمانية منها ثلاثة من النخع وواحد من كل من غامد والأزد وخزاعة وعبد القيس، أي أنهم من عشائر محدودة العدد وأكثرهم من اليمانيين وموقعهم مناقض لما يرويه سيف أن الناقمين في الكوفة من الجماهير، ولا نعلم مدى الصلة بين نقمة الاشراف ونقمة العامة في الكوفة. ولم يكن لهؤلاء موقف متميز في الفتوح أو مكانة في المجتمع، ولكن موقفهم يظهر اهتمامهم بالأمور العامة وأن احتجاجاتهم لم تكن على أسس عشائرية ضيقة، وإنما على أمور عامة أوسع لم تحددها المصادر.

يقول ابن ابي الحديد إن الخليفة علي (رض) لما قدم إلى الكوفة لم يكن يفضل شريفاً على شريف، ولا عربياً على أعجمي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصانع الملوك ولا يقرب أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس علياً والتحقوا بمعاوية. وقد أثار هذا استياء الاشراف أو بعضهم عبر عنه الاشعث بن قيس عندما قال لعلي منتقدا: «تنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع»[2]، وهذا يظهر أن علياً لم يولِ الأشراف مكانة متميزة، رغم أنه لابد أضعف حماسهم في تأييده. ولكنهم لم يناصبوه العداء، وخرجوا معه إلى صفين، وشاركوا في أحداثها والقتال فيها، ولم يشاركوا القراء الخوارج في الانشقاق عليه، وإن كان أصحابهم أو أكثرهم لم يرضوا عن قبوله التحكيم وإيقاف القتال.

غير أن الموقف تبدل على أثر الاضطراب الذي واجهه علي بعد عودته من صفين وماتلاها من أحداث أظهرت قلقه وضعف الأمل في استعادة مكانته، ومع هذا لم يبادر إلى الاتصال بمعاوية الذي علم من عيونه بالأحوال الجديدة. فكاتب وجوه أصحاب علي (رض) مثل الاشعث بن قيس وغيره ومنّاهم وبذل لهم حتى مالوا اليه[3]، وتثاقلوا عن علي، فكان يقول فلا يلتفت إلى قوله ويدعو فلا يسمع

(١) الطبري ١/ ١٩٢١.
(٢) شرح نهج البلاغة ١/ ١٠٨.
(٣) أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٣٨٣.

لدعوته. ويروي نصر بن مزاحم أن معاوية قال: «لأستميلن بالأموال ثقات علي، ولأقسمن فيهم الاموال حتى تغلب دنياهم على أخراهم»[1].

ذكرت المصادر ما يدل على مكانة الاشراف في الكوفة ومناصرتهم لولاتها منذ أن تثبتت خلافة الأمويين إلى زمن الحجاج، فعندما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة قام الخوارج بتحركات أخلّت بالأمن، وحرص المغيرة على القضاء عليها فنصحه معقل بن قيس أن ينفذ إليهم قوة من الأشراف، وقال له انك لاتبعث اليهم أحداً ممن ترى حولك من أشراف المصر إلاّ وجدته سامعاً مطيعاً لهم مفارقاً[2]. ولما الح حجر بن عدي في مجاهرته العداء للأمويين والدفاع عن علي جمع زياد شهودا على موقف حجر وكتب إلى معاوية: «قد دعوت خيار اهل المصر وأشرافهم وذوي السن والدين منهم فشهدوا عليه»،[3] ثم ذكر قائمة طويلة بأسماء الشهود.

ولما توجّه الحسين إلى الكوفة وقرّر عبيد الله بن زياد التصدي له، قال عمر بن سعد لعبيد الله: «ابعث إلى الحسين في هذا الجيش أشراف الكوفة ممن لست بأعذر ولا أجرأ عليك بالحرب فيه»[4].

وكان أشراف أهل الكوفة مع ابن مطيع مجمعين على قتال ابن الحنفية إن أراد السيطرة على الكوفة[5]، ولما ثار المختار اجتمع الاشراف حول ابن مطيع الذي استشارهم فقال لأسماء بن خارجة وعبد الرحمن بن مخنف وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس وأشراف أهل الكوفة ما ترون[6]؛ ولما انتصر المختار على ابن مطيع جاءه الأشراف يتحدثون معه، وكان مع ابن مطيع

(١) وقعة صفين ٤٣٤.
(٢) الطبري ٢/٦٣٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/١٣٧.
(٤) المصدر نفسه ٢/٣٠٩.
(٥) أنساب الاشراف ٥/٢٢٢.
(٦) الطبري ٢/٦٣١.

أشراف الناس[١]، وأيدوه لأنه أكرمهم، وبعد يوم جبانة السبيع انسحب أشراف الكوفة فلحقوا بمصعب[٢].

ولما سيطر المختار على الكوفة ولي الموصل عبد الرحمن بن سعيد، وكان يليها لابن الزبير محمد بن الأشعث بن قيس «وأقبل (عبد الرحمن) حتى نزل تكريت وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس وإلى ما يصير أمرهم، ثم شخص إلى المختار فبايع له»[٣].

ولما قرّب المختار الموالي واعتمد عليهم استناء أشراف الكوفة وتسلل أكثرهم إلى المصعب في البصرة، وجاء أشراف أهل الكوفة فدخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا إليه وبما أصيبوا به ووثوب عبيدهم ومواليهم عليهم[٤].

وفي أخبار الحوادث التي جرت في الكوفة بعد قيام الدولة الاموية معلومات أوسع عن الأشراف ودورهم، يظهر منها أنهم كانوا من حيث العموم موالين للخلافة الأموية، ولعلَّ خير ما عبر عن ذلك قول مجمع بن عبد الله للحسين: «أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائزهم ليستمال ودهم ويستخلص به نصيحتهم فهم ألْب واحد عليك، وأما سائر الناس فإن أفئدتهم تهوى إليك وسيوفهم غداً مشهورة عليك»[٥]. وهذا يظهر أن الأمويين أفلحوا في جلب الأشراف إليهم بما أغدقوه عليهم من الأموال رشوة ومن دون مقابل عمل، وبذلك ارتبطوا جميعاً بالدولة الجديدة وأخلصوا لها النصح وصاروا يجارونها وازداد عددهم ونفوذهم.

ظهر ارتباط الأشراف بالدولة الأموية منذ أوائل قيامها، فلما أعد المغيرة بن شعبة، وهو أول والٍ أموي على الكوفة، جيشاً لمقاتلة المستورد الخارجي، قال

---

(١) الطبري ٢/ ٦٤٤.
(٢) أنساب الاشراف ٥/ ٢٣٧.
(٣) الطبري ٢/ ٦٣٥.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٧١٨.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٣.

له معقل بن قيس إنك لاتبعث إليهم أحداً ممن حولك من أشراف مصر إلاّ وجدته سامعاً مطيعاً ولهم مفارقاً[١]. وأيد الأشراف عبيد الله بن زياد عندما تصدّى للحسين[٢].

ازداد دور الاشراف وضوحاً وقوة في الحركات التي أعقبت وفاة يزيد بن معاوية، فلما ثار المختار واشتد الأمر على ابن مطيع استشار أسماء بن خارجة (الفزاري) وعبد الرحمن بن مخنف (الازدي) وعبد الرحمن بن سعيد (الهمداني) وأشراف أهل الكوفة[٣]. ويبدو أن عدد الأشراف ازداد في العشائر، فلما أرسل المختار عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى الموصل تنحى عنها، وأقبل حتى نزل تكريت وأقام بها مع أناس من أشراف قومه وغيرهم[٤].

وكان محمد بن الأشعث من الأشراف الذين أكرمهم المصعب[٥]؛ وقال وفد الكوفة الذي أرسل إلى ابن الحنفية إن أشراف أهل الكوفة مجمعة على قتالك مع ابن مطيع[٦].

مكث ابن مطيع ثلاثاً يرزق أصحابه الدقيق ومعه أشراف الناس إلاّ عمرو بن حريث، فإنه نزل القصر ثم كره الحصار فخرج من الكوفة. ولما أمسى ابن مطيع جمع الأشراف الذين معه، فقال: جزاكم الله عن الطاعة خيراً، أما أني سأعلم أمير المؤمنين بما كان من محاماتكم وجدكم واجتهادكم[٧].

العامة

تردد ذكر تقسيم المجتمع إلى خاصة وعامة أكثر من أي تقسيم آخر، وقد

(١) الطبري ٢/ ٣٧.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٣٨٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٦٣١.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ٦٥٣.
(٥) المصدر نفسه ٢/ ٦١٨.
(٦) انساب الاشراف ٥/ ٢٢٢.
(٧) المصدر نفسه ٥/ ٢٣٧.

ورد ذكر العامة في عدد من الأحاديث النبوية، فيروى أن الرسول (ص) قال «لا يعذب العامة بعمل الخاصة»[1]، و«تقبلون على أمر خاصتكم وتذرون أمر عامتكم»[2]. وعقد أبو داوود باباً «في نسخ نفير العامة بالخاصة»[3]. وذكرت عدة أحاديث في هذا السياق، فقيل: «عامة من يدخلها المساكين والفقراء» و«عامة الجيش»، و«بيعة العامة»، و«مرجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة»، «فجاء قوم عامتهم من مضر بل كلهم مشرك»، و«عليك بالجماعة والعامة والمسجد»[4]. وذكر أيضاً: «أكبر الغدر غدر أمير عامة»[5]. وجاء في عهد الخليفة علي بن ابي طالب (رض) إلى الأشتر «واعلم أن الرعية طبقات لايصلح بعضها إلاّ ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من أهل من ذوي الحاجة والمسكنة».[6]

وذكر ابن المقفع «على العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهما لباسين مختلفين: طبقة من العامة يلبس لها لباس انقباض وانحجاز وتحفظ من كل كلمة وصفو، وطبقة من الخاصة يخلع عليهم لباس التشدد ويلبس لباس الأنسة والتلطف والبذولة والمفاوضة، ولا يدخل هذه الطبقة إلاّ واحد من ألف كلهم ذوو فضل في الرأي وثقة في المودة وأمانة في السر...»[7].

وقال الفارابي «الفقيه أشبه بالتعقل» كذلك صار الفقيه من الخواص. فالخواص على الاطلاق هم الفلاسفة بإطلاق وسائر من يعد من الخواص إنما

(١) ابن حنبل ٥/١٤٢.
(٢) المصدر نفسه ٤/٩٢.
(٣) الترمذي: جهاد ١٨.
(٤) البخاري مناقب الانصار ٣٧، ٤٥، ابن حنبل ٥/٢٠٥.
(٥) ابن حنبل ٢/٧١، ١٢٦، ٣/١٦.
(٦) شرح نهج البلاغة ٣/١٢٠.
(٧) الأدب الصغير ٢٩.

يعد منهم لأن فيهم شبهاً من الفلاسفة. من ذلك أن كل من قلّد أو تقلد رئاسة مدينة، أو كان يعلم لأن يتقلدها، أو كان معداً لأن يتقلدها، يجعل نفسه من الخواص إذا كان فيه شبه ما في الفلسفة وإذا كان أحد أجزاء الصناعة الرئيسية الملية، ومن ذلك أن الحاذق من أهل كل صناعة عملية يجعل نفسه من الخواص لكونه أنه استقصى تعقيب ما هو عند أهل الصناعة مأخوذ على الظاهر، وليس الحاذق من أهل كل صناعة يسمي نفسه بهذا الاسم فقط، لكن أهل صناعة عملية ربما سموا أنفسهم خواص بالاضافة إلى من ليس هو من أهل تلك الصناعة.

سمات الخاصة وسمات العامة

تتوقف السمات المطلوب توافرها في الخاصة على أمزجة الحاكم الذي يختارهم ليكونوا من خاصته، والراجح أن أبرز هذه السمات هي الذكاء واللباقة وحسن التصرف وبعض الاطلاع على الأمور العامة.

أشارت كتب الأدب والتاريخ إلى أسماء عدد من خاصة بعض الخلفاء والولاة،ودونت الكتب المعنية بالسياسة الشروط الواجب توافرها في الفرد ليكون من الخاصة، كما أشار بعضها إلى ضوابط سلوكهم التي تمكنهم من الاحتفاظ بمكانتهم.وأمثال هؤلاء الخاصة يرتبطون بشخص صاحب السلطة وقد يتبدلون بتبدله وعلاقتهم بصاحب السلطة شخصية وغير رسمية، فليس لهم مناصب ثابتة توفر لهم دخولاً مقننة، وقربهم من الحاكم يربطهم به، فعددهم غير محدد، ومكانتهم غير ثابتة، وإنما أساسها الصلة بالحاكم وليس بعموم الناس الذين يدركون تميز هؤلاء الخاصة عنهم وصلتهم بالحكام، والغالب أنهم يحظون من العموم بالتقدير لمزاياهم الشخصية ولأنهم في الغالب لا يؤذون الناس وعملهم ترفيهي أكثر منهم إداري.

يذكر الجاحظ: «والعامة والباعة والأغنياء والسفلة كأنهم أعذار عام واحد، وهم في بعضهم أشد تشابهاً من التوأمين في ظاهرها وكذلك هم في مقادير العقول في الاعتراض والتسرع، وإن اختلفت العور والنعم والأسنان والبلدان»،

ويقول إن «أصحاب الحرف متشابهة وإن اختلفوا في البلدان والأجناس والأسنان»[1].

وجاء في عهد الخليفة علي بن أبي طالب إلى الأشتر: «فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالالحاف وأقل شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء العامة من الأمة. فليكن صغوك لهم وميلك معهم». وعلق ابن أبي الحديد على هذا الكلام، فقال إن قانون الإمارة الاجتهاد في رضا العامة فإنه لامبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة، فأما إذا سخطت عامة لم يضعف رضا خاصة. لا يضر سخط هؤلاء إذا رضيت العامة، وذلك لأن هؤلاء عنهم غنى ولهم بدل والعامة لاغنى عنهم ولا بدل فيهم لأنهم إذا شغبوا كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب فلا يقاويه أحد وليس الخاصة كذلك[2].

المستوى الفكري للعامة

يقول أبو الحسن العامري عن الفلسفة «فإن طبقات العوام قد أعرضوا عنها وكرهوا الأصغاء إليها، لا لأنها منعت عنهم بل لأن عقولهم بالإضافة إليها نزلت منزلة الأعين الوسنة بالإضافة إلى نور الشمس[3]. ويقول إن "العوام يقصدون الحسنات فيخطونها بشروطها»[4]، «طبقة العلوم للذين يلقون أزمة أمورهم إلى مقتداهم بغير حجة»[5]، و«ليس شيء عند الدهماء أروج من المذهب المستضعف والرأي المدخول»[6].

(١) الحيوان ٢/ ١٠٤ ـ ١٠٥.
(٢) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٢١.
(٣) الاعلام بمناقب الاسلام ٧٤.
(٤) المصدر نفسه ١٢٩.
(٥) المصدر نفسه ١٥٤.
(٦) المصدر نفسه ٢٩٥.

ويذكر الجاحظ أن «أصحاب الحديث والعوام هم الذين يقلدون ولا يحصلون ولا يتخيرون»[1]، ويذكر أيضاً «فإنا نزعم أن العامة لا تعرف معنى الإمامة ولا تأويل الخلافة ولا تفصل بين فضل وجودها وتقصي عدتها ولأي شيء ارتدت ولأي أمر أحلت وكيف ما سارت والسبيل إليها، بل هي مع كل ريح تهب وناشئة تنجم ولعلها بالمبطلين أقر عيناً منها بالمحقين، وإنما العامة أداة للخاصة تبتذلها للمهن وتزجي لها الأمور وتصول بها على العدو وتسد بها الثغور»[2].

ويقول «والعامة وإن كانت تعرف في حجل الدين بقدر ما معها من العقول فإنه لم يبلغ من عقولها كثرة أن ترتفع إلى معرفة العلماء. ولم يبلغ من قوة ضعف عقولها تخط إلى طبقة المجانين والاطفال. ولو كانت العامة تعرف من الدين والدنيا ما تعرفه الخاصة كانت العامة خاصة وذهب التفاضل في المعرفة والتباين في الدنيا»[3]. ويذكر مقام العامة من الخاصة مقام جوارح الانسان من الانسان. . وكذلك العامة لا تعرف قصد القادة ولا مرأى الخاصة ولا تروي معها وليس يخرجها ذلك من عزمها وما أبرمت من تدبيرها[4] ويقال إن «صلاح الدنيا وتمام النعمة في تدبير الخاصة وطاعة العامة» «فالخاصة تحتاج إلى العامة كحاجة العامة إلى الخاصة،وأنما هم جند للدفع، وسلاح للقطع»[5].

ويقول الفارابي "إن العوام والجمهور هم أسبق في الزمان من الخواص. والمعارف المشتركة. . هي أسبق من الصنائع العملية ومن المعارف التي تخص صناعة منها وهذه جميعاً هي المعارف العامة. وأول ما يحدث ويكونون هؤلاء فإنهم يكونون في مسكن وبلد محدد ويفطرون ما صور وخلق من أبدانهم محددة وتكون أبدانهم على كيفية وأمزجة محددة وتكون أنفسهم معدة ومسددة نحو

---

(١) مجموع رسائل الجاحظ ١/ ٢٩.
(٢) العثمانية للجاحظ ٣٦.
(٣) المصدر نفسه ٣٢٦.
(٤) المصدر نفسه ٢٥٢، رسائل الجاحظ ٤/ ٣٦.
(٥) المصدر نفسه ٢٥٥.

معارف وتصورات وتخيلات بمقادير محددة في الكمية والكيفية فتكون هذه أسهل عليهم من غيرها»[١].

دور العامة السياسي

ذكر الجاحظ «ليست للخاصة قوة العامة ولا للعلية قوة على الأراذل»[٢]. ويقول «وقالوا قد رأينا أهل الصلاح والقدر عند انتشار أمر السلطان وغلبة السفلة والدعار وهيج العوام يقوم منهم العدد اليسير في الناحية والقبيلة والدرب والمحلة فينقل لهم حد المستطيل ويقمع شذاذ الدعار حتى يسرح الضيف ويأمن الخائف وينشر التاجر ويكبر جانبهم»[٣].

خطر العامة

نقل عن شبيب بن شيبة قوله 'قاربوا هذه السفلة وباعدوها، وكونوا معها وفارقوها، واعلموا أن الغلبة لمن كانت معه، وأن المقهور صارت عليه. ووصفهم بعض العلماء فقال "يجتمعون من حيث يفترقون، ويفترقون من حيث يجتمعون لا تفل غربهم إذا صالوا ولا تنجح فيهم الحيلة اذا هاجوا'. ويقول الجاحظ إن العوام اذا كانت نشراً فأمرها أيسر ومدة هيجها أقصر، فإذا كان لها رئيس حاذق أو مطاع مدبر وإمام مقلد، فعند ذلك ينقطع العلم ويموت الحق ويقل المحلق، فلولا أن لهم متطلعين وقصاصاً متفقهين وقوماً قد بايثوهم في المعرفة بعض المباينة لم يلحقوا بالخاصة ولا بأهل المعرفة التامة، ولكنا كما نخافهم نرجوهم وكما نثق منهم نطمع فيهم.

الغوغاء

عرّف ابن منظور الغوغاء بأنهم 'السفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر

(١) الحروف للفارابي ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٢) نفي التشبيه: رسائل الجاحظ ١/٢٨٣.
(٣) العثمانية: رسائل الجاحظ ٤/٢٨٩.

ويجوز أن يكون من الغوغاء الصوت والجلبة لكثرة لغطهم وصياحهم[١]. ويروى أن الخليفة علي بن أبي طالب وصف أثرهم وسماتهم، فقال «هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا،وقيل بل قال عليه السلام هم الذين إذا اجتمعوا ضروا واذا تفرقوا نفعوا، فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال عليه السلام: يرجع أصحاب المهن إلى مهنهم فينتفع بهم، يروح البناء إلى بنائه والنساج إلى منسجه والخباز إلى مخبزه». ونسب الجاحظ القول إلى واصل بن عطاء مع صياغة أخرى للفقرة الأخيرة" قال يرجع الطيان إلى تطيينه، والحائك إلى حياكته، والملاح إلى ملاحته، والصائغ إلى صياغته وكل إنسان إلى صناعته، كل ذلك رفق للمسلمين ومعونة للمحتاجين.

ويقول ابن أبي الحديد في شرحه «كان الحسن إذا ذكر الغوغاء وأهل السوق قال: قتلة الأنبياء[٢]. وكان المأمون يقول «كل شر وظلم في العالم فهو صادر عن العامة والغوغاء لأنهم قتلة الأنبياء والمغريون بين العلماء والنمامون بين الأودار ومنهم العوصي وقطاعي الطرق والطرارون والسارحون إلى السلطان فإذا كان يوم القيامة حشروا على عادتهم في السرعة فقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا فأضلونا السبيل»[٣]. وينسب ابن أبي الحديد إلى الأحنف بن قيس قوله «أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم النار والعار». ويذكر «قال بعضهم لا تسبوا الغوغاء فإنهم يطفئون الحريق وينقذون الغريق ويسدون البثوق»[٤].

الشباب

الشباب مرحلة من العمر تتجاوز الطفولة والصبا وتقصر عن الرجولة والشيخوخة، فأساسها بيولوجي وتحديدها تقريبي عرفي، ففي الجاهلية كان أهل مكة يحددونه للفتاة عند وصولها سن البلوغ، ويرفقه مراسيم تدوير الفتاة حول

(١) لسان العرب ١٠/ ٣٢٧.
(٢) شرح نهج البلاغة ٤/ ٣٣٣ نفي التشبيه في رسائل الجاحظ ٤/ ٢٨٣.
(٣) المصدر نفسه ٤/ ٣٣٣.
(٤) المصدر نفسه ٤/ ٣٣٣.

الكعبة[١]، وفي الاسلام اعتبرت الخامسة عشر هي السن الفاصل عن الطفولة، والوصول إليه يكسب صاحبه الاستقلال في التصرف وينهي الوصاية عليه، ويبيح للفتاة حق الموافقة أو رفض من يتقدم لتزوجها، فضلاً عن عدد من الأحكام الأخرى التي أفاض في بحثها الفقهاء. واعتُبر هذا السن في الإسلام حد المشاركة في القتال وآخذ العطاء.

للشباب سمات خلقيه تميزهم نشير منها إلى قوتهم البدنية، والاندفاع في الثقة بالنفس وفي التصرفات، وبهذا يختلفون عن المتقدمين في السن ممن لهم خبرات أوسع، وضبط النفس في التصرف، مما يجعلهم أكثر تأثراً بالتيارات العاطفية المندفعة الهوجاء. فهم يقدمون مادة أولية للانتفاضات العارمة التي كثيراً ما تؤدي إلى خلخلة الاستقرار والتماسك الاجتماعي، إلاّ أنهم أجرأ في الاندفاع نحو التغيير الذي كثيراً ما يكون أساسياً لإخراج المجتمع من حالة الجمود إلى الحركة التي تتوقف آثارها على توجه ذلك الاندفاع.

دور الشباب

كان للشباب دور متميز في انتشار الاسلام منذ أوائل الدعوة، فكان أكثر المسلمين الأولين من الشباب[٢]. وظل لهم الدور الملحوظ في الأحداث من زمن الرسول (ص)، وقد عبّر عن ذلك حمزة الخارجي عندما استولى على المدينة سنة ١٢٨، وعيَّره أهل المدينة بأن أتباعه من الشباب فرد عليهم بقوله وهل كان أصحاب محمد إلاّ شباباً أحداثاً مكتهلون والله بشبابهم[٣].

وذكرت المصادر دور الشباب في بعض الحوادث التي مرت بالإسلام في زمن الرسول (ص)، فكانوا أول من اندفع للقتال في معركة بدر[٤]، كما أنهم حملوا الرسول (ص) إلى الخروج إلى أحد رغم ميل الرسول إلى الأخذ بآراء

(١) الاشتقاق لابن دريد، ابن سعد ١/ ٧١.
(٢) ابن سعد ٣ ـ ١/ ١٧٧.
(٣) الطبري ٢/ ٢٠١١.
(٤) تفسير الطبري ٩/ ١١٦ (عن ابن عباس)؛ تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٣٥٣.

من نصح بالصمود في المدينة والدفاع فيها وعدم الخروج منها للقتال. وذكر الزهري أن شباب الأنصار كانوا أكثر من اجتمع في السقيفة لانتخاب خليفة للرسول بعد وفاته.

ووردت في أحاديث الرسول (ص) إشارات إلى دور الشباب في معرض المديح، منها أنهم كانوا يغزون مع الرسول (ص) وهم شباب[١]، وينامون في المسجد وهم شباب[٢]، ومنهم سبعون يقال لهم القراء[٣].

الاهتمام بالشباب

أدرك الخليفة عمر بن الخطاب أهمية الشباب فنصح بالاهتمام بتعليمهم وتوجيههم تحاشياً من أخطار تركهم سائبين. ونصح الرامهرمزي تعليم الشباب[٤].

وأشارت المصادر إلى اندفاع الشباب في موقعة صفين، فذكر نصر بن مزاحم بلاء شباب همدان في المعركة وعددهم ثمانمائة.

ولما وضع عمر بن الخطاب قواعد توزيع العطاء راعى إسهامهم في المعارك الأولى فأعطاهم أعلى العطاء، ثم تدرج نازلاً فأعطى المتأخرين في الانضمام أقل من الأولين، وحصر العطاء بالمقاتلة فحسب، أما النساء والأولاد فقد قرر لكل منهم مبلغاً قليلاً مقداره حوالى مائة درهم، وحدد سن العطاء بخمس عشرة سنة، ولعله لم يعممه على كل الناشئة وإنما كان يختار ولداً واحداً يدخله في أدنى العطاء. وكان الشباب في أقل العطاء، ثم تزايد عدد من ليس في العطاء لأن موارد الدولة لم تكف إدخالهم جميعاً، وبذلك كان كثير من الشباب محرومين منه أو يأخذون دون حده الأدنى، ورافقه تزايد عددهم واندفاعهم فكانوا مصدر قلق وعامل كثير من أحداث التذمر والاضطراب.

---

(١) البخاري: جهاد ٢٩، ١٣٢.
(٢) الترمذي: مواقيت ١٢٢.
(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ١/ ٨١.
(٤) المحدث الفاصل للرامهرمزي ٣٤١.

الشباب في الكوفة

أشارت المصادر إلى وجود الشباب ودورهم المتميز في زمن خلافة علي، ولابد أن وجودهم سبق ذلك، ولعلهم أسهموا في حركات الاحتجاج على الولاة قبل ذلك، إلاَّ أن المصادر لم تشر إلى ذلك. فأما عن زمن علي فإن أبا مخنف يذكر أنه عندما عزم الخليفة علي التقدم لمقاتلة معاوية، قال لأهل الكوفة "إني أسالكم أن يكتب لي رئيس كل قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال، وعبدان عشيرته، ومواليهم ثم يرفع ذلك إلينا. ثم أن الرؤوس كتبوا من فيهم ثم رفعوه إليه، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليهم أن يخرجوا معهم وألاَّ يتخلّف عنهم واحد، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل وسبعة عشر ألفاً من الأبناء ممن أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، وقالوا يا أمير المؤمنين أمّا من عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممن قد بلغ الحلم وأطاق القتال فقد رفعنا إليك منهم ذوي القوة والجلد وأمرناهم بالشخوص معنا، ومنهم ضعفاء وهم في ضياعنا وأشياء مما يصلحنا. وكانت العرب سبعة وخمسين ألفاً ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف؛ وكان جميع أهل الكوفة خمسة وستين"[1].

إن مضمون هذا الكلام الذي ينسجم مع السياق العام للأحوال ينص على أن المسؤولين هم (الرؤساء)، ولا بد أنه قُصد بهم رؤوس الأسباع، وهو يظهر أنهم كانوا يحفظون السجلات بأسباعهم، ولعل عدم ورود ذكرهم في المصادر يعود إلى أن عملهم لم يدم طويلاً وحل محلهم رؤوس الارباع.

يظهر هذا النص أن عدد الشباب كان قرابة نصف عدد العرب، وأنهم كانوا في سن يؤهلهم للمشاركة في القتال غير أنهم كانوا صنفين رئيسين: الأول ذوو القوة والجلد أي المدربين على القتال والمؤهلين له، والثاني غير المدربين على القتال وهم «ضعفاء» يعملون في الضياع (خارج الكوفة) وفي أعمال ضرورية في

(١) الطبري ١/ ٣٣٧٢.

المجتمع مما يصلحهم، فالشباب من كانت أعمارهم بين الخامسة عشر والخمسة وعشرين، أما المقاتلة فأعمارهم بين الخامسة عشر والستين على الأقل، وقد يظهر هذا كثرة الشباب وتميزهم عن المقاتلة وأنهم لم يكونوا في ديوان العطاء، ولعل كثيراً منهم لم يكن يقيم في بيت والديه وقد أشارت المصادر إلى دورهم في بعض حوادث الاضطراب، ولا بد ما يتميز به الشباب من طموحات كثيراً ما تكون مغالية، وأن حاجاتهم إلى تأمين معيشتهم وطموحاتهم كانت من دوافع القلق وأسباب استمرار الاضطرابات.

والخبر الثاني الذي ورد فيه ذكر الشباب يرجع إلى زمن الحجاج، فعندما نشط الخوارج «أخرج الحجاج جماعة أهل الكوفة ومقاتلتهم ومن نشط إلى الخروج من شبابهم، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى الشباب؛ ووافى مع عتاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة فكانوا خمسين ألفاً ولم يدع الحجاج قرشياً ولا رجلاً من بيوتات العرب إلاّ أخرجه»[1]. يظهر هذا النص أن عدد مقاتلة أهل الكوفة تناقص عما كان في زمن زياد وابنه عبيد الله، ويبلغ الشباب في هذا النص عشرة آلاف أي ربع عدد المقاتلة، ويشير النص إلى أن الحجاج ألزم كافة المقاتلة الالتحاق بعتاب، ولم ينص على أنه ألزم كافة الشباب على الالتحاق، فمن المحتمل أن عددهم الحقيقي كان أكثر من ذلك، والمهم أن الشباب كانوا مدربين على القتال ومستعدين للمشاركة فيه لتثبيت الدولة.

وبصرف النظر عن أرقام الطبري التي قد تكون من أخطاء النساخ، فإن عدد العيالات كانت في زمن زياد ضعف عدد المقاتلة، أما في زمن عبيد الله بن زياد فإن عدد العيالات أصبح بقدر مرة ونصف من عدد المقاتلة.

ويجدر بالذكر أن الجاحظ والجهشياري والمدائني استعملوا تعبير «الذرية»، أمّا في الطبري وإحدى روايات البلاذري فقد استُعمل تعبير «العيالات». واستعمل

(١) الطبري ٢/٩٤٨.

أبو عبيد تعبيري الذرية العيال[1]، مما يوحي أن التعبيرين مترادفان، والمقصود بهما الأولاد وليس النساء، وقد يدل هذا على أن الناشئة كان بعضها مسجلاً في الديوان باسم «الذرية» أو العيال، وبعضها ليست في العطاء وهم الشباب.

ومن المحتمل أن الوضع في الكوفة كان يشبه ما في البصرة، أي أن عدد العيالات والذرية في زمن زياد وعبيد الله كان يقرب من عدد المقاتلة. وتجدر الاشارة إلى أنه حدثت في زمن زياد تطورات كبيرة في عدد سكان كل من الكوفة والبصرة بسبب العدد الذي نقل منهم إلى الأمصار الجديدة في الهضبة الايرانية وخراسان وأطراف بلاد الشام كما أسلفنا ذكره.

أما العيالات، فقد ورد ذكرها في نصوص ترجع إلى زمن معاوية، فيروي الوليد بن هشام القحذمي بسند عن جده، وكان يوسف بن عمر ولاه ديوان جند العرب، قال: «نظرت في مقاتلة البصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين ألفاً ووجدت عيالاتهم مائة وعشرين ألف عيل، ووجدت مقاتلة الكوفة ستين ألفاً وعيالهم ثمانين ألفاً»[2]. وورد تعبير العيالات عن سجلات الديوان في البصرة والكوفة في زمن زياد وابنه عبيد الله، والراجح أن النصوص التي ذكرتها كانت من رواية المدائني وما ذكره عن عبيد الله بن زياد في البصرة قبيل مغادرته لها على أثر موت الخليفة يزيد بن معاوية، وقد نقل هذه النصوص الجاحظ[3].

اتفق أكثر هؤلاء الرواة على أن المقاتلة في البصرة عندما وليها زياد كانوا أربعين ألفاً، وفي رواية الطبري أنهم سبعون ألفاً، والذرية ثمانون ألفاً. أما في زمن عبيد الله بن زياد فقد ذكرت الروايات أن المقاتلة أصبح عددهم ثمانين ألفاً والذرية مائة وعشرين ألفاً من الأبناء ممن أدرك، وهم من الشباب الذين لم يكونوا في العطاء، وهم بعض وليس كل الشباب، فلم يدخل فيهم الضعفاء في الضياع.

(١) الأموال لابن سلام ٢٣٧، ٢٣٨.
(٢) الطبري ٢/٥٤٨.
(٣) المصدر نفسه ٢/٤٣٤، أنساب الاشراف ٤ ـ ١/١١٩، ٤ ـ ٢/١١٩؛ البيان والتبيين ٢/١٣.

ذكر الطبري ما يدل على أنه كانت للشباب مواقف خاصة قد تختلف عن مواقف المقاتلة، فروى عن محمد بن ابي مخنف أنه عندما أخرجهم زياد للقبض على حجر بن عدي اجتمع رؤوس أهل اليمن يتشاورون في أمر حجر، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف أنا مشير عليكم برأي إن قبلتموه رجوت أن تسلموا من اللائمة والاثم.. فإن شباب همدان ومذحج يكفونكم ما تكرهون أن تنالوا من مساءة قومكم في صاحبهم، قال فأجمع رأيهم على ذلك[1].

---

(١) الطبري ٢/ ٥٢٤.

الفصـل التاسع عشر

تطوّر الأحداث

تأسست الكوفة بعد انتصار مقاتلتها على الساسانيين، وتأمين سيطرتهم وسيادتهم على العراق والأطراف الجنوبية من الجزيرة الفراتية، وتم ذلك بعد جهود مضنية كانت مصدر فخرهم واعتزازهم، وفي هذا ينقل ابن الفقيه من مفاخرهم «لنا فتوح وأيام، فمن فتوحنا الحيرة وبانقيا والفلوجتين وتستر وبغداد وعين التمر ودومة الأنبار»، وذكروا أنهم فتحوا مع خالد بن الوليد في مسيره إلى الشام المصيح وحصيد وبشر وقراقر وسورى وأراك وتدمر، وشاركو أهل الشام في بصرى ودمشق، هذا كله في خلافة ابي بكر؛ ثم كان من آثارهم في خلافة عمر يوم جسر أبي عبيدة ويوم مهران ويوم القادسية ويوم المدائن وجلولاء وحلوان، وهذا كله قبل أن ينزلوا الكوفة، ثم نزلوها ففتحوا الموصل وأذربيجان وتستر وماسهبرذان ورامهرمز وجرجان، ولهم مع أهل البصرة نهاوند، ولهم بعض الري وبعض أصبهان ولهم طميس وابين من طبرستان[1].

ويروى أن عمر بن الخطاب قال عنهم إنهم «رأس الإسلام وبها وجوه الناس» وإنهم «رمح الله وكنز الايمان وجمجمة العرب» يحرسون ثغورهم ويمدون أهل الأمصار[2]. ويروى أن سلمان الفارسي قال «أهل الكوفة قبة الإسلام، وسيأتي زمان لايبقى مؤمن إلا بها»[3].

(١) البلدان لابن الفقيه ١٦٥.

(٢) فتوح البلدان ١٨٨؛ ابن سعد ٦/ ٣٠؛ الطبري ١/ ٢٥١٥؛ البلدان لابن الفقيه ١٦١؛ ثمار القلوب للثعالبي ٤٥٠.

(٣) فتوح البلدان ٢٨٨؛ الاشتقاق لابن زيد ١٧٥.

كان أكثر المقاتلة الذين حققوا هذه الانتصارات من الأعراب، ومع أن الفضل في كثير مما حققوه يرجع إلى توجيهات الدولة الجديدة وسلطتها المركزية، إلاّ أنهم احتفظوا بكثير من سماتهم البدوية واعتزوا بتمسكهم بتقاليدها، مما كان من أسس تكتلاتهم وتماسكهم وعلاقاتهم بالعشائر الأخرى.

الاهتمام بالامور العامة: تعدد الولاة

عني أهل الكوفة في العهود الأولى من تأسيسها خاصة بشؤون الولاة وتصرفاتهم. وكان عمر بن الخطاب يعالجها بالاستجابة إلى مطالبهم في تبديل الولاة حتى أنه أبدل سبعة ولاة في أقل من ثلاث سنوات، ويروى أنه قال لقد أعضلني أهل الكوفة.

أشارت المصادر إلى مدعيات أهل الكوفة على ولاتهم عند مطالبتهم بعزلهم، فيروي الطبري أن أهل الكوفة احتجوا عند عمر على بناء سعد بن أبي وقاص باباً في دار الإمارة، فأرسل عمر محمد بن مسلمة الذي أحرق الباب[1]، وفي سنة ٢٠ ادعوا على سعد أنه لا يحسن الصلاة، فأرسل عمر محمد بن مسلمة إلى الكوفة للتحقق من الشكاوى، وقال أكثرهم في سعد لا نعلم عنه إلاّ خيراً، ولا نشتهي به بدلاً، ولا نقول فيه ولا نعيب عليه[2]، غير أن عدداً من أهل الكوفة مالأ الجرّاح بن سنان الأسدي وتركوا الثناء عليه، وقال أحدهم إن سعداً لا يقسم بالسوية ولا يعدل في الرعية ولا يغزو في السرية[3].

ويروي ابن شبه عن عفيف بن معد يكرب أنه قال «خرجنا أناساً انا والأشعث وغير واحد من وجوه أهل الكوفة.. ظلمنا واعتدي علينا، ومُنعنا حقوقنا. فخرج إلينا سعد وهو يذم أهل الخبر والمخالفة»[4]. ويروي البلاذري أن سعد استعان بوفد أخذهم إلى عمر، ومنهم عمرو بن معديكرب الذي أطرى

(١) الطبري ١/ ٢٤٩٠.
(٢) المصدر نفسه ٢٥٦٥؛ فتوح البلدان ٢٧٧.
(٣) المصدر نفسه ١/٢٦٠٦ ـ ٢٦٠٧.
(٤) تاريخ المدينة لإبن شبه ٨١٥.

سعداً في أعماله العامة، وقال إنه يجمع لهم جمع الذرة ويشفق عليهم شفقة الأم البرة.. يعطي في جبايته، يقسم بالسوية ويعدل بالقضية، وينفذ بالسرية[1].

واستجاب عمر لمطالب أهل الكوفة فولّى عليها عبد الله بن عبد الله بن عتبان، وكان سعد قد استخلفه[2]. ثم ولّى عليها زياد بن حنظلة حليف بني عبد قصي فعمل والياً، وألح في الاستعفاء فأعفاه. وولي بعده عمار بن ياسر، وولي ابن مسعود بيت المال وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض[3]، ثم شكا اهل الكوفة عماراً واتهموه بأنه ضعيف لاعلم له بالسياسة فعزله عمر وولى الكوفة جبير بن مطعم، وقال «من عذيري من أهل الكوفة، إن استعملت عليهم القوي فجروه، وإن استعملت عليهم الضعيف حقروه»[4]، ثم ولاها المغيرة بن شعبة فلم يزل عليها حتى مات عمر[5].

ذكر الطبري تفاصيل عن ملابسات عزل عمار بن ياسر، فقال «وكتب أهل الكوفة عطارد وأناس معه إلى عمر في عمار، وقالوا إنه ليس بأمير ولم يقل ما هو فيه، ونزا به أهل الكوفة، فكتب عمر إلى عمار أن أقبل فخرج بوفد من أهل الكوفة وأرفقه رجالاً ممن يرى أنهم معه، فكانوا أشد عليه ممن تخلف.. وكان سعد بن مسعود الثقفي عم المختار وجرير بن عبد الله معه فسعيا به، وخبرا عمر بأشياء يكرهها، فعزله عمر ولم يوله.

ويروي سيف أن عمر ولّى أبا موسى الكوفة برغبة من أهلها فأقام عليهم سنة، غير أن بعضهم ومنهم الوليد بن عبد شمس شغبوا عليه، لأن غلاماً له كان يتجر بالعلف، فعزله عمر وولاها المغيرة بن شعبة سنتين وزيادة[6]، وأوصاه عندما

(١) فتوح البلدان ٢٧٨.
(٢) الطبري ١/ ٥٦٠١، ٢٦٠٨.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣٥.
(٤) فتوح البلدان ٢٧٨.
(٥) المصدر نفسه ٢٧٥.
(٦) الطبري ١/ ٢٢٧٨ ـ ٢٢٨٠.

توجه إلى الكوفة "ليأمنك الأبرار وليخافنك الفجاره، ويروى أيضاً انه أراد أن يبعث سعداً على عمل المغيرة فقتل قبل أن يبعثه، فأوصى بها[1].

إن كافة المعلومات التي أوردناها مستمدة من رواة من أهل الكوفة، ولم أجد إشارة إلى أسباب تولية وعزل الولاة على الكوفة عند رواة أهل الحجاز، وهي مركز الخلافة في أول الإسلام. لاريب في أن أهل الكوفة أعرف بأحوال مصرهم، وأكثر من غيرهم اهتماما بنقلها، وهؤلاء الرواة أكثرهم ممن عاش في القرن الثاني الهجري فلم يكونوا معاصرين للأحداث، ولابد أنهم تأثروا بالتيارات الفكرية العامة التي سادت في ذلك الزمن، فالمعلومات التي قدموها قد لاتعبر بدقة عن عموم الأوضاع السائدة في العهود الأولى، وإنما تعبر عن جوانب من هذه الامور.

كان الاحتجاج على الولاة بسبب أعمال وتصرفات في الكوفة وليس في عموم دولة الإسلام أو على الخليفة وهو الراس الأعلى للدولة. فنظرتهم محلية إقليمية موجهة إلى والي الكوفة، وهي ليست جزءاً من حركات عامة في الدولة، ولم ترافقها أفكار عامة تكون معياراً للاعمال الفردية، فهي قائمة على واقع الحوادث، وليس على الأفكار التي وراء الحوادث.

وأكثر الاحتجاجات قام بها أفراد لبعضهم مكانة في عشائرهم، ولكننا لانعلم مدى التأييد الذي كانت تحظى به عند الناس، فلم يرد ذكر لرأي عام واسع كالذي حدث في زمن عثمان، كما أنه لم تُذكر عشيرة بالذات أعلنت استياءها واحتجاجها. ولعل أكثر ذلك راجع إلى الحوادث التي كانت من فعل أشخاص، وهي تعبّر عن مواقفهم الشخصية وليس عن الوضع العام في الكوفة.

يتبيّن مما تقدم أن الانقسامات في الكوفة ظهرت منذ بدايات تأسيسها، وعكست التبدلات الكبيرة التي جرت في زمن خلافة عمر بن الخطاب خصوصاً تلك التي رافقت تعيين الولاة والقضاة، وقد ذكرت أسباب على الاحتجاج على

---

(١) الطبري ١/٢٦٧٨.

سعد بن أبي وقاص، وهي تهم هزيلة وفردية لاتعبر عن مصالح عامة أو توجهات سياسية عامة أو انحيازات قبلية، كذلك الاحتجاج على الوليد بن عقبة لموافقته إعادة تقسيم موارد جبايات الأقاليم، والانتقادات التي ذكرت المصادر توجيهها إليه في مقتل الساحر وصداقته وشربه الخمر معه. وأما الاحتجاج على سعيد بن العاص فهو مرتبط بتصرفات عامة غير واضحة المعالم، ولاتعكس تطبيق أفكار سياسية عامة. ولم يستند الولاة الأولون إلى انحيازات قبلية أو يحاولون استغلال انقسامات قبلية، وأكثر الولاة من قريش أو أهل الحجاز، اعتمدوا في تعزيز مكانتهم على اسناد الخلافة[١]، علماً أن سعيد بن العاص كان أحد الستة الذين أسند لهم عثمان تثبيت المصحف، ونال رضى الناس عدا قلة منهم (ابن مسعود ومشايعوه).

نقل مقتل عثمان النقاش من المستوى المحلي المتركز على الأعمال الفردية إلى مستوى نقاش أعمال الخليفة، وإن كان احتفظ ببعض سماته المحلية التي تمزج بين سكوت الخليفة عن أعمال الوالي، وإسناده له، إلى نقاش عن أعمال الخليفة ثم شرعيته، أي من بحث الاعمال إلى بحث الأفكار والأسس.

ولما ولي علي الخلافة برزت في الكوفة تكتلات ومواقف لأفراد وجماعات كانت قائمة من قبل، من دون أن تبرز بصورة جماعية ظاهرة، ولم تعد هذه الأحوال ضيقة محلية محصورة بالكوفة. وقد تم انتخاب علي للخلافة في المدينة في غمرة أحداث اجتاحتها، ولم يكن لأهل الكوفة دور كبير فيها، غير أن المعارضة التي واجهها انتخابه من عدد من المقيمين في مكة والحجاز والشام اخل بالاجماع السلمي الذي حظي به انتخاب الخلفاء الثلاثة الأولين، وسرعان ما تطور هذا الخلاف إلى نزاع مسلح اشترك فيه رجال من الصحابة كانت لعدد منهم مكانة ودور، وانعكس هذا الصراع على أهل الكوفة فحملتهم الأحوال على المشاركة فيه، وأسهم في هز الوحدة التي حرص الخلفاء الأولون على الحفاظ عليها. وكان أول مظهر لآثار ذلك على أهل الكوفة، موقفهم من

(١) انظر تفاصيل أوفى في كتاب «الفتنة الكبرى» لهشام جعيط.

معركة الجمل التي شارك فيها بعد تلكؤ عدد غير كبير منهم، ثم انتقل علي إلى الكوفة واتخذها مقاماً له ومركزاً لخلافته وعامل أهل الكوفة برفق، وسمح لمعارضيه ومبغضيه بمغادرتها، رغم أن ذلك يؤثر في مكانته ويقوّي خصومه، غير ان اثر ذلك لم يكن عميقاً فلم يعرف إظهارهم حقداً عليه أو مشاركتهم في صفين في صفوف معاوية وظلت الكوفة مؤيدة له، واستجاب له أهلها عندما تقدم إلى صفين لمقاتلة خصمه الألد معاوية، وكان له السلطان الذي لا ينازع في مكاتباته، واستجابوا له في تنفيذ أمره بمقاتلة جيوش معاوية من أهل الشام، غير أن قبوله بالتحكيم وإيقاف القتال في صفين كان أبرز مؤثر في مجرى الأمور من أهل الكوفة.

أشارت المصادر إلى تحوُّل موقف أهل الكوفة وبروز التيارات المتعددة فيها، فقال أبو مخنف «خرج الناس إلى صفين وهم أحباء متوادون ورجعوا أعداء متباغضين، وصارت الفتنة في هذا المصر أعظم من الحرب بينهم وبين أهل الشام»[1]. ويقول البلاذري إن الناس «عادوا وهم ثلاث فرق: إحداها عادت، والثانية تنتظر، والثالثة خوارج»[2] ولم يذكر المقصود بالفرقة التي تنتظر. وينقل عن الشعبي قوله "وجمهورهم مقرّون بالتحكيم راضون به، وكانت فرقة منهم، وهم زهاء أربعة آلاف من ذوي بصائرهم والعباد منهم، منكرة للحكومة، وكانت فرقة منهم وهم قليل متوقفون"[3].

كان أظهر المعلنين استياءهم من علي لقراره التحكيم هم (القراء)، وهم مجموعة أفراد تكوّنت في الكوفة في وقت مبكر، يجمعها الاهتمام بقراءة القرآن، وربما آراء وأفكار خاصة به وبالأوضاع العامة، وكونت بين أفرادها روابط ميزتهم ودفعتهم إلى اتخاذ مواقف متشابهة أظهرها عدم الرضا بتوجيهات إدارة الكوفة في زمن عثمان، وعدم الاندفاع في تأييد الانقياد إلى علي، ولكنهم

(١) أنساب الأشراف ٢ ـ ١/ ٣٤٢.
(٢) المصدر نفسه ٢ ـ ١/ ٣٤٢.
(٣) المصدر نفسه ٢ ـ ١/ ٣٣٨.

لم يناصبوه العداء، وساروا معه إلى صفين، وقاتلوا جيش معاوية باندفاع، ثم أعلنوا عدم رضاهم بقبول التحكيم وأظهروا عدم استسلامهم لأوامره دون أن يعلنوا خلعه خلافته. ومع أن المصادر ذكرت كثيراً من مواقفهم الاحتجاجية التي تصل حد الانشقاق، وذكرت أن أول من شهر رفضه قبول التحكيم عروة بن أديه (من حنظلة تميم)، كما ذكرت عدداً قليلاً من البارزين الآخرين، ولم ترد إشارة إلى قوة الدفع القبلي في حركتهم، ووردت في الأحداث التالية أسماء عدد من الخوارج، ينتمون إلى عشائر متعددة، مما يؤيد أن الحركة لم تتم على أسس عشائرية، وإنما كانت أسساً عقائدية وفكرية ذات سمات مميزة دفعت أكثرهم إلى اتخاذ هذا التوجه والتمسك به والاستعداد للقتال من أجله.

أظهر هؤلاء المنشقون موقفهم الرافض لسياسة علي منذ عودتهم من صفين، فقد عادوا بجماعتهم منفصلين عن عامة جيش علي، ويروي البلاذري أنهم كانوا في طريق عودتهم اثني عشر ألفاً، ويقال عشرة آلاف[1]، وهو رقم قد تكون فيه مبالغة، ولكنه على أي حال كبير يبلغ قرابة خمس الجيش. غير أن تماسكهم في هذه المرحلة المبكرة كان هشاً، فقد امتنع عدد منهم يقال إنه أربعة آلاف، ويقال ألفان وأقاموا في حروراء، على نصف فرسخ من الكوفة[2]، وانفصل عدد فدخلوا الكوفة[3] دون أن يغيروا موقفهم المستاء من علي، وقوّى دخولهم الكوفة استياء عدد كبير من أهلها الذين صارحوا علياً باستيائهم واحتجاجاتهم العلنية.

حاول الخليفة علي عبثاً محاورة المقيمين في حروراء، فأرسل بعض كبار أنصاره لمحاورتهم، ولم يقنع سوى عدد قليل بالعودة إلى الكوفة ودخولها، ثم قاد جيشاً من أهل الكوفة قوامه أربعة عشر ألفاً، ولاحق المنشقين وعددهم فيما يروى حوالى ألفين، فقاتلهم في النهروان، وقتل عدداً كبيراً منهم. فشتتهم وحدّ

(١) أنساب الأشراف ٢ ـ ١/ ٣٥٥، ٣٥٩.
(٢) المصدر نفسه ٢ ـ ١/ ٣٥١.
(٣) المصدر نفسه ٢ ـ ١/ ٢٢٣، ٢٤٥.

من خطرهم[1]، ولكن هذا الانتصار كلّفه غالياً، إذ زاد من استياء أهل الكوفة، وفيهم كثير من أقارب الخوارج وممن يعطف عليهم. فصاروا يتقاعسون عنه ولما أنفذ معاوية قوات صغيرة تقوم بغارات على أماكن متعددة كثير منها غير بعيد عن الكوفة، لم يتحمس أهل الكوفة للخروج لصد هذه الغارات،ولم يستجيبوا لدعوته بتجديد الزحف على الشام لإعادة القتال مع معاوية[2]. ويروى أنه بعد النهروان فسد عليه جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة، وتفرق أكثرهم، وكره القوم المسير إلى الشام عقب النهروان[3]، ورويت له خطب يتهجم فيها على أهل الكوفة لموقفهم المتخاذل.

وفي غمرة هذه الأحداث هرب بنو ناجية وعددهم ثلاثة آلاف، كما انحازت جماعة من بني تغلب إلى معاوية.[4]

إن السرد الذي قدمناه يتصل أكثره بموقف جمهور أهل الكوفة وعمومهم. فقد كشفت الأحداث عن وجود اتجاهات عقائدية تجلت في موقف القراء الذين تطوّرت حركتهم وقادت إلى الخوارج، الذين لجأوا إلى القوة العسكرية في معارضة علي.

وفي المصادر إشارات إلى تطورات أخرى حدثت في مواقف أهل الكوفة. وكان لها تأثير قوي في تطور الأحداث، وأبرزها موقف الأشراف. فلما قدم علي الكوفة واتخذها مقراً لخلافته لم تكن له صلة سابقة قوية شخصية مع أهلها، إذ إنه قضى حياته قبل تولّيه الخلافة في المدينة وأطرافها،ولم يزر خلال ذلك الكوفة أو أي مصر آخر. وكانت صلته القوية بالمدينة وأهلها. ولم تعرف عنه محاولة لتكوين جماعة ترتبط به وتبث الدعاية له في أهل الكوفة. فلما قدم الكوفة عامل أهلها بالسوية وفقاً للمبادىء التي سار عليها الخلفاء الثلاثة

(١) أنساب الأشراف ٢ ـ ١/٢٧٦.
(٢) المصدر نفسه ٢ ـ ١/٣١٤، ٣٨٣.
(٣) المصدر نفسه ٢ ـ ١/٣١٤.
(٤) المصدر نفسه ٢/٤٠٦، شرح نهج البلاغة ١/١١٧.

الأولون. وفي هذا يقول ابن أبي الحديد إن علياً لم يكن يفضل شريفاً على مشرف، ولا عربياً على عجمي، ولا يصافح الرؤساء وأمراء القبائل كما يصافح الملوك، ولا يقرب أحداً إلى نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك. فترك الناس عليا والتحقوا بمعاوية. ويقول أيضاً إن الأشعث بن قيس قال لعلي منتقداً «تنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزلة على الوضيع»[1].

(١) شرح نهج البلاغة ١/١٠٨.

الفصل العشرون

موقف أهل الكوفة السياسي
من خلافة علي بن ابي طالب

الكوفة والعلوية

ساد الاعتقاد أن الكوفة علوية، تؤيد في توجهها السياسي العلويين وترى جدارتهم في الخلافة. ومما ثبّت هذه الفكرة أفكار وردت تبين موقف أهل الكوفة، ففي وصية ابراهيم الإمام العباسي التي يبيّن فيها المواقف السياسية لمختلف الأمصار في أواخر زمن الخلافة الأموية، يذكر أن الكوفة وسوادها شيعة علي وأولاده[١]. ولما أعلن العباسيون خلافتهم، وكانوا آنذاك يدعون إلى آل البيت، اتخذوا الكوفة مركزهم، فلما حدث انفصالهم عن العلويين تركوها لميولها العلوية.

وعندما ثار محمد النفس الزكية، إستشار أبو جعفر عبد الله بن علي فيما ينبغي عمله، فقال له عبد الله «ارتحل الساعة حتى تأتي الكوفة، فأجثم على اكبادهم، فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم»[٢].

(١) البلدان لابن الفقيه ٣١٥.
(٢) الطبري ٣/٢٥٧.

ولما ثار ابراهيم بن الحسن قيل لأبي جعفر «إن أهل الكوفة له شيعة»[١]. ويذكر ابراهيم بن هلال الثقفي "غلبة التشيع على الكوفة"[٢].

رويت عن علي أقوال يذكر فيها ماتميزت به الكوفة، فيذكر الشعبي أن علياً خطب قبيل الجمل، وقال «يا أهل الكوفة أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم، وفضضتم جموعهم حتى صارت إليكم مواريثهم، فأغنيتم حوزتكم وأعنتم الناس على عددهم»[٣]، وينقل الطبري أنه قال «إن أهل الكوفة أشد حباً، ومنهم رؤوس العرب وأعلامهم"[٤]. وعندما أراد علي معاودة قتال معاوية استنهض اهل الكوفة وقال لهم 'يا أهل الكوفة أنتم إخواني وأنصاري وأعواني على الحق، وصحابتي على جهاد عدوي المحلين بكم»[٥].

ومع أن أياً من علي وأولاده لم يسكن الكوفة أو يزرها قبل تولّيه الخلافة، ثم بعد اغتياله، وإنما كان مقام معظمهم في المدينة، إلاّ أن لأهلها صلة وثيقة بعلي الذي اتخذها مقر خلافته منذ أن قضى على معارضيه في معركة الجمل إلى أن توفي، وكان أهل الكوفة عظم جيشه في صفين. ولم يؤد استتباب الخلافة لمعاوية بعد عام الجماعة إلى تبدل جذري في الموقف العام لأهل الكوفة، فظلت ميولهم لآل علي قائمة، وبهذه الدوافع اتصلوا بالحسين معلنين تأييدهم له، ويقال إن كثيرين كاتبوه، غير أن هذا التأييد استطاع عبيد الله بن زياد كبته ومنعه عن التنفيذ، فلما اقترب الحسين من الكوفة، لم يخرج أحد منهم لتأييده، وكان الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد مع عمر بن سعد لصد الحسين مكوناً من مقاتلة أهل الكوفة. وقد اعتمد المختار في ثورته على الكوفة واتخذها مقاماً له. وعندما عزم زيد بن علي الثورة على الحكم الأموي، اختار الكوفة مكاناً لثورته، ولابد أن اختياره لها راجع إلى اعتقاده أن أهلها ميالون

(١) الطبري ٣/ ٢٥٣.
(٢) الغارات ٢/٥٥٨؛ شرح نهج البلاغة ١/ ٣٦٩.
(٣) الطبري ١/ ٣١٥٤.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٣١٣٨.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧١.

إلى العلويين، وأنه سيحظى بتأييدهم ونصرهم، غير أن ثورته فشلت لعدم حصولها على سند كاف من مقاتلة أهل الكوفة.

القوات العسكرية المساندة لعلي عند توليه الخلافة

أدرك علي بن ابي طالب أن الأحوال التي سادت عند انتخابه خليفة لا تستقر الآ باستخدام الجيش للقضاء على مقاومة متحديه، فعمل على جمع المقاتلة وقادهم بنفسه لمقاتلة خصومه، وكان أول خليفة يفعل ذلك، والواقع أن قليلاً من الخلفاء في صدر الإسلام قادوا الجيوش في ساحات القتال، فلم يقم بذلك من الخلفاء الراشدين، أما الامويون فلم يعرف من خلفائهم من قاد جيشاً في الميدان غير معاوية الذي قاد أهل الشام في موقعه صفين قبل توليه الخلافة، وعبد الملك بن مروان الذي قاد الجيش لمقاتلة مصعب بن الزبير في مسكن.

وكان أول خطر واجهه علي من عائشة ومن التف حولها، وكانت قد أعلنت معاداتها له ورفضت بيعته واتخذت قاعدتها في مكة، والتف حولها عدد من الصحابة وأبرزهم طلحة والزبير، إضافة إلى عدد من الأمويين، وتوجهت إلى البصرة مع قوة تبلغ سبعمائة لم تذكر المصادر تفاصيل تكوينها فانضم إليها عدد من مقاتلة أهل البصرة، وكونوا قوام جيشها في معركة الجمل.

أدرك علي أنه لابد له من اللجوء إلى القوة العسكرية للقضاء على خطر متحديه وتثبيت خلافته، فاستخدم الجيش وهو القوة الأساسية في القتال، للقضاء على الاضطرابات الداخلية وتثبيت مكانة الخليفة في الدولة.

أدرك كل من علي وخصومه أن الحجاز وشبه الجزيرة لا يوفران القوة التي يمكن الإعتماد عليها في انتصار كل منهما على خصمه، وقد يرجع هذا إلى أن الخصومة أصبحت قائمة على أفكار داخلية تتعلق بمكانة الخليفة في الدولة الإسلامية، وهذا توجه جديد يختلف عما كان عليه الوضع من قبل، حيث كان القتال موجهاً ضد عدو غير عربي وغير مسلم وأجنبي عن شبه الجزيرة والإسلام، فالقتال الجديد قام على أسس جديدة لم يؤمن بها كافة المسلمين،

فاعتزله كثير منهم دون أن يخشوا من اعتزالهم استياءً، لأن القتال فيه يقوم على مدى طاعتهم لمن يقاتلون له، وليس على مدى تمسكهم بالإسلام، ثم إن الطاقة القتالية في الحجاز والجزيرة كانت قد ضعفت بعد خروج عدد كبير من المقاتلة الأكفاء إلى الامصار في الاقاليم المحيطة بشبه الجزيرة.

ومنذ أول إعلان المتحدين لحركتهم فكروا باتخاذ العراق مركزاً لهم، واختاروا البصرة بعد تردد بينها وبين الكوفة. وذكر الطبري أن علياً توجه إلى البصرة لمواجهة خطر الممتنعين عن بيعته والقضاء عليه، وخرج من المدينة ومعه سبعمائة مقاتل على تعبئة، فكانت الراية مع محمد بن الحنفية، وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمرو بن الجراح، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة[١]، وكلهم من قريش، غير أن قيادتهم لا تستلزم أن يكون الجيش من أهل مكة.

ذكر الطبري أن بني أمية لم تسانده، وكذلك ثقيف[٢]. ويذكر أنه عندما عزم المسير إلى البصرة "اشتد على أهل المدينة الأمر فتثاقلوا" وقالوا نحن مقيمون حتى يضيء لنا الأمر[٣]. ذكر أن علياً ذهب إلى السوق يدعو الناس، فلم يجبه من البدريين إلا ستة[٤]، ويُذكر أنه خرج معه جماعة من أهل المدينة دون تحديد عددهم أو هويتهم[٥]. ويروى أنه خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمائة رجل[٦]، غير أنه لم يحدد عدد هؤلاء وهويتهم، ونسبتهم من عموم قوته. ويروى أنه وهو في طريقه إلى البصرة جاءته طي[٧]، وأسد[٨] وبكر بن وائل[٩]، وعرضوا عليه أنفسهم، فلم يأخذ منهم أحداً، وقال

(١) الطبري ١/٣١٤٢.
(٢) المصدر نفسه ١/٣٠٩٤، ٣١٠٤ ـ ٣١٠٥.
(٣) المصدر نفسه ١/٣٠٩٣، ٣٠٩٤.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٠٩٤.
(٥) المصدر نفسه ١/٣١٠٣.
(٦) المصدر نفسه ١/٣١٠٦.
(٧) المصدر نفسه ١/٣١٤٠.
(٨) المصدر نفسه ١/٣١٤٣.
(٩) المصدر نفسه ١/٣١٤٥.

لهم إلزموا قراركم ففي المهاجرين الكفاية. والواقع أنه لاتوجد إشارة إلى استمداده رجال العشائر في طريقه إلى البصرة، رغم حاجته إلى المقاتلين.

المقاتلة الكوفيون المساندون لعلي

اتخذ علي مركز تحشده للتقدم إلى البصرة في ذي قار، وأظهر ميله إلى الإفادة من مقاتلة أهل الكوفة، وكان واليها أبو موسى الاشعري قد تردد في إرسال مقاتلة من الكوفة لقتال أهل الجمل، ولكن تغلب عليه مساندو علي وعزلوه، وكان أبرز هؤلاء المساندين هند بن عمرو، وحجر بن عدي والأشتر(١).

تظهر أخبار الحوادث التي تتابعت عند تولي علي الخلافة أن أهل الكوفة لم يكونوا مجمعين على مساندته، وقد أشار إلى ذلك في خطبة له عند وصوله الكوفة بعد معركة الجمل، وقال فيها «ألا إنه قد قعد عن نصرتي منكم رجال، فأنا عليهم عاتب زار، فاهجروهم وأسمعوهم مايكرهون حتى يعتبروا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة»(٢).

ومن أجلى مظاهر ضعف موقف أهل الكوفة في تأييد علي ترددهم في إرسال الجيش، وعدم إجماعهم على استجابة دعوته لنصرته، واقتصار الاستجابة على نسبة محدودة لاتصل إلى ربع عددهم. ومرجع بعض هذا الضعف أن قتال أهل الجمل كان يدور حول أمور صلتها بالأشخاص أظهر منها بالمصلحة الإسلامية العامة، فعدم الاندفاع في تأييد علي يرجع إلى تقديرهم الخاص لطبيعة هذه الحوادث، وليس إلى أفكار عن خلافته أو عن شخصيته.

يذكر الطبري أنه نفر من الكوفة مع علي «تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر، وأخذ بعضهم الماء، وعلى كل سبع رجل، أخذ البر ستة الاف ومائتان، واخذ الماء ألفان وثمانمائة»(٣). ويروى عن الشعبي أنه اجتمع لعلي في ذي قار سبعة

---

(١) الطبري ٣١٤٨/١.

(٢) وقعة صفين ٦.

(٣) الطبري ٣١٥٢/١.

الاف ومائتان، وعبد القيس بأسرها في الطريق.. وفي الماء ألفان وأربعمائة[1]. ويروى عن سيف أن جميع من كان نفر فيه، ولم يقدم فيه الوجوه أتباعهم، فكانوا خمسة آلاف، أخذ نصفهم في البر ونصفهم في البحر. وخف من لم ينفر فيها ولم يعمل لها وكان على طاعته ملازماً للجماعة فكانوا أربعة آلاف، وكان رؤساء الجماعة القعقاع بن عمرو وسعد بن مالك وهند بن عمرو والهيثم بن شهاب.

وكان رؤساء النّفار زيد بن صوحان والأشتر بن مالك بن الحارث، وعدي بن حاتم، والمسيب بن نجبة، ويزيد بن قيس، ومعهم أتباعهم وأمثال لهم ليسوا دونهم، إلا أنهم لم يؤمّروا، منهم حجر بن عدي وابن محدوج البكري وأشباه لهما، لم يكن في أهل الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم[2].

يتبين من هذا النص أن الذين تقدموا من الكوفة للانضمام إلى علي صنفان: أولهما، كافة من نفر معه دون أتباعهم وعددهم خمسة آلاف، ورؤساؤهم خمسة زيد بن صوحان والأشتر بن مالك وعدي بن حاتم والمسيب بن نجبة ويزيد بن قيس، تقدم نصفهم في طريق البر ونصفهم في طريق الماء. والنصف الثاني لم يكن من النفار، وإنما كان ملازماً للجماعة وعددهم أربعة آلاف ورؤساؤهم أربعة هم القعقاع بن عمرو، وسعد بن مالك، وهند بن عمرو، والهيثم بن شهاب. ثم صنف ثالث لم يؤمر منهم حجر بن عدي وابن محدوج.

وهذه الأصناف الثلاثة، التابعون لعلي (النفار)، والمتابعون للجماعة، والمستقلون هم كل من ساند علياً من أهل الكوفة، و«لم يكن في أهل الكوفة أحد على ذلك الرأي غيرهم»، ومن الواضح أنهم جميعاً من المقاتلة العرب، وليس فيهم أعاجم أو موالي.

---

(١) الطبري ١/ ٣١٥٥.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣١٥٥.

ويروي ابن شبه عن الشعبي أن عدد من خرج من أهل الكوفة للانضمام إلى علي اثنا عشر ألف رجل. وينقل عن ابن أبى ليلى أنهم كانوا أسباعاً وهو ترتيب مقاتلة الكوفة فيها. وهذا التنظيم قائم على ترتيب العشائر في الكوفة، وهو يشملها جميعاً، ولايميز بين النفار والملازمين للجماعة، ولا يذكر عدد كل سُبع، وهو يحذف أحد الاسباع، وكأنه يقول من كل سبع ألفان. وليس في رؤساء الأسباع من ذكر سيف أنهم من رؤساء النفار والملازمين للجماعة. غير أن سيف بن عمر يذكر أن ربيعة (ويقصد بها بكر وتغلب) كانت «مع علي يوم الجمل ثلث أهل الكوفة ونصف الناس يوم الوقعة»[1]. ويقول أبو مخنف كانت راية الأزد من أهل الكوفة في وقعة الجمل مع مخنف بن سليم وراية عبد القيس الكوفة مع القاسم بن محمد، وراية بكر بن وائل مع الحارث بن حسان بن حوط[2].

إن هذا التقسيم العشائري وثيق الصلة بتقسيم الأسباع الذي لايذكره ولايشير إلى مجموعات عشائره، وانما يذكر العشائر منفردة، ويغفل ذكر الرباب ومزينة وتغلب وأنمار وخثعم وحمير، ولكنه يذكر بجيلة وهمدان وقضاعة (طي؟) وخزاعة عامر.

اقتصر العكبري على ذكر ثلاثة من الرؤساء الذين ذكروا في الأسباع، وأغفل ذكر رؤساء سبع أهل المدينة وقيس عيلان وسبع مذحج والاشعريين، وذكر أسماء عدد من رؤساء العشائر، وميّز بين رؤساء الخيالة والرجالة، ولايمكن البت في أساس ترتيبه ومدى دقته. وعلى أي حال فإن كافة المشاركين من المقاتلة العرب، وليس فيهم من الأعاجم (كالحمراء)، ولم يجر تمييز على الأسس الفكرية، كتمييز القرّاء. ومن البديهي أن كافة من قدم للانضمام إلى جيش علي هم من المقرين بخلافته، المؤتمرين بأمره، سواء كانوا من النّفار المتمسكين به أو من أهل الجماعة المؤمنين بوحدة الخلافة وأحقية الخليفة بمقاتلة النابذين لخلافته[3].

---

(١) الطبري ١/ ٣٢١٠.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٢٠٣.
(٣) النصرة في اخبار البصرة ١٥٥ ـ ١٥٦.

ذكرنا من قبل أن سيف بن عمر ذكر أن عدد من نفر من الكوفة مع علي تسعة آلاف، سار قرابة ربعهم في الماء والباقون في البر، وأن الشعبي ذكر أنه اجتمع لعلي في ذي قار سبعة آلاف ومائتان، وفي رواية عنه أن عدد من خرج من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل وقد روى سيف أن علياً قد غادر ذا قار في عشرة آلاف، وانضم إليه عشرة آلاف[1]، ولم يحدد مقدار من قدمه من الكوفة ومن انضم إليه.

نقل ابن شبه عن محمد بن الحنفية قوله «أقبلنا من المدينة بسبعمائة رجل، وخرج إلينا من الكوفة سبعة آلاف، وانضم إلينا من حولنا ألفان، أكثرهم بكر بن وائل، ويقال ستة آلاف»[2].

أهمية موقعة الجمل

كان انتصار علي في وقعة الجمل تاماً، وللمقاتلة الكوفيين في تحقيقه دور ملحوظ، فقد شارك في القتال مع علي عدد من أعراب بكر، ومن مقاتلة البصرة، كما أسهم اعتزال تميم البصرة برئاسة الأحنف بن قيس، وعددهم قرابة ستة آلاف، بدور غير مباشر في هذا النصر الذي لم يتحقق إلاّ بعد معركة حامية وقع فيها كثير من القتلى، ولذلك لايصح القول بأنه انتصار مقاتلة أهل الكوفة من مناصري علي على مقاتلة أهل البصرة.

عامل علي بن ابي طالب من قاتله من أهل البصرة معاملة طيبة، ولكنه لم يفلح في سل سخيمتهم ومحو آثار المعركة التي وقع فيها عدد كبير من القتلى بسبب معارضتهم إياه، فظل مؤيدوه فيها قليلين وظل أكثرهم مخالفين له[3]، ولعل هذا من أقوى العوامل في دفع أهل البصرة لأن يكونوا عثمانية[4]. وقال

(١) الطبري ١/ ٣٨٣١.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٨٣١.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٣٢٥٧.
(٤) الغارات للثقفي ٢٥٤.

ابن أبي الحديد: وأكثر مبغضيه أهل البصرة، أهل البصرة كانوا عثمانية وكانت في أنفسهم أحقاد يوم الجمل[1].

ولما أتمّ علي انتصاره في وقعة الجمل تحرك إلى الكوفة واتخذها طوال مدة خلافته مقاماً له ومقراً لحركاته ضد معاوية، الذي أصبح بعد وقعة الجمل المناوىء الأكبر له، وأخذ يثبت حكمه في الشام ويعمل على جمع مقاتلتها وراءه بأساليبه المستندة إلى المطالبة بدم عثمان، وسعى إلى تأمين عطاء الجند من جباية بلاد الشام، كما كان الحال قبل تولي علي الخلافة، وتحاشى معاوية تشتيت قواته فلم يقم بعمل عسكري للسيطرة على الحجاز القريب منه، والذي له مكانة مرموقة في دولة الإسلام وفيه كثيرون ممن اعتزل فلم يؤيد علياً، أو كان معارضاً لعلي وميالاً لمعاوية.

ويتجلى من الأقوال التي نقلناها عن علي في إشادته بالكوفة وأهلها أنه كان يدرك أهمية الكوفة وقوة رجالها وسعة مواردها، فاعتماده عليها راجع إلى أهميتها وليس إلى ارتباط أهلها به وتمسكهم بخلافته، والواقع أن الكتب التي يميل مؤلفوها إلى علي ذكروا أن علياً لم يحظ بالتأييد التام من عموم أهلها الذين فضل عدد منهم الاعتزال والوقوف على الحياد، وأظهر بعضهم الانحراف عن علي ومعاداته، وغادر عدد منهم الكوفة. وينقل ابن ابي الحديد، أنه كان بالكوفة من يعادي علياً ويبغضه، مع غلبة التشيع على الكوفة فمنهم: مرة الهمداني والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وشريح وثقيف بن سلمة وأبو بردة بن أبي موسى الاشعري وأبو عبد الرحمن السلمي وعبد الله بن عكيم وسهم بن خريف.

ثم ذكر تسعة من الصحابة والتابعين من أهل المدينة، وأشار إلى أن كلاً من شقيق بن سلمة وعبد الله بن عكيم وسهم بن طريف كان عثمانياً[2].

---

(١) الطبري ١/ ٢٢٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة ١/ ٣٦٩.

وذكرت المصادر اعتزال عدد من الرجال عن علي دون ان تكون لهم اتجاهات سياسية ايجابية.

ونقل الذهبي عن وكيع أن من التابعين الذين تخلفوا عن علي مسروق والاسود والربيع بن هيثم وأبو عبد الرحمن السلمي، ونقل عن الشعبي قول لمسروق أشار فيه إلى أنه لن يدخل طرفاً في نزاع بين المسلمين[١].

وذكر نصر بن مزاحم ممن تردد في إسناد علي: عبد الله بن المعتم العبسي، وأبو بردة بن عوف الأزدي، وغريب بن شرحبيل الهمداني[٢].

أفراد هربوا إلى معاوية

ذكرت المصادر عدداً من الأشخاص هربوا إلى معاوية لأسباب شخصية، ومن هؤلاء بعض الولاة الذين اتهمهم علي باختيان الأموال. وممن ذكر من هؤلاء الولاة يزيد بن حجبة التيمي، وكان قد شهد مع علي الجمل وصفين والنهر، ثم ولاه الري ودستبي، فكسر الخراج واحتجن المال لنفسه فحبسه علي وجعل معه سعداً مولاه، فقرب يزيد ركائبه وسعد نائم فالتحق بمعاوية. ثم خرج حتى أتى الرقة، ومدح معاوية وأصحابه[٣].

ومن هؤلاء الولاة القعقاع بن شور الذي كان على كسكر فاختان من مالها[٤].

ومنهم مصقله بن هبيرة الشيباني الذي اشترى سبايا بني ناجية بخمسمائة ألف وأعتقهم ولحق بمعاوية[٥]، وذُكر إبراهيم بن هلال الثقفي ممن فارق علياً بالإضافة إلى الولاة والعمال: وائل بن حجر الحضرمي وطارق بن عبد الله[١]،

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٧٨٩.
(٢) وقعة صفين ١١.
(٣) الغارات ٥٢١، ٥٢٣؛ شرح نهج البلاغة ١/ ١٨٠، ٢٠١، ٣٦٦ (نقلاً عن الموفقيات).
(٤) المصدر نفسه ٥٣٣.
(٥) المصدر نفسه، ٥٢١، شرح نهج البلاغة ١/ ٢٧٠.

وعبد الله بن عبد الرحمن المسعودي الذي كان مع معاوية ثم فارقه، وانضم إلى علي، ثم عاد إلى معاوية[2]. كما ذكر منهم النجاشي الشاعر الذي استاء عندما حده علي على شربه الخمر فغضب من معه من اليمانية، وكان اخصم به طارق بن عبد الله بن كعب بن أسامة النهدي[3].

وممن غضب علي عليه أبو عبد الرحمن السلمي الذي لما سئل "هل أبغضت علياً إلاّ يوم قسم المال في أهل الكوفة فلم يصب لأهل بيتك منه شيء، فقال لقد كان كذلك"[4].

وممن لحق بمعاوية قيس بن نهر الحنظلي اليربوعي[5]، وموسى بن قرة التميمي[6]. وممن عادى علياً: الهيثم بن الأسود[7]، والأسود بن يزيد، وابو بردة، ومسروق بن الأجدع، ومرة الهمداني، وشريحة، وشقيق بن سلمة، وعبد الله بن حكيم، وسهم بن طريف[8]، وبنو ناجية الذين انشقوا عليه بعد صفين في خبر مشهور[9]. ويروي الهمداني أن حمزة اليماني وهو من أصبى بن رافع، كان مع علي، فلما صير راية همدان إلى سعيد بن قيس غضب، ثم لحق بمعاوية، وكان عنده وجيهاً.

المساجد الملعونة وأصحابها من الأفراد والعشائر

ذكر الكليني بسند إلى جعفر الصادق أن في الكوفة مساجد مباركة ومساجد ملعونة؛ وسياق الحديث يقتضي أن المساجد المباركة هي مراكز للعلويين،

(١) الغارات ٥٢١.
(٢) المصدر نفسه ٥٣٢.
(٣) المصدر نفسه ٥٣٣.
(٤) المصدر نفسه ٥٤٢.
(٥) وقعة صفين ٣١٤.
(٦) الطبري ١/١٣٠٦.
(٧) الغارات ٥٤٢.
(٨) المصدر نفسه ٥٤٢.
(٩) المصدر نفسه ٣٣٢.

والمساجد الملعونة هي مراكز لخصومهم، وأورد في أسماء المساجد الملعونة عدة روايات ذكرت إحداها أن هذه المساجد هي مسجد شبث، ومسجد جرير، ومسجد سماك، ومسجد ثقيف، ومسجد بالحمراء. وفي رواية أخرى أنها مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد سماك، ومسجد شبث بن ربعي. وفي رواية ثالثة أنها مسجد الأشعث، ومسجد جرير، ومسجد سماك ومسجد شبث ومسجد التيم، وفي رواية رابعة أنها مسجد بني السيد، ومسجد عبد الله بن دارم، ومسجد غنى، ومسجد سماك ومسجد ثقيف ومسجد الأشعث[1].

إن هذه الروايات تتفق أن المساجد الملعونة هي مسجد شبث ومسجد جرير، ومسجد سماك، ومسجد الأشعث، وكلها منسوبة إلى أفراد، ولابد أن اعتبارها ملعونة يرجع إلى أنها مراكز لخصوم العلويين وإلى مواقف أصحابها من علي.

أما المساجد الأخرى الملعونة فمنسوبة إلى عشائر وقد اختلفت الروايات في تعدادها، فذكرت روايتان مسجد ثقيف، ورواية واحدة لكل من مسجد التيم، وغنى، وعبد الله بن دارم وبني السيد، والحمراء. ولابد أن أهل كافة هذه المساجد كانت معارضة لعلي. ويلاحظ أن الكليني، وابن الفقيه يذكران مسجد غنى من المساجد المباركة[2]. إن المساجد الثلاثة المتفق على أنها مكروهة منسوبة إلى أشخاص ينتمون إلى عشائر مختلفة، فالأشعث من كندة، وشبث من رياح، وجرير من بجيلة، وسماك من بني أسد. ولابد أن أهل كل من هذه المساجد اتخذ موقفاً معادياً لعلي.

شبث بن ربعي وبني رياح

ذكرنا أن من المساجد الملعونة مسجد شبث الرياحي وهو ابن ربعي الذي قدم أبا بكر مع جمع من بني حنظلة بعد القضاء على ردتها فأمّره أبو بكر عليهم

(١) الكافي للكليني ٣/ ٤٩٠، وانظر بحار الأنوار ٢١/ ١٠٢.
(٢) الكافي للكليني ٣/ ٤٩٠، البلدان لإبن الفقيه ١٧٤.

وسرحه فقدم بهم على المثنى[١]، وكان ابنه شبث قد اتبع سجاح في ردتها وكان مؤذناً لها[٢]. وتتوافر عن شبث معلومات عن نشاطه بعد مقتل عثمان، فقد أيّد عائشة[٣]، ثم انضم إلى علي وشارك في صفين، وكان من مندوبي علي إلى معاوية[٤]، ولما عاد علي وانشق عليه الخوارج ونزلوا حروراء نادوا أن أمير القتال عليهم شبث بن ربعي التميمي، وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري[٥]، ولم يذكر اشتراكه في معركة النهروان.

ولما استتبت الخلافة لمعاوية ولى المغيرة بن شعبة الكوفة. فكان شبث واحداً من عدد من القراء الذين حافظوا على وحدتهم، فأمر معاوية المغيرة بإلزامهم صلاة الجماعة[٦]، وكان ممن شهد على حجر بن عدي[٧]، وكاتب الحسين[٨]، ولكنه ظل على ولائه للأمويين، فكان أحد من طلب إليهم عبيد الله بن زياد أن يفرقوا الناس عن مسلم بن عقيل، وعقد له لواء فأخرجه لمقاتلة مسلم بن عقيل[٩] وشارك في قتال مسلم[١٠]، وكان على رجالة جيش عمر بن سعد الذي قاتل الحسين[١١]، وحرض الناس على مقاتلته[١٢]. ثم انضم شبث إلى إبن مطيع في قتاله المختار[١٣] وكان على الرجالة ومعه نحو ثلاثة آلاف على خيله شيبان بن حريث[١٤]، وقاتل ابن الأشتر قائد المختار[١٥]. ثم انضم

(١) الطبري ١/٢١٨٩.
(٢) المصدر نفسه ١/١٩٩١.
(٣) المصدر نفسه ١/٣١٤٨.
(٤) المصدر نفسه ١/٣٢٧١، ٣٢٧٤ ـ ٣٢٧٦.
(٥) المصدر نفسه ١/٣٣٤٩، وانظر ١/٣٣٨٠.
(٦) المصدر نفسه ٢/٢٧.
(٧) المصدر نفسه ٢/١٣٣.
(٨) المصدر نفسه ٢/٢٣٤، ٣٣١ أنساب الاشراف ٢ ـ ٢/١٥٨.
(٩) المصدر نفسه ٢/٢٥٧.
(١٠) المصدر نفسه ٢/٢٧٢.
(١١) المصدر نفسه ٢/٣٢٦، أنساب الاشراف ٥/١٧٨.
(١٢) المصدر نفسه ٢/٣٤٣.
(١٣) المصدر نفسه ٢/٦١٤، ٦١٩، أنساب الاشراف ٥/٢١٢.
(١٤) المصدر نفسه ٢/٦٢١، وانظر أنساب الاشراف ٥/٢٢٦.
(١٥) المصدر نفسه ٢/٦٥٥، ٦٥٧.

إلى المصعب عندما تقدم إلى الكوفة[١] وكان مقرباً إليه، ونصح الخوارج بالخروج من الكوفة[٢] كما نصح مصعب ألا يلاحق الخوارج بعد خروجهم من الكوفة[٣]. وكان ابنه عبد المؤمن على شرطة المختار[٤]. وكان شبث معروفاً بأنه علوي[٥]. وتظهر المعلومات التي ذكرناها أنه كان أميل إلى العلويين، وأنه في تصرفاته متذبذب ولكنه لايفوق ماكان عليه معظم أشراف الكوفة.

ذكرنا أن شبث بن ربعى من رياح وهي عشيرة من تميم التي ظهر في الكوفة عدد من رجالها منهم معقل بن قيس الذي استاء من شرب الوليد بن عقبة الخمر[٦] وكان من القراء وممن كتب إلى عثمان بعزل الوليد[٧]. ومن رجالها عبد الله بن ورقاء الذي انتدب وسار مع جيش لفتح أصبهان[٨]. ومن رجالها عتاب بن ورقاء وكان على أصبهان في زمن المصعب[٩] وكان على الخيل مع مصعب[١٠]، ومال إلى عبد الملك عندما وعده بولاية أصبهان[١١]، ثم أرسله بشر بن مروان في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة لمقاتلة الأزارقة[١٢]، وأرسله الحجاج لمقاتلة شبث، وكان على خيل أهل الكوفة[١٣]، وكان ابنه حنظلة على ربع تميم عند خروج يزيد بن المهلب[١٤].

(١) الطبري ٢/ ٧٤٦.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٥٩.
(٣) المصدر نفسه ٢/ ٧٦١.
(٤) المصدر نفسه ٢/ ١٠٥٤.
(٥) انساب الاشراف ٥/ ٢٧٥.
(٦) المصدر نفسه الاشراف ٥/ ٣٢.
(٧) المصدر نفسه الاشراف ٥/ ٤١.
(٨) الطبري ١/ ٢٦٣٦، ٢٦٣٨، ٢٧١٣.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٧٦.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٦.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٤، أنساب الاشراف ٥/ ٣٤٤، ٣٤٨.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٢٨.
(١٣) المصدر نفسه ٢/ ٩٤٤، أنساب الاشراف ٥/ ٣٤١.
(١٤) المصدر نفسه ٢/ ١٣٩٧.

سماك بن مخرمة وبنو أسد

أما سماك فهو أسدي من بني مالك[١]، وكانت عشيرته تسمى بنو الهالك، ويروى أنهم أول من عمل الحديد[٢]، ولذلك كانوا يلقبون أيضاً «القيون»، ولعل صلتهم بصناعة الحديد استمرت حتى ظهور الإسلام.

وكان سماك قد شارك في فتوح العراق منذ قدوم سعد بن أبي وقاص، وواحداً من خمسة فرّق سعد دستبي عليهم، ويقومون منها بقتال الديلم[٣]. وكان ممن قدم بالأخماس إلى الخليفة عمر بن الخطاب[٤]، وعلى مقدمة سويد بن مقرن في فتح قومس[٥]، وشهد فتح دهستان وجيلان[٦].

وكان لسماك مسجد مسمى به في الكوفة[٧]، وهو أكبر مساجد بني أسد، ويقع في خطة بني نصر بن قعين، مجاور لبني دودان[٨]، وقد بناه سماك في زمن خلافة عمر بن الخطاب[٩]، واعتبره علي بن ابي طالب من المساجد الملعونة، فكان أهل الكوفة يجتنبونه، وظل أهل تلك المحلة عثمانية إلى زمن أبي الفرج الاصبهاني[١٠].

كان سماك عثمانياً «فارق علياً في نحو من مائة رجل من بني أسد، ثم أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة رجل[١١]، وأنزله معاوية الرقة[١٢]،

(١) الأنساب لابن الكلبي ١٥٩.
(٢) فتوح البلدان ٢٨٣، معجم البلدان ٥٢٦/٤.
(٣) الأغاني ٣١٢/٨.
(٤) الطبري ٢٦٥٠/١.
(٥) المصدر نفسه ٢٦٥١/١.
(٦) المصدر نفسه ٢٦٥٦/١.
(٧) المصدر نفسه ٢٦٥٩/١، ٢٦٦١.
(٨) الاغاني ٢٥٢/١١.
(٩) الطبري ٢٦٥١/١، فتوح البلدان ٢٩٥ ـ ٣١٨، ياقوت ٥٢٦/٤، الأنساب لابن الكلبي ٥٩.
(١٠) الاغاني ٢٥١/١١، ويقول الثقفي انه بنى على قبر فرعون من الفراعنة (الغارات ٤٨٤/١) وانظر: المشتبه ٢٢١.
(١١) فتوح البلدان ٢٩٥، معجم البلدان ٥٢٦/٤، تاريخ اليعقوبي ٢١٨/٢، الأغاني ٢٥١/١١.
(١٢) وقعة صفين ١٤٣.

وظل أهله مقيمين في الجزيرة»[1]، وعندما انتقل إلى الرقة جعله معاوية أميراً عليها[2] وأمد الضحاك بن قيس الذي كان على حرّان عندما قصده الأشتر[3]، كما منع علياً من دخول من الرقة عندما كان في طريقه إلى صفين[4].

وتجدر الاشارة إلى أنه عندما خرج الحسن بن علي بعد توليه الخلافة، من الكوفة إلى المدائن جاءه الجراح بن سنان الاسدي «أحد بني نصر بن قعين في مظلم ساباط، ثم سار حتى التقى هو ومعاوية فيما بعد[5].

ومن بني نصر بن قعين عوف بن عبيد الله بن عامر بن حذيفة، الذي قاد بني أسد بن خزيمة يوم عكاظ[6]، وكان من الجرارين[7].

وممن انضم إلى معاوية من بني أسد الأيمن بن خريم الأسدي[8].

ويذكر البخاري: «خرج عدي بن حاتم وجرير بن عبد الله وحنظلة كاتب النبي (ص) من الكوفة إلى قرقيسيا وقالوا لانقيم ببلد يشتم فيه عثمان[9]، ويذكر نصر بن مزاحم أن قرقيسيا نزلها جرير بن عبد الله ومن لحق به... وقد تحدثنا من قبل عن حنظلة الكاتب.

كان جرير في زمن الرسول يقيم في مكة، وقد أرسله (ص) إلى ذي الكلاع[10].

وعندما قدمت بجيلة على عمر بن الخطاب للمشاركة في الفتوح وجهها إلى

(١) فتوح البلدان ٣٨٨، الاغاني ٨/ ٣٢١.
(٢) الانساب لابن الكلبي ٥٩، وقعة صفين ١٤٢.
(٣) وقعة صفين ١٦، ١٦٣، أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٢٩٧، ٤٧١.
(٤) وقعة صفين ١٦٣.
(٥) المصدر نفسه ١٦٣، أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٢٩٧، ٤٧١.
(٦) المحبر ١٩.
(٧) المصدر نفسه ٢٤٧.
(٨) وقعة صفين ٣٠/ ٥٢.
(٩) التاريخ الكبير للبخاري ٢ ـ ٢/ ٣٤.
(١٠) المحبر ٧٥.

العراق ووعدها بربع السواد، فتوجهت بجيلة وعلى رأسها جرير إلى العراق وشاركت في معركة البويب التي انتصر فيها المسلمون على الفرس قبل القادسية[1]، وبذلك كان رجالها «من أهل الأيام» يأخذ كل منهم أعلى العطاء.

وولي جرير همدان لعثمان[2]، وبايع علياً[3]، وأرسله الإمام علي إلى معاوية ليفاوضه، ولكنه لم يفلح في المفاوضة، فاستغل ذلك الأشتر وحرض الخليفة علياً عليه، مما أثار استياءه «فلحق بقرقيسيا، ولحق به أناس من قسر من قومه، ولم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر».

العشائر المعارضة

ذكرنا أن المتحدثين عن المساجد الملعونة سموا العشائر المنسوبة لبعضها، فذكر الكليني منها مسجد ثقيف ومسجد غنى ومسجد التيم ومسجد عبد الله بن دارم ومسجد الحمراء. وقد أفردنا للحمراء فصلاً خاصاً في مكان آخر، ونقصر الحديث هنا على عشائر المساجد الثلاثة الاولى.

فأما ثقيف فقد تحدثنا عنها في ما ذكرناه عن عشائر الكوفة.

غنى وباهلة

أشرنا إلى أن الكليني ذكر مسجد غنى من المساجد الملعونة، ولكنه ذكر في رواية أخرى أنه من المساجد المباركة.

وغنى عشيرة كانت ديارها في الأطراف الجنوبية، وكان بعضهم في اليمامة يتردد في الأخبار ذكرهم أو ذكر رجال منهم، غير أن الأخبار تذكر باهلة ورجالها، وهم أخوة غنى[4].

---

(١) الخراج لابي يوسف.
(٢) وقعة صفين ١٨، ٢٤، ٣٢.
(٣) المصدر نفسه ٢٠، ٢٤.
(٤) الطبري ٢/٢٢١، وانظر عن غنى: ياقوت ١/١٩١، ٢٣٠، ٣٦٢، ٣٩٩.

ومن أبرز رجال باهلة في العهود الأولى سلمان وعبد الرحمن إبنا ربيعة، وأعصر بن النعمان. فأما سلمان فكان على الخيل المجردة عند تقدم المسلمين إلى القادسية[1]، وكان هو وأخوه عبد الرحمن ممن ثبت في المعركة[2] ثم حضر فتح المدائن[3] وجلولاء[4] وولي قسم الغنائم فيهما، وكان على الخيل التي أمر عمر بوضعها للطوارىء[5].

ولما تأسست الكوفة أُقطع داراً تحدها من جهة دار المختار، ومن جهة أخرى دار أخيه عبد الرحمن التي صارت محبساً وكانت تقابلها دار الأشعث[6]. وولي سلمان القضاء في الكوفة[7] ثم أرسل إلى أرمينية مع أخيه فقاتل في الباب[8]. وكان على مقدمة جيش الوليد بن عقبة في حملته على أذربيجان وأرمينية[9] واستعمله سعيد بن العاص على فرج بنجد حيث قتل عندها في أحد المعارك، وكان معه أخوه عبد الرحمن الذي ولي ذلك الفرج بعد مقتل أخيه سلمان[10].

أما أعصر بن النعمان فكان له دور في فتوح خراسان وقاتل في موقعة الجمل مع عائشة[11].

ذكر نصر بن مزاحم "دعا علي باهلة فقال يامعشر باهلة أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم، فخذوا عطاءكم وأخرجوا إلى الديلم، وكانوا قد كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين"[12]. ولم تشر الأخبار إلى سبب هذا الكره المتبادل

---

(١) الطبري ١/ ٢٢٢٢.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٦٤.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٥٤.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٥٠٤.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٣٤٥.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣٧.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٣، ٢٦٦٨.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٦١٢٨٠٥.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٦٦٧، ٢٨٤٤، ٢٨٥١، ٢٨٨٩، ٢٨٩٣.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٣١٧٩.
(١٢) وقعة صفين ١٣٠.

مع علي، غير أن خروجهم إلى الديلم كان مؤقتاً، فقد ورد ذكر عدد من رجالهم بعد مقتل علي، فذكر الطبري من رجالهم يزيد بن مالك بن الحطيم وكان قد حُكم في زمن زياد فنفاه زياد إلى البحرين، ثم عاد وتابع نشاطه، فأمر زياد بقتله ورميت جثته في باهلة[1]. وولى زياد مصعب بن مطربف بن أسيد الباهلي شرطته[2].

التيم

ذكر الكليني من المساجد الملعونة مسجد التيم دون أن يحدد موقعه أو يوضح أصحابه، ومن المعلوم أن في العرب عشيرتين تسمى كل منهما التيم، إحداهما تيم اللات والثانية تيم الرباب، فأما تيم اللات فهي إحدى عشائر بكر، وكانت تدين بالنصرانية وقاتلت مع جابان العرب عند تقدمهم مع خالد بن الوليد إلى أطراف العراق ثم انضموا إلى الجيوش الإسلامية[3]، وشاركوا في معركة القادسية وكان من رجالها الحارث بن ظبيان[4]، وربعي[5]. ولما اختطت الكوفة أنزلوا مع تغلب في آخر ودعة الصحن[6]، ومن رجالهم عبد الله بن عمرو الذي رأس النمر بن قاسط[7]، وشاركوا مع علي بن ابي طالب في معركة صفين، وكان من أبرز رجالهم فيها زياد بن خصفة[8] الذي أيّد علياً في قتال الخوارج[9]، ثم احتج على قتل عبد الله بن وهب الراسبي[10] وطارد بني ناجية[11]. ومن رجالهم عناق بن رهم وهو ممن شهد على حجر بن عدي[12]؛

(١) الطبري ٢/ ٩٣، وانظر: الغارات للثقفي ١٨ ـ ١٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٨٠٩، أنساب الاشراف ٥/ ٢٧٩، ٢٨٤.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٠٣٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٣٠٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٣١٨.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٤٨٩.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٣٣١٥.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٣٢٧٢، ٣٢٧٤، ٣٣١١، ٣٣١٤.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣٣٧١.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٣٨٢.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٣٤٢٢.
(١٢) المصدر نفسه ٢/ ١٣٢.

وعبد الله بن وال، وهو من رؤساء الشيعة ومن أصحاب سليمان بن صرد[1] وشارك بعض بني تيم في قتال الحسين[2].

أما تيم الرباب فهم من بني تميم شاركوا مع الجيوش الإسلامية منذ زمن خلافة أبي بكر، حيث كتب العلاء بن الحضرمي والي البحرين إلى خصفة التيمي والمثنى بن حارثة بإقامة الطريق للمسلمين عندما تقدموا إلى أطراف العراق[3]. وانضموا إلى أبي عبيد الثقفي في مقاتلة الفرس في العراق، ومن رجالهم فيها مضر بن قضة الذي أسر جابان[4]، وهلال بن علفة الذي جمع عدداً من الرباب، فأمّره عمر بن الخطاب عليهم وسرّحه معهم إلى جبهة العراق[5]، ثم أرسله إلى دست ميسان، وبشير بن الخصاصية الذي خلف المثنى بن حارثة في قيادة المسلمين من أطراف العراق[6]، ولما قدم سعد بن أبي وقاص العراق أرسله في سرية أغارت على الفيوم في أطراف الأنبار[7]، وكان هو الذي قتل رستم قائد الفرس في القادسية[8]. وقاتل بنو تيم في معركة الجمل مع عائشة فقتل منهم حول الجمل عدد كبير منهم سبعون شيخاً قرأ القرآن[9]، ومن رجالهم المستورد بن علفة، وكان من رؤساء الخوارج وقد سجنه المغيرة بن شعبة[10] ثم خرج من السجن وقاد ثورة على الأمويين[11]. ويتبيّن من هذا العرض أن تيم الرباب كانت معارضة لعلي، ولعل مسجدها هو المسجد الملعون.

(١) الطبري ٢/ ٢٣٤، ٣٩٧، ٣٩٩.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٥٥٢، ٥٥٦.
(٣) المصدر نفسه ١/ ١٩٧١.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٢١٦.
(٥) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٨.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٢.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ٢٢٤٥.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٣٣٦، ٢٣٣٧، ٢٣٤٠، ٢٤٥٦.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٣١٧٧، ٣١٩٦.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٢٢٤.
(١١) المصدر نفسه ٢/ ٢٠، ٣٥.

بنو السيد والتميميون

ذكر الكليني مسجد بني السيد من المساجد الملعونة، ولم يذكر شيئاً عن بني السيد الذين لم أجد لهم ذكراً في المصادر، ولكن يُذكر بنو أسيد التميميين ومنهم حنظلة بن الربيع الذي يذكر البلاذري أنه أحد إثنين هربا من الكوفة إلى معاوية بعد مجيء علي إليها[1]. وحنظلة بن الربيع قديم الصلة بالإسلام، فقد كان من كتاب الرسول (ص)[2]، ومن كتاب أبي بكر[3] وكان مع خالد بن الوليد عند قدومه العراق، وأرسله خالد مع المثنى بن حارثة لقتال جابان في تستر[4]، وكان من شهود صلح الحيرة[5]، ثم سار مع خالد بن الوليد إلى الشام، وعاد بعد ذلك إلى العراق، وشهد القادسية[6] كما شهد معركة نهاوند وكان ممن بنى فسطاط النعمان بن المقرن قائد المسلمين في تلك المعركة[7]، ولما حاصر بعض الناقمين عثمان، كان حنظلة من المحرضين على نصرة الخليفة[8]، وكان معه عندما حاصروه[19]، ثم عاد إلى الكوفة، ولكنه لم يبق فيها، وقال: لا نقيم ببلد يعاب فيه عثمان[10] ولجأ إلى معاوية مع ثلاثة وعشرين من قومه.

عشائر معادية لعلي

بنو أود

يروي المسعودي عن ابن الكلبي: أن عبد الله بن هانيء، وهو رجل من

(١) فتوح البلدان ٢٤٥.
(٢) تاريخ البخاري ٢ ـ ١/ ٣٤.
(٣) الطبري ١/ ١٧٨٢، ٢٣٤٦.
(٤) فتوح البلدان ٢٤٥.
(٥) الطبري ١/ ٢٣٣١، ٢٣٤٦.
(٦) المصدر نفسه ١/٢١٨٣.
(٧) المصدر نفسه ١/ ٢٣٣١، ٢٣٤٦.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢١٦٩.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢٩٦٠.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٣٠١٠، الغارات للثقفي ٥٥٣.

أود (حي من اليمن) وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلها، وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته، ولراد الحجاج مكافأته على مواقفه فزوجه ابنة اسماء بن خارجة ثم ابنة سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية[1].

ويقول المسعودي عند الكلام على نزول الخليفة السفّاح الكوفة قبيل بيعته في بني أود: «ولم أر إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ فيما دُرت من الأرض وتغربت من الممالك رجلاً من أود إلا وجدته اذا استبطنت ما عنده متولياً لآل مروان وحزبهم»[2].

ولم تذكر المصادر دوراً لأود أو رجالها في الحوادث التي جرت في الكوفة، ولكن كتب الرجال ـ ذكرت أكثر من عشرة من رجال أود أسهموا في الحركة الفكرية ورواية الحديث.

(١) مروج الذهب ٣/١٤٤
(٢) المصدر نفسه ٣/٢٥٣.

الفصل الحادي والعشرون

الكتل والفرق العثمانية في الكوفة

العثمانية هم الأفراد والجماعات التي تميزت بآرائها في تقدير الخليفة عثمان بن عفان وفضله ودفاعها عنه من المطاعن التي وجهت إلى أعماله، وتأييدها له واتخاذها مواقف خاصة في الحوادث السياسية التي جرت بعد وفاته، فآراؤها تدور حول شخص عثمان وأعماله إبان خلافته ولا تمتد إلى تعظيم أسرته أو الاعتقاد بوجوب حصر الخلافة والحكم فيها. وظهرت العثمانية على أثر مقتل عثمان.

المؤلفات عن العثمانية

ألفت عن عثمان ومقتله كتب خاصة منها: «سيرة عثمان» للعياشي[1] و«مقتل عثمان» لكل من أبي عبيدة[2]، وعمر بن شبه[3]، والمدائني[4]، وعيسى بن مهران[5]، وكتب عدد من مؤلفي الكتب العامة فصولاً من أطولها ماكتبه عمر بن شبه في كتابه «تاريخ المدينة»، والطبري في كتابه «تاريخ الرسل والملوك»، وابن

(١) الفهرست لابن النديم ٢٧٧، الفهرست للطوسي ١٣٩.
(٢) المصدر نفسه ١٣٧، الفهرست للطوسي ١٢٥.
(٣) المصدر نفسه ١٦٧.
(٤) المصدر نفسه ١٤٩.
(٥) الفهرست للطوسي ١٢٦.

أبي الحديد في كتابه «شرح نهج البلاغة» وابن عساكر في كتابه «تاريخ دمشق». وقد وصلتنا الكتب الأربعة الأخيرة، وفيها تفاصيل عن أعمال عثمان وإشارة إلى مؤيديه وناقديه وبعض آرائهم فيه، وإلى الرجال أو الجماعات العثمانية، دون شرح لآرائهم وأفكارهم وتنظيماتهم أو تطورها.

لم تذكر كتب عن الفرقة العثمانية، ولم يرد ذكر لكتاب يوضحها سوى كتاب «العثمانية» للجاحظ، وهو كتاب تبلغ صفحاته مائتين وثمانية. ذكر فيها جمل أقوال العثمانية، وجلها يدور حول خصائص أبي بكر، وبعضها عن عمر، وقليل جداً منها عن عثمان، وفيها نقاش طويل للشيعة في مانسبوه لعلي، وكذلك للمعتزلة. وذكر من آراء العثمانية «أن أحداً لاينال الرياسة في الدين بغير الدين»[1] وأن لها في التسوية بين القريب والبعيد «حججاً كثيرة قد عرفتها وسمعتها من أهلها»[2]، فـ «هم أكثر عدداً وأكثرهم فقيهاً ومحدثاً حسب قوله»[3]. وفيما عدا هذا لم يذكر تفاصيل أخرى عن آرائهم وعوامل نشأتهم وسبب ربط تسميتهم بعثمان وتميزهم به عن غيره من الخلفاء، والأهم أنه لايذكر التطور التاريخي لتكوينهم ونشاطهم ومكانتهم وأفكارهم العامة.

العثمانية في الأمصار

كانت العثمانية في زمن خلافة علي منتشرة في عدد من الأمصار والبلاد، ففي اليمن كان بصنعاء جماعة «كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله، فلم يكن لهم نظام ولا رأي، فبايعوا لعلي»، غير أنه بعد مقتل محمد بن أبي بكر وازدياد الاضطراب في صفوف مؤيدي علي «تكلموا ودعوا الى الطلب بدم عثمان» ومنعوا الصدقات وأظهروا الخلافة، وثار أهل الجند وصنعاء[4]. ويذكر البلاذري ان معاوية عندما أرسل بسر بن أرطأة لانتزاع اليمن من سيطرة علي

(1) العثمانية للجاحظ ٢٠٤.
(2) المصدر نفسه ٢٠٦.
(3) المصدر نفسه ١٧٦.
(4) الغارات للثقفي ٥٣ ـ ٥٤.

قال إن صنعاء «كثير منها شيعة فانصرهم واستعن بهم على عمال علي وأصحابه فقد أتاني كتابهم»[1].

ويبدو أن «الأبناء» كانوا من أنصار علي، فلما جاء بسر إلى اليمن ذبح مائة شيخ من «أبناء» فارس[2]. وكان نصف حضرموت من شيعة عثمان[3]. وكان أهل اليمامة معتزلين أمر الناس[4]. وفي مصر تجمع العثمانية برئاسة معاوية بن حديج ونزلوا الصعيد، ثم غادروها إلى برقة، ثم عادوا إلى مصر، واعتزلوا في خربتا، فلم يعرض لهم قيس بن سعد والي علي وكانوا عشرة آلاف من «وجوه أهل مصر وأشرافهم وأهل الحفاظ»، وكان يعطيهم الأعطيات[5].

واشتهرت البصرة بأنها عثمانية، ولاريب أن ظهور العثمانية في مصر كان متأثراً بالأحوال التي كانت سائدة فيها، وسنقصر بحثنا الحالي على العثمانية في الكوفة وخاصة في زمن علي.

العثمانية في الكوفة

قامت العثمانية في الكوفة منذ أول خلافة علي، وهي تعتنق آراء لها علاقة بالأوضاع التي كانت سائدة قبل توليه الخلافة، ولم تعرض آراء إيجابية عما يجب أن تتوجه إليه الأوضاع الجديدة، فهي تتركز على عثمان وتقدير شخصيته وأعماله والعطف عليه بعد مقتله أكثر من كونها قائمة على كره علي، الذي أعلن عدم رضاه عن مقتل عثمان، ولم يبدل كثيراً مما كان قد اتخذه عثمان، ويتبين مما نقل إلينا من آراء العثمانية أن أكثرها في الدفاع عن أبي بكر وعمر، وقليل منها في الدفاع عن عثمان، وأنها ترفض التطرف والمبالغة في خصائص علي وأثر أعماله ولا تهاجمه.

(١) أنساب الأشراف ٢ ـ ١/٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٨.
(٢) الغارات ٦٢١.
(٣) المصدر نفسه ٦٢٤، ٦٣٠.
(٤) المصدر نفسه ٦٤٣.
(٥) الولاة للكندي ١٩ ـ ٢١.

العثمانية والأمويون

بعد مقتل الخليفة علي وتنازل الحسن عن الخلافة، قدم معاوية الكوفة، وأعلن سياسة غير متشددة كثيراً إزاء العلويين من أنصار علي، وأباح لهم الحرية مالم يهددوا الدولة، وشارك مقاتلة الكوفة في الجيوش التي جهزها الأمويون للقضاء على ثورات معارضيهم وخاصة من الخوارج، الذين أصبحوا معزولين وآراؤهم نظرية لم تترجم إلى العمل.

استفاد العثمانية في الكوفة من تولي الأمويين الخلافة وعملهم على الاستقرار، خاصة وأنهم يلتقون معها في نظرتهم إلى الخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين مما ييسر لهم التعبير عن آرائهم، وربما نشرها بالطرق السلمية وتعزيز رأيهم في أحداث الماضي، علماً بأنه لم يعرف عن العثمانية اهتمام بالحكم على مجرى الحوادث التالية لزمن علي.

العثمانية تتركز على عثمان

تتركز العثمانية على تمجيد عثمان دون أسرته التي لم يستوطن أحد منها العراق، ولم تدعُ إلى حصر الخلافة في أسرته، وقد احتفظت بهذه السمة المميزة إبان الأزمنة التالية، وهي تلتقي مع مايراه معاوية من الدفاع عن عثمان ومناوأة المتهجمين عليه، غير أنها باقتصارها على تمجيد عثمان تميزت عن المروانية والسفيانية وآراء الأمويين، الذين وإن كانوا يشيدون بعثمان وفضائله إلا أنهم يذهبون إلى أبعد من ذلك في الدفاع عن حكم الأمويين، وهو مالم تذهب إليه العثمانية المؤيدة لعثمان أيضاً، فمن اليسير أن يندمج العثمانيون بالأمويين ويفيدوا مما قد يدره هذا الإندماج من منافع مادية.

أدرك معاوية الفرق بين آراء العثمانية وآرائه وأن المبالغة في إبراز فضائل عثمان على حساب الصحابة والخلفاء الأولين قد يثير استياءً ويولد انقساماً لاينسجم مع مصلحته، ولذلك عدل عن حصر الاهتمام بعثمان إلى ذكر فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، وفي هذا يقول إبن أبي الحديد «كتب معاوية إلى

عماله في جميع الآفاق: انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم. . ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والمهام والقطائع ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، ثم كتب إلى عماله إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل ناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الاولين»[1].

ذُكرت المروانية عندما كان عبد الملك بن مروان يحارب مصعب بن الزبير، فيروي الطبري «كتب عبد الملك إلى المروانية من أهل العراق، فأجابه كلهم وشرط عليه ولاية أصبهان، فأنعم بها لهم كلهم منهم حجار بن أبجر والغضبان بن القبعثري، وعتاب بن ورقاء، وقطن بن عبد الله الحارثي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، وزحر بن قيس، ومحمد بن عمير»[2].

إن تعبير المروانية نسبة إلى مروان بن الحكم الذي ولي الخلافة وانحصرت به وبأولاده، والتعبير يختلف عن الأموية أو «السفيانية» المتصلة بمعاوية بن أبي سفيان، ولابد أن استعماله ظهر بعد تولي مروان الخلافة وهو يدل على أن المروانية ذات اتجاه خاص متميز عن الأمويةو وهو غير السفيانية التي صارت لها الأهمية الرئيسة المعبرة عن الأمويين، وهو مظهر لانقسام البيت الأموي. ويمكن القول بأن المروانية جماعة سياسية ترتبط مصالحها بالوضع القائم، فهي واقعية تنظر إلى الحاضر فتؤيده وتسانده، ولعل دافع أفرادها الطموح أكثر منه الانتهازية، فهي تختلف عن العثمانية المكونة من كتلة عقائدية فكرية اعتمدت على تمجيد فترة من الماضي، وظلت متمسكة بهذا التمجيد الذي ميزها. ولابد أن المروانية تكونت قبل تقدم عبد الملك بن مروان إلى العراق لقتال المصعب

(١) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٥.
(٢) الطبري ٢/، ٨٠٤.

ومكاتبته اياهم وان كان من الصعب تحديد تاريخ ظهورهم، وقد يكون تأييدهم مصعب مبعثه عداؤهم للشيعة والمختارية قبل أن يكون التمسك بتأييد المصعب الذي لم يفلح في تكوين جماعة وثيقة الإرتباط به. إن الستة الذين ذكرهم الطبري من أبرز رجال أهل الكوفة، وهم ينتمون إلى عشائر متعددة يمانية ومضرية، ولعل آخرين كانوا مروانية أيضاً وأن كلاً منهم جرّ معه أتباعه والمرتبطين به وخاصة من أبناء عشيرته.

عشائر عثمانية في الكوفة

من أبرز العشائر التي أعلنت ولاءها لعثمان وكررت المصادر وصفها بأنها عثمانية: بنو الأرقم وهم عشائر من كندة، كانت ديارهم عند ظهور الإسلام في حضرموت؛ ساق ابن الكليني نسبهم فقال إنهم من بني وهب بن معاوية، وان الارقم الذي نسبوا إليه كان من نسله يزيد وعميرة، وزرارة، وسعيد الخير، ويزيد القشعم ومعد يكرب بن الأسود «الاجذوم». وكان سيدهم في الجاهلية معد يكرب بن الأجذم، وكانت علاقتهم بالأشعث بن قيس سيئة قبل الإسلام، فقد قتلوا أباه، فثار له إبنه الأشعث وقتل يزيد وزرارة وسعيد أولاد فراوة، كما قتل القشعم بن يزيد بن الأرقم[١]. ساند بنو فراوة المسلمين عندما تقدموا للقضاء على ردة بني ربيعة، فكان يزيد بن فراوة أجار خالد بن سعيد عندما قطع نخل بني وليعة[٢]. ثم شاركوا في الفتوح، وكان أول من قضى بالعراق لعمر بن الخطاب هو جبير بن القشعم بن يزيد بن الأرقم، وقد تولى القضاء بالقادسية في خلافة عمر[٣]، وذكر أن قيس بن فراوة بن زرارة قتل ببلنجر مع سلمان بن ربيعة الباهلي.

(١) ابن الكلبي ٩٦، وانظر المحبر ٢٩٥، الاصابة ٢/٤٦٤، ٥٤٨٩، ويذكر ابن سعد انهم نزلوا الجزيرة دون تحديد مكان نزولهم (٧ ـ ٢/١٧٦، وانظر ايضا الاصابة ١/٢٥٩ (١٢٧٣)، الانساب لابن حزم ٤٠٠.
(٢) كتاب النسب ٩٦.
(٣) الاصابة: لابن حجر ١/٢٥٩ (١٢٧٣).

وأبرز رجالهم عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة بن الأرقم[١]، وكان رجلاً يتنسك. وذكر الطبري أنه من بني الحارث بن معاوية بن ثور[٢]، وأنه من سيبان من كندة[٣]، وكان قد هرب من علي بن ابي طالب من الكوفة ونزل الجزيرة ومات بها[٤]، وكان على ميسرة جيش سفيان[٥]، وجيش زحر[٦]، اللذين قاتلا شبيب. ثم ولاه سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز أرمينية والجزيرة وأذربيجان وبه سمي نهر عدي بالبيلقان[٧]، وقاد حملة ضد صالح بن مسرح الخارجي[٨].

من العشائر العثمانية في الكوفة الناعطيون، وهم عشيرة من همدان اليمانية. وكان جلهم عثمانية[٩]، وقد انتقدوا علياً عند عودته من صفين. وكانت خططهم أدنى إلى المسجد، فيروى أن علياً عندما قدم الكوفة من صفين مر بالثوريين ثم الفائشيين ثم الشباميين ثم الناعطيين[١٠].

لم يذكر للناعطيين دور كبير في الحوادث التي مرت بالكوفة، ولم يذكر من رجالهم في الحوادث سوى سعيد الذي كان متعاوناع مع المختار، وقد منعوا دخول الوالي الذي ولاه ابن الزبير على الكوفة[١١]. ولم تذكر كتب الرجال أحداً من الناعطيين، وأبرز من اشتهر منهم أعشى همدان.

(١) المحبر ٢٩٥، الاصابة ١/٢٥٩ (١٢٧٣)، الطبري ٢/٨٨٧.
(٢) الطبري ٢/٨٨٧.
(٣) المصدر نفسه ٢/٩٢١، ٨٩٧، وانظر فتوح البلدان ٢٨٩.
(٤) ابن سعد ٧ ـ ٢/١٧٦.
(٥) الطبري ٢/٨٩٧.
(٦) المصدر نفسه ٢/٩٢١.
(٧) فتوح البلدان ٢١٩.
(٨) الطبري ١/٨٨٧.
(٩) المصدر نفسه ١/٣٣٤٨، وقعة صفين ٦١.
(١٠) المصدر نفسه ١/٣٣٤٨، وقعة صفين.
(١١) أنساب الاشراف ٥/٢٣٤.

الجعفيون

ذكر البلاذري أن ممن اعتزل علياً وارتحل إلى الرقة، المحتمل بن سماعة بن حصين بن دينار الجعفي، وشمر بن الحرث، والبراء الجعفي، والقشعم بن عمرو بن نذير الجعفي، وسلمان بن ثمامة الجعفي[1]. ولعل آخرين من جعفى انتقلوا مع هؤلاء الخمسة الجعفيين من الكوفة إلى الرقة لأنهم عثمانيون.

ومن أبرز العثمانية من بني جعفى عبيد الله بن الحر «كان من فتاك العرب»[2]، ومن فرسانهم[3]، ومن أشراف الكوفة[4] وكان شاعراً[5]. نقل الطبري عن المدائني ان عبيد الله بن الحر «كان رجلاً من خيار قومه صلاحاً وفضلاً وصلاة واجتهاداً، فلما قتل عثمان وهاج الهيج بين علي ومعاوية، قال: أما أن الله ليعلم أني أحب عثمان ولأنصرنه ميتاً، فخرج إلى الشام فكان مع معاوية.. فأقام عبيد الله عند معاوية، وشهد معه صفين، ولم يزل معه حتى قتل علي، فلما قتل علي قدم الكوفة فأتى اخوانه»[6]. استاء ابن الحر من إلقاء زياد القبض على حجر وفكر في إنقاذ حجر غير أنه لم يلق من يسنده في ذلك[7]، وكان ممن خرج لصد الحسين، ولكنه لم يشارك في القتال[8]، فلما قتل الحسين قطع إبن الحر زيارته لعبيد الله بن زياد تعبيراً عن استيائه[9]. ولما هاجت الفتنة بعد وفاة يزيد «قال ما أرى قريشاً تنصف، أين أبناء الحرائر، فأتاه خليع كل قبيلة فكان معه سبعمائة فارس، فقالوا أمّرنا بأمرك»[10]. ثم انضم إلى

(١) أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٢٩٧.
(٢) المحبر ٢١٣.
(٣) البيان والتبيين ١/ ٢١.
(٤) الطبري ٢/ ٣٨٨.
(٥) انظر عن شعره الطبري ٢/ ٣٨٩، ٤٦٣.
(٦) الطبري ٢/ ٧٦٦ ـ ٧٦٧، وانظر أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٤١٠.
(٧) المصدر نفسه ٢/ ١٣٥ عن أبي مخنف.
(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٥ عن الشعبي.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ٣٠٥.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٧٦٦.

مصعب بن الزبير وشاركه في قتال المختار في الكوفة حيث أرسله المصعب إلى جبانة الصائدين[1] وعندما قضى مصعب على المختار اقترح عليه قتل الموالي[2]، ثم انقلب على مصعب، وصار يغير في السواد[3]، ثم قبض عليه المصعب وقتله ونصب رأسه في الكوفة[4].

رجال من النخع والحارث بن كعب

أما النخع فقد ذكر من رجالهم العثمانية الهيثم بن الأسود أبو العريان، كان خطيباً شاعراً[5]، وكان صديقاً للأقيشر[6] ولشبث بن ربعي المعروف بميله للعلويين[7]. وكان ممن شهد على حجر بن عدي[8]، وكان معتمداً عند زياد الذي أرسل معه كتاباً إلى معاوية يطلب فيه توليه الحجاز[9]. وكانت له صلة ود مع المختار[10].

وذُكر من العثمانية من بني الحارث بن كعب إثنان هما: كثير بن شهاب، وقطن بن الحارث، فأما كثير بن شهاب فقد انضم إلى الجيوش الإسلامية المقاتلة في جبهة العراق من وقت مبكر، وشارك في معركة القادسية، وكان له دور ملحوظ فيها، كما تابع مشاركته في الجيش الإسلامي عند تقدمه إلى المدائن، وهو الذي قتل الجالنوس في برس[11]، ولما ولي المغيرة بن شعبة الكوفة في آخر زمن خلافة عمر ولاه همدان[12]، ثم ولاه الري ودستبي، وكان

(١) الطبري ٢/ ٧٣٣، ٧٣٥.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ٧٥٠.
(٣) المحبر ٢٢٣.
(٤) المصدر نفسه ٤٩٢.
(٥) البيان والتبيين ١/ ٣٩٩، ٢/ ٦٩، وانظر بعض شعره في الطبري ٢/ ٤٦٢.
(٦) الأغاني ١١/ ٢٦٣.
(٧) أنساب الأشراف ٥/ ٢٧٥.
(٨) الطبري ٢/ ١٣٣، أنساب الأشراف ٤ ـ ١/ ٢٢٢.
(٩) المصدر نفسه ٢/ ١٥٨، أنساب الأشراف ٤ ـ ١/ ٢٤٠.
(١٠) المصدر نفسه ٢/ ٢٦٧.
(١١) فتوح البلدان ٣١٨.
(١٢) المصدر نفسه ٣٠٨.

اهل الري قد نقضوا الصلح، فقاتلهم حتى رجعوا إلى الطاعة وأذعنوا بالخراج والجزية، وغزا الديلم فأوقع بهم وغزا الببر والطيلسان[١]. ثم غضب عليه معاوية وحبسه بدمشق ثم أطلق سراحه بشفاعة شريح بن هانيء المرادي، فلما ولي يزيد الخلافة قدر مشايعته وأتباعه فكتب إلى عبيد الله بن زياد في توليته ماسبذان ومهرجانقذق وحلوان والماهين، واقطعه ضياعاً بالجبل، فبنى قصره المعروف بقصر كثير من عمل الدينور[٢].

يقول عوانة إن كثّير بن شهاب كان عثمانياً يقع في علي بن أبي طالب ويثبط الناس عن الحسين[٣]، وكان من رؤساء اليمانية الذين اتصل بهم زياد ضد حجر بن عدي[٤]، وكان ممن شهد على حجر[٥]. وتوفي في خلافة يزيد. ورويت عن المختار أقوال تعبر عن حقده على كثير[٦].

أما قطن بن عبد الله بن الحصين فكان من الأشراف في الكوفة[٧]، وكذلك كان ابنه[٨]، وكان له حمام قرب جبانة السبيع[٩] وشارك في الدفاع عن عثمان[١٠]، وأراد المغيرة إنابته في ولاية الكوفة عندما ذهب إلى معاوية[١١]، ثم ولاه معاوية أذربيجان[١٢]، وفقئت عينه في إحدى المعارك فيها[١٣]، وكان من الشهود على حجر بن عدي[١٤]، وكان في زمن المصعب على ربع مذحج

(١) فتوح البلدان ٣١٨، وانظر أنساب الأشراف ٤ ـ ١/ ١٣٦.
(٢) المصدر نفسه ٣١٧.
(٣) المصدر نفسه ٣٠٧.
(٤) أنساب الاشراف ٤ ـ ١/ ١٨.
(٥) المصدر نفسه ٤ ـ ١/ ٢٢٠.
(٦) فتوح البلدان ٣٠٧، انساب الاشراف ٥/ ٢٣٥.
(٧) المحبر ٢٦١.
(٨) الانساب لابن الكلبي ١٩٢.
(٩) الطبري ٢/ ٦٥٦.
(١٠) انساب الاشراف ٥/ ٢٧٣.
(١١) الطبري ٢/ ٧٢.
(١٢) انساب الاشراف ٤ ـ ١/ ٢٣٦.
(١٣) المحبر ٢٦١، ٣٠٢.
(١٤) الطبري ٢/ ١٣٢.

وأسد، وممن اتصل بهم عبد الملك بن مروان ووعدهم بأصبهان، فلما تقدم المصعب إلى مسكن كان ممن رفضوا التقدم لقتال جيش عبد الملك[١]، فلما دخل عبد الملك الكوفة ولاه عليها أربعين يوماً ثم ولاها أخاه بشر بن مروان[٢]، وجعل قطن على شرطة الكوفة، وكان «عثمانياً لم يمل إلى عبد الملك أحدٌ ميله»[٣].

ومن العثمانية في الكوفة أبو بردة بن عوف الأزدي[٤]، وكان أشياخ الحي يذكرون أنه كان عثمانياً وقد شهد مع علي صفين، ولكنه عندما رجع إلى الكوفة كان يكاتب معاوية، فلما ظهر معاوية أقطعه قطيعة بالفلوجة، وكان عليه كريماً[٥]، وكان ممن سرّحهم عبيد الله بن زياد إلى يزيد برأس الحسين[٦].

وممن ذكرتهم المصادر من العثمانية: مغيرة بن مقسم الضبي الكوفي الأعمى، وقد ذكر عنه الذهبي أنه "أحد الأعلام من موالي بني ضبة، وكان عثمانياً إلا أنه كان يحمل على علي (رض) بعض الحمل[٧]، وقد روى عنه الطبري عدة أخبار.

ذكر نصر بن مزاحم ممن لحق بمعاوية، بشر بن عصمة المزني[٨]. ومن المعروفين بالعثمانية عبد الله بن همام السلولي الشاعر[٩]، وكذلك الوليد بن عقبة الذي صار إلى معاوية وأقام بالرقة[١٠].

(١) الطبري ٢/٨٠٦، أنساب الاشراف ٥/٣١٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/٨١٦، أنساب الاشراف ٥٥، ٣٥٤.
(٣) أنساب الاشراف ٥/٣٥١.
(٤) الأنساب لابن الكلبي ٣٣٩.
(٥) وقعة صفين ٦.
(٦) الطبري ٢/٣٧٤.
(٧) تاريخ الإسلام للذهبي ٥/٣٠٢ ـ ٣٠٣.
(٨) وقعة صفين ٣٠٥، الطبري ١/٣٣٠٥.
(٩) أنساب الاشراف ٥/٢٢٩.
(١٠) المصدر نفسه ٢/٢٩٩.

ويروي ابن عساكر أن ربيعة بن عاصم العقيلي خرج مع قبيلته قيس من الكوفة بعد مقتل عثمان يريدون معاوية، فمر بالجزيرة هو وقيس فرأوا بلاداً خصيبة ريفية ومزدرعاً واسعاً وقلة أهل، فلما وصلوا إلى معاوية ردهم إلى أرض الجزيرة وأسكنهم بها[١].

ذكرنا من كلامنا عن المساجد الملعونة المنسوبة إلى أفراد، مساجد منها مسجد سماك وأوردنا أخباره، وذكرنا أن سماك كان عثمانياً، فارق علياً مع نحو من مائة رجل من بني أسد، ثم أخذ يكاتب قومه حتى لحق به منهم سبعمائة.

ذكرت المصادر من العثمانية من بني أسد في الكوفة عاصم أبو حصين، ذكر الذهبي أنه أحد أشراف الكوفة، وكان من أركان المحدثين وثقاتهم، وكان عثمانياً صافياً وسيد بني أسد بالكوفة.

ذكر البخاري 'خرج عدي بن حاتم وجرير بن عبد الله وحنظلة كاتب النبي من الكوفة إلى قرقيسيا وقالوا لا نقيم ببلدٍ يشتم فيه عثمان[٢]، وذكر نصر بن مزاحم ان قرقيسيا نزلها جرير بن عبد الله ومن لحق به.

توطين معاوية معارضي علي في الجزيرة الفراتية

أهمية الجزيرة الفراتية[*]

يقول الطبري في كلامه عن الجزيرة في أواخر زمن الراشدين: «وكان اهل الجزيرة والموصل يومئذ ناقلة رميتها بكل من ترك هجرته من أهل البلدين، وكانت الباب واذربيجان والجزيرة والموصل من فتوح أهل الكوفة، فنقل ذلك

(١) مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٣٠٤.
(٢) تاريخ البخاري ٢ ـ ٢ / ٣.
(*) قدم البلاذري في «فتوح البلدان» معلومات عن الجزيرة الفراتية كانت معتمد الباحثين. ومن الكتب القديمة القيمة في الموضوع «العلائق الخطيرة» لابن شداد، ومن الدراسات الحديثة الكثيرة انظر «الجزيرة الفراتية» لمحمود المشهداني.

إلى من انتقل منهم إلى الشام أزمان علي، والى من رميت به الجزيرة والموصل ممن كان ترك هجرته أيام علي»[1].

كانت للجزيرة الفراتية في زمن الخلفاء الراشدين أهمية خاصة في الستراتيجية العسكرية للدولة. إذ إنها تتاخم بلاد الروم وتحاددها في مئات الاميال، وهي تتصل بالعراق وتعتبر امتداداً لسهوله في أطرافها الشمالية حيث يخترقها نهر الفرات الذي ييسر حركات الجيوش، فيكون منفذاً يمكن منه للروم التقدم إلى دولة الإسلام وفصل العراق عن الشام وتهديد أطرافهما، كما أنها تكون منفذاً للجيوش الإسلامية للتقدم إلى الأطراف الجنوبية الشرقية من هضبة الاناضول.

وبسبب موقع الجزيرة بين دولة الساسانيين ودولة الروم، فإن معظم الجيوش الغازية كانت تمر بها، وكانت ساحة لكثير من الحروب بين الدولتين مما سبب تعرض مدنها للتخريبات، وأهلها للاضطراب. ومع أن غالبية أهلها كانت تدين بالنصرانية، إلا أنه تواجدت فيها كثير من الفرق النصرانية المتناحرة وأبرزها النسطورية واليعقوبية مما زاد في ضعفها، ولابد أن امتداد دولة الإسلام إليها جعل حكمها بأيد محايدة في هذه الخلافات، إلا أنه لم يجتثها تماماً، ويبدو أن عدداً من أهلها هاجر مع الروم عند انسحابهم منها، وبذلك قلّ سكانها، وظلت الحاجة قائمة إلى تقويتها للصمود بوجه الروم. ويقول البلاذري «ثم تولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان (رض). فأمره أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ويأذن لهم في اعتمال الارضين التي لا حق فيها لأحد، فأنزل بني تميم الرابية، وأنزل المازحين والمديبر أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم، وفعل ذلك في جميع نواحي مضر، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك، وألزم المدن والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء، ثم جعلهم مع عماله»[2]. ويقول الطبري "وكان معاوية هو الذي جنّد قنسرين. وإنما كانت قنسرين رستاقاً من رساتيق حمص حتى مصّرها معاوية وجندها بمن

(١) الطبري ١/ ٢٦٧٣.
(٢) فتوح البلدان ١٧٧.

ترك الكوفة والبصرة في ذلك الزمان، وأخذ لهم معاوية بنصيبهم من فتوح العراق وأذربيجان والجزيرة والموصل والباب فضمها فيما ضم[1]. أما البلاذري فيذكر 'ولم تزل قنسرين وكورها مضمومة إلى حمص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج وذواتها جنداً[2]، ويقول أيضاً 'وذكروا أن الجزيرة كانت إلى قنسرين فجندها، أي أفردها، فصار جندها يأخذون أطماعهم بها من خراجها، وأن محمد بن مروان كان سأل عبد الملك تجنيدها ففعل[3].

الرقة

كانت الرقة أكثر الأماكن التي تردد ذكرها في المصادر، وقد يرجع ذلك إلى أنها أقرب المدن إلى العراق الذي كان قاعدة خلافة علي، فهي القاعدة الأمامية لمعاوية في مقاومته لعلي، ولعل معظم العثمانية تجمعوا فيها. فيقول نصر بن مزاحم، إن "الرقة.. جلّ أهلها العثمانية الذين فروا من الكوفة برأيهم وأهوائهم إلى معاوية"[4]. ويذكر أن من كان يفارق علياً يبدأ بالرقة حتى يستأذن معاوية في القدوم عليه؛ وكانت الرقة والرها وقرقيسيا وحران من حيز معاوية وعليهم الضحاك بن قيس، وكانت هيت وعانات ونصيبين ودار وسنجار من حيز علي وعليها الأشتر[5].

يذكر البلاذري أن الخليفة علي عندما سار إلى صفين "وافى الرقة وبها جماعة ممن هرب إليها من الكوفة من العثمانية الذين أهواؤهم مع معاوية مثل الوليد بن عقبة بن أبي معيط وسماك بن مخرمة الأسدي، ومثل المحتمل بن سماعة بن حصين بن دينار الجعفي، وشمر بن الحرث، والبراء الجعفي،

(١) الطبري ١/ ٢٦٧٣.
(٢) فتوح البلدان ١٣١.
(٣) المصدر نفسه ١٣١، معجم البلدان ٣/ ٧٤٢.
(٤) وقعة صفين ١٢،١٦،١٦٣ وانظر أنساب الاشراف ٢ ـ ٨ ٤٧١، ٢٩٧، الغارات للثقفي ١/ ٣٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢١٨، بحار الأنوار للمجلسي ٨/ ٦٢٤.
(٥) الغارات ١/ ٣٦٥.

والقشعم بن عمرو بن نذير الجعفي وسلمان بن ثمامة الجعفي،[1] ولعل الجعفيين الأربعة هم بعض عدد أكبر من هذه العشيرة لجأ إلى الرقة.

فأما الوليد بن عقبة فإنه شارك في فتوح الجزيرة، وولي الكوفة لعثمان فشغب بعض أهلها عليه، وعزله عثمان، ويقول البلاذري «وكان الوليد بن عقبة قد صار إلى معاوية فكان أشد الناس في ذلك، وقوم يقولون إن الوليد كان معتزلاً بالرقة، والثبت أنه صار إلى صفين»[2].

الرها

فأما الرها فإن المصادر ذكرت أن بني الأرقم نزلوها. يذكر ابن الكلبي أن بني الأرقم عندما خرجوا إلى الجزيرة أنزلهم معاوية نصيبين وأقطعهم قطائع، ثم كتب إليهم إني أخاف عليكم عقاربها فأنزلهم الرها وأقطعهم قطائع.

أصحاب ابن مسعود

ومن الجماعات التي أشارت المصادر إلى وجودها في الكوفة عندما قدمها علي بن أبي طالب، وكان لها كيان متميز ومواقف خاصة، هم أصحاب عبيد الله بن مسعود وهو من الصحابة الأولين وينتمي إلى هذيل، أقام بمكة وحالف فيها بني زهرة، وعمل راعي غنم لعقبة بن أبي معيط[3]، وأسلم في أوائل الدعوة الإسلامية، وهاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة، وهاجر مع المسلمين إلى المدينة وشارك في معظم غزوات الرسول، وكان من المقربين للرسول (ص)، وحرص على حفظ القرآن وتلاوته، فكان من القلائل الذين حفظوا القرآن كله سماعاً من الرسول (ص).

وعندما خرجت الجيوش الإسلامية للفتوح في زمن خلافة أبي بكر كان ممن

---

(١) أنساب الاشراف ٢ ـ ١/٢٩٧، وقعة صفين ١٤.
(٢) المصدر نفسه ٢ ـ ١/٢٩٩.
(٣) ابن سعد ٣/١٠٦.

خرج لفتح بلاد الشام، وشارك في معركة اليرموك وكان على النفل[١]، ثم استقر في حمص[٢]، ونقله عمر بن الخطاب إلى العراق فشارك في معركة القادسية[٣]، ولما عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة، بعث عمر بن الخطاب إلى الكوفة عمار بن ياسر وجعله والياً عليها، وعبد الله بن مسعود على بيت المال وكتب إلى أهل الكوفة «إني قد بعثت اليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله (ص) فاسمعوا لهما واقتدوا بهما، وإني والله قد آثرتكم بعبد الله على نفسي»[٤]، وظل على بيت المال في الكوفة إلى أن عزله الوليد بن عقبة، فاستدعاه عثمان إلى المدينة وألزمه المقام فيها، وأثار إخراجه من الكوفة استياء أهلها[٥]. وامتنع في المدينة من أخذ عطائه، ثم توفي قبل مقتل عثمان بسنتين، ولم يدفعه استياؤه من عثمان إلى التحريض على قتله، ويروى أنه قال «لئن قتلتموه لن تستخلفوا»[٦].

يسّر اتقان عبد الله بن مسعود قراءة القرآن وتعليمه الناس، أن يرتبط به عدد ممن يعنى بالقرآن، فكان هو وأبو موسى رؤوس القرّاء في الكوفة. ويروى أن حذيفة بن اليمان قال لعثمان يوضح له الاختلاف في القراءة «والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ، يعني ابن مسعود ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الآخر، يعني أبا موسى»[٧]. وعندما اتسع اختلاف الناس في قراءة القرآن وأصبح مبعث خطر يهدد بالفرقة عمل الخليفة عثمان على معالجة هذا الخطر، فألف لجنة دققت ضبط قراءة القرآن وتثبيتها بقراءة واحدة. وأقر عثمان والمسلمون في المدينة عملهم، وانتسخوا أربع نسخ وزعوها على الأمصار، ومنها نسخة أرسلت إلى الكوفة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ٤٦١.
(٢) ابن سعد ٣/ ١١١.
(٣) سير اعلام النبلاء ١/ ٤٩١.
(٤) ابن سعد ٦/ ٣، وانظر الخراج لابي يوسف ٣٦.
(٥) أنساب الاشراف ٥/ ٣٠، الطبري ١/ ٢٨١١.
(٦) تاريخ المدينة لابن شبه ١٠٤٩.
(٧) المصدر نفسه ٩٩٨، المصاحف للسجستاني ٣٥.

غير أن عبد الله بن مسعود لم يرتض هذا العمل، ويروى أنه استاء من عدم اختياره لتثبيت قراءة المصحف، ورفض ترك قراءته وطلب إلى الناس أن يحتفظوا بمصاحفهم فأثار لغطاً هدّد الاستقرار، فاستدعاه عثمان إلى المدينة، وروت بعض كتب القراءات بعض ماتتسم به قراءة عبد الله بن مسعود وهي تشمل اختلافاً في قراءة بعض الكلمات وفي ترتيب سور القرآن، وعدم إدخاله المعوذتين[1]، غير أن قراءته لم يكتب لها الذيوع، وظلت محصورة في نطاق ضيق، كما أن عدداً من القراء كانوا لايقرأون عدداً من كلمات القرآن بغير ماثبته مصحف عثمان.

جمع عبد الله بن مسعود حوله عدداً من المسلمين وصفتهم المصادر بأنهم «أصحاب عبد الله بن مسعود» مما يظهر أنهم مجموعة مترابطة فيما بينها، وقد تميز عدد منهم بالحرص على قراءة القرآن ودراسته وتفهم أحكامه، فكان منهم عدد من أبرز الفقهاء والمفتين في الكوفة، وذكر ابراهيم التيمي: "أصحاب عبد الله الذين يقرأون ويفتون ستة: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة والحارث بن قيس وعمرو بن شراحيل[2]. قال الشعبي «ما كنت أعرف فقهاء الكوفة إلاّ أصحاب عبد الله بن مسعود قبل أن يقدم علينا علي، ولقد كان أصحاب عبد الله يسمون قناديل المسجد، أو سرج المسجد»[3]، وقال «ما رأيت قوماً قط أكثر علماً، ولا أعظم حلماً ولا أعف عن الدنيا من أصحاب عبد الله بن مسعود، ولولا ماسبقهم من الصحابة ما قدمنا عليهم أحداً»[4].

وممن عرف بالحرص على قراءة القرآن في الكوفة بنو ثور. يروي ابن سعد

---

(١) انظر: تاريخ المدينة لابن شبه ١٠٠، ١٠٠٢، ١٠٠٨ ـ ١١، المصاحف: السجستاني ٦ ـ ٧، ١٦ ـ ١٨، المحتسب ٨٣؛ ارشاد الساري ٧/٤٤٥، وعن ترتيب السور في مصحف ابن مسعود انظر: الانقان في علوم القرآن. ويقول ابن النديم «رأيت عدة مصاحف ذكر نساخها انها مصحف ابن مسعود، ليس فيها مصحفان متفقان، وأكثرها في رق كثير النسخ» (الفهرست ٢٩).

(٢) ابن سعد ٦/٥٠٣، سير أعلام النبلاء ٤/٣١٩.

(٣) الطبري ١/٢٩٦٢.

(٤) سير أعلام النبلاء ٤/٢٦٢.

أنه «كان في بني ثور ثلاثون رجلاً مافيهم رجل دون الربيع بن خيثم»[١]، ويقول إبن شبرمة «مارأيت حياً أكثر متعبداً وفقيهاً من بني ثور»[٢]، ولابد أن المقصود بذلك أصحاب إبن مسعود لأن الربيع بن خيثم كان منهم.

يقول نصر بن مزاحم أن علي بن أبي طالب عندما قدم الكوفة "أتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود فيهم ربيع بن خيثم وهم يومئذ أربعمائة رجل، فقالوا ياأمير المؤمنين إنا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ولا غناء بنا ولابك ولا بالمسلمين عمن يقاتل العدو، فولنا بعض هذه الثغور نكون بها ثم نقاتل عن أهله فوجهه على ثغر الري، فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء الربيع بن خيثم[٣]. ويروي البلاذري عن مرة الهمداني «قال علي بن أبي طالب من كره منكم أن يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه وليخرج إلى الديلم فليقاتلهم، قال وكنت من النخبة، فأخذنا أعطياتنا وخرجنا إلى الديلم ونحن أربعة آلاف أو خمسة آلاف، ويروى عن سفيان أغزى علي الربيع بن خيثم الثوري الديلم وعقد له على أربعة آلاف من المسلمين»[٤].

والربيع بن الخيثم من بني ثور بن عبد مناة[٥]، وهم حي صغير من الرباب جاءت شهرتهم من ظهور الربيع وسفيان الثوري فيهم، وفي هذا يقول الجاحظ «ولولا الربيع بن خيثم وسفيان الثوري ماعلم الناس في الرباب حياً يقال لهم بنو ثور»[٦]. والرباب من عشائر تميم، وهي فرعان كبيران هما ضبة وعبد مناة، وكانوا قد تعرضوا لهجوم سجاح[٧]. وانضموا إلى الجيوش الإسلامية المقاتلة في جهة العراق في أوائل خلافة عمر بن الخطاب، حيث «خرج هلال بن علفة

(١) ابن سعد ٦/١٢٢٣.
(٢) المصدر نفسه ٦/١٢٢٢٣.
(٣) وقعة صفين ١٢٩.
(٤) فتوح البلدان ٣٢٤، التدوين ١/ ٢٤؛ سير اعلام النبلاء ٤/ ٣٠٩.
(٥) طبقات خليفة ١٤١. ويجدر تمييزهم عن عشيرة ثور الهمدانية التي كان لها ولرجالها دور ملحوظ في الحوادث السياسية والحركة الفكرية.
(٦) البيان والتبيين ٤/ ٣٩.
(٧) الطبري ١/ ١٩١٣.

التيمي في من اجتمع إليه من الرباب حتى أتى عمر فأمّره عليهم وسرّحه فقدم على المثنى»[1]. وقاتلوا الانوشجان عندما تقدم من سواد البصرة لمقاتلة العرب[2]، فتصدت له الرباب، وهم على قائدين: المستورد وعبد الله بن زيد.[3] وكونت الرباب عشيرة متميزة، فكانت مع تميم وهوازن سبعاً[4]، وكان أحد رجالها سويد بن الحارث مع علي إلى آخر خلافته[5]؛ ولكن خرج عليه منهم هلال بن علفة في مائتين وساروا إلى ماسبذان[6].

أما ضبة فقد شاركت في موقعة الجسر، وكان ممن حمى الجسر لعبور المسلمين مع المثنى: عاصم والكلج الضبيان[7]. وقد جعلهما المثنى على مسالحه[8]، وشاركا في معركة البويب[9] وكانا من أوائل من عبر إلى المدائن.

وكان عاصم من شهود صلح أصبهان[10]، وكان أحد والبي دستبي، قبل المهلهل بن زيد الطائي[11]. وذكر ابو نعيم خمسة وعشرين ضبياً استوطن أصبهان.

وشاركوا في وقعة الجمل مع علي بن أبي طالب، وقتل منهم في المعركة ثمانمائة[12].

ظل عددٌ من أصحاب ابن مسعود في الكوفة، وخرجوا مع علي إلى صفين

---

(١) الطبري ١/ ٢١٨٨.
(٢) المصدر نفسه ١/ ٢٢٢١.
(٣) المصدر نفسه ١/ ٢٤٤٥.
(٤) المصدر نفسه ١/ ٢٤٩٥، ٣١٧٤.
(٥) أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٤٧٨.
(٦) المصدر نفسه ٢ ـ ١/ ٤٨٢.
(٧) الطبري ١/ ٢١٧٥، ٢١٨٣.
(٨) المصدر نفسه ١/ ٢٢٠٢.
(٩) المصدر نفسه ١/ ٢١٨٣ ـ ٥/ ٢١٩٧، ٢١٩٩.
(١٠) المصدر نفسه ١/ ٢٦٣٨، ٢٦٤١.
(١١) المصدر نفسه ١/ ٢٦٥٠.
(١٢) أنساب الاشراف ٢ ـ ١/ ٣٦٤.

ولكنهم كانوا جماعة متميزة. يروي نصر بن مزاحم أن علياً عندما خرج إلى صفين أجابه جل الناس إلاّ أن أصحاب عبد الله بن مسعود أتوه وفيهم عبيدة السلماني وأصحابه فقالوا إنا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ونعسكر على حدة حتى ننتظر من أمركم وأمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد مالايحل له أو بدا منه بغي كنا عليه، فقال علي مرحباً وأهلاً، هذا هو الفقه بالدين والعلم بالسنة من لم يرض بهذا فهو جائر خائن[١].

قرّاء الكوفة في زمن خلافة عثمان

كوّن القراء في الكوفة جماعة متميزة ذات مكانة خاصة، منذ زمن ولاية سعيد بن العاص، فيذكر الطبري في حديثه عن أحوال الكوفة في أواخر زمن خلافة عثمان أنه لما اضطرب الحال كان سعيد خلص بالقراء والمتسمتين في سمره[٢]، وذكر أبو مخنف أن عثمان بن عفان عندما ولى سعيد بن العاص الكوفة «أمره بمدارات أهلها، فكان يجالس قراءها ووجوه أهلها ويسامرهم»، وذكر أسماء عشرة من مختلف العشائر كان يجالسهم دون أن ينص على أنهم من القراء أو من الوجوه[٣]. وذكر ابو مخنف أيضاً أنه لما لج الشغب في الكوفة سيّر سعيد بن العاص ثمانية من القراء إلى الشام وهم الأشتر بن مالك النخعي، وعائذ بن حملة الطهوي، وجندب بن زهير الأزدي، وكميل بن زياد النخعي، ويزيد بن المكفف النخعي، وثابت بن قيس النخعي، والحارث بن عبد الله السبيعي، وأصعر بن قيس الحارثي[٤]، وفي هذه القائمة أربعة من النخع، وواحد من كل من الأزد والسبيع وبني الحارث، وكلهم من اليمن، وواحد من تميم، ولابد أن هؤلاء كانوا من أنشط من أثار الشغب على عثمان. وذكر إبن شبه ممن سيرهم سعيد بن العاص: كميل بن زياد، ويزيد بن مكفف،

(١) وقعة صفين.
(٢) الطبري ١/٢٨٥٨، ٢٩٠٨.
(٣) أنساب ٥/ ٤٠.
(٤) المصدر نفسه ٥/٤١، ابن شبه ١١٤١.

وجندب بن زهير، وهم ممن ذكرهم البلاذري، وذكر أيضاً عمرو بن زرارة، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وزيد وصعصعة إبني صوحان[١].

وذكر البلاذري أسماء اثني عشر من القراء الذين بقوا في الكوفة وتابعوا إثارة الشغب على سعيد بن العاص، والذين ذكرهم: معقل بن قيس الرياحي، ومالك بن حبيب التميمي، وعبد الله بن الطفيل العامري، والمسيب بن نجبة الفزاري، وزيد بن حصن الطائي، وزياد بن النضر الحارثي، ويزيد بن قيس الأرحبي، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وسليمان بن مراد الخزاعي[٢]، وهم من عشائر عدنانية ويمانية، من كل عشيرة واحد ماعدا خزاعة فمنها إثنان، وفيهم اثنان ممن ذكر أبو مخنف أن سعيد بن العاص كان يجالسهم، وهما مالك بن حبيب التميمي ويزيد بن قيس الأرحبي، ووصفهم إبن شبه بأنهم «وجوه أهل الكوفة ونساكهم».

ذكر البلاذري أن الاشتر عندما أعلن تمرده «أعطاه القراء والوجوه جميعاً مواثيقهم وعهودهم أن لايدعوا سعيد بن العاص يدخل الكوفة والياً أبداً»[٣]، ويذكر أنه أرسل إلى كسكر عائذ بن حملة الطهوي، وإلى عين التمر حمزة بن سنان الأسدي، وإلى حلوان هانيء بن أبي حية الهمداني، وإلى جوخى يزيد بن حجبة التيمي، وعروة بن زيد الخيل الطائي إلى مادون المدائن، وإلى طريق المدينة مالك بن كعب الأرحبي. وذكر أنه أرسل مع كل من عائذ وحمزة قوة قوامها خمسمائة ومع هانيء بن أبي حية ألفاً، ولابد أن معظم القوة التي أرسلها من القراء.

ويذكر البلاذري أيضاً أن الأشتر بعدما سيطر على الكوفة اختار لولايتها أبا موسى الاشعري وحذيفة بن اليمان، وأرسل يخبر عثمان بن عفان بما فعل مع

(١) تاريخ ابن شبه ١١٤١.
(٢) انساب الاشراف ٥/ ٤١.
(٣) المصدر نفسه ٥/ ٤٤.

يزيد بن قيس الأرحبي ومسروق بن الأجدع الهمداني وعبد الله بن أبي سبرة الجعفي وعلقمة بن قيس النخعي، وخارجة بن الصلت التميمي البرجمي[(١)].

ولما حاصر المصريون عثمان قدم مالك بن الأشتر ومعه مائتان من أهل الكوفة، ولم يكن لهم دور رئيس في حوادث الشغب أو في مقتل عثمان، ولم يرد ذكر لعلاقتهم بعلي أو دور أساس في اختياره خليفة.

قراء الكوفة في أول خلافة علي وفي صفين

لم يرد خبر يدل على احتكاك بين علي والقراء في الكوفة عندما قدمها، ويذكر الثقفي أن علياً فرض لمن قرأ القرآن ألفين ألفين[(٢)]، أي أنه وضعهم في صنف عال من العطاء، وفي هذا إشارة إلى محاولته إرضاءهم.

شارك القراء في وقعة صفين، وكان لهم مكان خاص متميز عن بقية جيش علي، فيذكر نصر بن مزاحم أن قراء أهل العراق اتخذوا معسكرهم في ناحية صفين، وكان عددهم ثلاثين ألفاً[(٣)]، ومنهم: عبيدة السلماني وعلقمة بن قيس النخعي وعبد الله بن عتبة وعامر بن عبد القيس[(٤)].

وكان «قراء أهل العراق مع ثلاثة نفر، مع عمار بن ياسر ومع قيس بن سعد ومع عبد الله بن بديل»[(٥)]، وقد تردد ذكر قراء الكوفة مع إبن بديل وعمار بن ياسر[(٦)]، وقراء البصرة مع مسعود بن فدكي[(٧)]. فأما القراء الذين كانوا مع عمار بن ياسر فكان يقودهم عبد الله بن الحصين الأزدي[(٨)]، وأما عبد الله بن

---

(١) أنساب ٥/٤٦.
(٢) الغارات ١٣١.
(٣) وقعة صفين ٢١١.
(٤) المصدر نفسه ٢١٣.
(٥) المصدر نفسه ٢٣٥، الطبري ١/ ٣٢٨٣.
(٦) المصدر نفسه ٢٣٥، الطبري ١/ ٣٢٨٣.
(٧) المصدر نفسه ٢٩٨، الطبري ١/ ٣٣٠٤.
(٨) الطبري ١/ ٣٢٩٢، ٣٢٩٨.

بديل فقد ذكر انه كان في الميمنة وأنه هجم «في عصبة من القراء فقاتل قتالاً شديداً»[1]، وعندما قتل أصيبت معه أيضاً «عصابة من أسلم من القراء»[2].

كان للقراء موقف من رفع المصاحف واختيار أبي موسى للتحكيم، فيذكر نصر أنه لما رفعت المصاحف بعث علي قراء من أهل العراق وبعث معاوية قراء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصحف، فنظروا فيه وتدارسوه، وأجمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، وأن يميتوا ما أمات القرآن، ثم رجع كل فريق إلى أصحابه وقال الناس رضينا بحكم القرآن، فقال أهل الشام فإنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص، وقال الأشعث والقراء، الذين صاروا خوارج فيما بعد، فإنا قد رضينا وأخترنا أبا موسى، فقال لهم علي إني لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه، فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكي في عصابة من القراء إنا لا نرضى إلا به، فإنه قد حذرنا ما وقعنا به[3]. وذكر أن عددهم عشرون ألفاً يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة عن القراء الذين صاروا فيما بعد خوارج[4]، ولعل في الرقم المذكور عن عددهم مبالغة، ولكنه يشير إلى كبر هذا العدد.

وصفت أكثر المصادر القراء بالعبادة والتقوى، فنقل إبن ابي الحديد أنهم «متمسكون بالدين وشعار الإسلام، مجتهدون في العبادة، لأنهم إنما خرجوا لما غلب على ظنونهم أو علموا جور الولاة وظلمهم، وأن الاحكام الشرعية قد غيرت، وحكم بما لم يحكم به الله»[5]، ووصفهم عبد الله بن عباس «ماسيماهم بسيما المنافقين، إن بين أعينهم لأثر السجود وهم يتأولون القرآن»[6]، ووصف ابن ديزل أهل النهروان «كانوا أهل قرآن وعبادة واجتهاد

(١) وقعة صفين ٤٠٢.
(٢) المصدر نفسه ٤٠٤.
(٣) المصدر نفسه ٥٧١ ـ ٥٧٦، الطبري ١/ ٣٣٣٣.
(٤) المصدر نفسه ٥٦٠، الطبري ١/ ٣٣٣٠، وانظر وقعة صفين ٥٦٩.
(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٤١٣.
(٦) المصدر نفسه ١/ ٢١٤.

وعزوف عن الدنيا وإقبال على أمور الآخرة، وهم كانوا قراء أهل العراق وزهادها»[1]. إلا أن أبا برزة وصفهم بالمادية «وما يقاتل الذين تدعون قراءكم إلا على الدنيا»[2]. وقد أغدق عليهم المصعب فلم يدع قارئاً بالكوفة لم ينله معروفه، ولكنهم كانوا يرون أنهم ما قرأوا القرآن يطلبون به الدنيا[3]. والمذكورون عرب من عشائر متعددة، أكثرهما شمالية، لم يذكر للموالي فيهم مكانة أو دور، وعددهم كبير، ولهم عدة رؤساء. قام تكوينهم على الأفكار والعقائد وليس المصالح أو العامل الفردي، والدور القبلي في التكتل ضعيف، أيدوا علياً وشاركوا معه في صفين، ولم يؤيدوا معاوية أو يتأثروا به، ولكن كان لهم كيان قائم بذاته، لم يتحمسوا للقتال ثم شاركوا فيه وتوقفوا عنه عندما رفعت المصاحف، فسببوا انشقاقاً قاد إلى مخاصمة فريق منهم علياً. وربما بقي عدد منهم في الكوفة ولم يشاركوا في صفين، ولم يكونوا عثمانية.

لم ينحصر القراء في الكوفة، وإنما كانوا في الشام والبصرة أيضاً. ومع أن لهم سمات مشتركة، وأسس تنظيم واحدة، إلاّ أن أساسهم الاقليمي ظل بارزاً في تكتلهم، رغم عدم ذكر لانشقاقهم أو حدوث اصطدامات بينهم.

فأما في الشام فقد تميزوا بآرائهم المستقلة القائمة على الروح الدينية التي وجهتهم اتجاهات معينة، وأقاموا حججهم على القرآن، وكانوا محاربين متحمسين، وعددهم كبير، وبينهم روح التعاون. ومن رؤسائهم في الشام أبو مسلم الخولاني الذي قام إلى معاوية في أناس من قراء أهل الشام قبل مسير علي إلى صفين وناقشه في أسباب مقاتلة علي[4]. وكانوا في صفين في ميمنة أهل الشام وعددهم أربعة آلاف عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب[5].

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ١٧٩.
(٢) المصدر نفسه ٥/ ١٩٦.
(٣) المصدر نفسه ٥/ ٢٨٦.
(٤) وقعة صفين ٩٥.
(٥) المصدر نفسه ٣٢٧.

ولحق عدد من قراء أهل الشام مع شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري بعلي[(١)].

وفي زمن المختار كان رفاعة بن شداد الفتياني «البجلي» سيد قراء أهل المصر، فصلى بالناس[(٢)].

كانت للقراء مكانة متميزة، وقد شهد على كتاب ابن الحنفية يزيد بن أنس وأحمر بن شميط وعبد الله بن كامل وجماعتهم، «وهم سادة القراء ومشيخة المصر وفرسان العرب»[(٣)].

أيّد القراء عبد الرحمن بن الأشعث وكان معه «جماعة من قراء العراق منهم الحسن البصري وعامر بن شراحيل الشعبي وسعيد بن حبير وابراهيم النخعي»[(٤)]. وفي موقعة دير الجماجم جعل الحجاج على القراء جبلة بن زحر بن قيس الجعفي ومعه خمسة عشر رجلاً من قريش، «وكان فيهم عامر الشعبي وسعيد بن حبير وأبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وكان كميل بن زياد النخعي كتيبته تدعى كتيبة القراء»[(٥)]. ولما قتل جبلة ظهرت الكآبة على وجوه القرّاء وسرت فيهم روح الفشل[(٦)].

---

(١) وقعة صفين ٢٥٠.
(٢) أنساب الاشراف ٥/٦٥٤.
(٣) المصدر نفسه ٥/٦١١.
(٤) اليعقوبي ٢/٣٣٣.
(٥) الطبري ٢/١٠٧٦.
(٦) المصدر نفسه ٢/١٠٨٧.

الفهرس

سلسلة تاريخ العرب والإسلام

صدر من هذه السلسلة :

- الفن العسكري الإسلامي — تأليف الدكتور اللواء الركن ياسين سويد
- في تاريخ إسبانيا الإسلامية — تأليف مونتغمري وات
- الخليج العربي، بحر الأساطير — تأليف قدري قلعجي
- صلاح الدين الأيوبي — تأليف قدري قلعجي
- هارون الرشيد — تأليف د. عبد الجبار الجومرد
- عمر بن عبد العزيز — تأليف د. صالح أحمد العلي
- المصباح المضيء في خلافة المستضيء — تأليف ابن الجوزي — تحقيق د. ناجية عبد الله ابراهيم
- نكت الوزراء — تأليف المؤيد الجاجرمي — تحقيق د. نبيلة عبد المنعم داود
- أهل الفسطاط دراسة في تركيبهم القبلي ومراكز إدارتهم — تأليف د. صالح أحمد العلي
- تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية — تأليف د. صالح أحمد العلي
- تاريخ المدن العربية الإسلامية — تأليف د. عبد الجبار ناجي
- عُمان في العصور الإسلامية الأولى — تأليف د. عبد الرحمن عبد الكريم العاني
- الإدارة في العهود الإسلامية الأولى — تأليف د. صالح أحمد العلي
- دولة الرسول (ص) في المدينة دراسة في تكونها وتنظيمها — تأليف د. صالح أحمد العلي
- سامراء وأهلها إبان إقامة الخلفاء فيها — تأليف د. صالح أحمد العلي
- المنسوجات والألبسة العربية في العهود الإسلامية الأولى — تأليف د. صالح أحمد العلي

سيصدر لاحقاً :

- أدب الوزراء — تأليف أحمد بن شاذان — تحقيق د. نبيلة عبد المنعم داود
- الفتوح الإسلامية — تأليف د. صالح أحمد العلي
- دراسات في كتابة تاريخ العرب — تأليف د. صالح أحمد العلي
- آراء أبي يوسف الاقتصادية والمالية من خلال كتابه الخراج — تأليف د. أحمد عبد الرزاق مصطفى
- الخراج (أحكامه ومقاديره) — تأليف د. حمدان عبد المجيد الكبيسي